

قاموس

العادات والتقاليد والنعاير

المصرية

احد امين



Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



قاموس

العواد والنقائو والنعاير المصرية

احد امين



وضع هذه الصورة وأكثر الصور التي في آخر الكتاب خصيصاً لهذا القاموس الأستاذ عبد المجيد موافى الصور بجزيرة الأهرام ، وبعضها مأخوذ من كتاب « لين » « مصر الحديثة » بالإنجليزية ، وبعضها من كتاب « النجد » ، فلهم جميعاً الشكر .

قاموس

العادات والتقاليد والتعابير المصرية

تأليف

أحمد أمين

الطبعة الأولى

الصفحة ٦٥

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٥٣

مقدمة

في نحو سنة ١٩٣٨ طُلب مني أن أكتب سلسلة مقالات في مجلة الإذاعة فاحترت في اختيار موضوع تتعاقب مقالاته . وبعد ذلك هداني تفكيري إلى أن أكتب سلسلة مقالات في العادات والتقاليد المصرية بعنوان دائرة المعارف المصرية أرتبها حسب حروف الهجاء ، فبدأت بحرف الألف ، وبدأت من حرف الألف بالإبرة أذكر على الأخص عقائد المصريين فيها والأمثال التي قيلت فيها ، واستمرت على ذلك نحو أربع عشرة مقالة ولما ينته حرف الألف ؛ ثم شاء القدر أن أختار عميداً لكلية الآداب سنة ١٩٣٩ فنصحتي بعضهم ألا أستمروا في هذه المقالات ، لأنها تتنافى مع جلال المادة ، مع أنها كانت في اعتقادي أجل من عميد .

ومضت السنون وتركت المادة ، وأخيراً في نحو سنة ١٩٤٨ سألني سائل : هل كتبت في مجموع مقالاتك هذه شيئاً عن أبي عليّ وأم عليّ وما معناهما ؟ فأجبت . وهاجني ذلك إلى أن أتم ما بدأت فأخذت أجمع الماضي وأكمله ، واستغرق مني ذلك نحو أربع سنين ، ورأيت صعوبات كثيرة في هذا الموضوع فلم أكن أعتمد إلا على الذاكرة غالباً ، وساعدني أنى تربيت في حارة بلدية تكثر فيها العادات والتقاليد . وقد منحني الله ذاكرة طيبة حفظت ما كان يجري أمامها حتى مع التقدم في السن ، فأخذت أستذكر ما مضى ، وكلما ذكرت عادة أو كلمة قيدها من غير ترتيب حتى إذا تمت اجتهدت في ترتيبها . وعرفت إذ ذاك فضل الخليل بن أحمد لما بدأ يجمع معجمه « العين » لا عن مثال يحثه وسلك في ذلك مسلكاً دقيقاً بوضع الكلمة حسب مخارج الحروف وحذف المهمل منها ، ولكني لم أفعل ذلك بل اكتفيت بتقييد ما أذكره .

ثم رأيت أن كلمة « دائرة المعارف » كلمة فخمة لا تتناسب وهذا الكتاب فتواضعت وسميته « قاموس العادات والتقاليد المصرية » .

وأخيراً كنت أجلس مع صديقي الأستاذ توفيق الحكيم فقص عليّ أن مستشرقاً فرنسياً

أراد أن يترجم كتابه « يوميات نائب في الأرياف » فوقف عند ترجمة كلمة « كوز ذرة »
وتساءل : ما معنى كلمة « كوز » هنا ثم ترجمها بكلمة « كوب من الذرة » وبذلك انحرف
عن المعنى الأصلي ، فلفت ذلك نظري إلى أن هؤلاء المستشرقين وأمثالهم في حاجة إلى
شرح التعابير الشعبية ، فأخذت أجمع هذه التعابير وأشرحها ولكني وجدت كثيراً جداً
تحتاج إلى سنين في جمعها فاكثفت منها بعرض نماذج وتركت لمن يأتي بعدى حصرها
والبحث في إرجاعها إلى أصلها الذي أخذت منه ، ثم رتبها على حروف المعجم واضطرت من
أجل جمعها إلى مطالعة في كتب كثيرة شعبية . هذا إلى ما وعته الذاكرة .

وفي الحق أني أعتقد أن المؤرخين قد قصروا فأهملوا الجوانب الشعبية عند كتابتهم
التاريخ اعزازاً بأرستقراطيتهم مع أن الأدب الشعبي — في نواح كثيرة — لا يقل شأناً
عن اللغة الفصحى وأدبها ، سواء من حيث فنها أو من حيث دلالتها على حالة الشعوب .
ولم أستقص العادات والتقاليد المصرية في جميع عصورها لأن هذا عمل شاق طويل
بل اكثفت بها في العصر الحديث الذي عاصرته أو سبقني بقليل .

وقد أقدمت عليه وأنا وجل لأنه موضوع جديد أظن أني لم أسبق إليه ، والجديد عادة
غريب ، وأنا أعتقد أنه فتح باب يكمله من يأتي بعدى . وقد دعاني إلى تأليفه ما رأيت من
عادات وتقاليد وتعابير كانت حية في زمنها ثم أخذت تندثر حتى إن أولادى قل أن يعرفوا
منها شيئاً ، فالمؤرخ في حاجة شديدة إلى تدوينها والانتفاع بها .

نعم قد يؤخذ على أن في نشر هذه الأشياء تشهيراً بالمصريين وخطأً من شأنهم ، لأن
أكثرها خرافات وأوهام ، وانتشار الثقافة بين المصريين وخصوصاً النساء أزال كثيراً منها
ولكن عذرى في ذلك أنها تسجيل لما كان وحمد لله على أخذها في الزوال . والحق أحق
أن يقال من غير اعتبار للوم لأنهم متهم ، فإذا رأى راء أن في هذا عيباً وتشهيراً ،
رأيت أن في هذا مفخرة للمصريين إذا نظرنا إلى أين كانوا ، وإلى أين صاروا ، وكيف
قطعوا خطوات واسعة في عهد قريب في التقدم .

فهذا الكتاب يمثل مرحلة زالت أو هي على وشك الزوال ، كما يمثل أمة طفرت إلى
استعمال العقل بعد الإغراق في الخيالات والأوهام . وقد كتبنا في التعبيرات الممزقة قافاً ، لأن

اللغة الشعبية لا تنطق بها قافا مطلقا ، وإنما تنطق بها همزة ، ولأن القاف أسهل في الكتابة من الهمزة ، وأدل على الأصل . فنحن إذا كتبنا قال آل ، كانت نائية على النظر ، مستكرهة على السمع ، ولم أمعن في كتابة العادات القديمة ، أى ما كان عند قدماء المصريين ، أو عند المصريين في العصور الوسطى ، لأن الموضوع الأول أليق أن يكتب فيه علماء الآثار القديمة ، والموضوع الثانى أليق أن يكتب فيه المتخصصون في تاريخ مصر في ذلك العصر ، وإنما اكتفيت بذكر العادات والتقاليد التي كانت في زمنى أو قبل زمنى بعهده قليل .

وفكرة الكتاب في حاجة إلى أن تدرس من نواح كثيرة (١) من ناحية هذه العادات والتقاليد وأى منها كان موروثا من عهد قدماء المصريين ، وأى منها مستحدث . وهذا المستحدث ، ما الأحوال الاجتماعية التي سببته ؟ (٢) دلالة هذه العادات والتقاليد على الطور الاجتماعى الذى كانت تعيش فيه البلاد ، والتي انتقلت منه وسبب الانتقال (٣) هو في حاجة إلى استكمال الناقص ، وزيادة الشرح (٤) من ناحية التعابير فهى في حاجة إلى أن تدرس دراسة لغوية لمعرفة أصولها : هل هى من أصل تركى مثلا ، أو إيطالى ، أو فرانسى ، أو عربى محرف . وهى أيضا في حاجة إلى استكمال الناقص منها ، فإني رأيت الذين عنوا باللغة الشعبية جمعوا مفردات لا تراكيب وأساليب ، مع أن الناحيتين يكمل بعضهما بعضا ، فلما رأيتهم جمعوا الكلمات ، عنيت بجمع التعابير والأساليب ، ولم أستقص كل هذه التعابير والأساليب فهناك أضعاف لها في ثنايا الكلام الشعبى ، ا اكتفيت بذكر نموذج منها . فهو يحتاج إلى من يكمله .

هذا إلى ما فاتنى من العادات والتقاليد . وقد عودتنا الطبيعة أن الشيء يبدأ ناقصا فإذا قدر له البقاء كل على الزمان . وليس يعلم إلا الله ما بقيت من عناء في جمعه وترتيبه ، فقد شغل به ذهنى طويلا . وأحيانا كنت أفكر فيه وأنا نائم ، فبأتينى فكرة عادة من العادات أو تعبير من التعابير ، فأستيقظ وأوقد المصباح وأكتب في مذكراتى ما تذكرت حتى لا أنساه في الصباح .

وقد ينظر إليه بعض الأرستقراطيين من العلماء نظراً شزرا ، ويعجبون كيف أن أستاذنا جامعياً ينتزل إلى قيد عادات وتعابير شعبية ، ولكن عذرى أنى أرى أن

هذه ناحية تهم المؤرخ الصادق كما يهمة أدق شيء وأصغره ، وأنى أعتقد أن في العادات والتقاليد دلالة على نوع الأخلاق ونوع العقلية للشعوب ، وأن في التعابير الشعبية من أنواع البلاغة ما لا يقل شأنًا عن بلاغة اللغة الفصحى ، وأن هناك من أمثلة المصريين وتعبيراتهم وزجلهم ما يُعجب به عالم البلاغة ، كما يُعجب بامرئ القيس وزهير . وشاء القدر أن أعنى بالناحييتين في آن واحد ، فقد كنت أحضّر الجزء الثانى من ظهر الإسلام فأغرق في تاريخ الطبرى وفلسفة إخوان الصفاء وابن سينا ، وأخرج من ذلك ، فأنظر في المجلات الشعبية الخفيفة لألتقط منها بعض التعبيرات . وأعتقد أن في كلِّ خيرٍ ومنفعة . والله المسئول أن ينفع به كما نفع بإخوانه من قبل ، فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله .

أحمد أمين

القاهرة في ١٠ / ١ / ١٩٥٣

الإبرة

هي الأداة المعروفة . وقد أصبحت محوراً يدور عليها كثير من الاعتقادات المصرية ، والأدب المصرى الشعبى — وقد أخذت هذه الاعتقادات تندثر تبعاً لرق الأمة واستنارتها . كان عامة المصريين يحرمون بيع الإبر بعد العصر . وكان على باب حارتنا « عطار » لو بذلت له عشرة قروش ثمن إبرة بعد العصر لا يرضى أن يبيعها .

وأساس ذلك عندهم خرافة شائعة ، وهي أن الملائكة الموكلة بقسمة الأرزاق تنزل بعد العصر فتقسم الأرزاق حسب الحالة التي يرون عليها الإنسان ، فإذا كان في سعة من العيش زادته سعة ، وإن كان في ضيق أعطته على قدره ، وهم يعتقدون أن حرفة الخياطة من أبأس الحرف وأقصرها ، فهم يكرهون أن تراهم الملائكة على هذا البؤس فترزقهم على قدر بؤسهم ، فحرموا من أجل ذلك الخياطة وبيع الإبر بعد العصر .

وعند بعضهم اعتقاد بأن الخياطة بالليل تؤذى الأموات ، فهم يكرهون أن يخطوا شيئاً بالليل .

وفي بعض القرى يتشدد النساء في ذلك فلا يعرن إبرة لأى سبب بعد العصر ، فإذا

دعت الضرورة إلى ذلك وضعتها المعيرة فوق رغيف من الخبز وأعطته لطالبة الإبرة فتأخذ الرغيف وعليه الإبرة ، ولكن لا تمسها بيدها مباشرة .

وعندهم نوع من الإبر يسمى « الإبرة العشيمة » وهي الإبرة التي لا عين لها وهي في الأصل إبرة أخطأت الآلات التي تصنعها ففرت عليها من غير أن تثقبها ، فلما كثرت الطلب عليها كان تجار الإبر يستوردونها بتوصية منهم عليها .

وكان السبب في الإقبال عليها اعتقاد العجائز أنها تبطل عمل السحر ، فمن يأخذنها ويلفنها في خرقة ويضعنها في حجاب من جلد فتمنع العين والسحر .

وقد دخلت الإبرة في الأدب المصرى الشعبى كما دخلت في الأدب العربى ، فهي في الأدب المصرى سبة للمرأة ، فإذا رأت امرأة امرأة أخرى نحيفة جدا ، وكانت جلداً على عظم ، عبرتها بأنها « إبرة » . وكانت هذه سبة عظيمة يوم كان المثل الأعلى للرجال هو السمن ، وكان الخاطب يوصى الخاطبة بأن تكون الخطوبة « بيضاء سمينة غنية وشعرها أصفر » ، فأما الآن فقد تغير هذا الذوق ، وتغلب حب الرشاقة على حب السمن ؛ ولذلك

وفي القرآن الكريم : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » . وسم الخياط هو ثقب الإبرة — أى لا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في خرق الإبرة ، فهذا مستحيل وذلك مستحيل ، وهذا تعبير جميل عن الاستحالة .

ومن التعبيرات اللطيفة في ذلك قول الشاعر :

فلو أن ما بي من جوى وصبابة

على جمل لم يدخل النار كافر

أى لو أن ما به من وجد وهيام وضنى وصبابة نزل بالجمل لهزله وجعله كالفتلة تدخل في الإبرة ، وإذا دخل الجمل في الإبرة دخل الكافر الجنة .

والعرب جمعت الإبرة على إبر ، وأحياناً تجمعها على إبار ككتاب ؛ ومن ذلك قول القطامي :

وقول المرء ينفذ بعد حين

أماكن لا تجاوزها الإبار

وهو معنى ظريف ، أى أن القول قد يصل في الحز واللذع ونحوها إلى حيث لا تنفذ الإبر . وشاع في الأيام الحديثة التعبير بقولهم :

« سياسة وخز الإبر » ويعنون بذلك سياسة العداء في الخفاء تخز وتخزاً من غير أن تسيل دما .

فقدت هذه السبة كثيراً من قيمتها .

ومن الأمثال العامية في الإبرة « يفتى على الإبرة ويبلغ المدرة » ، ومعنى يفتى على الإبرة أنه يفتى بتحريم الإبرة على غيره ، ومعنى « المدرة » المدرة وهي التي يذرى بها الحب . وهو مثل يضرب لمن يحرم على الناس صغار الأمور وهو مع ذلك في نفسه يرتكب كبائرهما ، فهو لغيره يحاسب على الإبرة وهو في نفسه يبلع المدرة .

ومن أمثالهم أيضاً « الإبرة اللي فيها خيطين ما تخيطش » وهو مثل يضرب لتعدد الرؤساء والخوف من فساد العمل بكثرة الأوامر المتناقضة ، فهو أشبه بالمثل الآخر : « المركب اللي فيها ريسين تفرق » .

ومما يتصل بأمثال الإبر أنهم إذا عابوا خياطة خائطة قالوا : « بين الغرزة والغرزة ترقد المعزة » يعنون بذلك أن غرز الخياطة ليست منسجمة ولا دقيقة ، فبين كل غرزة وأخرى فضاء كثير يتسع لرقاد المعزة .

ومن أمثالهم أيضاً « التركي يحفر البير يابرة » وهو يدل على عقيدتهم في التركي بأنه صبور على نيل غرضه يصل إليه في دؤوب وصبر ، ولو لم يجد وسائله متوافرة استطاع أن يتخذ أى وسيلة مهما صغرت وكتمل نقصها بصبره والثبات على قصده .

أبريق

الأبريق إناء من الأواني التي يستعملها المصريون ، وله صنوبر يصب منه الماء ، ويد يمسك منها ، وهو يستعمل من الصنفر أو من النحاس الأحمر . وفي العصور الحديثة استعمل من الصاج ، واستغنى عن الصنوبر بشفة يصب منها الماء ، وإذا ذكر الأبريق ذكر الطشت . وكان كثيراً ما يستعمل لتنظيف اليدين قبل الأكل وبعده . فكان من يريد الأكل يصب على يديه الخادم من الأبريق في الطشت ، فإذا فرغ منه غسل يده أيضاً لتنظيفها .

وكان من الأشياء التي تلاحظ دائماً في جهاز العروس شراء الطشت والأبريق . فلما غزتنا المدنية الحديثة استغفينا غالباً بالحنفيات عن الطشوت والأباريق إلا في القليل النادر .

أبزيم أو آبزين

هو في لسان العامة اسم لآلة من نحاس أو حديد مستطيلة ، وفي وسطها لسان رفيع ، تستعمل في السروج ، أو براذع الخيزر . وفي كتاب الألفاظ الفارسية العربية « الأبزيم جمعه أبازيم ، معرب آبزين » وقد استعمل في العصر الحاضر استعمالات كثيرة ، فوضعه لحزام الجلد ، وفي البنطلونات ، وعلى وجه أحذية النساء . وكانت امرأة في قرية من قرى الشرقية تحتزن إبزيما من هذا النوع وتزعم أنه يمنع النزيف من الحبل وتعييره لكل من أرادته لهذا الغرض من المستعيرات . والنساء المستعيرات له يعتقدن أنه لولاه لاستمر النزيف وسقط الحمل . وكانت لا تعيره إلا لمن رهنه عندها حلياً يساوي عشرة دنانير على الأقل وبعد الحلف على المصحف بأنها ترده . فلما كثرت الأبازيم بطل سحرها .

أبلس

أبلس بمعنى تشيطان ، يقول بلاش أبلسة أى لا تشيطان ، وهو مأخوذ من إبليس ، كما أن تشيطان مأخوذة من شيطان ، وتمرد من مارد .

وبعض الناس يستعمل بدل أبلس تأبلس .

ابن

« ابن غرام » لمن سار على هواه ودار على حل شعره (كما يقولون) .

« ابن الليالى » وهو يطلق على من كان من طائفة تحفظ القوائد الغزلية الصوفية كقصائد ابن الفارض ينشدونها عند إقامة الأذكار .

« ابن كلمة » وهو يطلق بمعنيين ، فأولا يطلق على من كان سريع التصديق لكل ما يقال له — وثانياً — لمن كان سريع التأثير بما يقال فكلمة ترضيه وكلمة تغضبه .

« ابن الحاكم » وهى كلمة كانت تطلق فى الزمن الماضى القريب فى الأرياف على العسكري والقواس والحاجب والخفير والسيارة فى القرى — يعنون بذلك أنهم مكلفون من قبل الحكومة بأعمالهم ، فيجب أن تحترم أوامرهم ، ولا يلامون إذا استعملوا شيئاً من القسوة والعنف فى أثناء تأدية وظائفهم .

« ابن الزمن » وهى أيضاً تستعمل استعمالين : أحدهما أن تطلق على الخبير المحرب الذى رباه الزمان وأفاده حنكة وخبرة ، والثانى أن تطلق على الرجل ذى المروءة الذى يدخر عند الحاجة وعند حلول كوارث الزمان .

« ابن درزى » وتطلق على اللثيم الميال إلى الإضرار بالناس ، وهى نسبة إلى الدرروز

أصل كلمة « ابن » للولد المذكر ، فيقال ابن فلان وابن فلانة نسبة إلى أبيه وأمه ولكن العرب أضافت الابن إلى شىء ليست العلاقة بينهما أبوة أو أمومة ، فسمت اللص ابن الطريق أو ابن الغبراء ؛ وذلك أن اللص يتصل بالطريق اتصال الابن بأبيه ، وسمت الليل « ابن الكروان » وهكذا .

ومجد هذين الاستعمالين بعينهما فى اللغة المصرية ، فهم يقولون محمد بن على وحسن بن فاطمة . وكذلك ينسبون الابن إلى شىء له به اتصال وإن لم يكن الثانى ابناً للأول . ولهم فى هذا الباب ألفاظ كثيرة متعددة النواحي فيقولون مثلاً :

« ابن فن » لمن مهر فى صناعة ما .

« ابن روجه » لمن كان عصامياً ربه

نفسه .

« ابن فتلة » للمحتال النصاب .

« ابن سبعة » أى سبعة أشهر ، أى أنه

مكث فى بطن أمه سبعة أشهر فقط بدل تسعة . يعتقدون أن من كان كذلك كان ضيق الخلق غضوباً ، فهم يطلقون هذه الكنية على كل من كان سريع الغضب .

« ابن سوق » للبياع المتجول .

في الكيوف الحادة كمن اعتاد الأفيون
أو الحشيش وأخيراً « السكوكابين » . وقد
يطلقون على « الحشاش » وحده « ابن شداد »
وسبب ذلك أنه يستعمل « الحشيش » في
« الجوزة » ثم يشد منها أنفاسه فهو ابن شداد
من أجل ذلك .

« ابن ناس » للرجل الكريم الأصل
ومثله « ابن الأصول » و « ابن السيادة »
و « ابن بيت » . وفي عكس ذلك يقولون
« ابن اللى هو ابنه » يريدون بذلك أنه غير
معروف النسب فهو كقول العرب « زياد
ابن أبيه » .

« ابن الضرة » يقال للمكروه المقوت
لأن الضرة تكره ضررتها أشد الكراهية
وتكره كل من ينتسب إليها ، وخصوصاً
ابنها لأنه يشارك أبناءها في مال زوجها وعطفه
وعنايته .

وهناك شتائم كثيرة بدئت بالابن . وقد
كان حظ كلمة « الابن » في السباب والشتائم
أكثر من حظ غيرها . وكثرة السباب بالآباء
والأمهات دليل على أن المصريين كانوا
يعنون بقيمة الأب والأم عناية قد تفوق
عنايتهم بتقويمهم للشخص في نفسه أو بعبارة
أخرى بقيمته الذاتية .

واستعملت كلمة « الابن » أيضاً كثيراً

تلك الطائفة التي تبعت الحاكم بأمر الله ولهم
عقائد خاصة بهم — وعامة المصريين
يعتقدون فيهم سوء العقيدة ، ولذلك يتخذونهم
علماء للسباب .

« ابن صرّة » وهذه سببة عندهم
يطلقونها على من لم تنجح تربيته وخرج
فاسداً لا يصلح لشيء . وسبب هذه العقيدة
أنهم كانوا يرون المرأة بطبعها رحيمة ضعيفة
لا تقسو على ابنها ولا تعرف ما ينفع الولد
وما يضره ، وإذا عرفت وجه النفع والضرر
منعتها الرحمة من تنفيذه بالشدة ؛ إنما الذي
يشدد ويقسو هو الرجل ، فإذا لم يكن للولد
أب أو عم أو أخ يربيه ويقسو عليه لا ينجح
الولد . وقد دلّتهم على ذلك التجارب في زمنهم .
ولست أدري ما رأيهم في المرأة الجديدة المتعلمة
إذا وكل إليها أمر تربية الولد ، فإنني لم أجد
المثل تغير مع أن الأحوال كلها تغيرت .

« ابن ساعته » يطلقونه على من
لا يستمر على حال ، فهو الآن صديق وغداً
عدو ، وهو الآن على رأى وبعد ساعة على
رأى آخر وهكذا .

« ابن كئيف » يستعملونه للدلالة على
من أصيب بكيف من الكيوف ، ولكن
لا يستعملونه في الكيوف السهلة المألوفة
كالشاي والقهوة والدخان ؛ وإنما يستعملونه

ابن البلد

نالت هذه الكلمة شهرة كبيرة بين الناس ، وكان لها مدلول يختلف باختلاف العصور . وقد أدركتها منذ خمسين عاما تطلق على الرجل الذي يجمع صفات مختلفة في ملبسه وحديثه وهيبته وطريق سلوكه .

فهو يلبس جبة وقفطانا وعمامة ويعنى بها كل العناية . ولا بد أن تكون هذه الملابس مستوفية لشروط كثيرة ، فيجب أن يكون نسيجها خفيفاً لطيفاً ، وأن يكون لون الجبة زاهياً كالأزرق الفيروزي أو الأخضر الفستقي أو الأحمر القرمزي ، وأن يكون لون الجبة منسجماً تمام الانسجام مع لون القفطان وأن يكون لون الحزام منسجماً معهما .

ويجب أن يكون طربوش العمامة خفيف الوزن وأن تكون العمامة قليلة وأن يكون شال العمامة مفتلاً وأن تظهر هذه الفتل من الأمام على شكل دبابيس ، ويجب أن يكون « المركوب » أحمر خفيف الجلد رقيق النعل صغير الوجه ، ويلبس في يده خاتماً رفيعاً من الذهب فصه فيروز أو ياقوت أو زمرد ، وأن يكون وجهه حليقاً دائماً كأنما خرج من عند الحلاق لساعته ، وأن يكون مقصوص الأظفار دائماً .

في الأمثال ، فقالوا « ابن الوزعوام » و « ابن العنزة يعلم أمه الرعية » و « ابنتك حتمه من كبذك » و « ابن الحرام يطلع يا قواس يا مكاس » و « ابنه على كتفه وهو داير يدور عليه » ونحو ذلك مما لا يحصى .

ابن أرملة

هو كابن سمره الذي تقدم . يكون به عن الشاب أو الرجل الذي لم يرب به رجل كأبيه ، وإنما ربه امرأة كأمه .

ومن غريب العوائد أن المرأة في واحة سيوة إذا مات عنها زوجها حبسوها في غرفة مظلمة لا يراها أحد إلا خادمة تقدم لها الطعام وما تحتاج إليه حتى تنقضى عدتها ، وهم يزعمون أن عيناً شريرة تلبسها في أثناء تلك المدة فلا تنظر إلى أحد إلا أضرت به وأول ذلك ابنها الذي تربيته .

وأول شخص تراه عند خروجها من سجنها لا ينجو من الموت . ولذلك يرسلون المرأة إلى عين ماء آخر المدة تغتسل فيها ، وفي أثناء اغتسالها ينادى مناد في الأسواق يحذر الناس من الوقوف في طريقها .

ولابن البلد اصطلاحات في كلامه
ولوازم يكثر من استعمالها ، فهو بين كل كلمة
وكلمة يقول « بلا مؤاخذه » و « بلا قافية »
و « يكرم من سمع » و « عن إذتك »
و « اسمع لي » و « الأبعد » و « ياسيد »
و « أعزك الله » و « أكرمك الله » ونحو
ذلك من الكلمات الشائعة بينهم ، الدائرة
على ألسنتهم .

وابن البلد - في العادة - يكثر من
التنكيث ، ويستعمل في حديثه الكناية
والتورية ويعرف مناحي الكلام ، ويستطيع
أن يرد على النكتة بمثلاً أو بأحسن منها
ويجتهد أن يرضى محدثه كل الرضا ، فلا يجرح
إحساسه ولا يחדش عواطفه ولا يسمعه كلمة
قاسية ، وإذا رأى الحق يؤلم فلا بأس من
الكذب ، ويتحرى أن يجعل آخر الحديث
نكتة ختامية تثير الضحك وتبعث الرضا
فيمتليء المكان بالسرور ، ويتفرق الجالسون
أو المتحدثون وفي نفوسهم الإعجاب
« بابن البلد » .

وقد يسمى « ابن البلد » أيضاً « الذوق »
فيقولون فلان ذوق ، وهو اختصار لذي ذوق
وأحياناً يسمونه ابن ذوق . والفرق بين « ابن
الذوق » و « ابن البلد » أن الأول يراعى
فيه حسن التصرف أكثر مما يراعى حسن

ويجب أن يعنى العناية التامة بكل شيء
في هندامه ، فالجبة والقفطان مهندستان هندسة
تامة لا يشذ أحدهما عن الآخر في شيء مهما
قل ، والعمامة موضوعة على الرأس بأناقة
والمركوب في الرجل منسجم .

وهو في كل ذلك نظيف أنيق يتحرج
من أى شيء يعلق بثيابه أو بأطرافه . وأكثر
من شاهدتهم من هذا القبيل كانوا ضعاف
البنية نحيلي الجسم عليهم آثار المرض ، وذلك
لسببين : (١) أن رقة عواطفهم ناشئة غالباً من
ضعف مزاجهم (٢) أن نوع معيشتهم لا يبعث
على حركة ولا نشاط ، فيستلزم ذلك ضعفاً في
صحتهم . يضاف إلى ذلك أن كثيراً منهم كانوا
يستعملون المعاجين و « حُق » العنبر ونحو ذلك
من للكيفيات وفي هذا كله إتلاف للصحة .

وأما في سلوكه فهو خافض الصوت ؛ إذا
تكلم ففي أناة ورقة وإذا ضحك فعلى قانون
وإذا مشى ففي تؤدة تامة حتى لا تختل هندسة
ملابسه ، وإذا رأى أمامه أرضاً مرشوشة عمل
لها ألف حساب كيف يتخطاها من غير أن
ينال « مركوبه » أذى ومن غير أن ينال
أذياله مكروه ، وإذا أكل فالأناقة التامة من
تصغير اللقمة والدقة في نظافة أصابعه والمراعاة
الدقيقة حتى لا ينال ثوبه شيء مما يأكل
ونحو ذلك .

ابن حفظ

يقال للرجل الذي يطلب حظه وشهوته
من سكر ونساء ونحو ذلك . ويظهر أن
« ابن » هنا بمعنى ذو ، ومثله « ابن ناس »
ويطلق على النسيب الحسيب . ومثله أيضاً
« ابن حرام وابن حلال » فيقال للرجل
الطيب ابن حلال ، وللخبث الماكر ابن حرام .

ابن دانيال

وإنما اخترناه من الأعلام لأن له
شخصية مصرية واضحة كالبهاء زهير .
كان يفتح دكاناً داخل باب الفتوح ،
يكحل فيه عيون الناس ، ويدر ذلك عليه
مالا قليلا ، شكى كثيراً من قلته وبؤسه .
وفي ذلك يقول :

ياسائل عن حرفتي في الوري

وصنعتي فيهم وإفلاسي

ما حال من درهم إنفاقه

يأخذه من أعين الناس

ويظهر أنه كان يتعاطى المنزلول ، فله

قصيدة رفعها إلى القاضي يشكو زوجته :

بك أشكو زوجة صيرتني

غائباً بين سائر الحضار

غيبتني عنى بما أطعمتني

فأنا الدهر مفكر في انتظاري

الشكل وما إلى ذلك ، أما ابن البلد فيراعى
فيه الأمران جميعاً .

وقد عرف المرحوم قاسم أمين الذوق
السليم بأنه الشعاع اللطيف الذي يهدي
صاحبه إلى أن يقول ويفعل ما يناسب
المقام ويحتنب مالا يناسبه . وعامة المصريين
يعتقدون أن القاهرة أحسن البلاد ذوقاً ، فكما
أنها « أم الدنيا » فكذلك هي « أم الذوق »
ومن أقواله الماثورة « الذوق لم يخرج
من مصر » ومصر في قولهم هذا يعنون بها
القاهرة لا القطر المصري بأجمعه . ويروون في
هذا قصة طريفة وهي أن رجلاً كان اسمه
« حسن الذوق » كان في منتهى الظرف
والكياسة واللباقة رقيق الحس والشعور
ففاضه قوم من المصريين فعزم على الرحلة
من مصر ، فلما وصل إلى « باب الفتوح » وهو
أحد أبواب القاهرة مات هناك ؛ وما يزال
قبره في هذا المكان إلى الآن ويعرف
ضريحه « بسيدى الذوق » ، ومن أجل هذا
قالوا إن الذوق لم يخرج من مصر . وكلمة الذوق
في هذا المثل تدل على المعنيين معا ، فالمراد بها
مرة الشعور الرقيق ومرة سيدى حسن
الذوق . والله أعلم .

مبتدلاً . فهم ينطقون بأقبح الألفاظ ويأتون
بأفحش الأعمال . ويشتمون من منظرهم وكلامهم
ذو الذوق السليم . وقد انقضى هؤلاء وحل
محلهم السينما والتمثيل . ومثلهم في ذلك أحمد
الغار المشهور ، فكان أيضاً يأتي بأعمالهم .

ابن كباية

الكباية الكوب التي تشرب فيها
الخمرة . وكثيراً ما يقال هذا القول للتفاخر
فيقول الرجل أنا ابن الكباية . وكثيراً
ما يدلون به على شدة الصداقة فيقولون نحن
أولاد كباية .

أما ابن الحشيش والمعجون ونحو ذلك
فيقال له ابن كيف ، وهو لذلك يتظاهر بالركة
واللطف .

وسواء ابن الكيف أو ابن الكباية
فهما يكرهان أن يجلس معهما أحد على غير
كيفهم — ولذلك يتنادر أهل المجلس سواء
في السكر أو في الحشيش على من لم يجارهم ...
فمثلاً يقولون لبعضهم تنكيتاً على من لم يفعل
فعلهم ، وفي أثناء الكلام ينظرون إليه
« شال الحمام ، حط الحمام » تعريضاً له
بالخروج . ويقولون « قالوا للجندى عزل ،
رحى قاووقه » أو « دهده يا سيدى هي لازقة
بغرا » أو « دستور يا سيادى » ...

غبت حتى لو انهم صفعوني
قلت كنفوا بالله عن صفع جارى
دار رأسى عن باب دارى فبال
له أخبرونى ياسادتى أين دارى
أنا أنسى أنى نسيت فلا يخش

سميرى إذاعة الأسرار

وكان له نكت يتداولها المصريون
ويتضحكون منها شعراً ونثراً ؛ من ذلك
قوله :

فسر لى عابر مناما
أحسن فى قوله وأجمل
وقال لا بد من طلوع

فكان ذلك الطلوع دمل
والمصريون يسمون الدمى والخراج طلوعاً .
وربما عدده أول روائى مصرى ، فقد
كان يؤلف الروايات تمثلاً فى خيال الظل
وبقى بعضها إلى اليوم .

ابن راية أو أولاد راية

كانوا أسرة معروفة فى القاهرة . وكانوا
يدعون فى الأفراح . وتكون من لياليها ليلة
يقال لها ليلة أولاد راية . وكان عملهم إرهاباً
للتياترو والتمثيل . فكانوا فى ليلة يمثلون رواية
من الروايات ، ولكن مع الأسف كان تمثيلهم

ابن نكتة

أصل النكتة في اللغة العربية النقطة من بياض في سواد أو من سواد في بياض تقول هو كالنقطة البيضاء في الثوب الأسود. ثم استعملت على طريق المجاز فيما جاء في وسط الكلام من عبارة منقحة أو جملة طريفة صدرت عن دقة نظر ولعان فكر أو مسألة لطيفة تؤثر في النفس انبساطاً — يقولون جاء بنكتة في كلامه وقد نكت في قوله ورجل منك ونكات بهذا المعنى .

ثم استعملت في النوادر الطريفة تستثير الضحك وتبعث السرور . وفي هذا المعنى الأخير يستعملها المصريون فيقولون للرجل الذي يأتي بالنوادر المضحكة « ابن نكتة » .

وقد اشتهر المصريون من قديم بالميل إلى الضحك وحب الهزل ، فقد نقل المقرئ عن أبي الصلت « أن أخلاق المصريين يغلب عليها الانهماك في المذات والاشتغال بالترهات وفي أخلاقهم من الملق والبشاشة ما أربوا فيه على من تقدم ومن تأخر » .

ولا يزيد أن نناقشه في قوله ، فكل ما زیده هنا أنه يصف المصريين بالبشاشة وقد أدام حب البشاشة هذا إلى حب النكتة .

وقد يتصل بهذا قول ابن خلدون ، فإنه لما رأى المصريين قال : « أهل مصر كأنهم فرغوا من الحساب » . يريد بذلك أنهم لا يطيلون النظر في العواقب . وتبعه في ذلك تلميذه المقرئ فقال : « من أخلاق أهل مصر الإعراض عن النظر في العواقب فلا تجدهم يدخرون عندهم زاداً كما هي عادة غيرهم من سكان البلاد ، بل يتناولون أغذية كل يوم من الأسواق بكرة وعشيا » .

وعدم الإمعان في حساب العواقب يستتبع الفرح والمرح ، لأن الإنسان إذا لم يفكر في العواقب لم يحمل همًا فيكون مجال النكت عنده فسيحاً .

ومن غريب ما نلاحظه في هذا الباب أن أشد الناس بؤساً وأسوأهم عيشة وأقلهم مالا وأخلاقهم يداً أكثر الناس نكتة ، ففي القهاوى البلدية حيث يجلس الصانع والعمال ومن لا صنعة لهم ولا عمل ، وفي المجتمعات الشعبية حيث يجتمع البؤساء والفقراء نجد النكتة بينهم محلّ محلاً ممتازاً . ونجد ابن النكتة محبوباً مقدراً ، يفتقد إذا غاب ، ويبجل إذا حضر — كأن الطبيعة التي تداوى نفسها بنفسها رأت البؤس داء فعالجته بالنكتة دواء .

ولكنى وجدت ذلك يطول ، فاكثفت
بالمائة يسيرة فيما يتعلق بهذا الباب في العصر
الحديث .

ولعل أجدرهم بالذكر مؤلف كتاب
« هن القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف »
وهو الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد
الشريفي . ومن الأسف أنى لم أعثر على
ترجمة لهذا الرجل ، ولكنى عثرت في أثناء
الكتاب على أن المؤلف حج سنة ١١٠٧ هـ
وأنه كان واعظاً فهو من علماء القرن الحادى
عشر الهجرى .

ولهذا الكتاب الذى يستهزى به
الناس قيمة كبرى ، ففيه وصف اجتماعى
دقيق لحالة الفلاحين في عصره وبؤسهم وظلم
الحكام لهم وأنواع عاداتهم فى المأكل
والمشرب والزواج وغير ذلك — وفيه تدوين
للغة الفلاحين كما ينطقونها وأغانيمهم — وفيه
حكايات ظريفة مما سمعها أو شهدها لولا أنه
لا يعف عن ألقاظ الفحش .

ويخيل إلى أن المؤلف رأس المدرسة
التي عنيت بالتنكيت عن طريق اللعب
بالنحو والخروج من باب إلى باب من غير
مناسبة والمفارقات ومحو ذلك .

وقد اتبعت هذه الطريقة فيما بعد
على لسان الشيخ حسن الآلاتى ، وقد

على كل حال شهر المصريون بالنكتة
يعجبون بها ويتفننون فيها وتتناقل بينهم فى
المجالس ، وفيهم من يتحرى أخبار « آخر
نكتة » كما يتحرى أخبار آخر ساعة وآخر
سعر للقطن فى « البورصة » . وقد شهرت
القاهرة بذلك أكثر من غيرها من المدن
والقرى لأن « النكتة » تابعة للذوق فإذا
رقى الذوق رقيت النكتة .

ومما يؤسف له أن الأدباء والمؤلفين لم
يعنوا بتدوين « النكت » عنايتهم بتدوين
الأشعار والمقالات ترفعاً منهم عن ذلك
واستصغاراً لسان النكت وتحقيراً لها . وليسوا
فى ذلك منصفين — وأقرب مثال لذلك
النكت البديعة التي كانت للمرحومين عبده
البابى وحافظ إبراهيم وغيرهما ، فإنها تموت
تدريجياً بمرور الزمان لأنها لم تدون ، مع أن
بعض نكت حافظ قد تفوق بعض قصائده
وتدل على حضور البديهة وحسن الذوق
أكثر مما يدل عليها الشعر ، فخذ لو التفت
الأدباء إلى قيمة النكتة وعنوا بها عنايتهم
بالأدب « الكلاسيكى » .

ولكن بحمد الله لم نعدم فى المصريين
من عنوا بهذا الباب ودونوا فيه . وقد أردت
أن أتبع التأليف فى هذا الباب ومشاهير
المضحكين فى مصر من عهد الفتح الإسلامى ؛

السيد المهاب والضيع الوثاب الصادق الكذاب
عالم العصر ومصلى الظهر وتارك العصر الجاهل
بصلاة القصر ، الذى بنى على ظهره مائة
قصر ، أغز الإخوان ذى المجد الرفيع الشان
من تهابه الخرفان ، ولا تحقره « الشجعان »
الضارب بالنقرزان قاهر ابن خلسكان مولانا
الشيخ رمضان .

والكتاب مملوء بالقصص والتفكيك ،
وتهزى النحو بالإعراب الماغن والعرضحالات
على طريقة الدعابة الخ . . .

وكان يعاصر حسن الآلاتى ويجرى معه
فى هذا المضمار عبد الله نديم المتوفى سنة
١٨٩٦ ، فقد أنشأ مجلة أسبوعية اسمها « التبكيك
والتبكيك » كما أنشأ مجلة أخرى اسمها
« الأستاذ » وفى كلتا المجلتين كان يمزج الجد
بالمهزل والكلام السياسى وينقد الحياة الاجتماعية
فى شكل فكاهى جذاب .

وتتابع هذا الباب فأنشئت جريدة
« حمارة منيتى » وغيرها من المجلات إلى أن
كان فى أيامنا الكشكول ثم آخر ساعة الخ .
كل هذه مدرسة واحدة بعدت عن
الأدب الكلاسيكى واتصلت بالأدب الشعبى
وعنيت بالنكت والتعبير اللاذع وبالنقد
المخفف بالفكاهة .
والنكتة أنواع ، فمنها العقل الذى يستخرج

كان فكها لطيفاً ، وكان يجتمع مع بعض
أصحابه فى البيوت يتسامرون ويتنادرون
ويتكلمون فى الجد والمهزل ، ثم تسمع
بهم الأصحاب فكثروا وضقت عليهم
البيوت فأتخذوا قهوة لطيفة فى حى الخليفة
بالقرب من السيدة سكيمة وسموها
« المضحكخانة الكبرى » وشاع صيتها فى
القاهرة ، وكان يأتيها الناس من كل ناحية
بل كان يأتيها بعض الأمراء فى زى الفقراء
ليروا هذه الأجيوبة .

وكان يدير هذه الجلسة فى القهوة جماعة
من الظرفاء رئيسهم الشيخ حسن الآلاتى
المذكور . فيفتحون موضوعاً ويتنادرون
عليه وينقلون من باب إلى باب حتى يتقدم
الليل ، ويتخلل أحاديثهم أحياناً زجل وأحياناً
قصص وأحياناً سباب الخ . . .

وقدمت الشيخ حسن الآلاتى سنة
١٨٨٩ م وألف من ذلك كله كتاباً دون
فيه بعض ما كان يجرى سماه : « ترويح
النفوس ومضحك العبوس » طبع فى
ثلاثة أجزاء .

وأظهر ما فى هذا الكتاب من فنون
المضحكات فن « المفارقات » فقد ارتقى على
يد الشيخ حسن الآلاتى واستخدمه استخداما
كبيراً ، فيقول مثلاً فى مطلع خطاب له « إلى

والإعجاب لما فيه من دلالة على ذكاء ، ومنها اللفظي الذي قيمته في التلاعب باللفظ . ومن خصائص النكت العقلية أنها عالمية يمكن ترجمتها إلى اللغات الأخرى من غير أن تفقد قيمتها ، أما النكت اللفظية فمحلية تفقد قيمتها بترجمتها .

كذلك تتنوع النكت ، فمنها ما يستخرج الضحك القوي العميق ، ومنها ما يبعث على التبسّم فقط . ومنها ما يدعو إلى الإعجاب فقط من غير تبسّم ولا ضحك . وأكثر ما يثير الضحك هو النكت التي تبني على السخرية بالغير والاستهزاء به وتحقيره ، أما النكت التي لا تشتمل على نقد لاذع ولا على سخرية حادة فتبعث على التبسّم أو الإعجاب .

والأمم تختلف اختلافاً كبيراً في مقدار حبها للنكات وإعجابها بها . فمنهم من شهر بها ومنهم من كان حظه منها قليلاً فآثراً ، فأظن أن في العالم الشرق أشهر أمة بالنكتة الأمة المصرية ، وهي في ذلك تفضل الشام والعراق والحجاز . وكذلك في العالم الأوربي تفوق أمة أمة في هذا الباب .

والأمة الواحدة تختلف في تقويم النكت من حيث الكمية والكيفية . وحسبنا دليلاً على ذلك الأمة المصرية نفسها ، فقد كانت منذ عهد ليس ببعيد تعجبها النكت اللاذعة

وكما كانت النكتة الأذع كانت أبداع . والذي يرجع إلى النكت التي كانت تنشر في « حماره منبتي » و « الصاعقة » و « المسامير » وما ينشر الآن في المجلات المشابهة لها يرى تقدماً محسوساً يستدعي الإعجاب . فقد كان ينشر في تلك المجلات نكت صارخة مكشوفة كل الانكشاف عارية كل العري ، قد ذكر فيها بصراحة أسماء المهجوين ونسبت إليهم أشنع التهم مع سفاهة لفظ وقبح معنى . وكان الجمهور يتقبل ذلك قبولا حسناً ؛ أما اليوم فاكْتُنِي في كثير من الأحيان بالتلميح مكان التصريح وباللذع الخفيف مكان اللذع السخيف وبالكناية بدل الحقيقة . وسيفعل الزمن فعله في استمرار الرقي .

وهذا تابع للذوق لأنه هو الذي ندرك به النكت ، فكلمة رقي الذوق استلطف النكت الراقية واستسخف النكت العارية . ونظير ذلك الذوق في الملابس ، فالقروية يعجبها الأحمر القاني أو الأصفر الفاقع ، والقروية يعجبه الألوان الزاهية على حين أن المدن والممدنة تعجبهما الألوان الباهتة .

كما نلاحظ أن النكت تختلف باختلاف مقدار ثقافة الأوساط ، فالجماعة المثقفة ثقافة عالية تعجبها النكت العقلية والنكت التي تثير التبسّم لا الضحك ، والنكت التي تستدعي

من حيث الكمية والكيفية . وحسبنا دليلاً على ذلك الأمة المصرية نفسها ، فقد كانت منذ عهد ليس ببعيد تعجبها النكت اللاذعة

والسكيات المضحكة ليروح القارئ من كد
الجد وتعب الحق ، فالمزح إذا كان حقا وكان
في أحيانته وأوقاته فرج عن النفوس وبعثها
على النشاط .

ومما يؤسف له أن الذين كتبوا في تاريخ
الأدب العربي على النمط الحديث لم يعنوا
ببحث هذا الباب عنايتهم بغيره ، فقد عقدوا
أبوابا لدراسة الشعر ودراسة المقامات والرسائل
ولم يعقدوا بابا للفكاهات يدرسون فيه تطورها
مع أنها جزء هام من الأدب كأهمية الشعر
والخطابة .

وفي الحق أن تاريخ الفكاهة هو تاريخ
الأدب وجد معه منذ نشأته وترقى أو انحط
أيام رقيه وانحطاطه — وكانت عناية الفرج
بالفكاهة ودراستها في أدبهم وتاريخه أكثر
من عنايتنا في أدبنا ، وعرض لها النقاد عندهم
كما عرضوا لكل أنواع الأدب وطبقوا على
النكت ما قالوه في الفن الجليل ، فكما قالوا
« الفن للفن » قالوا « النكتة للنكتة » —
والذى يدرس الذوق في الأمة ويريد أن
يتعرف مقدار رقيه وانحطاطه يجب أن يدرسه
في الفنون وفي الملابس وفي الأزياء وفي
النكت .

وفي المصريين من يحترفون قول النكت

الإيجاب لا النكت المؤسسة على الهجاء . ومن
هم أقل ثقافة تعجبهم النكت المبنية على اللعب
بالألفاظ ويعجبهم التصريح وتعجبهم مرارة
النكتة وهكذا . ثم إن النكت ركن أساسى
فى كل أدب ، فمن قديم أروع الأدباء بالمضحكات
يملون بها كتابتهم ، ويسترضون بها قراءهم
ولا نعلم أدبا خلا من هذا الضرب من القول .
فمن أشهر أنواع الأدب وأكثرها ذيوعا
روايات المهازل « الكوميديا » وأساسها
ومحورها النكت المضحكة والنقد اللاذع . وكان
لها حظ كبير فى الأدب اليونانى ، وسارت على
نهجه الآداب الأوربية ، والأدب العربى غنى
بالنوادى والنكت . ومنذ فجر الإسلام عنى
الأدباء بتدوين النكت عنايتهم بتدوين
المواعظ وترجموا لأشعب المضحك كما ترجموا
لجرير والفرزدق والأخطل ؛ فلما جاء عصر
التأليف كان للجاحظ وابن قتيبة فضل كبير
فى توجيه المؤلفين إلى الناحية المضحكة فى
الأدب . فالجاحظ يؤلف ما يضحك كرسالة
« الترييع والتدوير » ويروى ما يضحك فى
فى ثنايا كتبه ، وينبه إلى أنه إنما يفعل ذلك
ليزيل عن القارئ « السأم » .

وابن قتيبة فى أول كتابه « عيسون

الأخبار » يقول إنه حلاه بالنوادى الطريفة

وذوق سليم ينظر إلى مواضع العيوب في الإنسان وجهات الضعف في الحوادث ، فيبتسم بالسكون والالطف ، وإذا علا صوته للضحك فليس لأن الضحك غاية في نفسه ، بل يعده وسيلة للفت النظر إلى شيء يحزنه وأمر بيكيه (الخ .

ولعل هذه الكلمة من المرحوم قاسم أمين كتبت في ظروف قاسية ؛ إذ كان هناك هازلون يوجهون إليه نقداً لا ذعاً لموقفه في تحرير المرأة وآخرون يوجهون مثل ذلك للمرحوم الشيخ محمد عبده ، وكانوا في تقدم يسبون أخش السباب وينقدون أذع النقد .

ولأولاد البلد طرق في التنكيت ، فأحياناً يدعى شخصان للمبارزة في النكت وأيهما غلب حكم عليه ، ويستعملان في ذلك طرقاً مختلفة ويسمى ما تدور عليه النكت بالقافية . ومن أشهر هذه الطرق أن يقول أحدهما جملة ويرد الآخر « إيش معنى » ثم يرد الأول . مثال ذلك :

(الأول) عمر الأبعد :

(الثاني) إيش معنى

(الأول) فص ملح وداب .

(الأول) الأبعد بين الناس :

واختراعها وروايتها . ومن هؤلاء من يدعون للحفلات يملأونها سروراً وضحكاً ، ومنهم من يقتصر في ذلك على صحبه وأصدقائه يؤنسهم في مجالسهم الخاصة ويروي لهم كل ما اخترع من النكت . ومنهم من يحترفه من ناحية التحرير في الصحف والمجلات الفكاهية . وقد وصف المرحوم قاسم أمين رجلاً من هذا الطراز فقال :

« أتعرف حسين بك ؟؟ لا . رجل

خفيف ولطيف . لا تغيب الباشاشة عن وجهه ولم يره أحد قط غير مبتسم . إذا قال لك نهارك سعيد ضحك وإذا أخبرته أن الهواء طيب ضحك وإذا سمع أن زيداً مات ضحك .

زينة المجالس وأئيس النوادي يرى نفسه مكلفاً بوظيفة السرور فيها ومنوطاً بنشر التفریح حوله . يستخدم كل شيء لتسلية نفسه وأصحابه فيجد في أهم الحوادث موضوعاً للتنكيت وفي أحسن الرجال محلاً للسخرية . لو ضحيت حياتك في أشرف الأعمال فلا بد أن يفتش فيها عن الجهة التي يتخذها واسطة للاستهزاء وجعلها أضحوكة للناس .

ولم يعجبه هذا الشكل فقال (بين هذا

الهديان القبيح والانتقاد الهزلي الصحيح فرق عظيم ، فالانتقاد الصحيح يصدر عن علم وشعور

أبو

(الثاني) إيش معنى .

(الأول) كجالة عدد . . . الخ .

الأب في اللغة الوالد . وقد استعملته العرب كنية عن بعض الأشياء ، فكفوا الأسد «أبا الحارث» والتعلب «أبا الحصين» والمهرم «أبا مالك» .

وقد تتخذ المباراة شكلا آخر فيقول الأول مثلا «الأبعد غراب ونشف» فيقول الثاني «الأبعد يعطى ملامح للنعجة» فيقول الأول «سلام بيت الأبعد اتنين والباقي سلبه» فيقول الثاني «سقف بيت الأبعد ملاية» وأحيانا تدور القافية على شيء يختارانه منها كأن تكون القافية «جنينة» أو «قراة» أو نحو ذلك . فمن عجز أخيراً عن المتابعة حكم عليه ، ومن غلب عزي كما يعزى على المصيبة .

قال الشاعر: «أبا مالك إن الغواني هجرنني» وقالوا للرجل الكريم أبا الأضياف . وقالوا للفتاة إنها بنت أبيها أى مثله فى صفاته . روى عن عائشة أنها وصفت حفصة بنت عمر فقالت «كانت بنت أبيها» أى شبيهة به فى قوة النفس وحدة الخلق والمبادرة إلى الأشياء . أما إذا قالوا ابن أبيه فعناه أنه غير معروف الأب .

وقد تكون المباراة شعراً لا نثراً ، ومن خير الأمثلة على ذلك ما وقع لعبد الله نديم ، فقد جمعه عظيم من عظماء طنطا مع جماعة من الأدبائية فى محفل عام وجعل جملاً لمن يغلب وعقوبة لمن يُغلب ، وتباروا بالشعر حتى غلبهم «عبد الله نديم» . وقد حكى هذه القصة بطولها فى بعض كتبه ودون كل ما قيل فيها فكانت مثلاً من الأمثلة على ما كان يجرى إلى عهد قريب فى هذا الباب .

وعلى العكس من ذلك لا أب له ولا أم له ، فإذا قالوا لا أب له ، فأكثر ما يستعمل فى المدح ، أى ليس له أب يتكل عليه ؛ وإنما هو يكفى نفسه . وأما لا أم له فيستعملونها فى الذم ، لأنهم يقولونها للقيط ولمن ليس له أم حرة ، بل إن أمه من الإماء .

أما فى اللغة المصرية فيستعملونها استعمالات مختلفة ، فأحيانا يستعملونها بمعنى ابن فيقولون أبو يوسف لمن كان اسم أبيه يوسف وأبو محمد لمن كان اسم أبيه محمداً . وأحيانا لا يستعملونها بمعنى والد فيقولون أبو محمد لمن كان له ولد اسمه محمد .

بلاهة وغفلة . و « أبو الروس » للكبير
الرأس المقسم رأسه إلى أقسام .

« أبو عين نايمة » للذى يعتاد الصمت
مكراً وخداعاً ، وأحياناً يطلق على الخجول
الحبي ، وفي عكسه يقولون « أبو عين قارحة
أو قاجرة » .

« أبو رجل مسلوخة » وهو اسم للعفريت
يخوف به الأطفال ويصفونه بأنه مخلوق نصفه
الأعلى كالإنسان ونصفه الأسفل كالحمار ، وله
ذنب وبفخذه سلوخ في الجلد يظهر منها لحمه
الأحمر .

« أبو قردان » وهو ذلك الطائر الأبيض
المعروف وكان يرى في العهد الماضي أسراباً
كثيرة يتبع الأرض المروية يلتقط ما فيها
من الديدان والحشرات الصغيرة . وقد كان
الفلاح يحرم إيذائه لما يرى من منفعة ثم كثر
صيده فقل . وتنبهت الحكومة إلى منفعته
فحرمت صيده . والعامية تقول في أمثالها « زى
أبو قردان هايف ونظيف » لأن أبو قردان
لا يهمل نفسه ، فإذا ناله شيء من قدر اجتهد
في إزالته فيحكه بمنقاره حتى يزيله ، فهو دائماً
نظيف . وعدوه « هايفاً » لقلته غناؤه . وللعامية
أغنية في أبي قردان وهي :

أبو قردان ، زرع فدان ، ملوخية وباذنجان .
خفت في الطين ، لقي سكين ، دح أولاده
وطلع مسكين .

وهناك كنى مشهورة لأسماء خاصة
فيقولون : أبو عوف لمن اسمه عبدالرحمن ، وأبو
علي لمن اسمه حسن ، وأبو درش أو أبو درويش
لمن اسمه مصطفى ، وأبو محمود لمن اسمه حنفي
وأبو داود لمن اسمه سليمان وهكذا .

وتستعمل كناية عن الشجاعة ، فيقولون
للشجاع أبو الفوارس وأبو زيد ، ويقولون
للأسود أبو سمرة وللحشاش أبوشداد . وهناك
طائفة من الأولياء لهم كناية من هذا القبيل
فيقولون للسيد البدوي أبو طنطا نسبة
لاسم البلدة طنطا ، ويسمونه أيضاً أبا فراج
ويسمون الرفاعي أبا العالمين والشيخ الشعرائي
أبا المواهب .

ولهم اصطلاحات خاصة في هذه الكلمة
فيقولون :

« أبو علي » للرجل اللطيف الكثير
الإفناق السمح الكريم . وهو إما مأخوذ
من الحسن بن علي أو من السلطان حسن
سلطان بني هلال فإنهم يلقبونه دواماً
بأبي علي .

« أبو جيبين » لمن ينفق مامعه ولا يبالي ،
كأنهم يريدون أن له بدل الجيب جيبين
حتى إذا نفذ ما في أحدهما أنفق بما في الآخر .
ويستعملون قريباً من ذلك « أبو جيب
مخروق » للسفيه المبذر المتلاف .

« أبو طويلة » للمفرط في الطول مع

جميعاً . ومن الأمثلة المصرية التي استعملت فيها كلمة أب قولهم : « أبوك ما هو أبوك وأخوك ما هو أخوك » يقولونها عند الشدائد التي ينسى فيها الابن أباه والأخ أخاه ، وفي هذا المثل نظر إلى قوله تعالى « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه » . وقولهم : « اللي يترك صنعة أبوه وجده يلقي وعده » يريدون بذلك الحض على احترام حرفة الآباء والأجداد ، فإن ذلك أجدى وأنفع وأضمن للنجاح . ومن باب « أبو » أبو زيد الهلالي وسيأتي .

أبو دقيق

حشرة صغيرة تنتقل من صورة إلى صورة . فيخلق أولاً في صورة ثم ينقلب إلى صورة أخرى . ثم إلى ثالثة .

وهو في تغير الصور تتغير طباعه . فهو في أول أمره كدودة القز . راسب في قاع البحر . ثم ينخرط في سلك آخر ، ثم يعلو على سطح الماء . ثم ينخرط في سلك الحيوانات الهوائية . ويتحلى بكسوة ظريفة الشكل فتكون له أجنحة كاللؤلؤ والمرجان ، ويصير غذاؤه من نسيم الهواء .

ويكون في أول أمره خالياً من الأجنحة ثم تخاق له ويطير . فمن نظر في تطوره أذعن برؤية خالقه ، وأعجب بما

وقد اجتهدت أن أفهم معناها فلم يتيسر لي ذلك .

« أبو حديد » وهو لقب لشيخ اسمه الشيخ صالح أبو حديد ، له مسجد بالقاهرة بشارع الحنفى ؛ يقول على باشا مبارك في خطظه : إنه كان في أول أمره قاطع طريق ، وكان له صاحبان أحدهما الشيخ يوسف المدفون في شارع القصر العيسى ثم قبض عليهم ، فأما الشيخ يوسف فكان يلوذ بلاط أوغلى فأفرج عنه ، وأما الشيخ أبو حديد فاحتفى بمغنية وادعت أنه مجنون واعتقل لسانه من الخوف ، ثم شاع عنه أن له كرامات — وقد علق على باشا مبارك على هذه القصة بقوله :

« وجامعه عظيم لم بين لغيره من أهل الفضل والمعرفة والعلم ، ولكن هذه عادة قديمة ألهاها المصريون من قديم الزمان وطالما نبه عليها كثير من المؤلفين في كتبهم » .

« أبو فروة » وهو اسم أطلقه المصريون على ذلك الثمر المعروف بشاه بلوط ، وقد سموه بهذا الاسم لما في داخل قشرته من الوبر والزغب الشبيه بفروة الحيوان .

وهناك أسماء وكنايات كثيرة بدئت بأبو في التعبير المصرى لا يمكننا هنا إثباتها

وتهب حتى ضجج منهم الناس ، فأمر الخليفة
الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦) بطردهم
إلى الصعيد - ولكنهم فعلوا في الصعيد كما
فعلوا في كل مكان من سلب ونهب
وتخريب . وكان من بني هلال هؤلاء فروع
مختلفة منهم زغبة وربيعة وعدى ، فعم ضرهم
واستغاث أهل البلاد من شرهم . وفي خلافة
المستنصر الفاطمي ثارت بلاد المغرب عليه
فنصححه بعض مشيريه أن يبعث إلى المغرب
هؤلاء العرب من هلال وسليم ، فإن ظفروا
بالتأثرين ، فقد كسب تلك البلاد وأخضع
الثورة وظفر بالخصوم ، وان انهزموا وفي الله
مصر شرهم ، فأرسلهم سنة ٤٤١ وأعطى
لكل واحد منهم بعيراً ودينارين ، وقال لهم
قد أعطيتكم المغرب ، ففرحوا بذلك
وجازوا النيل إلى برقة ببلاد المغرب ونزلوا
بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها ، وكتبوا
لإخوانهم في مصر يدعونهم إلى السفر إليهم
ويصفون لهم ما هم فيه من خير ونعيم ، فأرادوا
الرحيل فمنعهم المستنصر حتى يأخذ من كل
واحد دينارين فعوض بذلك مادفعه لمن قبلهم .
وسارت سليم وفروع هلال من دياب وزغب
إلى تونس كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا
أتوا عليه حتى وصلوا إلى تونس وقسموا البلاد
بينهم وبين قبيلة سليم ، فأخذت سليم شرق

تحلى به من جمال أجنحة وجمال شكل .
ويقول العامة في أمثالهم « يا أبو الدقيق يا أبو
النخال ، اركب يا عم انزل يا خال » يقال
في تطور الحال من فقر إلى غنى ، ومن ترف
إلى بؤس .

أبو زيد الهلالي

أبو زيد الهلالي شخصية غربية غامضة
لم يذكر لنا المؤرخون شيئاً تفصيلياً واضحاً
عنها ، ولكن في ثنايا الكتب بعض نتف
قليلة هنا وهناك .

كان أبو زيد هذا في القرن الخامس
المجري وهو من قبيلة « هلال » ونسب إليها
فصيل هلالى .

وهلال هذه كانت قبيلة كبيرة بدوية
تسكن نجداً ، يجاورهم في مسكنهم قبيلة أخرى
اسمها سليم . وكانت هلال وسليم جفاة
سلايين نهايين يخرجون من ديارهم فيغيرون
على أطراف الشام والعراق حتى ضجت منهم
الدولة العباسية ، وأرسلت في أيام الواثق سنة
٢٣٠ حملة بأمر القائد التركي (بغا الكبير)
لتأديبهم على ما ارتكبوا من فساد في المدينة
وهاجر قوم من « هلال » و « سليم »
إلى مصر ونزلوا أولاً في الوجه البحري
ولكنهم ساروا سيرتهم الأولى من سلب

بني هلال إلى نجد ، وقد ألجأهم إلى هذه الرحلة من السرو إلى نجد مجاعة عظيمة في بلاد السرو باليمن .

وقد استقبل الهلاليون في نجد استقبالا حسنا من الملك غانم وابن دياب (وكان دياب من فرع حبير) ومن بني زغبة .

وقد وقعت الحرب أخيراً بين دياب ابن غانم وأبي زيد الهلالي لأسباب نسائية يطول شرحها ، وانتهت بانتصار أبي زيد وخضوع دياب .

والقسم الثالث تدور حوادثه حول رحلة

الهلالية إلى الغرب ، فإن أبا زيد ذهب مع أتباعه إلى تونس ليهبث عن أرض خصبة لما حلت المجاعة بنجد ، فلما حلوا بتونس واتصلوا بالبربر حدث أن وقعت « سعدة » بنت الزناتي خليفة وهي من البربر في حب « مرعى » أحد أصحاب أبي زيد ، وقد وقعت

حروب بين الهلالية والزناتية بسبب ذلك انتهت بقتل الزناتي خليفة ، ثم اختلف الهلاليون فيما بينهم على قسمة أملاك الزناتي خليفة ونارت الحرب بين أبي زيد ودياب وانتهت بقتل دياب لأبي زيد ، فاجتمع قوم للأخذ بشأه أبي زيد منهم بريقع والجازية بنت الحسن وانتهموا من دياب وقتلوه . وقد قتلت الجازية أيضا في هذه المعارك .

تونس وهلال الغرب ، ووقعت بين هؤلاء العرب وبين سكان البلاد الأصليين من البربر كقبيلة زناته وصنهاجه حروب يطول ذكرها ، كما وقعت الفتن والحروب بين بعض العرب وبعض ، وبعض البربر ، وكان ذلك فيما بين سنة ٤٤٠ سنة ٤٦٠ هـ . واشتهر في هذه الحروب رجال كثيرون منهم دياب بن غانم وأبو زيد الهلالي .

هذه الحروب وهذه الوقائع في القرن الخامس الهجري في بلاد المغرب هي ميدان لسيرة أبي زيد .

وهذه القصة ثلاثة أقسام : القسم الأول منها يصف تاريخ بني هلال في بلاد السرو (وهي منازل حبير بأرض اليمن) وكان من أعيان الهلالية جابر وحبير ابنا المنذر الهلالي وقد رحل جبير بأمه إلى نجد وصار فيما بعد سلطانها .

وكان أن أتى من نسل جابر الأمير حازم والأمير رزق وكا باي محكان في بلاد السرو . وقد تزوج الأمير رزق « خضراء » بنت شريف مكة ، وولدت منه ولداً أسمر اللون اسمه بركات ، وهو الذي لقب فيما بعد بأبي زيد .

وقد تعاون أبو زيد وابن عمه حسن بن سرحان ابن حازم على فتح الهند في حديث يطول .

أما القسم الثاني فتدور حوادثه حول رحلة

هذا موجز مختصر جداً لقصة طويلة تقرأ
في أيام . نتبين منها أن حوادث القصة حدثت
بين البدو من الأعراب وأن أرضها كانت
بين بلاد العرب (من السرو في اليمن إلى
نجد في الحجاز) وبين بلاد المغرب من تونس
وما حولها . ولم تدخل مصر في هذه الحوادث
إلا من ناحية أن المهلايين أقام بعضهم فيها
سنين ثم رحل أكثرهم إلى المغرب .
ولكن القصة كان لها شأن كبير في
مصر ، فقد أعجب بها الشعب المصري لأنها
مكتوبة بلغة شعبية ، ولأن حوادثها بدوية
ساذجة ، ولأنها تشتمل على بطولة من نوع
خيالي أشبه ببطولة الجن ، ولأن فيها حبا لطيفا
بسيطا تضحى في سبيله الأفراد والقبائل .
لهذا كله كانت القصة محبوبة إلى الشعب
المصري . فإلى القريب كان في كل حي رجل
يطلقون عليه اسم (الشاعر) . وكان في
حارتنا بالمنشية رجل اسمه « أحمد الشاعر »
كان يخرج بعد العشاء إلى القهوة من داره
فتتخذ له منصة عالية يجلس عليها وحوله
المستمعون ويخرج القصة من مندبل لفها به
ويأخذ فنجان القهوة ويبدأ في قراءة قصة
أبي زيد والناس يصغون إلى الحوادث
باهتمام ، وكثير منهم يدخن « التباك »
في الجوزة وصبي القهوة يجيء ويذهب

للمستمعين ؛ هذا بتعميرة وهذا بقهوة « سادة »
وهذا بقهوة بسكر ، والمستمعون يختلفون في
ميولهم ، فمنهم من يتعصب لأبي زيد ومنهم
من يتعصب لدياب . وقد يقوم النزاع والسباب
والضرب بين الفريقين . فإذا جاءت ليلة
سينتصر فيها أبو زيد عمل أنصاره « فرحا »
في القهوة فزينوها واستعدوا لها ، وإذا جاءت
ليلة سينتصر فيها دياب فعل أنصاره كذلك .
ولا يزال الشاعر يقرأ وهم يصغون إلى قرب
الفجر ثم ينصرفون إلى بيوتهم وأنصار أبي
زيد فرحون إذا انتصر ، مهمومون إذا
انكسر . وكذلك أنصار دياب .
فكانت هذه القصة تقوم مقام السينما
والتمثيل في أيامنا هذه — وكان الشيخ أحمد
الشاعر يلقى القصة إلقاء حسنا فيتحمس في
مواقف الحماسة ويترجم في القصائد .
وظلت هذه القصص تتداول في مصر
قرونا طويلة . وقد قرأها ابن خلدون في القرن
الثامن الهجري وأعجب بها وببلاغتها ، ونقد
الناس الذين لا يرون البلاغة إلا فيما كان
جاريا على قواعد النحو والصرف ، فقال في
الجزء السادس من تاريخه بعد أن وصف
بلاغتها وجودة أشعارها « إلا أن الخاصة من
أهل العلم يزهدون في روايتها ويستنكفون
منها لما فيها من خلل في الإعراب ، ويحسبون

أبو نضارة أو أبو نضارة زرقه

لقب لرجل يهودى كان يسمى « يعقوب صنوع » وقد أخرج مجلة فى عهد الخديوى إسماعيل اشتهرت بالجرأة ونقد الخديوى حين لم يكن أحد يجرؤ على هذا . فكان هو والشيخ جمال الدين الأفغانى من أجرأ الناس فى النقد . هذا فى جده وذاك فى هزله . وكان من أنصار تعيين البرنس سعيد حلیم مكان إسماعيل ويدعو له . وقد أقلت جريدته ونفى إلى فرنسا . فأخرجها باسم « أبو نضارة حتى لانصار » ، وأخرج لهذا الغرض أيضا مجلة فرنسية هزلية لتكون داعية فى الأوساط الأوربية ، وعندى مجموعة منها اشتهرت بإتقان صورها وحسن دلالتها .

أن الإعراب هو أصل البلاغة وليس كذلك . ولم يفت ابن خلدون أن القصة لها أصل تاريخى ولكنه زيد عليه وأدخل فيه كثير من الحوادث المصنوعة والأخبار التى لا يوثق بها .

ومهما كان ، فالقصة لها أثر حميد فى الأوساط الشعبية المصرية فى العصور السوداء التى اجتازوها . فقد كانت سمرأً لذيذاً فى ليالهم وحديثاً طريفاً فى نهارهم . وكانت تبعث فيهم الغزل اللطيف والحماسة الحارة والمصيبة للأبطال . وكانت سلوة لمن لا يحسنون القراءة فيستمعون لنوع من الثقافة طريف .

وأسف أشد الأسف لأن هذه العادة اتحت أو هى على وشك الانحاء . ولورقيت وهذبت واستمر القراء يقرأون فى المقاهى قصة أبى زيد وغيرها من القصص لكانت ضرباً من نشر الثقافة جميلاً مفيداً .

الأتراك

كانوا عنصراً كبيراً يمثلون طبقة الأرسقراطية من المصريين . وكانوا يأتون من الأناضول أو استنبول أو غيرها . ويعد المصريون أذكى منهم ، ولكنهم يمتازون بالترفع والتكبر وحب السلطة والعتاد . وهم ينظرون إلى سائر المصريين نظرة فيها احتقار على أنهم خلقوا من دم أقل من دمهم ، ولذلك يطلقون عليهم اسم « فلاحين » مقرونة بالازدراء . وقد عرفوا بالنظافة في بيوتهم وملابسهم كما عرفوا بالترف والنعيم والعيشة الواسعة . وساعد محمد على باشا على إشراك المصريين في الحكم وفي الجندية ، واشتهر التركي بتدينه ، ولكن تديناً شكائياً تنقصه روح الإسلام . فهو يعنى بالأدب أمام تلاوة القرآن ، وبإقامته الصلاة أكثر مما يعنى بتحرى العدل ورفع المظالم وعدم الرشوة ويعتقد أنه إذا ارتكب هذه الجرائم كلها ، يرفعها عنه بناء مسجد أو سبيل أو مدرسة . ومع الأسف لقي منهم المصريون الأمرين . ومن أمثالهم المشهورة « آخر خدمة الغزقله » والغزطانفة من الأتراك . وهو يمثل الإحساس الذى يحسه المصرى إزاء التركي . وقد أخبرنى صديق من أبناء الأتراك هؤلاء قال : « خرج

والدى ذات يوم بموكب كالمعتاد وأراد أن يربى سلطانه ، فنظر إلى اليسار وكنا نسير على النيل ، فرأى أحد الفلاحين ، يركب « ذهبية جديدة » يجرها أربعة من الفلاحين بالحبال ، فصاح أبى فى الفلاحين أن قفوا ، وأمرهم أن يجرؤا الذهبية إلى البر ففعلوا ، ورأى الغنى هذا المنظر فنزل ، وجاء لأبى . فقال له أبى :

متى كان الفلاح يركب ذهبية جديدة ؟
الغنى - مراحكم وعدلكم ومراحم أفندينا خديوى مصر وعدله ، جعلتنا نستريح ونظمتن ودا شيء يفرحكم ودا خير يسركم .
والدى - لكن كيف يجوز للفلاحين أن يتشبهوا بأسيادهم ويركبوا الذهبيات ؟
الفلاح - الحمد لله إحنا بنجرى ونلعب على حسك وفى ظللكم وظل أفندينا والعبد وما ملكت يده لمولاه فأنا عبدكم وعبد أفندينا . والذهبية ملككم وملك أفندينا .
والدى - أنا أقول لك كيف تجاسرت وتشبهت بأسيادك وركبت ذهبية ؟
الفلاح - استغفر الله العظيم أن أكون أريد التشبه بكم .

والدى - إذا كنت لا تريد التشبه بنا فلماذا اشتريت الذهبية ، وركبتها فى البحر كأنك من أسياد البلد ؟ وتريد أن يشوفك الفلاحون ويقولوا داله شأن ومقام

مصرى . ومرة عين رجل تركى « أمير ياخور »
أى مفتشاً على المواشى . وكان رئيساً عليه
مفتش مصرى لزراعة الباشا . فأمره مرة أن
يرسل بهيمتين من مزرعة إلى مزرعة . فأبى
وادعى أنه هو الرئيس مع أن مرتبه كان
ضعيفاً أى مبلغ ١٧٥ قرشاً . فأمر المفتش
الكلابين أن يذهبوا بالماشيتين إلى المزرعة
الأخرى ففعلوا . فذهب التركى معهم وأبى
عليهم أن يستخدموا الماشيتين ، وسحب
بندقية وأبى إلا أن يأخذ أجره ويترك هذا
العمل ، ففعلوا معه ذلك . والحكايات على
أسنة الناس كثيرة فى غطرسة التركى وسوء
معاملته للفلاح ، وعناده ، وضيق عقله وضربة
العلاقة للفلاح لأنفه سبب . حتى اشتهر عن
فلان باشا أنه كان يأمر بضرب الفلاح
أو الموظف ثم يأخذ فى صلاته .

ومن الأتراك المالك ، وكانوا متميزين
بسمات خاصة . ومن صفاتهم : أنهم مغرورون
يعتدون بأنفسهم وبقوتهم كثيراً . ولما علم
أحد الفرنسيين بحملة نابليون على مصر ، ذهب
إلى مراد بك وأطلع على هذه الحركة فضحك
مراد بك ضحكا طويلا فخما ، يستخف به من
قوة الفرنسيين وتفكيرهم فى ذلك ، وقال إنهم
إذا حضروا سحقناهم سحقاً ، فكانت النتيجة
أن دارت الدائرة على مراد بك وأتباعه فى
وقعة الأهرام .

الفلاح — ياسيدى إن كان لى مقام فهو
بفضلكم أنتم وأفندينا .

والدى — الفلاح من نسل فرعون وفى
المثل « ليه يافرعون اتفرعت ، قال : ما لقيت
أحداً يردنى » .

الفلاح — أستغفر الله . إن كنتم
ترون أن فى ذلك عيبا فإنى أشهد الله ورسوله
أن لا أعود لركوبها أبداً . وتبت إلى الله
على يديك .

والدى — توبتك مقبولة . ولكن
يلزمها تفكير .

الفلاح — لا ورأسك ورأس أفندينا
ما أنساها أبداً .

والدى — لا لا . لا بد من تفكير
ولو صغيرة . . . يا ولد . حضر الخدامون .

والدى — ار بطوه من ذراعيه . وهاتوا
النسوة اللى بيملأوا البلايص دول ، وروحوا
خليهم يرشوا الأرض حتى تصير وحلة ،
واسحبوه فوق الوحل ذهابا وإيابا ليعرف
أولا قيمة الثياب التى يلبسها ففعلوا ذلك ،
وأمر بضربه العلاقة ، حتى سال الدم من
رجليه وركبته وظهره ، وقال له والدى :
إن شاء الله ما تنسأش ؛ مع أن هذا الفلاح
كان غنياً كبيراً ولا أحب أن أذكر اسمه .
وكان التركى لا يطيق أن يتأس عليه

أثر النبي

هو حجر فيه صورة رجل بأصابعها ، يزعمون أنه من أثر النبي في الحجر ، وهم يتبركون به . وفي ضاحية القاهرة بلدة صغيرة تسمى « أثر النبي » من أجل ذلك .
وبعض هذه الأحجار يتخذها بعض المشايخ دعاية للولاية ، ومقصداً للتبرك ، فيضعها على رأسه .

الأحجية

الأحجية جمع حجاب . وقد اشتهر بين العوام المصريين استعمال الأحجية ، وأشهر من اشتهر بعملها المغاربة من أهالي تونس ، والجزائر ، ومراكش ، ويليهم في ذلك السودانيون وبعض الفقهاء . والعادة أن يكتبوها بحبر أحمر أو أخضر ، ثم تطبق الورقة ، وتوضع في جلد أحمر ، ويعلقها في رقبتهم من أراد ، ويكون الحجاب تحت الثياب . وبعض الناس يتعمد أن يكتب الحجاب بنجاسة حفظاً من العفاريت ، ويقولون إن الجان أسرع في إنجاز الأغراض من غيرهم .

وبعض الناس ينقطعون لهذا العمل وبعضهم يفالي فيه . وبعضهم يتحجب

بالمصحف الشريف ؛ لذلك طُبِعَ في حجم صغير جدا ليوضع في الجيب الصغير . وبعض الأغنياء يضعه في علبة صغيرة من الذهب أو الفضة للتبرك . وقد ألف بعض العلماء كتباً في الأحجية على اختلاف أنواعها : فحجاب لشفاء المريض ، وحجاب لقضاء الحاجات وحجاب لتحبيب الزوج في الزوجة وغير ذلك . ومن أشهرها كتاب « مخرجات الديّري » . وأعرف رجلاً انقطع لعمل الأحجية ، وكان مكارراً خبيثاً تقصده النساء لعمل حجاب لتحبيب زوجها فيها . وتقصده أخرى لشفاء ابنها وغير ذلك ، فامضت عليه سنة من هذه الحرفة إلا وأصبح معتوها . وألزم نفسه بأن يقول كل ليلة يا لطيف خمسة آلاف مرة . ومن الغريب أنه يعتقد أن هذه الأحجية وأمثالها ضلال في ضلال ، ولكنه لا يمكنه أن يتركها بعد أن تعودها وأصبحت جزءاً من حياته . وسيأتي أنواع من الأحجية في مواضعها . وأحياناً تكون هذه الأحجية مؤسسة على الوهم ، كالذي حكى لي صديق أنه رأى حجاباً قد وقع من ضيف كان نازلاً عنده ، ففتحه فلم يجد إلا ورقة من قصاصات إحدى الجرائد .

الأحزاب

في مصر أحزاب كثيرة ، تقليداً لأحزاب البلاد الأوروبية ، ولكنها في أوربة مبنية على اختلاف البرامج ، فكل حزب له برنامج خاص ، ينتسب إليه من اعتنق مذهبه كحرية التجارة وتأميم المناجم . أما في مصر ، فتكاد تكون اختلافات أفراد ، بعض الناس يتصلون برجل ، فيكونون حزبا ، وآخرون يتصلون بأخر ، فيكونون حزبا آخر ، والأحزاب في مصر قريبة العهد بدأت تقريباً حوالي سنة ١٩٠٦ . وكانت في مصر ثلاثة:

الحزب الوطني وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ، وحزب الأمة .

فالحزب الوطني أسسه مصطفى كامل باشا ، ودعاه إلى ذلك ما شعر به من تأخر صحته ، وكان برنامجه واسعاً طموحاً ، يفرى الشبان باعترافه ، وهو استقلال مصر وتكوين دستور في البلاد ، بحيث تكون الهيئة التنفيذية مسئولة أمام مجلس نيابي تام السلطة واحترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التي ارتبطت بها الحكومة المصرية ، بالنسبة لسداد الديون ، والصراحة في انتقاد الأعمال الضارة وتشجيع الأعمال النافعة والعمل لنشر التعليم على أساس وطني صحيح ، بحيث ينال

الفقراء أوفى نصيب ، وترقية التجارة والصناعة والزراعة ، وبث الشعور الوطني في الشعب وإفهامه حقوقه الوطنية ، ودعوته للتعاون ، والعناية بالشؤون الصحية ، وبث روح المحبة بين المصريين والأجانب ، وتقوية العلاقة بين مصر والدولة العلية ، والدعاية لمصر في الخارج ، ونفي كل شبهة عنها يلبسها بها خصومها . ويشترط لقبول الأعضاء في الحزب الوطني أن يكون الطالب مصرياً معروفاً بالأخلاق الفاضلة لم تصدر عليه أحكام تمس شرفه وسمعته ، وألا يكون عضواً في حزب آخر .

حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية « بعد تأليف الحزب الوطني رأى الشيخ على يوسف صاحب المؤيد إنشاء حزب آخر سماه حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » وكان من أغراضه خدمة الخديوي عباس والدفاع عنه خصوصاً وأن الحزب الوطني تخلى عن الخديوي وهاجمه ، وكان برنامجه تأييد السلطة الخديوية ، والمطالبة بتحقيق الوعود والتصريحات التي أعلنتها بريطانيا العظمى عند احتلالها لمصر والمطالبة بمجلس نيابي في مصر ليكون تام السلطة ، وأن يكون التعليم الابتدائي عاماً ومجاناً ، وأن تكون اللغة العربية لغة التعليم في البلاد ، وأن تعطى الوظائف

اشتدت المنازعات بين هذه الأحزاب الثلاثة وبلغت حد السباب والمهاترة ، ثم جاء الوفد فاكتسح هذه الأحزاب كلها ولم يسم نفسه حزباً ، بل قال إنه نائب عن الأمة كلها . ولم يبق إلا الحزب الوطني . . ثم انقسم الوفد

أقساماً فخرج منه جماعة وتسموا الدستوريين أو الحزب الدستوري ورئيسهم اليوم الدكتور هيكل باشا والسعديين وكان رئيسهم ابراهيم عبد الهادي باشا ، ومن الأسف أنه عند الانتخاب لا تعرض البرامج . ولا يتم الانتخاب عليها وإنما تعرض الأشخاص . ومعنى الحزب الفلاني أنه ينتمى إلى الرئيس الفلاني ، فإما لأنه تربطه به رابطة ما ، وإما لاتحاد أعضاء الحزب في عقليات متشابهة .

ومن الغريب أن مجلس النواب لم يستطع في المدة الطويلة أن يسقط وزارة لم يرض عنها . وفي الأيام الأخيرة ظهرت « هيئة الإخوان المسلمين » تدعو إلى العمل بمبادئ الإسلام وتطبيقها على الأمة والتخلاق بالأخلاق الفاضلة ونحو ذلك . وقد قتل أخيراً رئيس الهيئة وهو المرشد العام الشيخ « حسن البنا » لما اتهمت الهيئة بقتل « محمود فهمى النقراشى رئيس الحزب السعدى » وقد انتشر أتباعه انتشاراً كبيراً مما يدل على استعداد المصريين لتلبية الدعوة الدينية . ثم كان أيضاً

في المصالح المصرية للوطنيين على حسب الكفاءة ، وأن تكون محاكمة الأجانب جنائياً أمام المحاكم المختلطة . وقد كان رئيس هذا الحزب الشيخ على يوسف ووكيله أحمد باشا حشمت .

حزب الأمة

ألفه المرحومان محمود سليمان باشا وحسن باشا عبد الرزاق . وأنشأ جريدة له اسمها « الجريدة » كان رئيس تحريرها أحمد لطفى السيد باشا . وكان الخديوى يخشى أن يكون لسعد زغلول باشا وأحمد فتحي زغلول باشا دخل في هذا الحزب . وتلخص مبادئه فيما يلي : معاضدة حركة التعليم ونشره بكافة الطرق ، وجعله إجبارياً في التعليم الأولى والابتدائي ، والحصول على حق البلاد الطبيعي في الاشتراك مع الحكومة في وضع القوانين والمشروعات العامة ، وتوسيع اختصاص مجالس المديرية ، ومجلس شورى القوانين تدرجا إلى المجلس النيابي ، وتوسيع نطاق الجمعية الزراعية ، توصلاً إلى تقدم البلاد الزراعى وعدم إهمال الصناعة والتجارة والعمل على ترقيتها . وقد ظهر فيما بعد أن سعد باشا وفتحي زغلول باشا يعملان سراً على تأييد هذا الحزب . وقد علق عليه اللورد كرومر أملاً كبيراً في مناهضة الخديوى عباس ، ولكن . . .

الادعية

يكثّر المسلمون من قراءة الأدعية . وهي أنواع مختلفة : دعاء للشفاء مثل « حصنتك بالحى القيوم الذى لا يموت أبداً ودفعت عنك السوء بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ، ومثل « اللهم رب الناس أذهب الباس ، واشف أنت الشافى . لا شفاء إلا شفاؤك . شفاء لا يغادر سقماً . يارب العالمين ... »

ودعاء لقضاء الحاجات مثل الصلاة على النبي خمسمائة مرة . وقوله « أسأل الله الكريم الديان الحنان المنان الرحيم الرحمن ذا الجود والفضل والإحسان والخير والامتنان ، بحق ذاته السموية وصفاته السنوية وبحق الأئمة الأعلام ، نور الهدى ومصابيح الظلام أن تقضى حوائجنا وأن تحتم لنا ولأحبابنا ولكل من له حق علينا بالإيمان والإسلام ، وأن تجمع تطهرنا وإياهم من الذنوب والآثام ، وأن تجمع كلامنا من الأشياخ والأحباب والآباء والأمهات فى دار السلام بسلام . »

وبعض هذه الدعوات مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وبعضه عن الصحابة أو التابعين ، وبعضه عن الأولياء والصالحين ...

الحزب الاشتراكي وهو يدعو إلى المبادئ الاشتراكية وأصبح له عضو واحد فى مجلس النواب يمثله ، ويدعو لمبادئه . وعدده أقل من عدد أى حزب آخر . وقد تقسمت هذه الأحزاب طلبية الجامعات . أحياناً يتفقون وأحياناً يختلفون فيتضاربون . وإذا اختلفوا كانت هناك هتافات مختلفة تدل على رغباتهم . ولاحث الانقلاب الأخير ، وعزل الملك السابق ، وقبض ضباط الجيش على ناصية الحال ، انكشفت الأحزاب ، وأصدرت الحكومة قراراً بضرورة تنظيم كل حزب نفسه ، وتطهير من الأعضاء المتهمين بالرشوة ، واغتصاب الأموال ، واشترطت تنفيذ ذلك لتكون الانتخابات القادمة على أسس صحيحة ، تبنى على مبادئ الحزب لا على الأشخاص . وقد بدأت الأحزاب تفعل ذلك جدياً ، وتستعد لمواجهة الأحوال الحاضرة ، ونحن نكتب ذلك والأحزاب كلها قائمة قاعدة فى تنفيذ هذه التعاليم .

الأذن

إذا طنت الأذن اعتقد بعض المصريين أن أحداً يذكرك من طنت أذنه في تلك الساعة فيضع يده عليها . ثم لا يزال يذكرك أسماء من يظن أنهم ذكروه بعد أن يسد أذنه بوضع يده عليها . فإذا ذكر الاسم الذي كان يذكركه سكت الطن . ويقولون : « إذا طنت الودن اليمين عدو مبین ، وإذا طنت الودن الشمال ، حبيبي سال » .

ومن المشهور في كلامهم « يا وذن طنى . كل يوم خبر » .

ومثل ذلك رف العین : فإذا رف العین اليمنى تنبأ صاحبها بحدوث شر ، وإذا رف العین اليسرى تنبأ بحدوث خير . وقد أخرجوا فيلماً حديثاً بعنوان (عيني بترف) .

ومثل ذلك أيضاً أكلان اليد ، فإذا كان في اليد اليمنى كان إيذاناً بأنه سيضرب أحداً ، وإذا كان في اليسرى كان إيذاناً بأنه سيسلم على أحد أو سيقبض فلوساً ، ومثل ذلك خدر الرجل وتملها .

أربعاء أيوب

هو يوم الأربعاء الذي قبل شم النسيم . وقد اعتادوا فيه أن يبيعوا نباتاً يقال له البرنوف . يدعون أنه إذا نقع في الماء واغتسل به يوم الأربعاء شفى من الضر وأنه هو النبات الذي شفى به أيوب .

وفي ذلك اليوم ينادى على نبت آخر ذى رائحة طيبة بقولهم يا رعرع أيوب .

الارمن

توجد منهم طائفة لا بأس بها في مصر . وقد اشتهروا بجودة الصنعة وإتقانها والمهارة في التجارة وعدم المبالاة بالقرية . ولذلك نجحوا حيث لم ينجح غيرهم ، وكسبوا من الأموال ما تضخمت به ثرواتهم .

وإذا سابقوا الوطنى في الصناعة أو التجارة سبقوه .

الأروام

هم اليونانيون ، وهم طائفة كبيرة في مصر امتازت ببعض مهن ، كفتح القهاوى والبارات ومحلات البقالة ، والتخارات . كما امتازوا بالنشاط وجمع المال . ولذلك جمع بعضهم ثروات هائلة ، وكان لهم من النشاط العجيب ما مكنهم من الانبثاث حتى في القرى النائية وبين الفلاحين يبيعونهم الخمر ويبتزون أموالهم . ويصبرون صبراً تاماً على معيشة تشبه معيشة الفلاحين .

ومنهم تجار أقطان وحبوب يستطيعون لذلكهم وممارستهم أن يضحكوا على الفلاح المغفل ، فيستقبلونه ماله ويسخرونه في مصالحهم . وربما كان احتلالهم أشد أثراً من الاحتلال الإنجليزي . وهم شديدو المعرفة بعادات الناس من فلاحين وغير فلاحين وتقاليدهم ، فلذلك تكون مداخلمهم أعمق ، وأساليبهم أدق . وما يؤهلهم لذلك أنهم سرعان ما يتخلقون بأخلاق أهل البلد ويتعودون عاداتهم ويتكلمون بلغتهم ...

أزرق

كثيراً ما يسمى المصريون الأزرق أخضر ، تفاؤلاً بالخضرة ، وكرهية للزرقة . ولذلك سمو العتبة الزرقاء بالعتبة الخضراء ، وكانت عتبة زرقاء لبيت من بيوت أمراء هذا الحى . ويقولون ، زرق المسار في الخشب . أى أدخله بسهولة ، ويقولون « نابه أزرق » لمن كان خبيثاً مكاراً .

الأزهر

لا يهمننا في كتابنا هذا تاريخ الأزهر وعمارته والدراسة فيه ومركزه من العالم الإسلامى ؛ وإنما يهمننا فى موضوعنا هذا عادات الأزهريين ، واتصالها بعادات الشعب كله .

والأزهر بناء كبير ، قسم إلى أروقة ، فلصعيدة رواق ، وللبحاروة رواق ، وللشوام رواق ، وللأتراك رواق ... وهكذا .

وكثيراً ما كنا نشاهد منازعات تحصل ويتبادل فيها الضرب وتثور فيها العصبية ، فأحياناً تحدث المشاجرة بين البحاروة والصعيدة والعكس ، وأحياناً بين المغاربة والمصريين .. وهكذا .

وكل جماعة عليهم أوقاف خاصة بهم يأخذون من ريعها (الجراية) سواء فى ذلك

وفي جانب من جوانب الأزهر زاوية تسمى « زاوية العميان » ينتسب إليها عميان الأزهر ، وقد عرفوا بالجبروت مصداقاً لقولهم : « كل ذي عاهة جبار » .

والأزهريون كانوا يقرءون في الفجر التفسير والحديث ، وفي طلوع الشمس الفقه وفي الظهر النحو ، وفي العصر العلوم الدنيوية كالجغرافيا والرياضة .

وفي أركان الأزهر كتابات على الطريقة البدائية . وكان في الأزهر مiazza كبيرة يتوضأ منها الأزهريون فأبطلها الشيخ محمد عبده ووضع مكانها الحنفيات ، فادعوا أنه أذهب البركة من الأزهر ، وقاموا عليه وانتقدوه .

وفي الأزهر على يمين الحراب الكبير صندوق صغير يقال إن به طلسم يمنع من سكنى العصافير وسائر الطيور .

وكان قبل الحنفيات صهاريج أربعة تحت الصحن تملأ بالماء ثم يستقى منها طول السنة .

وفي جانب الأورقة دواليب كل دولاب يشتمل على خزانات ، والطالب إذا تقدم في الطلب أعطى مفتاح خزانة وضع فيها كتبه وجرايته وما يحتاج إليه .

ومن عادة الصعايدة إذا أتوا من بلد

الطلبة أو العلماء ، وهي في القديم تقراوح بين ثلاثة أرغفة وعشرين رغيفاً . وكنت كثيراً ما ترى على أبواب الأزهر مجاورين يبيعون جرياتهم أو يستبدلون ببعضها إداماً .

وفي الأزهر بجانب الأروقة ، صحن كبير سماوى قد بلطت أرضه ، يتشمس فيه المجارون في الشتاء ، وينامون فيه في ليل الصيف .

وكثيراً ما ترى ملاية بيضاء ، أو عباءة سوداء قد فرشت في هذا الصحن ووضعت عليها الزوادة ، وهي عبارة عن خبز أخضر للمجاور من بلده فيخشى عليه من التعفن فيضعه في الشمس ثم يجمعه بالليل .

وكان العلماء ينصبون أنفسهم مدرسين فإذا سمعهم الطلبة فيما أن يقرؤهم على تدريسهم أو يقيمومهم من أمكنتهم ، ثم وضع لهم نظام الامتحان . ويجلس الشيخ إلى جانب عمود إما في الأرض أو على كرسي مجنح مرتفع ، ويقرأ درسه في كتاب ، ويطيل ويعيد في كل جملة ويفتها تفتيتاً . والكتاب عادة عبارة عن متن وشرح وحاشية . وقد يزداد أيضاً على هذا كله تقارير . وفي كل كلمة تتوالى على الشيخ الأسئلة ، فإذا كان حصيفاً استطاع أن يجيب عليها .

ولهم اصطلاحات خاصة في الأسئلة والأجوبة .

وإذا ختموا كتابا كان من عادة الطلبة أن يأتوا في حلقة الدرس بالمباخر والقهاقم والعطريات فيرشون ماء الورد وينثرون اللوز والتمر ويقبلون يد الشيخ .

وكانت العادة أيضا عند بعض المجاورين أن يطلبوا الإجازات (البراءات) من المشايخ فيكتبوا لهم الإجازات بخطوطهم وهي تتضمن الإقرار بتحصيل الطالب ومهارته في الفنون .

وكان الطلبة يحترمون مشايخهم احتراماً زائداً ولو كانوا أغنياء والمشايخ فقراء ، فيقبلون أيديهم ويمجرون وراء حمارهم وينظفون بيوتهم إذا لم يكونوا متزوجين ويمنثلون أسرهم .

والمشايخ يلبسون الفرجيات ، وهي ذات كمين واسعين تتخذ من جوخ أو تبيت .
والجواهر يمحترمون في بلادهم فلا يشغلون في السخرة ، ولا يجندون في الجيش ، ويمكن أن يكون هذا هو السبب في كثرتهم .

والغالب أن يتبع الطالب مذهب أبيه فإن كان حنفياً فهو حنفي أو شافعياً فشافعي وهكذا .

ولما انحصرت الفتوى والقضاء في مذهب الحنفية تحول كثير إليه للتعيش . وقد كان الطلبة والمشايخ لا يأخذون ماهية إلا الجراية

أن يحضروا معهم مؤونة نصف السنة تقريباً من خبز وسمن وجبن وكشك وعدس وبصل .
وأكثرهم يسكن مع بعض زملائه في غرفة واحدة في الوكالات التي حول الأزهر وفيهم من يتزوج من بلده ثم يحضر إلى الأزهر ويترك زوجته وأولاده ، ثم يذهبون إلى بلادهم في أيام البطالة . وغالبهم يباشرون أعماله بنفسه من طبخ وغسل ثياب وترقيعها ، وأكثرهم وخصوصاً الفقراء منهم ، المدمس والفلافل أو الطعمية والمخلل والسكرات والفجل والنابت . وكان الزى في زمننا للجميع الجبة والقفطان أو الجلالية والعباية والعمامة .
وكثيراً ما يستعملون فراء الغنم للجلوس عليه في الدرس وقل أن يتعهدوا بيوتهم بالتنظيف .

ومن الأمثلة التي كانت منتشرة بين الأزهريين قولهم « العلم زبال » يعنون به أن العلم لا يلائم المظاهر . وإنما يذهب إلى القدرين الذين يشبهون في قذارتهم الزبالين . وشاع بين القاهريين أن من الأزهر ينتشر الجرب .
وقد يحصل بين بعض الساكنين في الحجرة الواحدة عناد على غسل الأطباق فيقول كل منهم « اغسله انت » وتكون النتيجة عدم غسلها .

واشتهر أهل الأفطار الأخرى من هنود وشوام وأترك بالنظافة في الثياب والسكنى .

وقد يكونون مأذونين أو فقهاء كقائمين أو نحو ذلك . ول بعضهم أثر كبير سيء ، فإصلاح الأزهر ليس أثره قاصراً عليه بل يتعداه إلى سائر البلاد في العالم الإسلامي .

هذه هي صورة الأزهر أيام كنت طالباً به ، أي من نحو خمسين عاماً ، ولكنه تغير ككل شيء ، كما تقول الأغنية البلدية :

« كل شيء في الدنيا اتحول

وحبنا مش زى الأول »
والحق أن للأزهر ميزات : منها أنه رفع راية الثقافة ، يوم حوربت الثقافات حتى انكشفت ، وأنه كان قبلة المسلمين في الأفطار الإسلامية كلها ، وأن منهجه في التدريس يعلم طلبته الصبر والدقة . فلا يقبلون من العبارات إلا ما كان دقيقاً منطقياً ، مركزاً . ولهم صبر طويل على تفتيتها وشرحها .

الأزياء

من أكثر ما يلفت النظر إلى المصريين تنوع أزيائهم ، وخصوصاً الرجال ، وهذا ما يدهش الأجنبي إذا زار مصر لأول مرة فهم يجدون العجب من اختلاف هذه الملابس فحبة وقفطان وعمة — وجبة وقفطان وطر بوش — وجلابية وطاقية — وبدلة أفرنجية وغير ذلك مما لا تجد له نظيراً في اللبس الأوربي .

فكانوا يتكسبون من أوجه أخرى كإمامة مسجد وأذانه ودروس خصوصية وخصوصاً للمستشرقين . ولكل رواق عصبية يتعصبها بعضهم ضد غيرهم . وتحدث في الأزهر حوادث كثيرة منها ما يكون ضد الحكومة إذا أرادت التدخل ومنها ما يكون بين الأزهرين أنفسهم ، ومنها ما يكون بين العلماء للتنازع على المشيخة والوظائف الرئيسية وهكذا ... ومثال هذه الحوادث أن أحد مماليك محمد علي باشا وكان مجاوراً في الأزهر ضربه بعض الطلبة بسكين فقطع أصابعه من أجل مرتب الجراية فقطعت جريته وأخذ وسجن ثم نفي إلى بلاده وكان تركيا .

وقد كان العلماء في القديم واسطة جيدة بين الحكومة أو على الأذى والى وبين الناس ، فإذا شكوا الجمهور من شيء وسقطوا العلماء في التظلم منه . وكان منهم أعضاء في المجلس الذي ألفه نابليون بونابرت عند دخول الفرنسيين مصر .

ولللأزهريين أثر كبير في الحياة المصرية من حيث عاداتهم وتقاليدهم حتى في الأمور السياسية إلى يومنا هذا ، فقد كان للأزهر دخل كبير في ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، ويظهر أكبر تأثيرهم فيمن يتعلمون في الأزهر من أهل القرى في الأرياف ثم يعودون إلى بلادهم بعد أن يتقوا دراستهم أو قبل إتمامها

وهن لا يقصصن شعورهن بل يتركها
أو يضرنها ضفائر في النهار أو في الليل
وفي السهرات يتحلين بالحلي الكثيرة كالأقراط
والعقود والخواتم والأساور .

ثم دخل على ذلك تغيير كبير في عهد
الخديوي إسماعيل ، فكان يلبس كذلك
الشتيان وهو سراويل واسعة تمكن السيدة
من الجلوس على الشلثة وفوق الشنتيان
صديري بدون أكمام وفوقه اليك وهو رداء
طويل . وعند الخروج يلبس الفرجية وهي
أشبه بالعباءة الواسعة ويضعن على رؤوسهن
العزيرية وهي غطاء للرأس مغطى من الداخل
بقماش وفوقه ورد صناعي وتحت البشمك يغطى
الوجه وهو من القماش الشفاف .

أما الرجال فكانوا في الغالب يلبسون
العمامة سواء في ذلك الأغنياء أو غيرهم والجبّة
والقفطان والحزام ؛ ثم دخل التغيير على لباس
الرجال والنساء جميعاً فالنساء أصبحن يخرجن
بالفساتين التي يلبسنها في البيت على شكل أجمل ،
والرجال فشى فيهم اللبس الأفرنجى من جاكيتة
و بنطلون حتى بين رجال الأزهر ودار العلوم ...
وفشى لبس الطربوش أخذاً من الأتراك .

أما الفلاحون فهم كما دتهم يلبسون
الجلابيب الزرقاء وقليل منهم يلبسون الزعابيب
وهم يحتفظون بالعمامة على الرأس وأكثرم

وكذلك المرأة — ملاءة لف — وحبرة
وغير ذلك .

والذي يلاحظ الآن التغيير السريع في
الأزياء . فالنساء تغيرت أزيائهن بعد السفر
تغيراً كبيراً ، وقبل السفر كانت تتغير عادة
الأزياء من حين إلى آخر . فمثلاً كانت
ثياب النساء في الطبقة العليا والوسطى في عهد
محمد علي قيصاً من حرير مختلف الألوان إما
أبيض أو وردياً أو بنفسجياً أو أصفر أو أزرق
ويزركش غالباً بالحرير أو أسلاك من ذهب ،
ويكون واسعاً جداً وعميقاً وقصيراً ،
ثم (شنتيان) يلف به الخصر بواسطة تكة تمر
في باكية بأعلاه ويربط من أسفل بالساق
ثم يسبل إلى القدمين . ثم (يلك) وهو ثوب
يلتصق بالقامة وينسدل إلى القدمين ويلف
الجسم بإزار من أمامه من فوق إلى تحت ،
ويكون مفتوحاً من الجانبين وحزام يحيط بالوسط
من حرير أو كشمير أو نحو ذلك . ويلبس
السيدات فوق اليك جبة من الجوخ في فصل
الشتاء مقورة من الأعلى وتكون مفتوحة .

أما غطاء الرأس فطاقية حمراء صغيرة
يلف حولها منديل من حرير مزركش وتضع
في مقدمة الطاقية صفيحة مستديرة ويسمها
النساء (قرصاً) والأغنياء منهن يصنعنها من
ذهب ويرصعنها بالأحجار الكريمة .

الحاضرين ويخبر كلا منهم بمرضه وطريقة
علاجه .

ولكن طريقة علاجه ، والحق يقال ،
لم تنجح معي . وقد زعموا أنهم يشاهدون
في سقف البيت مناظر أرواح لأشخاص
يعرفونهم ولكنى لم أر ... وحكوا لى أشياء
كثيرة من هذا القبيل ، وطلبوا منى أن
أجلس في حجرة وحدى في الظلام في ليلة الجمعة
لأنهم يرسلون الأرواح ، ولكنى لم أفعل .

ومرة أخرى وإن لم تكن من هذا
القبيل بل من قبيل الإخبار بالمغيبات
زارنى رجل تونسى يزعم أنه يقرأ البخت
وكان معى صديق . وقد طلب منا هذا
المغربى أن نكتب أوراقا لما نحب أن نسأله
فيه ، ثم نضعها في مصحف أمامنا وهو يخبرنا
بالأسئلة والأجوبة من غير أن يقرأها .

وقد ذهب إلى الحمام وظل يأتى بمركات
غريبة ، ثم عاد إلينا وقرأ بعض الآيات وقال
إن فلانا يسألنى فى ورقة عن اسم أبيه وأمه ،
ولم يكن أحد فى البيت يعرف اسمهما ولا أنا ،
واسم أبيه كذا واسم أمه كذا ، وأخبرنى
صاحبى أنه صدق فى ذلك . ثم سأله عن اسم
ابنه فأخبره بصدق — ثم قال له إنك سألت
عن سمر القطن وسيرتفع ، وكنت أنا كتبت
أسئلة فى ورقة ؛ منها سؤال عن مرضى
فأخبرنى ، وذكر دواء لم ينفعنى ، وكان

يسير حافيا من غير جزمة ولا مركوب والنساء
يلبسن الجلابيب السود الطويلة ويفطين
رؤوسهن عند الخروج بمنديل ووجوههن
بالطرح ويتحلين بالحلوق وأحيانا بالخلخال
وأحيانا بالأساور .

وكل أمة تريد الإصلاح عادة ، توحد
زيها كما فعل الأتراك فى ثورتهم . فلم يُستثن
منهم فى لبسهم إلا رجال الدين الرسميين .
فقد سمح لهم بالعمامة . أما سائر الشعب فقد
فرض عليهم لبس البدل الأفرنجية والقمبات ،
حتى المؤذنين . وذلك شعورا بأن توحيد
اللبس أول عمليات التجديد ، لأنها تبعث فى
النفوس نشاطا ، وقد بدأ المصلحون فى مصر
يفكرون أيضا فى توحيد الزي .

استحضار الأرواح

من عادة بعض المصريين استحضار
الأرواح ، بعد أن كانوا يستحضرون
الجن . وقد شاهدت مجلسا لاستحضار
الأرواح هذا . رأيتهم قد أطفأوا الأنوار ،
وأداروا اسطوانة على الفونوغراف ، تبعث
الهدوء والسكينة ، ثم استحضر رئيس المجلس
شخصا ونومه تنويما مغناطيسيا . وأغرب
ما شاهدته رجل قالوا إنه غير مثقف ، وإن
أصله مبيض ، فلما نومه كان يتكلم
بالإنجليزية بلهجة هندية ، وهو يداوى

الاسترسال

هو خلق من أخلاق العامة أو قاعدة من قواعدهم في المحادثة .

يفتح الواحد منهم حديثاً فيترك الحديث لمن بعده فيكلمه مع الاسترسال ... وذلك ناشئ من ضعف العقلية ... ومن الغريب أن نرى ذلك بين المتعلمين ، فقل أن نرى مثلاً رجلاً يتحدث عن موضوع واحد ثم يتم الحاضرون الكلام فيه وحده . ويأخذك العجب إذا قارنت بين مفتتح الكلام ومختتمه . وذلك أخذاً من كتب الأدب عندهم . وهناك نوع من البلاغة يسمى « الاستطراد » وهو في معنى الاسترسال ، كالذي يفعله الجاحظ وابن عبد ربه وابن قتيبة وأمثالهم حتى في الكتب ، فترى كتاب الفقه كابن عابدين يفرق في موضوع فقهي وإذا به يتحدث في إعراب (حاشا لله) وهكذا ؛ ولذلك لا تخلو كتاباتهم من مفارقات طويلة قد تكون لها علاقة بالموضوع بعيدة . وربما كان الرقي العقلي كفيلاً بذهاب هذا العيب .

مما كتبه في الأسئلة : « هل ستقوم الحرب العالمية الثالثة ؟ ومتى ؟ » فقال إنها ستكون في نوفمبر القادم ولم يحدث . فظهر لي من جميع ذلك أن الرجل بالحركات التي عملها في الحمام قد نوى نفسه تنويماً مغناطيسياً ، وبذلك استطاع أن يقرأ أفكارنا ، أما الإخبار بالمستقبل فكان مجرد تخمين ؛ أي أنه كان يقرأ من أفكارنا ما نعلمه ، شأن كل المنومين المغناطيسيين ، عندهم من الموهبة ما يستطيعون به أن يقرأوا أفكار الناس . أما قراءة المستقبل فدعوى لم يقم عليها برهان — والله أعلم .

الاستخارة

الاستخارة ضرب من قراءة الغيب — فيستخبرون بالسبحة ؛ تؤخذ مجموعة من الحبات اعتباطاً وآخر حبة هي القول الفصل في أن يفعل أو لا يفعل ، وأحياناً يستخبرون بالمصحف يفتحونه حينما اتفق ، ويستخبرون بورق يقطعونه ، ورقة فيها نعم ، وورقة فيها لا . ويستخبرون بأول قادم يطلع عليهم ، إن كان مليح الوجه أو رديئه . وهي شائعة عند المصريين .

الاستغاثة

يكثر المصريون من الاستغاثة بالأولياء .
وهم يختلفون قوة وضعفًا . فأهل القرى يستغيثون
بأولياءهم في قرانم ، وأهل المدن بمشايخهم
ومنهم من يعتقدون لهم سلطة عامة كالسيد
البدوى وسيدنا الحسين والسيدة زينب
والسيدة نفيسة . ولهم في ذلك أناشيد ونذور
وربما بلغ ما يدخل في صندوق النذور للسيد
البدوى في ثلاثة أشهر ما يزيد عن ألف جنيه
يدفعها الفقراء المحتاجون لمشايخ المسجد
الأغنياء . ولهم في كل شيخ قصائد وابتهالات
مثل ما قيل في السيد البدوى :

يا سيد كم لك من مدد

يسمو عن وصف أو عدد

وبكم طنطا أعلى بلد

بوسيع رحابك يا سيد

كم جاءك مسكين يبكي

وعليل من ألم يشكى

وفقير في حال ضنك

فأخذت بيده يا سيد ...

أهل التصريف لهم شان

في الكون رجال شجعان

والقوم جميعاً فتيان

وأبو الفتيان هو السيد

حتى في الحج مع الركب

تسعى بالجسم مع القلب

وتكون دواما في الدرب

نحو المختار أيا سيد

للشدة أنت أبو فراج

سند للعاجز والمحتاج

وسبيل الفضل بكم قد راج

وازداد بسرك يا سيد

وقع القنديل من الأعلى

للأرض فلم يكسر أصلا

نورت بنورك ما أظلم

من لاذ بك لا يظلم

وأنت حديد الباب إذا

جندي جاء يريد أذى

فنبجا من لاذ بكم وكذا

يفجوا من جاء إلى السيد

وأعرف صاحباً لي ركب القطار مع الركاب،

فلما وصلوا إلى طنطا قال بعض الحاضرين

« الفاتحة » للسيد . فاستنكر هذا الرجل

فعلهم فقاموا عليه يضربونه حتى كاد يهلك

وما نجا منهم إلا بادعاء بعض أصحابه أنه

مجنون . ولكل شيخ من هؤلاء الأولياء

مولد تقام فيه الأفراح واليالي الملاح . وتختلف

في عدد الأيام وفي عظم الزينات وفي الحلوى

وقد يضم البيت زوجتين « ضرتين »
ومن أجل كبر الأسرة كانت تكثر فيها
المشاحنات والخصومات . وقد ينقض الليل
في الحكم بين المتخاصمين والمتخاصمات ، وقد
ينتهي بالضرب أو الطلاق . والأسرة إلى
عهد قريب كانت محكومة بالسلطة الأبوية
فكل السلطة في يد الأب ، والزوجة لا تجرؤ
أن تأكل معه والأولاد يحترمونه فلا يصح
أن يدخلوا أمامه ولا أن يتكلموا بصوت يعلو
على صوته . ولا يصح أن يتزوجوا إلا
برضاه . والأم لا يصح أن تخرج إلا بإذنه ،
ويبده ميزانية البيت .

وهو الذي يتحكم فيما يؤكل وما لا
يؤكل . والأسرة أيضاً وحدة اقتصادية كما
أنها وحدة اجتماعية . فكل حارة سوقها
القريب منها ؛ تشتري منه الضروريات ولا
تحتاج إلى غيره إلا في الكماليات . وهي أيضاً
وحدة دينية . فالولد يتعلم منها شعائر الدين .
وقريب من الحارة المسجد ، يصلون فيه
صلاة الجماعة وصلاة الجمعة ، والمسجد أيضاً
يقوم بوظيفة اجتماعية بجانب الوظيفة الدينية
فسكان الحارات يتعارفون في المسجد ،
ويعرضون فيه مشاكلهم الاجتماعية ، وفي
الأرياف يتحدثون عن حالة الزراعة من
قطن وقمح ودودة وما فعل الحر بالزراعة وما
فعل البرد وغير ذلك .

التي تباع على الأبواب . وربما كان أعظم
مولد للسيد ولسيدنا الحسين ، ويقصد إليهما
من كل البلاد وتكثر فيهما الاستغاثات
والدعوات .

الاستفهام

يعتمد الشعبيون في الاستفهام على الصيغة
واللهجة أكثر مما يعتمدون على حروف
الاستفهام أو أسماؤها .
فتستطيع بالمران أن تفهم إذا كانوا يستفهمون
أو يخبرون . وكذلك الاستنكار حتى أن
الكلمة الواحدة مثل كلمة « الله » تستعمل
استعمالات كثيرة تدل على معناها لهجتها .
فقد تكون للتعجب ، وقد تكون للاستنكار
وقد تكون للإعجاب ، حسب النغمت ،
ونحو ذلك .

الأسرة

ويسمونها « العيلة » . وهي عادة
وحدة الأمة . وكانت كل جملة من الأسر
تضمها حارة . والحارات يضمها شارع .
والشوارع تضمها المدينة أو القرية .
وقد كان للأسرة نظام معروف ، فكان
يضم الرجل الكبير والزوجة والأبناء والبنات
وقد تضم أيضاً الأقارب ، كالابن وزوجته
وولده والأخت المطلقة والحماة وغير ذلك .

ومع ذلك بقيت الأسرة قديماً وحديثاً
خير سرب للأطفال . ولم يوجد ما يستعاض
به عن الأسرة .

وقد كان في القديم تعارف الأسر
وترتبط برابط متين خصوصاً من كان منها
في حارة واحدة أو شارع واحد .

ولكن لما غزتنا المدينة الحديثة قل
اختلاط الأسر . فكثيراً ما ترى أسرة في شقة
من عمارة لا تعرف شيئاً عن يسكن بجوارها ،
تقليداً للأفرنج في معيشتهم . ومن أجل هذا
أيضاً كان من أكبر مظاهر الأسر في الزمن
القديم الاشتراك العام في المآتم والأفراح
ومساعدة الأسرة البائسة وعيادة المريض إذا
مرض في الحارة والمشي في جنازته وسؤال
كل فرد في الحارة عن يساكنه ، فزال كل
ذلك بحكم اعتزال الأسرة .

والأسرة المصرية كثيرة العطف على
أفرادها ، وهي تصفى إلى العاطفة أكثر مما
تصفى إلى العقل . ومن مظاهر ذلك كثرة
الاتصال بموتاهها في زيارتهم في كل موسم
والطلوع عليهم بالخصوص والفاكهة والقطير
وقراءة القرآن الكريم والترحم عليهم وغير
ذلك ، ثم مساعدة الأولاد مهما كبروا
واستطاعوا أن يقفوا على أرجلهم .

ثم الخوف الشديد من سفرهم والبعد
عنهم ولو إلى مسافة قصيرة . ومن هذه

والمرأة في أسرة الفلاحين أحسن منها
في المدن . فهي تعين زوجها في زراعته فتحلب
جاموسه وتصنع سماده وتأتيه بغذائه في
الغيظ وتعيّنه في الدرس والجمع وتفهم في الزراعة
مثل ما يفهم على عكس المدنية . فالفرق بين
معلوماتها ومعلومات زوجها كبير ؛ ولذلك
يتفاهم الزوجان الفلاحان في كل شئونهما ،
وقل أن يكون ذلك في المدن . فقد كانت
الزوجة إلى عهد قريب خادمة نظيفة والزوج
في وظيفته أو قراءته أو حساباته المالية منعزلاً
عن زوجته لا يستطيع إشراكها معه .

وقد شاهدنا في عصرنا تحول الأسرة
من سيطرة الأب إلى سيطرة الأم ومن
استبداد الرجل إلى استبداد المرأة .
وشاهدنا في عصرنا أيضاً أن حجاب المرأة
يتحول إلى سفورها ، وجهلها إلى تعلمها وتفريطها
في حقوقها إلى الغلو في طلبها ، حتى لتريد أن
تشارك في السياسة فتنخب وتنتخب وشاهدنا
مزاحمتها للرجل في العمل والتوظف ، وشاهدنا
كثيراً من البيوت يكون فيها الزوج موظفاً
والزوجة موظفة ويسلمان أولادها للمرليات .
ولما فشا تعليم المرأة قل الاعتقاد بالخرافات
والأوهام . ولما سمرت المرأة عرفت كثيراً من
أحوال الرجال وشاركت في إدارة الأموال
وزاد حظها في كل شأن من شئون الحياة .

في التعليم الجامعي ولكنه إذا أراد الولد عمل بنفسه ليتكسب ويصرف على نفسه ، كأن يشتغل صبي لبان أو بائع جرائد أو موزع بريد في جامعة أو كفاً للجامعة أو طباً . ثم من مظاهر الأسرة المصرية أيضاً الاتصال والاعتزاز بالأقارب حتى الأبعدين ، فهذا ابن ابن عمه ، وهذه بنت بنت خالته ، وهكذا حتى ليبلغ ببعضهم الاعتزاز بمجارته أو قرينته .

والأسرة المصرية كما يدل عليها ماضيها وحاضرها سائرة إلى السفور وإلى توحد الزوجات وإلى التعلم وإلى السلطة النسائية ، وإلى مشاركة المرأة في الأعمال التجارية والسياسية وإلى التزوج من غير أقاربها وإلى تحديد النسل وعدم الإكثار منه وإلى ضياع الفروق الكبيرة بين الرجل والمرأة في الترام والقطارات ونحو ذلك ، وإلى ضيق نطاق الأسرة والاهتمام فقط بالأزواج والبنين والبنات إلى الاستقلال المالي .

وأخشى أن يرجع الأمر إلى ما قاله هيرودوت عن المصريين (أن النساء يعملن في الأسواق والرجال يعملون في البيوت) .

العلاقات احتفالات كبيرة بمظاهر الزواج والمآتم حتى تقع الأسرة من جراء ذلك في فقر شديد . وقد تضطر الأسرة إزاء عطفها الشديد إلى ارتكاب ما يضر ، فأعرف أسرة لم ترض أن ترسل أولادها إلى المدارس خوفاً عليهم ، وأعرف أفراداً من أسرة أخرى فسدوا لكثرة ما يمدم به آباؤهم وأمهاتهم من الأموال كلما طلبوا . وهكذا ، حتى إذا انفصل الولد أو البنت وكونا لأنفسهما بيوتاً خاصة ظل الاتصال شديداً بينهما وبين الأسرة . ولا بد من أن يرسلوا إليهم كهكا في العيد الصغير ، ولحماً في العيد الكبير ، وهدايا متتالية . وهذا عكس ما نشاهده في الأسر الأوربية . . . أعرف أسرة أمريكية مات واحد في الحرب فنشرت عنه الجرائد ، فلما ذهب بعض الأصدقاء للعزاء شكوا في أن يكونوا هم المقصودين لأنهم لم يشاهدوا عليهم أثراً من آثار الحزن . . . نعم إنهم يحزنون ولكن في حدود ضيقة ويحزنون في أنفسهم ويبشون للناس .

وتجد كثيراً من الأغنياء في أوروبا وأمهاتهم أو آباؤهم في أشد حالات البؤس . وقل أن ينفق إنجليزي أو أمريكي على ابنه

أسلوب الكتابة

يختلف أسلوب الكتابة اليوم عن الأسلوب في الأيام الماضية ، فقد كان من خصائص الأسلوب الماضي قلة المعاني والعناية بالألفاظ والنزاهة السجع ، حتى في أسماء الكتب وعنوان المقالات ، والإمعان في الجناس والفرح به ، وتضمنين الكتابة الشعر . ولم تكن الكتابة طيبة في أيدي الكثيرين . بل كان الكاتب كأنه ينحت من الصخر ، وكانت الكتابة ممزوجة فيها اللغة العامية باللغة الفصحى كما يرى في كتاب بدائع الزهور وتاريخ الجبرتي . وكان عبد الله نديم في مجلة الأستاذ ينشر بعض مقالاته باللغة الفصحى وبعضها باللغة العامية .

ثم رزق الله الأمة من محرر من السجع ومحرر من الزينة اللفظية وأطلق لقلمه العنان . وربما كان من طلائع هؤلاء ، إبراهيم المويلحي وعبد الله نديم ، والشيخ محمد عبده في عهده الأخير .

أما من قبلهم كرفاعة الطهطاوي وعبد الله أبي السعود ، ومحمد أنس وميخائيل عبد السيد صاحب جريدة الوطن فكانوا يمثلون الخصائص القديمة التي ذكرناها .

وكان من أكبر ما ساعد على الانطلاق

في الكتابة والتدفق وغزارة المعاني الصحافة المصرية ، واقتباس الأدباء المحدثين من الأدب الغربي ، كما كانوا يقتبسون من الأدب العربي . وكان المثل الأعلى للكتابة مثلاً إنشاء العطار وما كتبه من سجع وجناس وبديع . ثم صار المثل الأعلى حديث عيسى ابن هشام لمحمد المويلحي ، والنظرات للمنفوطي ، وكلاهما لم يتحرر من السجع بتاتاً ، ولم ينطلق صاحبه انطلاقاً تاماً ، فضلاً يحنان إلى السجع حيناً ، وينطلقان حيناً ، حتى استوى للأدباء الحديث المرسل ، والتحرر من السجع . وحتى بعد تقليد الأدب الغربي ظلت في مصر مدرستان ، مدرسة تقلد الأدب العربي القديم في سجمه ونمط بلاغته ، ومدرسة تقلد الأدب الغربي في استرساله وعنايته بالمعاني . ومن الملاحظ أن النثر العربي في مصر نجح في تقليده الأدب الغربي أكثر من نجاح الشعر ، فقد ظل الشعر مقيداً بالبحور القديمة والقوافي والموضوعات غالباً ، ولم يتحرر تحرر النثر .

اسم التفضيل

المصريين ولع باسم التفضيل . ولم في ذلك تعبيرات لطيفة وتشبيهات بليغة أعرض للقراء أهمها . فهم يقولون :

« أبرد من مية طوبة » .

يقولونه للسمج الثقيل الروح . وإنما اختاروا طوبة لأنه أكثر الشهور بردا . وأهل الجزائر يقولون في مثله « أبرد من الثلج » والعرب الجاهليون يقولون « أبرد من عضرس » والعضرس البرد أو حب النعام والمولدون يقولون « أبرد من استعمال النحو في الحساب » ويقولون أيضا « أبرد من شيخ يتصابى وصبي يتمشيخ » . ويقولون :

« أبغض من وش التاجر يوم كساد السوق » .

وأصله مثل عربي وهو « أبغض من وجوه التجار يوم الكساد » وفي مثله يقولون « أبغض من ريح السدب للحيات » والسدب محرفة عن « السداب » وهو نبت زهره أصفر ورائحته ليست قوية ، وهم يدعون أن رائحته تطرد الحيات والثعابين ؛ ولذلك نجد في كثير من البيوت نبات السدب مزروعا في « القصارى » . وعلماء النبات والحيوان هم الذين يستطيعون أن يذكروا

لنا الرأي الصحيح في ذلك . « ويقولون » :

« أبخل من كلبة يزيد » .

ولم أدر من يزيد هذا؟ هل هو يزيد بن معاوية أم غيره؟ وربما كان أصل المثل أبخل من كلبة ميت يزيد . وميت يزيد هذه قرية من قرى المنوفية « مشهورة بالبخل » وكلابها أبخل منها حتى يحكوا عن بخلهم وبخلها حكايات كثيرة .

والعرب من قديم تصف الكلب بالبخل فتقول « أقبح من قرد وأبخل من كلب » وفي ذلك يقول الشاعر :

وأقبح من قرد وأبخل بالقرى

من الكلب أمسى وهو غرثان جائع

والعرب القدماء يقولون « أبخل من مادر » ومادر هذا رجل من بني هلال بلغ من بخله أنه سقى إبله فبقى في أسفل الحوض ماء قليل فبال فيه حتى لا ينتفع به أحد من بعده . ويقولون :

« أثقل من جبل الجيوشى » .

وهو جبل بالقاهرة قرب القلعة وتشبيه الثقل المعنوي بالجبل معروف مشهور . فأهل الجزائر يقولون « أثقل من جبل » والعرب تقول « أثقل من أحد » ويقولون « أثقل من السكانون » قال الخطيئة يهجو أمه :

أغربالا إذا استودعت سرأ

وكانونا على المتحدثينا

وقد اختلف الشراح في تفسير هذا البيت

فقال قوم إنه يريد بالسكانون الموقد وهو

ثقل لأن العرب كانت تضع حجirin على

الجبل وتوقد بينهما النار، فالجبل أحد دعائم

السكانون، ومن أجل هذا سموه ثلاثة الأثافي

وقال بعضهم إنه يريد بالسكانون شهر كانون

لأنه في قلب الشتاء.

وللمصريين تعبيرات كثيرة في الثقل

فيقولون « أثقل من آخر يوم في رمضان »

و « أثقل من المطالب بالدين » والموظف

يقول « أثقل من آخر يوم في الشهر » والمرأة

تقول « أثقل من الحماة » و « أثقل من أخت

الزوج » .

وإذا شكت امرأة لأخرى قالت

الأخرى لها « تشكين ولا حما ولا أخت

زوج » .

ويقول العامة أيضا « ليس أثقل من

الإنسان على الإنسان » وهم ينظرون في ذلك

إلى قول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكادت أطير

ويقول شاعر في وصف ثقل :

وثقل قال صفتي

أنت في الوصف جليل

قلت قولاً باختصار

كل ما فيك ثقل

ويقولون أيضاً في هذا المعنى « أثقل

من الهم على القلب » وهو تعبير ظريف

وبعضهم ينطقه « أكثر من الهم على القلب »

وفي عكس ذلك يقولون :

« أخف من ريش النعام »

يقولونه في الخفة واللطافة، يعبرون به

عن الإنسان وعن الكلام وعن كل شيء

ظريف - ويقولون :

« أجوع من كلب العرب »

لأن أغلب العرب الذين يسكنون على

حدود المدن المصرية فقراء فكيف

بكلابهم .

وأهل الجزائر يقولون :

« أزلط من فار الجامع » ومعنى أزلط

منتوف الشعر، ومنه قول المصريين رأسه

زلط، أي لا شعر فيها. ومثل قول أهل الجزائر

قول الفرنسيين « أفقر من فار الكنيسة » .

والعرب تقول في ذلك « أجوع من

كلبة حومل »، وحومل هذه امرأة من العرب

الأسماء والألقاب

لبعض المصريين أسماء وألقاب غريبة وخصوصاً عند الفلاحين . أما أهل المدن ، وخصوصاً الطبقة الراقية فتعتنى باختيار الأسماء . وكثيراً ما يستعملون الأسماء التركية كثرت وبهجت وحكمت الخ . وفي العصور الحديثة قلد الأقباط الإنجليز في أسمائهم ، كوليم وجورج ، أما الفلاحون والطبقة السفلى من القاهريين فلهم أسماء وألقاب وكثي غريبة مثل أبو سنة ، أبو سبعة ، أبو هبل ، أبو خر بوش ، الأعور ، الأسود ، الأعسر ، الأعرج ، أبو طبيخ ، برغوث ، بلاص ، جمل ، برور ، حلوف ، حتحوت ، جحش ، جندي ، دبور ، غراب ، سمسار ، عجل ، فار ، شرباش ، شرباص ، شلتوت ، عفن ، قط ، كرامة ، كشك ، وزه . ومن الفكك اللطيفة أن رجلا كان من بلدة اسمها الزريبة بجوار بلبس وكان اسمه الحاج على الفحل فاستدعى مرة للشهادة بمحكمة الزقازيق ، فلما سأله القاضى عن اسمه واسم بلده قال « على الفحل من الزريبة » فضحك القاضى . ومن أسماء النساء وألقابهن برورة ، جندي ، عساكر ، ستم ، ست الكل ، ست الدار ، ست الأهل ،

كانت تجميع كلبة تحرسها ، فكانت تربطها بالليل لحراستها وتطردها نهاراً وتقول لها التمس لنفسك لا ملتس لك ، فلما طال ذلك على الكلبة أكلت ذنبها . ويقولون : « أقل موال ينزه صاحبه »

يعنون بذلك أن الإنسان إذا حفظ موالا ولو كان تافها وأحبه كان سببا في سروره إذا غناه — ويقولون :

« أمر من الصبر وأمر من الحنظل »

وأمر هنا من المرارة ، والصبر مادة مرة وفي ذلك يقولون :

« أمر من الصبر سؤالك للشم » ،

و « أمر من الصبر سؤالك لغير مولاك » .

ويقولون :

« أمسخ من الطبيخ الشايط »

والطبيخ الشايط هو الطعام الذى يحترق على النار فيسوء طعمه وتفسد رائحته ، يضربونه مثلا لكل شيء كرية لا طعم له ولا معنى له .

وعلى الجملة فقد أوع المصريين والعرب من قبلهم باسم التفضيل جريا وراء المبالغة .

الأسبياد

يستعمل في الغالب للأولياء من أهل عالم الغيب أو الجنان ، وأحياناً يكون الأسبياد من أشكال مختلفة : هذه عليها أسبياد سودانية ، وهذه حجازية ، وهذه مغربية . وهكذا .

ويتضح ذلك في حفلات الزّار ، فربات الزار تضرب نفثات مختلفة على الدف ، لكل نوع من الأسبياد ضربة خاصة ولا تفقر السيدة إلا إذا دقت دقات مناسبة لهذا النوع من الأسبياد التي عليها .

وتستعمل كلمة الأسبياد في لسان الشعب المصري بمعنى العفاريات والأولياء التي تركب الإنسان وخصوصاً السيدات ، وتتمص أجسامهم وأجسامهن . ولهم في هذا تعبيرات مختلفة فيقولون — مثلاً — « جتته مش خالصة » ، أي جسمه مشغول بالأولياء أو العفاريات . ويقولون « ركه عفريت » و « عليه أسبياد » ، وإنما كانت الأسبياد تألف النساء أكثر من الرجال لضعف أعصابهن ورقّة مزاجهن واستعدادهن لسلطة الأوهام عليهن .

ولكل سيد من هؤلاء الأسبياد ملابس تناسب جنسه وأغان تناسب لغته ورقصات

ست أبوها ، ست البلد ، زعبوطة ، بطة ، هندية ، هانم ، هنومة ، مكية ، سيدة ، مسعدة ، مسعودة ، سيسبان ، ست اخواتها ، أم الخير ، زحلقة ، طربوشة ، شعلة ، شعلانة . ولهم في أسماء الشهور بعض اصطلاحات فيسمون المحرم « عاشوراء » وربيعا الأول مولد النبي وربيعا الثاني مولدالحسين ، وجمادى الأول وجمادى الثاني الجمادين ، وشوالا شهر العيد الصغير ، وذا القعدة بنات الأعياد ، وذا الحجة العيد الكبير . ويسمون الجسم كله البدن والجتة ويسمون الجمجمة النافورة والشعر النابت على أم الرأس شوشة والأذن « الودن » وطبلة الأذن « صرصور الودن » والصماخ « بت الودن » ويؤيؤ العين « النفي » والشارب « الشنب » والنم « الحنك » والمرى « الزور » واللحية « الذقن » والترقوة « الجوزة » والتدى « البز » والبطن « الكرش » ومفاصل الأصابع « العقد » والإصبع الكبير « الكبير » والسبابة « الشاهد » .

تناسب أمته ودقات على الدف تناسب رقصته .

الياقة والكوفية على العمامة .
وإذا كانت السيدة سودانية ضُربت
لها الدلوكة وقالوا :

دلكتك يادلوكة ، يا مرحباً يادلوكة ،
عدى البحر على دراعه ، طلع النخلة بدماعه ،
يا فارس بين إخوانه .

وإذا كانت مغربية سموها عويشة ،
وقالوا :

يا عويشة لله يا مغربية ، يا عويشة لله
عقبال يومك ، حلق عويشة على الخد
نادى ، حزام عويشة على الخصر ليته ،
خلخال عويشة رنه برنه . يا عويشة لله
يا مغربية ، يا عويشة لله ارضى على ،
يا عويشة لله من المغرب جيه ، يا عويشة لله
ارضى على . من تونس جيه ، من مكة
جيه وست عظيمة . . وهكذا .

ولهم نشيد عند البخور ، منه قولهم :
اتكلنا على الله والنبي ، الفاتحة لعمر
وعثمان وعلى ، والعشرة الكرام المتدركين
بكل ولى . . وملوك السما وملوك الأرض ،
والشهداء والصالحين ، واللى انقل عليهم
الدرب ، وملوك البر وملوك البحر وإخواننا ،

فإذا كان الشيخ الذى على الست عربياً
لبست فى الزار لباساً عربياً ورقصت رقصة
عربية وغنت لها جوقة الزار غناء بلهجة
عربية . وإذا حضر الشيخ على لسان الست
تكلم بلهجة عربية . ونظير ذلك إذا كان
مغربياً أو سودانياً أو حبشياً .

ومن أجل هذا يكون للست التى عليها
الأسياذ ملابس خاصة للزار وحلى خاصة
بمغفلات الزار تتناسب والشيخ الذى عليها .
وإذا كان الشيخ لم يعرف بعد فإن الكدية
والمغنيات تدق لها سبع دقات كل دقة على
طريقة خاصة ، وعند كل دقة وكل طريقة
تلبس السيدة لباساً من جنسها ، فالنغمة التى
تعجبها فترقص لها تكون هى الطريقة التى
تعرف بها الست ويعرف بها نوع الأسياذ
الذين يلبسون جسمها .

فإذا كانت الأسياذ من نجد كان من
ضمن الأغنية : يا سيد نجد ، يا لابس
سيفك ، يا يحيى ضيفك ، يا مدلع فى الميدان ،
يا لابس العباية فى الميدان ، مكحل عيونه ،
وراخى شعوره .

وإذا كان سودانياً ، فمن أغانيه :
يا أبو العباس يا سلطان الرجال ، يا حامى
الرجال ، يا مرحباً بك يا مرحباً ، يا لابس

الأشلا

اسم يطلقونه على ما يطلق عليه اليوم (المستشفى) وهو اسم كرية يقابل بالفتح إذ يظهر أن التمورجية والأطباء كانوا يعاملون فيه المرضى معاملة قاسية .

وبقي من آثاره إلى اليوم كراهية إرسال المريض إلى المستشفيات . ويظهر أنه اسم تركي كان يطلق على الثكنة .

وكان المستشفى يكاد يقصر على جرحى الجنود . ولذلك كان من مفهوم الأشلا أيضا الدماء والجروح وما إلى ذلك .

الأشياء المقدسة

يقدم للمصريون أشياء كثيرة . كخذاء الجلشنى . والنعل القديم يعلقونه على رأس الخليل أو على باب دكان أو يعلقونه تحت إبط الأطفال يعتقدون أنه يمنع من تأثير العين .

ويشترط في مثل هذا النعل أن يكون ملقى في الطريق ، لا يعرف له صاحب ، وأن توجد إحدى الفردتين فقط . ويعتقدون أكثر وأكثر في بوابة المتولى ، ومعنى المتولى أحد الأقطاب الذين يحكمون الدنيا ، وترى بوابة المتولى مربوطاً على مساميرها فتيل كثيرة

يجعلهم راضين عنا . . الفاتحة لستى سكينه وسيدى محمد الخواص .

الفاتحة لستى سكينه ، صاحبة الليلة العظيمة ؛ الفاتحة لسكان المغرب عويشة لله ، والسادات البكرية والخضر وإلياس ، سلام لهم وعليهم ؛ وكان الفاتحة لسلطان الحبش ، كبير مع صغير شيء لله ، ولهم الفاتحة

* * *

وللأسياد نظام متسلسل الحلقات ، من حفلات بنجور ، ومن حفلات زار ؛ وسيأتى الكلام على ذلك في مادة « بنجور » ومادة « زار » ، انظرها في حرف الباء وحرف الزاى .

الأشابير

يطلقونها على أدوات الذكر التي تقدمه من رايات وبيارق وطبل ودف ونحو ذلك . وتستعمل عادة في المحافل كمولد النبي ومولد الحسين وإقامة أذكار خصوصية .

ومنهم من يستغل عاهته لعطف الناس عليه
كبعض الشحاذين ، يُرى الناس ذراعه المقطوعة
أو برصه لاستدراار الإحسان منهم .

وعلى العموم فالعاهات كثيرة في مصر
نسبتها فيهم أكثر من غيرها من الأمم بسبب
القدارة والغباء والاعتماد على طب الركة وعدم
الإيمان بالأطباء أو الكسل في المعالجة .

إصطبل عنتر

هو كهف منقور في الجبل بأسبوط على
بعد ساعة بالمشى العادى ، وأصله من مقابر
قدماء المصريين على دهليزه كتابة هيروغليفية ،
فيها اسم كاهن من كهنة العائلة الثالثة عشرة
وهذه العائلة على قول علماء الحفائر تولت من
سنة ٢١٥١ إلى ٢٣٩٨ ق ب . وقد أخذ
هذا الكهف وأمثاله ملجأ للمسيحيين الذين
كانوا يفرون من الاضطهاد في مبدأ انتشار
النصرانية على عهد الملوك الوثنيين .

أما لم سمي هذا اصطبل عنتر فلم أف
عليه . ولعله مجرد وهم وتخريف كما سموا مصطبة
عالية في حى الخضيرى ، بمصطبة فرعون .
ويقصده بعض الناس أحياناً هو وأمثاله من
الكهوف لاصطياد العقارب ، لأن بها
عقارب كثيرة ، وبعضها يكون فيه فص

أو شعور أو قطعة من منديل ، ويعتقدون في
الأضرحة ويتبركون بالحمل .

ومما يقدس أيضاً في مصر شجرة الحنفي
وشجرة العذراء في المطرية وشجرة الشراكسة
ونحوها ، ويقدمون أيضاً الخبز فيحرمون
المشى عليه ويلتقطونه من الطريق ليضعوه
بجانب الحائط .

ويقولون أستغفر الله العظيم . كما يقدسون
الورقة المكتوبة ولو كانت قطعة من جريدة
لعل فيها آية من القرآن أو اسماً من أسماء الله
إلى غير ذلك ...

أصحاب العاهات

الاعتقاد الشائع أن أصحاب العاهات
جبارون ، أخذاً من قولهم : كل ذى عاهة
جبار ، وذلك كالأعمى والأعرج . ويظهر أن
ذلك طبيعى ، لأن الطبيعة تريد أن تعوض
النقص فصاحب العاهة إذا رأى نقصاً فيه
اشرب إلى القوة ليستر نقصه ، فكان جباراً
ليُتحدث عن جبروته فيستر آفته .

وقد اشتهر بعض أصحاب العاهات ببعض
الحرف . فقد رأيت مثلاً أن السقائين عموماً في
الواحات الخارجة عميان . ويسرون فرقاً فرقاً .
وكثيراً من العرج يبيعون الجراند والمجلات

الأعراب

يسكن مصر ، وبالأخص على تخومها قوم من البدو ، يسمون الأعراب . وقد كانت سيرتهم في الزمان الأول سيرة غير حميدة لاشتهارهم بالسلب والنهب ، وتلك عادة قديمة . حتى ذكرها ابن خلدون في مقدمته ، ووصفهم فيها أوصافاً كثيرة .

واستمر شيء من هذا الحال إلى يومنا هذا . فالأطيان التي يسكنها بدو أو حولها بدو تكون ضعيفة الثمن والإيجار لأن البدو يهبون محاصيلها ، وإذا استأجروا لا يدفعون إيجارها . ولهم مع ذلك فضائل من كرم وبساطة عيش . وكان عددهم كبيراً أيام الحملة الفرنسية ، فقد بلغ أيامها نحو مائة ألف نفس تقريباً . منها ثمانية عشر ألفاً إلى عشرين ألفاً فوارس . وهم يحبون الصحراء ، ولا يسرون من سكنى الحضر ، لأنهم كما يقولون يفقدون فيها خشوتهم وبساطتهم وشجاعتهم ، وتضعف فيها عصبيتهم ، وهم يتأثرون بالعواطف أكثر من تأثرهم بالعقل ، ويعشقون الحرية والاستقلال ، ويعتزون بنسبهم ، ولا يخضعون لنظام . وإذا خاطبوا أميراً خاطبوه بجرأة . وإذا جد الجدا كتفوا بالقليل من لبن النياق أو بعض التمر . كما اشتهرت نساؤهم بالشجاعة (٤ — معجم)

بقدر الحصة ، مادته عظيمة ، فإذا عثر على عقربة بها فص من هذا اصطيدت العقربة ونزع منها هذا الفص ويعتقدون أنه نافع للدغة العقرب .

وطريقة صيد العقارب أن يلبس الصائد ثوباً مخصوصاً لهذا الغرض مصنوعاً من الجلد قطعة واحدة ، يلبسه من الصدر ، ومع الصائد عصا في طرفها قطعة حديد محددة ولها رأس كرأس السنارة يدخلها الصائد في العقرب ، ويخرج بها في النور فإذا وجد في ظهرها هذا الفص استخرجه في الحال بملقاط من حديد قبل أن تموت ، وقل أن يوجد هذا الفص لأنه نادر والعقارب في هذه الكهوف كثيرة جداً وقد شهد كثيرون ومنهم أطباء بنفع هذا الفص في لدغة العقرب ، فمن لدغته عقرب دهن من هذا الفص عقب لدغته وربط جيداً فيقف سمها في مكانه ويتجمد حتى يصير كتلة واحدة ولا يسرى في الجسم . وبعد أربع وعشرين ساعة يفك الرباط ويشترط المكان المتجمد فيه السم فيبرأ المريض .

وبالجمال . وفي ذلك يقول المتنبي :

حُسْنُ الحِصَارَةِ مَجْلُوبٌ بِنَظَرِيَّةِ

وفي البداوة حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ

ويقيم البدو عادة في الخيام ، وهي تصنع من الأوبار السوداء أو السمراء أو من جلود المعز ، وتمتاز خيمة الرئيس ببياضها . ويقسمون الخيام عادة إلى قسمين ، قسم للنساء وقسم للرجال . وقد اقتسموا الصحراء المصرية لكل قبيلة نصيب منها ، وكثيراً ما يختلفون فيتحاربون . ولا يزالون يحبون من الرجل أن يكون فصيحاً ، ويحبون التشبيهات في الكلام ، وتقل بينهم الأمراض لاستنشاقهم هواء الصحراء ، واعتيادهم الرياضات البدنية ومن هؤلاء التراجمة والأدلاء وهم قوم أصلهم من هؤلاء القبائل ، تعلموا اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وهم يلزمون السياح إذا حضروا إلى مصر في الشتاء ويعرفون مسالك الصحراء . ولهم صدق نظر في تقدير المسافات ومعرفة جهة الماء ، ومنهم مع الأسف قطاع طريق ومهربو حشيش وإن كان قد قل ذلك اليوم . ومع الأسف أيضاً قد انتفع بهم الإنكليز في ثورة عرابي ، فاستهروهم بالمال حتى أعانوهم بكل ما يستطيعون . والحكومة تحاول من عهد

محمد على كسر شوكتهم وتقليم أظفارهم وتحضيرهم . حتى أن محمد على في أحد حروبهِ مع الأعراب اشترط في الصلح معهم أن يسكن كبار زعمائهم وشيوخهم مدينة القاهرة ليكونوا رهنًا عنده على طاعتهم .

وقد أراد على بك أحد أمراء المماليك في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أن يبيدوهم ولكن كانت هذه سياسة خاطئة ، فمن الخير الانتفاع بهم والاحتفاظ بشجاعتهم وصد عدوانهم . ومن الأمثال المشهورة على لسان المصريين « ظلم الترك ولا عدل العرب » ، وهذا يدل على أن ما لقيه المصريون من هؤلاء البدو أسوأ مما لقوه على يد الأتراك مع شدتهم .

أفندي

لقب كان يطلق على الحكام الذين يلبسون الطربوش والبدلة ، فإذا كان يلبس جلباباً وطربوشاً قالوا إنه أفندي بظرميط ، ومعنى بظرميط أنه ملخبط ، فهو أفندي للبدسه الطربوش ، وابن بلد للبدسه الجلباب ؛ وكذلك يسمون الولد يأتي من أبوين أحدهما مصري والآخر سوداني بظرميط ، ويسمون أيضاً الفراخ التي تأتي من ديك هندي وفرخة

الأقباط

الأقباط هم العنصر المصرى الأصيل ، وهم الذين يصح أن يقال حقاً ، إنهم من قدماء المصريين ، وهم عنصر له صفات خاصة أظهرها الانكماش والوجوم والحزن . وربما كان سبب ذلك ما عوملوا به في أيام اليونان والرومان والعرب من العنف ؛ ومن قديم شهررو بالحساب وإدارة الأموال خصوصاً حساب الفدان ، ولما تمكنوا من هذه المناصب ومن المال مالوا إلى الأخذ بالتأثر من جراء ما لحق بهم من المظالم والاضطهاد وخصوصاً لما عهد إليهم مساحة الأراضي ، فاعتبروا أنفسهم أصحاب مصر الشرعيين وسادتها الحقيقيين ، وأن المسلمين في نظرهم كانوا فاتحين غاصبين . ويستريح كثير من المسلمين المصريين إلى استخدامهم في الأعمال الحسائية لاشتهارهم بالطاعة ، ويلبسون كما يلبس المسلمون سواء في المدن أو في الريف ، وهم أميل إلى اللون الأسود أو الأزرق

وهم من أكثر الناس تحمسا لدينهم ، وذهابهم للكنيسة ، ويهتمون بالحج إلى بيت المقدس اهتمام المسلمين بالحج إلى الكعبة ، ورجال الدين منهم يلبسون فرجية سوداء تشبه فرجية العلماء المسلمين ، ولهم

بلدية أو بالعكس بظرميط ، ويقولون « بلاش بظرمة » . أى كلام فارغ .

وأصل اسم الأفندى كان محصوراً في العائلة المالكة في الآستانة ، يقابل برنس الأفرنجية . وكان يطلق على السيدة المحترمة أم الأفندى . والآن برطشت الكلمة فصارت تطلق حتى على الفراشين الذين يلبسون البدلة ويخدمون في الأفراح والمآتم ، تمييزاً لهم عن الفراشين ذوى العم .

الآفيون

يستعمل أحياناً للتدخين في مصر . وهو يناسب من غلب عليه السكون والميل إلى التأمل . وأحياناً يخلطونه بغيره ويسمى المنزول .

ويستعمله غالباً من يريد التخذ عند اتصالهم الجنسى ... وهو محرم وهو عادة فاشية في بعض العوام وقع في أضرارها كثير من الناس ، وهو يخدر الأعصاب ويدير الدماغ ويثقل اللسان حتى ليعرف الشخص من كلامه وحركاته بأنه آفيونجى ، ومن يستعمله يسمى آفيونجيا .

أقدام وأعتاب ونواص

يقصدون أن التفاؤل والتشاؤم يكونان في هذه الأمور الثلاثة . الأقدام وهي الدواب والأعتاب وهي مدخل المساكن والنواصي وهي الخيل ويعنون أن هذه الأمور الثلاثة إما مبخخة وتكون مصدر سعد ، وإما منحوسة وتكون مصدر شقاء . ويعتقدون أن الدابة إذا كثرت من هز رأسها وهي مر بوطه ، فتلك علامة على قرب موت صاحبها ، والدابة التي تكون شفتها السفلى أطول من العليا دليل الخير والبركة . ويعتقدون أيضاً أن اللون الأحمر القاتم في الدابة دليل الحزن ، واللون الأبيض الذي يخالطه شعر أسود دليل القوة والنشاط . وإذا كان الشعر الأسود في بعض الجسم فقط فهو أحسن ما يختار ، ويسمونه القروشى .

وأما المسكن فالباب الذي يفتح إلى الشمال دليل السعادة والخير ، والباب الذي يفتح إلى الغرب دليل السيادة والرياسة ، والباب الذي يفتح إلى الشرق دليل الصحة والعافية والذي يفتح إلى الجنوب دليل الفقر والعوز وسوء المصير .

وكثير من الناس يتوهمون الخير أو الشر في البيوت لجرد حادثة حدثت لأول مرة ، مصادفة إن خيراً وإن شراً ...

عمامة خاصة سوداء ، ولا يتزوجون إلا من أنفسهم ، بينما قليل من المسلمين يتزوجون منهم وهم يحتقرون المرأة إذا عقت ، ويجهلون اليوم لغتهم القديمة . وقد كثروا في الوظائف ومهروا في صياغة الخلى . وفي الفيوم يستقطرون ماء الورد ، وفي أسيوط ينسجون السكتان ، وهم مع ذلك يشاركون في الأعمال الأخرى التي يزاوها المصريون ؛ ومن الأسف أن أقيم مؤتمر اتسعت فيه هوة الخلاف بين المسلمين والأقباط وألقيت الخطب تمجد الأقباط ، وتندد بالمسلمين ، وسمى « مؤتمر الأقباط »

فرد عليهم المسلمون في مؤتمر آخر رأسه مصطفى باشا رياض ؛ ولكن تدارك الله هذه الحركة بالتوفيق بين المسلمين والأقباط في الثورة المصرية ؛ فكنت ترى في العربة الواحدة أو في الشوارع علماً مسلماً وقسيساً وهما يتعانقان ، واشترك في الحركة الوطنية المسلمون والأقباط على السواء

وقد اعتادت الوزارات المصرية أن يكون أحد وزرائها قبطياً على الأقل ، ومن عهد أن قتل بطرس باشا غالى وكان قبطياً ورئيس وزارة مال أولو الأمر إلى أن يكون رئيس الوزارة مسلماً إلا في القليل النادر

الأكل

من القمح وعند الريفيين الخبز من الذرة وقد يضعون عليها الحلبة .

ومما مهروا فيه شواء اللحم . وقد يشون خروفاً بأكله ، ولذلك شهروا بصنع الكباب وهو عبارة عن قطع صغيرة من اللحم توضع في أسياخ صغيرة . واشتهر صانعها باسم «الحاتى» ويبتدىء المصريون الأكل بالشوربة ثم يصنوف للحموم والطيور وحدها أو مع الخضر .

ثم بالأرز ويطهونه بالزبدة أو بعصير اللحم أو بهما معاً ، وأحياناً يكون حشواً بورق العنب أو نحو ذلك وأحياناً يخلطونه باللحم المفروم وهم يكثرون أيضاً من الفطائر محشوة بالجبن أو اللحم المفروم أو مسقية بالشربات . ومن أطباقهم التي يعتزون بها «السكنافة» والقطائف والبقول المدمس . وهم لا يهتمون كثيراً بما يفتح الشهية قبل الأكل ويسميه الأفرنجية (الأوردوف) وإن كانوا يكثرون من السلطات المختلفة كسلطة الطحينية والقوطة واللبن والخيار المخلل . ويحتمون الطعام عادة بالحلويات كالفطائر الحلوة والمهلبية ونحوها ، ثم بالقواكه في مواسمها كالبطيخ والخوخ والمشمش والعنب والبلح والموز .

وهم يأكلون الأصناف تباعاً ولا يقدمونها دفعة واحدة ، وكلما يستعملون قائمة الطعام قبل الأكل ، وإنما يأكلون حسب ما قدم

اعتاد المصريون أن يتناولوا كثيراً من أنواع الأطعمة . وسكان المدن منهم يكثرون من أكل اللحوم وخاصة اللحم الضأن ، وخاصة في عيد الأضحى ؛ أما القرويون فيأكلون لحم الجاموس ولحم البقر ولحم الجمل إذا تيسر لهم .

والفقراء منهم لا يأكلون لحماً . وقد يبلغ الفقر ببعضهم ألا يأكلوا لحماً إلا في العيد الكبير . وهم لا يأكلون لحم الخنزير لتحريمه ويأكلون الطيور الداكنة كالقراخ والحمام ويأكلون السمك واللبن والبيض . وهم ينوعون الخضارات - فيأكلون الخبازى والقلقاس والبامية والملوخية والباذنجان والطماطم والقرع والكرنب والفاصوليا ، كما يأكلون البقول كالعدس والبقول والترمس والبصل . وانتشر بينهم في الأيام الأخيرة أكل البطاطس تقليداً للأوروبيين . وهم يطهون الأطعمة بالزبدة والمسلى والزيت . وهم يختصون بكثرة البهارات كالفلقل والشطة والقرفة والقرنفل ، ويكثرون من الليمون وعصره على الأطعمة وخصوصاً البامية والباذنجان . وأساس الغذاء عند المدنيين الخبز

أوزانهم ولو لم يكن معروفاً أنه سيحضر ثم اندثرت هذه العادة . وأخيراً انتشرت فيهم عادة عمل البوفيه ، وهو طعام مختلف الأنواع من لحم وفاكهة وحلوى ، يدعون إليه الضيوف ثم يتركونهم وشأنهم يأكلون حسبما تيسر لهم .

أكل النار

هي عادة منتشرة بين بعض الصوفية فيدعون أنهم يستطيعون أكل النار من غير أن يصيبهم أذى ويدعون أيضاً أن الولي الذي ينتسبون إليه يحول بينهم وبين الأذى من أكل النار ، مع أنه قد يكون السبب في عدم الأذى استخدام مواد كيمياوية تمنع أثر النار حتى لتخلط بعجينة الورق فتمنعه من الاحتراق ، ومثل ذلك أكل الزجاج ونحوه .

الألعاب

للمصريين ألعاب كثيرة بعضها عام كالنرد والشطرنج والدومينو ، وبعضها خاص مثل ما يلعبه الأطفال من السكورة وهي على غير النمط الأفريقي المعروف إذ يكببون كيساً ويضعون حجراً يسمونه الميس ، ويلعبون ألعاباً مختلفة كل لعبة ثلاث مرات حتى يأتوا على آخرها . ومثل الاستغماية وهي أن

لهم مع جهلهم بما يأتي . وكانوا في القديم يأكلون بأيديهم ، ولذلك يجتهدون في غسلها قبل الأكل وبعده ، فلما انتشرت المدنية الحديثة أكلوا بالشوكة والملقحة والسكين . وهم يستحسنون الحديث على الأكل حتى تطول مدته وتكثر لذته .

وكان الأكل في أيامنا الأولى مرتين مرة عند الضحى ومرة عقب صلاة العصر ثم تغيرت هذه الحالة في الأيام الأخيرة ، فأكلوا صباحاً أكلاً خفيفاً من جبن وزيتون ولبن وقهوة ثم أكلوا ظهراً ثم أكلوا عشاء . وإذا بدؤوا الأكل قالوا « بسم الله الرحمن الرحيم » وإذا ختموه قالوا « الحمد لله رب العالمين » . وكان الفقراء ومتوسطو الحال يجلسون إذا أكلوا على السجاد أو البساط وأمامهم الطبلية المستديرة ، ثم أدخلوا نظام المائدة المرتفعة يأكلون عليها .

ومن عادات المصريين أن يكثرُوا من الحلف على الضيف أن يأكل ولو تظاهرا حتى يحتم . وأن يكثرُوا من ألوان الطعام ويمتدحونها علامة كرم ولو لم يأكل .

وفي الأفراح يقام الناس حسب مراتبهم ويجلسونهم على المائدة ولو لم يكونوا متعارفين من قبل فتكون أكلة ثقيلة . وبعض الأغنياء يقيمون للموائد ظهراً وعشاء لكل قادم عليهم

ومن الألعاب المعروفة لعبة الحماوى فيزمر
الحماوى زمارة إذا أراد اللعب فيأتى المتفرجون
من الأطفال والرجال والنساء يتحلقون حوله
وفى كل لعبة يجمع ما جاد به المتفرجون .
وهى ألعاب متنوعة كأن يفرس الحماوى فى
جسمه نصلاً أو رمحا ، وفى الواقع أنه لا يفرسه
فى جسمه وإنما يغيب فى قرابه ، ومثل الأكواب
التي يحولون فيها البيض إلى كتا كيت
ويصبغون الأوراق البيضاء بألوان مختلفة ،
ولعبة إخفاء النقود و بلع النار و بلع شلات
من الصوف الخام ثم يخرجونها منسوجة ،
وهم ينصبون هذه النصبه عادة فى المواسم
والأعياد . وقد يجتمع اللاعب فيمثلون رواية
هزلية أو يلاعبون قرداً فيعلمونه حركات
مختلفة يأتى بها كالعجوز إذا عجنت والسكران
إذا مشى والشايب لما يدلح ، ونحو ذلك .

وقد قرأت قديماً أن رجلاً كان يلاعب
القرود فى الدولة العباسية فيقول صاحب القرد
للقرد : هل تود أن تكون تاجراً ؟ فيهرز رأسه
أن نعم وصانعاً فكذلك . ثم يسأله : هل
تريد أن تكون وزيراً ؟ فيشير لا ،
لما كان عليه الخلفاء مع الوزراء من قتل
ومصادرة .

يحتبى* أحد الأطفال ليمحث الآخرون عنه
ومثل الكبة وهى حجارة صغيرة يلاعبونها على
أشكال مختلفة ومثل الطاب إلى غير ذلك .
ومن الألعاب الألعاب الرياضية وكانوا
يلعبونها قبل تعودهم الرياضة البدنية الأفرنجية
مثل المصارعة فيتعجرون من ثيابهم إلا ماستر
عورتهم ويتعرون من نصف أبدانهم
ويتصارعون كل اثنين مع بعضهما حتى
يغلب أحدهما . وأحياناً يلبس المصارعون
لباس جلد نصفيا ويسكون بأيديهم ما يسمى
بالزخه من الجلد ، وكانت الزفات قديماً تشتمل
على المصارعين يمشون أمام الزفة . ومن أشرف
أنواع الرياضة ركوب الخيل وهى أثر من
آثار عهد الفروسية . والمتفننون منهم يقومون
بحركات كثيرة عليها .

وربما كان للمهالك أثر كبير فيها
لتمرينهم عليها . وقد خلف ذلك البرجاس
وهو أيضاً معروف فى مصر وهى لعبة مؤداها
أن يركض فارسان من جانبين مختلفين
حتى إذا التقيا قذف أحد الفارسين الآخر
بأقصى ما فى ساعده من القوة والشدة بعضا
من جريد النخل ، وقد يحدث به جرحا
بليغاً . وقد يموت . ومهارة اللاعب أن يتقى
وقع هذه العصا عليه .

ألف ليلة وليلة

كتاب قصص مشهور ، مرت عليه مئات السنين . ولم يعرف المصريون قيمته حتى تنبه إليه المستشرقون فترجموه إلى لغاتهم واستوحوه وقلدوه ، فقلدهم العرب وأخذوا يقومونه . وأكثر قصصه مبنى على كيد النساء والإيمان بالقضاء والقدر ، والإيمان بالحظ . وقد ألف في أزمنة مختلفة وأصله فارسي ، والعامية تسهر به في البيوت والقهاوى . وقد أحسوا بما ينتج عن العكوف عليه من الكسل فنسبوا إليه الشؤم وقالوا إن قراءة الكتاب كله على ليال متوالية في بيت أو قهوة لا بد أن تنتهى بحدوث مؤلم خصوصاً خراب البيت أو القهوة . وبما يدل على تأليفه في عصور مختلفة وزيادة النسخ فيه أن في بعض نسخه ذكر القهوة من البن ولم يعم استعمالها إلا في سنة ١٥٠٠ م ، وكذلك ذكر التبغ ولم يعرف استعماله إلا بعد اكتشاف أمريكا . وهو يفيد الأطفال والسيدات عند قراءته في البيوت للتسلية وتوسيع الخيال ولذة القصص . ويشبهه في ذلك قصة أبي زيد والظاهر بيبرس وأمثالها .

اللى

يستعمل المصريون كلمة « اللى » اسم موصول ويكتفون بها عن كل اسم موصول آخر فهى للفرد المذكر والمفرد المؤنث والمثنى المؤنث وجمع الذكور وجمع الإناث والعاقل وغير العاقل . فلو عقدنا باباً لاسم الموصول فى اللغة العامية لم نجد غير « اللى » . وقد كثر استعمال هذه الكلمة فى اللغة المصرية وكثر ورود الأمثال التى بدئت بها . ولنقص عليك طرفاً منها ، من ذلك قولهم :

« اللى أوله شرط آخره نور » .

يقال للحض على حصول الاتفاق قبل البدء فى العمل حتى لا يحصل خلاف بعد .

« اللى أكل لحمها يا كل عضمتها »

يقال بمعنى أن من له فائدة الشيء عليه أن يتحمل متاعبه . ومثل ذلك قول أهل الجزائر :

« اللى يجلب الغنم عليه يسرحها » .

« اللى اختشوا ماتوا »

يقال للدلالة على فساد الزمان وأنه لم يبق من الناس إلا من قل حياؤه .

« اللى تزرعه بإيدك تحصده بإيدك »

يعنون أن نتيجة عملك من جنس عملك

إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وهذا المعنى

كثير الاستعمال ، من ذلك قول الشاعر :

وملكت وتطمع فيما منعت كما قال الشاعر :

« أحب شيء إلى الإنسان ما منعا »

« اللي تغلب به العب به » .

يقال للحض على استعمال وسائل الغلبة

أيًا كانت شريفة أو غير شريفة .

« اللي حظيته في الطاقة تلقاه في الطاقة »

أى ما ادخرته ينفعلك يوم محتاج إليه

فإن لم تدخر لم تجد .

« اللي عاوز يسرق جمل يحضر له كامة »

أى من أراد شيئاً وجب أن يعد له عدته

ومثل ذلك قول أهل الجزائر « اللي عاوز

يسرق صومعة يحضر لها بير » .

« اللي فלוسه حرام يعرف باب المحكمة »

يمثل عقيدة الناس في الحاكم والتقاضي

وأن الدخول في القضايا يقرر . الخ . الخ .

الألوان

تختلف الأمم اختلافاً كبيراً في الألوان

من حيث التفاؤل والتشاؤم منها ومن حيث

حبها أو بغضها ومن حيث استعمالها في

المناسبات وفي المواقف الرسمية ونحو ذلك .

فقد اعتاد أكثر الناس (مثلاً) لبس

السواد عند الحزن . وقد ذكروا أن أهل

الأندلس كانوا يتخذون البياض لباس الحزن

وفي ذلك يقول الشاعر :

كل امرئ - ياعمرؤ - حاصدُ زرعه

والزرع شيء لا محالة يحصد

وقوله :

من يزرع الشر يحصد في عواقبه

ندامة ، ولحصد الزرع إبان

« اللي تسكر به افطر به »

يقال تبكيتاً للرجل ينفق ماله في الترف

والفخفة وما يضر ، على أنه محتاج إلى ما هو

ضرورى .

« اللي تصاحبه ما تقابحه »

يقال للحث على حسن السلوك مع من

تكون الضرورة داعية إلى معاشرته كجار

في المسكن أو شريك في العمل أو نحو ذلك

« اللي تشوفه راكب على عصا قول له

مبارك الحصان » .

يراد به مجازاة كل إنسان على قدر عقله

ومسايرة كل أحد على هواه .

« اللي تجمعهم النملة في سنة يأخذهم الجمل

في خفه » .

يضرب للفقير المقتصد قليلاً قليلاً ثم

يأتى عليه من يذهب بما يقتصده دفعة واحدة

كغنى ظالم يسلبه ماله أو ابن مسرف يبذر

ما جمعه أبوه في الزمن القصير .

« اللي تملكه اليد تزهده النفس »

يقال للدلالة على أن النفس تزهد ما ألقت

تشاؤمهم بالأسود ولبسهم السواد في الحزن
يعجبون بسواد العيون وسواد الشعر، وإن
كان منهم من يميل إلى العيون الزرق أو
الخضر والشعر الأشقر ولكن الغالب حب
السواد فيهما — وهذا طبيعي ومعقول لأن
لون بشرتهم يغلب عليه السمرة والأنسب
للسمرة سواد العين وسواد الشعر حتى يكون
هناك انسجام في الألوان يرتاح إليه النظر
ولذلك كان بغيضاً عند أهل الذوق من
المصريين أن يروا فتاة سمراء قد صفرت
شعرها بالأوكسجين .

والمصريون يقولون « قلبه أسود »

كناية عن أن قلبه مملوء بالحقد والحسد وفي
عكسه يقولون « قلبه أبيض » أي صريح
لا غش فيه . والعرب تستعمل في مكان
«أسود القلب» أسود الكبد . قال الشاعر :

فما جشمت من إتيان قوم

هم الأعداء فالأكباد سود

وتقول العرب سوידاء القاب أي حبته
ويقولون « رميته فأصبت سواد قلبه » أي
القاب نفسه . وكثيرا ما يصفرون سواداء
فيقولون سويداء ويقولون أصابه في سويدائه .

وكان أهل المدينة يطلقون على الحرة

(وهي المكان الذي علا سطحه حجارة

يقولون البياض لباس حزن

بأندلس فقلت من الصواب

ألم ترى لبست بياض شيبى

لأنى قد حزنت على الشباب

والمصريون عادة يتفاءلون بالأخضر

والأبيض ويتشاءمون من الأسود والأزرق

فترام يقولون « نهارك أسود أو أزرق » إذا

أرادوا التعبير عن يوم مملوء بالشر ، وفي عكس

ذلك يقولون « نهارك أبيض » أي مملوء

بالخير . وقد يكونون عن البركة بشيء شديد

البياض فيقولون « نهارك لبن أو نهارك

زى الفل »

ومن تشاؤمهم من الأسود أيضاً أنهم

ينادون الرجل الأسود بقولهم « يا أبيض »

تفاؤلاً ونفوراً من السواد .

ومن تفاؤلم بالأخضر تسميتهم « العتبة

الخضراء » .

ويغلب على أهل الوقار والرزانة والمتقدمين

في السن والطبقة الأرستقراطية ومن يحذو

حذوهم لبس البدل السوداء أو القريبة من

السواد لأنها تبعث الوقار والهيبية ، فهي في ذلك

أشبهه بلباس الحزن بجماع الرزانة والوقار

في كل .

والعرب خاصة والشرقيون عامة — مع

الخضرة ، والزرع عماد حياتهم ، ولذلك قد يسمون اللون الأزرق أحياناً أخضر ويطلقون الأخضر على كل شيء رطب ندى ، فيسمون الثوب المبلول الذي لم يجف أخضر والأرض إذا كانت مرشوشة خضراء . ويظهر لي أن هذا الاستعمال الأخير تحريف عن الأخضر باللام لا بالراء ، فالعرب تقول خضل الشيء أى ندى ، والشيء أخضل أى ندى مبتل ، ومنه قولهم « عيش خضل » أى طيب ناعم وشباب خضل أى ناعم مترف ، ومنه قول الطويراني في لاميته :

نعم الألى علمونا من مكارمهم

غمر الخضال وصانونا عن الخطل

سرنا على إثرهم في كل ناحية

سير النسيم على ذى نضرة خضل

فجاء العامة وحرفوا اللام راء وسموا

الشيء الرطب أخضر بدل أخضل . وقد

يجوز أن يكون هذا الوصف من الخضرة

أيضاً ، لأن العرب استعملت الخضرة وصفاً

للفض الناعم .

ومما يدل على تفاؤل المصريين بالخضرة

قولهم « ربنا يجعل قدمك علينا صلق أخضر »

لأن الصلق لطيف الخضرة ، فهم يتمنون أن

يكون قدمه أو أثره أخضر حسن العاقبة .

سوداء كأنها شيطت بالنار) وعلى الليل
الأسودين ، ومنه حديث عائشة رضی الله عنها
« لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالنا طعام الا الأسودان » وقد فسره بعضهم
بالتمر والماء ، ولكن التفسير الصحيح أنهما
الحرّة والليل لأنها أرادت أن تبالغ في شدة
الجال وأن ليس معها إلا الحرّة والليل .

والعرب أيضاً تسمى شخص كل شيء

سواداً فسواد الإنسان متاعه والسواد الأعظم

العدد الكثير من الناس . وقال بعضهم « إنما

السودد في السواد » أى أن السيادة الحقّة

أن يكون الشخص سيّداً عند عامة الناس

لا عند خاصتهم لأن الخاصة عدد قليل والسيادة

فيهم محدودة المدى بخلاف السيادة على العامة .

والمصريون يكتنون عن الإنسان أحياناً

بأسود الشعر ، ومن الأمثال في ذلك « أسود

الرأس ما تأمن له » أى لا تأمن شر الإنسان

وفي أمثالهم أيضاً وهو يوضح المثل السابق

« ربي أسود الرأس يقلعك » و « ربي أزون

للمال ينفعك » والمراد بأزون المال أقل حيوان

كالكلب والقط ، أى أن إسداء الخير للإنسان

يعود بالوبال على من أحسن إليه وخير من

ذلك الإحسان إلى أحقر الحيوان .

ولون الخضرة محبوب عند المصريين

يتفاءلون به ، لأن أكثر لون المزرعات

غامق وأحمر غامق وأحمر فاتح وأخضر غامق
وأخضر فاتح . وهم يرتبون الأزرق رتبا فإذا
كان زاهياً قالوا أزرق صيني ولعله تشبيه
بالوان الأطباق والفناجين لأنها تسمى كلها
« صيني » فإذا كان أفتح من ذلك قالوا
« صافي » كلون الجلابيب التي يلبسها العامة
فإذا كان أفتح من ذلك قالوا « سماوي » أي
كلون السماء فإذا كان أفتح من ذلك قالوا
« لبني » أي كلون اللبن لأن في لونه زرقة
خفيفة .

وأحياناً يقولون « أحمر انجليزي » إذا كان
شديد الحمرة كلون لباسهم الذي كانوا يلبسونه
من أعوام ، فإنه كان شديد الحمرة . ويقولون
أخضر غامق فإذا كان أفتح من ذلك قالوا
أخضر زرعى أي كلون الزرع ، فإذا كان أفتح
من ذلك قالوا أخضر فستقي أي كلون الفستق .
وقد اتخذ العباسيون السواد شعار الدولة
الرسمى ولذلك غلا في أيامهم شعر الثياب
السود . وكان شعار الثوار البيضاء فيقولون
« إن جماعة خرجوا عليهم وبيضوا » واشتهر
على لسانهم اللون الأصفر ، وقالوا في ذلك كثيراً .
وقد شرحنا هذا في كتابنا فيض الخاطر .
والله أعلم

ولعل هذا كان من الأسباب في اختيار العلم
المصرى أخضر لأنه من جهة يدل على أن
الأرض المصرية زراعية عمادها الاقتصادى
الزراعة ، ومن جهة أخرى يدل على التفاؤل
بهذا اللون الجميل .

والعرب كالمصريين لم يستعملوا الألوان
بدقة فخلطوا بين الأسود والأزرق والأخضر
فسموا مثلاً السماء خضراء مع أنها زرقاء ، ففي
الحديث « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء
أصدق لهجة من أبي ذر » ، فالخضراء السماء
والغبراء الأرض ، وسموا سمرة الجلدة خضرة
فقال شاعرهم :

« أخضر الجلدة في بيت العرب »

وسموا السكتيبة خضراء إذا كان رجالها
يلبسون الدروع السوداء . وفي الحديث « إن
الحارث بن الحكم تزوج امرأة فراها خضراء »
فطلقها أي سوداء . وقالوا في عكس ذلك
« سواد العراق » وهو أرضه الخصبة التي
تكثر فيها الأشجار الخضراء والزرع الخضراء
وهكذا خلطوا بين الأسود والأخضر
والأزرق .

والمصريون يعبرون عن اللون إذا اشتد
بأنه غامق وإذا خف بأنه فاتح ، فيقولون أسود

الأمثال

الأمثال نوع من أنواع الأدب ، يمتاز
بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه
وجودة الكناية .

ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم . ومزية
الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب ،
وليست في ذلك كالشعر والنثر الفني فإنهما
لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية
في الأدب .

فالعجائز في البيوت تؤلف الأمثال وطبقة
الفلاحين يذبح منها أمثال وكذلك طبقات
الصناع والتجار وغيرهم .

وأمثال كل أمة مصدر هام جداً للمؤرخ
والأخلاقى والاجتماعى يستطيعون منها أن
يعرفوا كثيراً من أخلاق الأمة وعاداتها
وعقليتها ونظرتها إلى الحياة . لأن الأمثال
عادة وليدة البيئة التى نشأت عنها ، فالعربى
البدوى فى الصحراء نجد أمثاله مشتقة من
عيشته من جمال وخيام وأرض وجذب
وخصب ومطر ونحو ذلك والذين يسكنون
السواحل يشتمقون أمثالهم من البحر والسفن
والصيد والسلك ونحو ذلك .

كما نستطيع أن نفهم من الأمثال مبلغ
إدراك الأمة للأشياء وما تثيره فى أنفسهم
من معان ، ومبلغ ذوقهم فى التشبيه واقتدارهم

على انتزاع وجوه الشبه بين المشبه والمشبه به
كما أنها تدل على ما يستحسنه الشعب
وما يستقبجه أو على الأقل ما تستحسنه الطبقة
التى نبع منها المثل وما تستقبجه ، فيستطيع
الباحث فى أمثال أمة أن يعرف ما الذى
تكبره وما الذى يحبه وما الذى تكبره
وما الذى تحقره ، كما يستطيع أن يعرف منها
مقدار تقديرها للأخلاق من كرم وبخل
واققتصاد وإسراف وخيانة وأمانة وغدر ووفاء
وحرية وعبودية .

كما يستطيع أن يعرف منها مقدار تدينها
وعدم تدينها . وما هى الروابط التى بين
الشخص وبين أسرته وبينه وبين أصدقائه
وبينه وبين أمته الخ . . .

فإذا جمعنا - مثلاً - الأمثال المصرية
التى قيلت فى المرأة أمكننا أن نعرف منها
نظرتهم إلى المرأة ، وإذا جمعنا الأمثال التى
قيلت فى الحاكم أمكننا أن نعرف نظرهم إلى
الحاكم ، وإذا جمعنا الأمثال المالية أمكننا
أن نعرف منها نظرتهم الاقتصادية وهكذا .

ولكن يعترض الباحث فى الأمثال
صعوبات كثيرة منها : أن الأمثال لا يعرف
قائلها حتى نستطيع أن نعرف من أى وسط
نبعت ، هل قائلها ريفى أو حضرى وهل قائلها
سوقى أو أرستقراطى ؟ والناس - عادة -

كما أن بعض الأمثال يدل على نوع الوسط الذي نبعت منه مثل « النوتى فى حساب والرپس فى حساب » فإنه يدل على أنه نبع من وسط المراكية ، ومثل قولهم « إيش عرف الفلاح بأكل التفاح » فإنه يدل على أنه نبع من وسط الحضريين ، ومثل قولهم « اللى مالوش شيخ شيخه الشيطان » فإنه يدل على أنه نبع من وسط مشايخ الطرق وهكذا ولكن هذا قليل . وأكثر الأمثال لا يعرف قائلها ولا تاريخها ولا منبعها .

ومما يفيد الباحث فى الأمثال مقارنة أمثال الأمم بعضها ببعض كالموازنة بين أمثال الإنجليز والفرنسيين والألمان والمصريين والشاميين والمغاربة ونحو ذلك . وهذه المقارنات تدل على أن بعض الأمثال يكاد يكون عاماً بين الأمم وهو ما اتصل بالإنسان كإنسان وما اشترك فيه الناس من تجارب الحياة مثل تقدير المال ووجوب التدبير ومثل (معظم النار من مستصغر الشرر) ومثل (إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب) ومثل القول بأن الورد يظهر بين أشواك ونحو ذلك من المعانى التى تكاد تتفق فيها الأمم لأنها نتيجة تجارب مشتركة أدت إلى نتائج متحدة .

وهناك - على العكس - من ذلك -

يهتمون بقائل الشعر ، فكثير من الشعر يمكننا معرفة قائله ، أما المثل فلا ؛ فقد تقوله عجوز فى بيتها أو فلاحه فى حقلها أو صانع فى مصنعه ثم يسير القول فى الناس من غير اهتمام بقائله كما أنه من الصعب تحديد تاريخ المثل فى أى عصر قيل . وقد يكون هذا هاماً جداً لأننا كثيراً ما نجد أمثالا متضاربة ، فهم يقولون - مثلاً - « القرش الأبيض ينفعك فى اليوم الأسود » ويقولون « اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب » فهذان مثلان متناقضان ينصح أولهما بالتدبير والثانى بالتبذير ، فهل نبعا من وسطين مختلفين أو قايلا فى وقتين أو حالين مختلفين . ومثل قولهم « ابن الوز عوام » وقولهم « باب النجار مخلع » فيبين هذين المثلين شبه تناقض .

نعم إن بعض الأمثال يمكن معرفة تاريخها بدلائل مختلفة ، فقد جمع لنا - مثلاً - الأبشيهى فى كتابه « المستطرف من كل فن مستظرف » طائفة من الأمثال العامية المستعملة فى زمنه ، وقد كان مؤلفه فى القرن الثامن الهجرى .

وأحياناً يدل المثل نفسه على التاريخ الذى قيل فيه مثل « آخر خدمة الغز علقه » فإن المثل يدل على أنه قيل فى مدة حكم الأتراك لمصر .

في ترتيبها حسب الحروف الأبجدية :

« حارتك العرجاء ولا سؤال اللثيم » .
وكثر في الأيام الأخيرة الأمثال الدالة
على الاستعباد والخضوع للحكام مثل قولهم
« ان ابتليت بظالم جاريه » ، « حاكمك
سيدك » « يا بخت من كان النقيب خاله » ،
« اللي تشوفه راكب على العصا قول له
مبارك الحصان » .

ويقول أهل الجزائر في هذا المعنى :
« إذا قال سيدك ديب قل ما أعتاه » .
ويروون أن سيداً رأى في مزرعته حيواناً
فنادى خادمه احذر الذئب ، فقال الخادم
إنه ثعلب ، فقال السيد إنه ذئب ، فقال الخادم
إنه ثعلب ، فرفع السيد عصاه وضرب بها
رأس الخادم بعد أن ذهب الثعلب ، فقال
الخادم ما دمت تقول إنه ذئب فهو ذئب
وما أعتاه . فقيل هذا المثل الخ .

ومثل قولهم « إن فاتك الميرى اتمرغ في
ترابه » .

وقولهم « أنا أول من أطاع وآخر من
عصى » « إن كنت في بلد بعبدوا الجحش
حش وادى له » « إن كان لك عند الكلب
حاجة قل له ياسيدي » الخ .

ومن الأمثال التي تدل على علاقة الحاكم

أمثال تختلف فيها الأمم إما من حيث اختلاف
التعبير وإما من حيث اختلاف البيئة وإما
من حيث اختلاف الظروف الاجتماعية ، فإذا
قال المصري « إن اصطلحت الضراير يخرب
البيت » فهذا مثل لا يمكن أن يقوله الفرنسي
أو الإنجليزي الذي لا يتزوج إلا واحدة ، وإذا
قال الشرقي « إن اشتريت الحمار حضر له
المنخسة » فلا يقوله الغربي الذي ليس في بلده
حمير ، وإن قال الفرنسي « أفقر من فأر
الكنيسة » فالمسلم لا يشتق أمثاله من
الكنائس وهكذا

هذه مقدمة صغيرة لدراسة الأمثال .

وللمصريين أمثال كثيرة منها ما شاركوا
فيه الأمم الأخرى لأنها نتاج تجارب إنسانية
عامة ، كما قلنا ، ومنها ما هي خاصة بهم لأنها
نتيجة بيئتهم ونوع معيشتهم ، ومنها ما هي
خاصة بطائفة من الطوائف دون عامة المصريين
لأنها نبتت من وسطهم وقيلت في شأن من
شؤونهم .

وبعض هذه الأمثال في منتهى الحكمة
والدقة وبعضها نتيجة نظر قاصر وتجربة ناقصة
وعقل سخيف .

والآن نعرض لبعض الأمثال مرتبة
حسب الموضوعات لا كما يفعل المؤلفون

وقولهم « يا فرعون من فرعنك قال
ما لقيتس حد يردنى » .

وقولهم « لاتلابطِ البدوى ولا تجاريه »
الملابطة المصارعة ، أى أنك إن لابطته فقد
يغلبك ولا تجارِه لأن البدو مشهورون
بسرعة العدو .

« لاتذم ولا تشكر إلا بعد سنة وست
أشهر » « زى التركى المرفوت يصلى لحد
ما يستخدم » .

« ما حدش يقول يا جندى غطى دقنك »
الجندى « الأمير التركى » أى لا يستطيع أحد
أن يشير عليه بالخير إذا أراد الشر .
« الولد ولد ولو حكم بلد » .

« حاكمك سيدك » وهو يدل على
الاستسلام للحاكم المستبد .

ومن الأمثال الدالة على حالة المرأة قولهم
« الأصيلة ما تناقلش بمال » .

وقولهم « تحت البراقع سم ناقع » ،
« تاخذى جوزى وتغيرى ، ما تخيلى » ،
« تبقى عورة وبنت عبد ودخلتها ليلة الحد » .

قالوا هذا لأن العادة أن يكون الزواج
ليلة الجمعة أو الاثنين ، فأن يكون الزواج ليلة
الأحد نكبة أخرى .

« الغزاة تغزل برجل حمار » ومثله

بالمحكوم قولهم : « آخر خدمة الغز علقه »
وهو مثل وضع أيام كان المصريون تحت حكم
الأتراك والغز طائفة منهم ، وهو يدل على أن
المصريين قد لا قوا العنت من حكم الترك .
وقولهم « ظلم الترك ولا عدل العرب »
وهو يدل على أنهم قد لقوا من بدو العرب
أكثر مما لقوا من ظلم الترك .

وقولهم « أ كمن أبوك سنجق داير على
حل شعرك » يدل على أن من ينتسبون إلى
السنجاق وهم ضباط الأتراك كانوا يعيشون في
الأرض فساداً ، ويسرون تبع هواهم .

وقولهم « أرقص للقرد فى دولته » يدل
على خضوع المصريين لكل حاكم فى أيامه
هما ظلم .

وقولهم « رايح فين يا صعلوك بين الملوك »
يدل على احتقارهم أنفسهم أمام العظماء كأنهم
من طينة أخرى .

وقولهم « راحت من الغز هاربة قابلوها
المغاربة » والمغاربة قوم من الجنود كانوا
يخندون من المغاربة للغزو ، أى أنهم هربوا
من شر فوجدوا أشر منه .

وقولهم « ضرب الحاكم شرف » .
وقولهم « جند الكرا ما يحاربوش »
أى أن الجنود الذين يخندون بالكرا
لا يصدقون فى الحرب .

« الفاجرة داربها والحرة عاديها »
« البائرة لبيت أبوها »
« بوس إيد حمانك ولا تبوس إيد
مرااتك »
« بنت الدار عورة » والمراد أنها غير
مستحسنة لأنها في اليد
« بنت الفارة حفارة »
« بنت الحرافة تطلع دراسة »
« البنات بسبع وجوه »
« بره وردة وجوه قردة »
« جوزوا مشكاح لريمه ما على
الاثنين قيمة »
ومن الأمثال الدالة على الحالة الاجتماعية
والأخلاقية :
« زى بعجر آغا ما فيه إلا شنباه »
« زى ساعى اليهود لا يودى خبر ولا
يجيب خبر »
« الدنيا بدل يوم غسل ويوم بصل »
« الدنيا زى الغزية ترقص لكل
واحد شوية »
« الوش وش حاج والطبع ما يتغيرش »
« لا شجرة إلا وهزها ريح »
« خد لك من كل بلد صاحب ولا
تأخذ من كل إقليم عدو »
« خدوا من فقرهم وحطوا على غنهم »

« لبس الخنفسا تبقى ست النسا »
« زى أم العروسة فاضية ومشبوكة »
« وفرى نفسك يا حمانى مالى إلا مرانى »
« لبس البوصة تبقى عروسة » البوصة :
القصة من غاب أو نحوه فإذا ما وضع عليها
ما يصنع من فضة أو ذهب وتلبس فيها سميت
عروسة .
« العجرية ست جيرانها » .
« خد من الزرايب ولا تأخذ من
القرايب » .
« خد المليح واستريح » .
« قالوا خدوا جوز الخرسه اتكلمت » .
« الخنفسه عند ما عروسة » ، ومثله :
« القرد فى عين أمه غزال » .
« الراجل ابن الراجل اللى عمره ما يشاور
مرة » .
« الراجل ومراته زى القبر وأفعاله » أى
أن السر الذى بينهما لا يذاع .
« الحماحة ، وأخت الجوز عقربة صمة »
« قالوا يا جحا امرأة أبوك بتحبك ، قال
يمكن أتجننت »
« قعاد الخزانة ولا جواز الندامة »
الخزانة الحجره الصغيره .
« فانت ابنها يعيط وراحت تسكت
ابن الجيران »

« الضحك على الشفاتيح والقلب يصبغ

« مناديل

الشفاتيح : الشفاه . والمعنى (الضحك

في الظاهر والقلب يبكي)

« الضرب في الميت حرام »

« ضعيف ويا كل ميت رغيغف »

« ضلالى وعامل إمام — والله حرام »

« ضيع سوقك ولا تضيع فلوسك » أى

لا تشتري إلا إذا وثقت بالربح ، فإذا لم تثق

فاحفظ فلوسك .

« أسأل مجرب ولا تسأل طيب »

« أصحاب العقول فى راحة »

« يالى بترقص فى الظلام مين حاسس

بيك »

« يا فاحت البير ومغطيه ، لا بد من

وقوعك فيه »

« يا معزى بعد سنة يا مجدد الأحران »

« زى الإبرة تكسى الناس وهى عريانه »

« قال له نام لما أذبحك ، قال دا شىء

يطير النوم »

« كذب مساوى ولا صدق مبعزق »

« كل بير قصاها بلاعة »

« كل شىء عند العطار ، إلا حبينى

غصب »

« اعط العيش لخبازينه »

يضرب للفنى يستنزف ما عند الفقير .

ومثله :

« عاز الفنى شقفة ، كسر الفقير زي ره ؛

جت الفقير وكسه ، ما أقل تدييره . »

« الخسارة اللى تعلم مكسب »

« الخشب اللين ما ينكسرش »

« خفف أحمالها تطول أعمارها »

« خفها تعوم » ، والضمير على السفينة

« خلق ناس وتحفهم وكبب ناس

وحدفهم »

« خلى بينك وبين الجرب غيط »

« خبطتين فى الراس توجع »

« خلّ المية مية واردب » أى احتط

بالزيادة .

« من شاف بلوة غيره هانت عليه بلوته »

« التنا ولا الفنى » التنا : التناء السمعة .

« ثوب غيرك ما يليقش عليك »

« غاب القط العب يا فار »

« الغايب مالوش نايب »

« الغربية تعلم »

« غشيم ومتعافى »

« الغضبان خنى المجنون » خنى : أخ .

« ضبة خشب تحفظ العتب » الضبة :

القفل الذى يركب على الباب ويقفل

بها — يقولون إنها تمنع من السرقة .

أن المصائب لا تأتي إلا من الأقارب .
« دور الزير على غطاء لما التقاه » يدل
على اتصال الإنسان بما يناسبه .
« واحد شابل دقنه والتانى تعبان ليه »
« الوسخة تفرح ليوم الحزن »
« اربط الحمار جنب رفيقه ، إن ماتعلم
من شهبهقه ، يتعلم من نهيهقه »
« أسيادى وأسياد أسيادى ، اللى يعولوا
همى وهم أولادى »
« النحس مالوش إلا أنحس منه »
« النهارده دنيا وبكره آخره »
« النواة تسند الزير »
« لقمة جارى ماتشبعنى وعارها متبعنى »
« لما اتفرقت العقول كل واحد عجبه
عقله ، ولما اتفرقت الأرزاق ما حدش
عجبه رزقه »
« لوشاف الجمل حدبته وقع وانكسرت
رقيبته »
« ما التقاش العيش بنقشه جاب له عبد
يلطشه »
« ما تتم الخيلة إلا على الشاطر »
« ما تيجى المصائب إلا من الحبايب »
« ماتعرجش قدام مكسحين »
« ما دام رايح كتر من الفضايح »
« ماشيمك إلا من بلغك »

« أقل شىء يرضى الخاطر »
« أقل موال ينزه صاحبه »
« تدبل الوردة ورائحتها فيها »
« لا إنسان ولا حلاوة لسان »
« راحت الناس وفضل النسناس » أى
أن الخبيرين ذهبوا ولم يبق إلا الأشرار
ومثله قولهم : « ما بقى على المدود إلا شر
البقر » « يا كل ويشرب ووقت الحاجة
يهرب » — « يا مؤمنة للرجال يا مؤمنة
للحمة فى الغربال » « يا مستكثر الزمان
أكثر » « يا حامل هم الناس ، خليت همك
لمين » — « يا بانى فى غير ملكك يا مربى
فى غير ولدك » — « زبال فى إيده وردة »
يضرب لمن يتجمل بما لا يتفق وحالته .
« الزمار ما يفتيش دقنه » « زبلة ويقاوح
التيار » « زرعت لو كان ، وسقيته ياريت ،
طرحت ما يجيش منه » يضرب للمتمنى
ولا يعمل ، ويتكل على أمانيه . « زى
الخروب ، قنطار خشب على درهم سكر »
« زى رواج أمشير ، كل ساعة فى حال »
الروايح : الرياح . « زى الطبل ، صوت على
وجوف خالى » « زى فقراء اليهود ، لا دنيا
ولا دين » — « زى المش كل ساعة فى
الوش » — « داهية تخفى الشرك » الشرك :
المشاركة . « الدخان القريب يعمى » يعنون

« شيلنى وأنا أشيلك »
« الردا طويل واللى جواه عويل »
« الرقص نقص »
« الحيطه الواطيه كل الناس تنط عليها »
« قالوا : أبو فصادة بيعجن القشطة
برجليه ، قالوا : كان بان عليه »
« قالوا : الله يلعن اللى يسب الناس ،
قال : الله يلعن اللى يحوج الناس لسبه »
« ناموسة وعامله جاموسة »
« قالوا للأعور : العمى صعب ، قال :
نصف الخبر عندى »
« قالوا للغراب : ليه بتسرق الصابونه ،
قال : الأذية فى طبع »
« قالوا للمشقوق : غطى رجلك ، قال :
إن رجعت ابقوا عاتبونى »
« قالوا : يا جحا عدّ موج البحر ، قال :
الجيات أكثر من الراحات »
« قالوا : يا جحا فين مراتك ؟ قال :
بتطحن بالسكر ، قالوا : فين طحينك ؟
قال : كريت عليه ! قالوا : كنت خلى
مراتك تطحنه ! »
« قالوا : يا كنيسه اسلمى ، قالت : اللى
فى القلب فى القلب »
« قبل ما أقول يا أهلى يكونوا جيرانى
غاثونى »

« ما قدرش على الحمار اشطر على البردعه »
« ما لقوش فى الورد عيب قالوا له يا أحمر
الخدلين »
« ما تعملش كيس حرير من ودف
خنزير »
« ما يعجبك البيت وتزويقه ، داللى
جوه نشفان ريقه »
« من جاور الحداد ينحرق بناره »
« من حبه ربه واختاره جاب له رزقه
على باب داره »
« ساعة لقلبك وساعة لربك »
« ساعة الحظ ما تتعوضش »
« السامى تحت راسه دواهى »
« اللى ما لهوش قرابة ما لهوش عداوة »
« شابت لحام والعقل لسه ما جامم »
« الشحانة طبع »
« شخسخ يتلماو عليك » يريدون
الدلالة على طمع الناس فى المال .
« الشرا يعلم البيع »
« شرارة تحرق الحارة »
« الشرط عند الحرت ، ولا الخناق
فى الجرن » وهو يدل على أنه من وضع
الفلاحين
« الشكك يفلس التاجر الألفى »
أى صاحب الألوף

« إذا كان اللى بيتكلم مجنون يكون
اللى بيسمع عاقل »

ومن الأمثال الدالة على اعتقادهم في
القضاء والقدر والحظ قولهم :

« إذا حل القضا لا ينفع طب ولا دوا »

ومثله قولهم : « وقت القضا يعنى
البصر »

« تمحوش الوحوش ، غير رزقك ماتحوش »

« تبات نار تصبح رماد ، لها رب يدبرها »

« السعد ماهوش بالشطارة »

« قيراط بخت ، ولا فدان شطارة »

ومن الأمثال التى تدل على الاقتصاد :

« الدرهم مرام ، نخلى للعويل مقدار ، وبعد

ما كان بكير ، سموه الحاج بكار »

« هاتى يا مدره ودى يا سدره »

السدره : إناء من نحاس يشبه القدر
يغسلون فيه أوانى القهوة .

« هز فلوسك ولا تهز دقنك » أى

عرض فلوسك للمطالب ولا تعرض عرضك

« مال تجيبه الرياح تاخده الزوابع »

« مال الكنزى للنزهى »

« مال الوقف يهد السقف »

« من حف فى غموسه أكل عيشه

حاف » أى من أفرط فى إدامه أول الأكل

اضطر آخرأ كله أن يأكل خبزته من غير

« القفص المزوق ما يطعمش الطير »

« القفة اللى لها ودنين يشيلوها اثنين »

« قول له فى وشه ولا تفشه »

« الفار وقع من السقف قال له القط

اسم الله عليك »

« فى الوش مراية وفى القفا سلاية »

« اقنع بالحاضر لغاية ما ييجى الغايب »

« اقطع العرق يستيح دمه »

« أعمى ويسرق من المفتاح »

« الأصل الردى يردى على صاحبه »

« العيب من أهل العيب مش عيب »

« العيان ما حد يعرف بابه ، والعفى

ما أكثر أصحابه »

« عيوبى لا أراها ، وعيوب الناس

أجرى وراها »

« الظن السوء يودى جهنم »

« البيت بيت أبونا ، والغرب يضر بونا »

« بيت العنكبوت كثير على من يموت »

« بيت المتناش ما يعلاش »

« البهيمة العشرى ما تقاتحش »

« صاحب الحق عينه قوية »

« صباح القروود ولا صباح الأجرود »

« صبرى على نفسى ولا صبر الناس على »

« صلح خسران ولا قضاء كسبان »

وعز بنوه ، وإذا لم يكن معه مال ذل
وذل بنوه .

كما أنه مما يلاحظ أن الروح المصرى
المرح ظاهر في الأمثال بما فيها من سخرية
لاذعة وتشبهات مضحكة .

ويستطيع المتأمل أن يستخرج بدقة
نظرة أكثر من هذا .

الأمراض

يشارك المصريون مع غيرهم في الأمراض
وتكثر عندهم أنواع خاصة أكثر من غيرهم .

من أشنعها «الدوسنتاريا» وهي كثيرة في مصر ،
يكثر معها الإسهال ، ثم مرض الكبد للحر

ولكثرة شرب الماء . وقد ينشأ عن الدوسنتاريا
البواسير . وتتفشى بينهم الأمراض الديدانية

لعدم نقاوة الماء الذى يشربه الفلاحون ، ثم
الأمراض الجلدية كالجرب وحب النيل ، وقد

يكون حب النيل هذا خاصاً بمصر . وهي
حبوب تظهر على الجلد في أيام فيضان النيل .

ولذلك سموها «حب النيل» وأحياناً يسمونها
«حمو النيل» . وكذلك «القوبة والجدري» .

ولشدة الحر والغبار تكثر بينهم أمراض العين .
يقول بعض الرحالة من الفرنج : « إنه شاهد

في مروره في شارع من شوارع القاهرة
عشرين أعمى ، وعشرة عورا ، وعشرين

إدام . والمعنى من أفرط في الصرف من غير
حساب ندم على ما فات .

« معاك مال : ابنك ينشال ، معاكشى
ابنك ما ينشالشى » « خد من التل يختل »
ونظيره : « جبال الكحل تغنيها
المراد » .

« الفلوس زى العصافير تروح وتيجى »
« يقطع الطشت الذهب ، اللي تطرش
فيه الدم »

والتأمل في هذه الأمثال يستخرج منها
أخلاق المصريين في العهد الماضى ؛ فهم

يمجدون حكامهم ، ويطيعون أوامرهم ، ولا
يثورون لمظلمة . وهم يعظمون من انتسب

إليهم . ثم إن تجار يهيم دلتهم على كثير من
أنواع المعاملة والاعتقاد ، كعدم ثقتهم

بالإنسان ، واحترام الغنى واحتقار الفقير .
ثم إن علاقتهم بالمرأة علاقة مبنية على سوء

الظن ، فالأخت تأخذ زوجها من حجر أختها
وهم يعتقدون في الأصالة أكثر مما يعتقدون

في الجلال .
ثم هم يؤمنون بالتضام والقدر والحظ ،

حتى إن مقداراً صغيراً من الحظ خير من
مقدار كبير من المهارة . ثم هم يقومون للمال

تقويماً كبيراً ، فالقرش الأبيض ينفع في اليوم
الأسود . وإذا كان مع الإنسان مال عز

اسرأة كانت في عهد الخديوي إسماعيل بأم
الشعور ، وكانت ماهرة في اللعب على الحبل
والإتيان بحركات بهلوانية غريبة . وكانت
تستدعى في أفراس الأغنياء ، كما اشتهرت
الطعمية بأم الفلافل ، نسبة إلى الفلفل ، لأنه
يوضع فيها ؛ وكما اشتهرت السيدة زينب بأم
هائم وأم العجايز ، ومن ذلك أم علي ،
وأم قويق .

أم علي

أم علي طعام لذيذ مشهور ، يصنع من
الرقاق الرفيع واللبن والسمن ، فإذا فردت
راقات منه وضع في منتصف « الصينية »
جوز ولوز وزبيب وبنديق مكسر ثم أكلت
الصينية مع إضافة اللبن والسمن أيضاً - ثم
تدخل في الفرن فتكون أكلة لذيذة .

أم قويق

هي البومة ، ويتشام منها العامة كثيراً
فإذا صاحت في بيت فذلك إنذار بمصيبة
تحل بأهله فيخرب ، ويقولون لمن كان سىء
الطالع : « وش البومة » وربما كان السبب
أنها طائر ليلي ليس فيه ميل للاستئناس ،
ويميل إلى العزلة ، وكذلك يذهب إلى
الخرائب .

احمرت جفونهم وسال منها الصديد .
والرمد في المدن أكثر منه في الأرياف .
ويضيف بعضهم إلى أسباب الرمد التي ذكرناها
شدة الضوء لسطوع الشمس سطوعاً قوياً ؛
وكذلك ينتشر في مصر مرض السيلان
والزهري . وهم لا يعتقدون أن سببه اتصال
غير شريف ، بل قد يكون الفزع أو البرد
الشديد . ولذلك لا يستحيون كثيراً من
ذكره أو الإصابة به .

ومنها الأمراض السرطانية وهي والحد
لله قليلة في مصر ، وكذلك الأمراض كالسل
فإنها قليلة في مصر ، بالنسبة لغيرها وكذلك
الأمراض العقلية .

ومن الأمراض المتوطنة حمى التيفوس
والتيفود ولكن من فضل الله أن الطب
الحديث بدأ يتغلب عليهما .

ويكثر بين المصريين - مع الأسف -
مرض البول السكري ، ولكنه أخف نوعاً
من المرض السكري في الأقطار الأخرى .

أم

يستعملها المصريون بمعنى الوالدة ، كأم
حسن ، وأم حسين ، وأم خليل .

ويستعملونها ككلمة أب ، بمعنى صاحبة
كأم الخللخال ، وأم العباية ، وأم الشال ،
وأم الجلالية الحمراء . واشتهر عنهم تسمية

إن - وإذا

يستعمل المصريون كلمتي إن وإذا في معنى واحد تقريباً ، ولا يفرق بينهما الفرق الدقيق المعروف في النحو . واستعمالهم « إن » أكثر من استعمالهم « إذا » ، ولذلك كثرت في لسانهم الأمثال المبدوءة بإن ، وقلت المبدوءة بإذا ، وأحياناً يروى المثل بالوجهين ، فبعضهم يرويه بإن وبعضهم يرويه بإذا .

ومن أشهر أمثالهم في هذا الباب قولهم :
« إن كنت في بلد يعبدوا الجحش
حش وارمى له »

وهو مثل يدل على حب الاستسلام والميل إلى الخضوع والطاعة ولو كان الأمر باطلا وكره الثورة والمجاهرة بالحق . وقد وردت أقوال كثيرة في هذا المعنى مرّ بعضها . ومثل قول المعري :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً

تجاهلت حتى ظن أني جاهل
ومن أمثال « التلمود » « إذا كان الثعلب ملكاً فانحن له » وفي أمثال أهل الجزائر :
« إذا وجدت الناس يعبدون العجل فعليك
بالخشيش » .

وقال الشاعر :

تحامق مع الحق إذا ما قمتهم

ولا فهموا بالجهل ، فعل ذوى الجهل
وخلط إذا لا قيت يوماً مخلطاً
يخلط في قول صحيح وفي هزل
فإنى لقيت المرء يشقى بعقله

كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل
ومن طريف ما يحكى في ذلك أنه لما
ولى جلال الدين الزينبي الوزارة دخل عليه
شاعر اسمه أبو الفضل والمجلس حافل بأعيان
الرؤساء والوجهاء ، فوقف بين يديه وأظهر
السرور والفرح ورقص ، فقال الوزير لمن
يفضى إليه بسره : قبح الله هذا الشاعر !
إنه يشير إلى ما تقوله العامة في أمثالها
« أرقص للقرد في زمانه » .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

إذا رأيت امرأةً وضيعاً

قد رفع الدهر من مكانه
فكن سميعاً له مطيعاً

معظماً من عظيم شأنه
فقد سمعنا بأن كسرى
قال قديماً لترجمانه :

إذا زمان السباع ولّى
أرقص إلى القرد في زمانه

ومن الأقوال العامية في ذلك :

سميت غيرك محبوبى مغالطة
لمعشر فيك قد فاهوا بما فاهوا
أقول زيد وزيد لست أعرفه
وإنما هو لفظ أنت معناه
ومن قولهم :

«إن جار عليك الزمن جور على ذراعك»
وهو مثل لطيف ، ومعناه إن اشتد
عليك الزمان فأصابك بالفقر وقلة الرزق ،
فاشددت أنت على ذراعك وأكثر من العمل
بيديك والجد في طلب الرزق لتغلب بجدك
جد الزمان في حرك . وفي هذا المثل قوة
رائعة .

ومن قولهم :

«إن أقبَلتْ باض الحمام على الود
وإن أدبَرْتْ بال الحمار على الأسد»
ومعناه إن أقبَلت الدنيا وحسن الحظ
سهل العسير وحصل البعيد ، كأن يببض
الحمام على الود ، وإن ساء الحظ حصل ما لم
يكن في الحسبان فيذلّ العزيز حتى يببول
الحمار على الأسد ، فعند إقبال الدنيا يسهل
كل عسير وينقلب التراب ذهباً ، وعند
إدبارها يتعمد كل سهل وينقلب الذهب تراباً
ويتحكم الحمار في الأسد . وهو من الأمثال
الكثيرة في اللغة العامية التي تدل على إيمان
شديد بالقدر وبالخط .

يا الى تعاشر الناس
وتريد منهم نصافه
كن بينهم نسناس
إوع تبين حصافه
وهذه الأقوال وأمثالها أثر من آثار
عصور الاستبداد والظلم ، فطلبوا من الناس
أن يكونوا آلات صماء وأحجاراً جامدة ،
تطيع ولو ظلمت ، وترضى ولو نكبت ، وتقبل
الحاكم ولو كان قرداً ، وتطيع الأمر ولو كان
فاسداً ؛ فلما انتبه الناس وقررت قواعد
الحرية وجب أن يتغير مثل هذه الأمثال
ويطلب من الناس ألا يقبلوا الظلم ولو
أكرهوا عليه ، وأن يقولوا الحق ولو أوذوا
في سبيله ، وأصبحت هذه الأمثال أثرية
تفيد المؤرخ ولا تفيد الأخلاق .

ومن الأمثال المبدوءة بإن قولهم :

«إن شفته يبسب إعرف إنه يببب»
وهو قول حكيم مبنى على دراسة نفسية
عميقة ، فقد يظهر الإنسان غير ما يضمّر
خصوصاً في الحب . وقد سبق مجنون ليلي
إلى هذا المعنى فقال :

كلانا مظهر للناس بغضا
وكل عند صاحبه مكين
وقريب من هذا المعنى وإن لم يكن
منه تماماً قول البهاء زهير :

ويقولون :

« إن اصطلحت الضراير يخرّب البيت »
وذلك لأن عداوة الضراير أمر محتم
وأمر طبيعي ، لأن كل واحدة ترى أن
الأخرى سلبتها حقها في الزوج ، فإذا
اصطلحتا واتفقتا فلا بد أن يكون هناك سبب
غير طبيعي ، فقد تفتقان على الإضرار بالزوج
لأنه عدوهما المشترك ، فقد أغضب كلا بزواجه
عليها ، وقد تفتقان على الانتقام من حاتهما ،
لأنها كذلك عدوهما المشترك ، وقد تفتقان
على غير ذلك ، وفي كل هذا هدم للبيت
وعمل على خرابه .

ويقولون :

« إن سرقت اسرق جمل وإن عشقت
إعشق قمر » .

أى إما كبار الأمور وإلا فلا ؛ وقريب
من هذا المعنى قول الشاعر :

« لنا الصدر دون العالمين أو القبر »
ويقولون :

« إن جابوا للمجنون ألف عقل على عقله
ما يمجبوش إلا عقله » .

أى أن الضعيف العقل لا يعترف بضعف
عقله ، بل يعده من أحسن العقول ويعد
أحكامه من أحسن الأحكام . ومن أحسن
ما قيل في ذلك : إن كل إنسان راض عن

عقله ساخط على حظه .

ويقولون :

« إن كانت الدعوة تجوز ما كان بقي
صبي ولا مجوز » .

أى أن الله لا يستجيب كل دعوة ولو
كان يستجيبها لما بقي أحد ، لأن كل
إنسان لا يسلم من غضب يدعو عليه .
ويقولون :

« إن لبست الخيشة برضه عيشة »

تقوله الجميلة التي تستغنى بجمالها الطبيعي
عن جمالها الصناعي .
وأخيراً :

« إن كان حبيبك غسل ما تلحسوش
كله » .

انتقال الجبل

أسطورة من أساطير الأقباط ، وقصة
مخترعة من أفاصيصهم ، خلاصتها : أنه كان
لبعض سلاطين مصر وزير يهودى أسلم ،
والعداوة بين اليهود والنصارى معروفة ،
فأراد الوزير أن يوقع الملك بالنصارى ، فقال
له : « إن إنجيلهم يقول : لو كان لكم إيمان
مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل :
انتقل من هنا إلى هنا ، فينتقل » فاستصوب
الملك هذا الرأي ، وأمر فاستحضر البطريك

أيقدرين على ذلك أم لا ؟ فاستصوب الملك رأيهم ، ودعا المشايخ ، والقضاة المسلمين ، فتوضئوا وصلوا وصرخوا بالأذان ، فلم يتحرك الجبل ، وطلب البطريك أن يمتحن اليهود كذلك ، ففعلوا فلم يتحرك الجبل . وأخيراً جاءت جموع النصارى والبطريك والإسكافي ، فأمرهم البطريق أن يصرخوا بصوت واحد مرتفع ، صرخة واحدة ، ويدعوا الله أن ينصرهم ، فقالوا بصوت واحد : إنا نأمرك أيها الجبل بحق من أرساك وثبتك في هذا المكان أن تنقل من موضعك وتجيء إلينا ، ولا تؤذى أحداً من خلق الله ، فتحرك الجبل من موضعه ، وجاء إليهم ، وصرخ الملك يطلب من البطريق أن يقفه في مكانه . فلما انصرف الناس استحضر الملك البطريق إليه سراً ، وصرف جميع مماليكه ، ومن كان عنده ، وقبّل يدي البطريق ، واعترف بأحقية المسيحية وتنصّر ، وذهب إلى الكنيسة سراً ، واعتنق المسيحية وتعمّد . وخزى المسلمون خزياً كبيراً . ولما علم بذلك بعض عقلاء المسلمين تنصّروا أيضاً . وقد صنع المسلمون قصة على هذا النمط يرفعون فيها من شأن الإسلام والمسلمين ، وكلتا القصتين خرافة ظاهرة .

وكبار الأقباط من رجال الدين ، وسألهم عن هذه الآية ، وهل هي واردة في الإنجيل ، فقالوا له : نعم . فقال الملك : إذا لا بد من تحريك الجبل عما كان ، وإلا محوت أتركم . فاستمهلوه ثلاثة أيام . ولما خرجوا دعوا القسوس جميعهم في مكان واحد ، وصاموا لله ، وواظبوا على الصلوات . وطلبوا من الله ، ومن السيدة مريم ، رفع هذه الغشاوة عنهم . وفي صبيحة اليوم الثالث نام البطريك وهو واقف فكلمته السيدة مريم وقالت له : إذا دخل الكنيسة إنسان وعلى كتفه جرّة ماء ، وهو بعين واحدة فأمسكه ، فإن خلاص الشعب على يديه ، وإياك أن يهرب منك ؛ فلما انتبه من نومه ، تربص لهذا الأعور ، حتى إذا سار أمامه أمسكه البطريك ؛ وكان هذا الرجل إسكافيا اشتهى امرأة كشفت عن ساقها ، ليقبس لها حذاء ، ثم ندم على ما وقع منه ، وقلع عينه بالثقب الحديد . وترك تلك الحرفة ، وصار سقاء . وبينما البطريك والإسكافي يتكلمان ، وفد رُسُل الملك عليهما ، فذهبا إلى القصر ، فأخذها الملك إلى جبل الجيوشي وقال : أريد أن تنقلا هذا الجبل من مكانه فقال له البطريك : إنا نريد أن يطلب المسلمون من الله نقل الجبل قبلنا ، لنرى

أوراد

الأوراد جمع ورد . والورد عادة دعاء طويل بعض الشيء يتلى في وقت معين . وكان لكل شيخ طريقة عادة ورد أو أوراد تتلى في أوقات معينة ، مثل ورد السحر ، وورد يقرأ عند الخوف من الأمواج يسمى ورد البحر . والناس عادة يحفظون هذه الأوراد ، خصوصاً الأوراد التي تنسب لشيخهم الصوفى . وهم يتلوها مراراً . ومن أضرارها اعتماد الناس عليها في قضاء حوائجهم ، وبسط رزقهم . ولذلك يتكون العمل اعتماداً عليها ، كما اعتمادوا عليها في تكفير الذنوب ، والاستكثار من الحسنات ، بدلا من أن يعتمدوا على الأعمال الصالحة .

الأوقاف

الأوقاف كثيرة في مصر؛ وهي نوعان : أوقاف أهلية ، كأن يقف الرجل على أولاده وأقاربه ، ويخصصها أخيراً عند انقراضهم إلى جهة بر لا تنقطع ، وأوقاف خيرية ، كالوقف على المساجد ، والفقراء والمساكين والأسبلة . وهي كثيرة في مصر كما ذكرنا . ولولا أن الملوك الظلمة كانوا يلجأون إلى الأوقاف السابقة ويحلونها ، لكانت مصر كلها تقريباً وقفاً على مرور الزمان . ويلاحظ أن الأوقاف عادة تهمل ،

ولا يعتنى بها اعتناء الملوك لأملأهم ، فإذا سررت بالشوارع ورأيت بيوتاً مهملة ، وأرضاً خربة ، فاعلم أن ذلك وقف . ولذلك كان حافظ إبراهيم يقول : « مثل الأوقاف والمباني المملوكة للأفراد كالجدري في وجه المدينة » حتى الأوقاف التي تديرها وزارة الأوقاف كانت تستغل استغلالاً سيئاً . وكثيراً ما يصرف ريعها على موظفي الوزارة ، فلا يبقى للمستحقين إلا القليل ، أو لا يبقى شيء . وكثيراً ما كانت الأوقاف نهباً للملوك والأمراء ، وكبار المزارعين ، ومطعماً لذوى الجاه والسلطان ، يستولون عليها ، أو يستأجرونها بأرخص الإيجار . وأعرف أن دار الكتب مثلاً وقف عليها نحو ألف ومائتي فدان ، لا تغل إلا القليل . كما أن هذه الأوقاف من ناحية أخرى سببت العطل لمن وقفت عليهم اعتماداً عليها فأسرفوا في شهواتهم ، وعاشوا عيشة عاطلة من غير عمل وكانت الأوقاف ضرراً عليهم وعلى الأمة . ولو تركوا وشأنهم ، لاعتمدوا على أنفسهم ، وبجشوا لهم عن عمل يرتزقون منه . وكثير من المستحقين يلجأون إلى اليهود ، يستدينون منهم على أوقافهم ، بأرباح فاحشة . فلما رأت الحكومة التركية مثلاً هذه الأضرار ، ألقتها على يد مصطفى كمال . وتبعه المصريون في إلغاء الأوقاف الأهلية ، ففعلوا بذلك فعلاً محمداً .

حرف الباء

الباء

يزاد حرف الباء في بعض الكلمات ،
دلالة على الشروع في الفعل في الحال ،
فيقال : أنا با كتب ، وأنا بروح ...
أى أ كتب في الحال ...

الباذنجان

هو نوعان : أبيض وأسود . وعند عامة
المصريين أنه من مواد المشاهرات . ومعنى
ذلك أن النفساء إذا دخل عليها أحد
بالباذنجان ، ينقطع لبنها ، فتسمى مشاهرة .
وبذلك تحمط النساء بأن تضع منه بجوارها ،
أو تعلق منه بمخدها ، حتى يمنع المشاهرة .
وفي اعتقادهم أن ذلك يمنعها ، وإذا
أحضرها تخرج من مخدها إلى ناحية بعيدة ،
ويضعونه على الأرض ثم تدخل هي وتخطيه
سبع مرات ، ويكون دائماً بجوارها ، وكذلك
الشأن في مريض العينين .

واشتهرت عند المصريين قصة عن
الباذنجان ، وقد نظمها شوقي بك في جملة
قصصه ، وخلاصتها أن سيداً سأل طبأخه ،
ماذا سيطلبخ اليوم؟ فقال الطبأخ ما يعجبك .
فقال له السيد : ما رأيك في الباذنجان؟ فقال
الطبأخ : طعام لذيذ ، ومن صفاته كذا
وكذا ، وأخذ يمدحه ؛ فقال له السيد :

ولكنه ثقيل الهضم ؛ فأخذ الطبأخ يذمه ؛
فقال السيد : ولكن كنت تمدحه قبل
الآن . قال له الطبأخ : هل أنا عبدك أو عبد
الباذنجان؟ إذا كرهته كرهته ، وإذا مدحته
مدحته . يروونها للدلالة على عدم الاستقرار
على رأى واحد .

باشا

هو لقب من الألقاب ، التي كان يمنحها
الملك أو الخديوى أو السلطان ، تبعاً لوظيفة
أو تبعاً لتبرع كبير لعمل خيري ، أو اعتباراً
أو نحو ذلك . ولها أثر كبير خصوصاً في بلاد
الأرياف ... فمن كان باشا كان عظيم الجاه ،
مسموع الكلمة ؛ ولذلك يتنازلون عن كثير
من أموالهم في سبيل رتبة .

أعرف رجلاً فلاحاً ورث بعض فدادين
عن أبيه ، ثم اقتصد وجدّ حتى اشترى
غيرها ، فادّعى أنه من الذوات . ثم باع بعض
أطيانه واشترى بها لقب « بيك » وصار
يتكلم مقلداً الترك ، فيبدأ حديثه بقوله :
آه . آه . آه مفخمة . أنت عاوزه إيه
ياراجل ! أنا موش يعرف . متظاهراً بأنه
تركي وایس فلاحا .

ثم باع كثيراً من أملاكه ، وحصل على
لقب باشا ، فزادت وجاهته واستطاع بها

البخور

طريقته أن توقد المبخار أو الدفائيات ،
وتوضع فيها مادة أو مواد ذات رائحة عطرية
إذا احترقت من غير لهيب ، وأحياناً يكتفى
بذلك .

ويستعمل البخور في البيوت والمساجد ،
وكثيراً ما نرى في الشارع حملة المبخار يطوفون
بها على الأسواق ويأخذون من كيس معلق
في أكتافهم بمض البخور ، ويضعونه في
الغار ، فتهب منها رائحة عطرية تبقى زمناً
طويلاً ؛ ولهم على بعض الدكاكين راتب
شهري أو أسبوعي نظير تبخيرهم الدكان ،
وأحياناً يوقدون المبخار أمام الجنائز ، وأحياناً
يتلون مع البخور بعض العزائم التي يزعمون
أنها تقي العين . وقد يضيفون إلى البخور
بعض الشب وبعض حبات حمر يسمونها
عين العفريت . ومن عادة الشب أنها إذا
احترقت تكيفت بشكل خاص ، ويدعون
أنها تتكيف بشكل الحاسد ، ويدعون أنها
تشبه فلاناً أو فلانة ممن كان قد حسد ،
فيفقوون عينها ، ويزعمون أن في ذلك فقاً
لعين الحاسد .

وفي الحق أن البخور مهدي للأعصاب ،
يشعر من بحر أنه قد هدأت أعصابه . وإذا

أن يظلم من حوله من الفلاحين وأن يسترد
منهم ما دفع في الرتبة . وكان في الأزمنة
الماضية لقب أفندي أكبر من بيك وباشا ،
ثم نزلت رتبته اليوم ، وصار كل ذي طربوش
أفنديا .

وكانت هذه الرتب مكملة لسلطة الملوك ،
يستدلون بها الشعب ، ويحملون الناس
تشرئب إليهم . وهو نظام يتمشى مع نظام
الطبقات . فنظام الرتب والألقاب ، والفروق
الكبيرة بين الأغنياء والفقراء ، وهكذا .
ولذلك لما جاء عهد الإصلاح سنة ١٩٥٢
كان من أول أعماله إلغاء نظام الطبقات بإبطال
الرتب والألقاب ، وتحديد الملكية الزراعية .

الباع

هو مقياس من طرف أصابع اليد إلى
طرف أصابع الأخرى بفرد اليدين .
وهو قياس طبيعي بدائي ، استعمل قبل
استعمال المقاييس الجديدة . ونقول العامة في
أمثالها : « فلان باعه طويل » كناية عن
الكرم . وبعاه طويل في الحكومة ، يعني
أن له جاهاً . وفلان باعه قصير ، أي لا يستطيع
أن ينهى الأعمال وليس له كلمة مسموعة .
ويقولون : أخذ الشيء بالباع والذراع ،
أي بقوة سلطته .

البدو

على حدود البلاد المصرية والقرى يسكن
البدو . وم كما قال ابن خلدون : إذا سكنوا
بلدة أسرع إليها الخراب ، فهم من حين
لآخر يغيرون على القرى والمدن فيسلبون
وينهبون . وقد امتازوا حتى في الجسم بأن
وجوههم ورءوسهم أقرب إلى الاستطالة منها
إلى الاستدارة كما هي الحال في الفلاحين .
وم نحاف الأجسام لنوع أكلهم وكثرة
حركتهم .
وينظرون إلى الفلاحين أيضاً كالأتراك
نظر احتقار . ولذلك يظلمونهم كثيراً .
ويأنفون من تزويج بناتهم لأهل الريف ،
ويقصرون زواجهم على أنفسهم .
(انظر الأعراب)

اجتمع البخور وترتيل القرآن في المسجد أو
البخور والدعوات في الكنيسة تسبب عنهما
تهذئة للأعصاب .

ولذلك يكثر استعمال البخور أيضاً في
الزارع الطبل والغناء على نفحات خاصة ،
فيعمل البخور إذ ذاك عمل السحر .

وم يكثر من عادة من استعمال البخور
في الأيام العشرة الأولى من المحرم .

ويدور بعض الناس في الشوارع
والحارات بأنواع من البخور مختلفة قد
وضعت على أوراق ملونة بألوان مختلفة
وينادون به . ولم عند البخور عزيمة يقلونها
ستأني في موضعها .

واشتهرت في مصر سيدات يقصد إليهن
النساء وبعض الرجال للتبخير . وإذا كانت
أمراضهن كثيراً ما تكون أمراضاً وهمية أو
عصبية كان البخور نافعاً لهن . ويظهر أن
عادة التبخير موروثه من عهد قدماء المصريين ،
فقد عثر في المقابر القديمة على بعض المباخر .

بدوح

كلمة تكتب على الخطابات لتصل إلى المكتوب إليه سليمة . وغلا بعضهم فكان يكتبها على السلع التجارية ، وعلى فص خاتمه . وأصل هذه الكلمة أن كثيراً من المسلمين يعتقدون في الخواتم والطوالع .

من ذلك خاتم يسمى خاتم أبي سعيد . كان يكتب على رق غزال أو ورق ويعلق تيمية . وشكله هكذا :

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

وبعضهم يكتبه حرفياً هكذا :

و	ر	ب
ا	هـ	ط
ح	ج	د

وميزة هذا الخاتم أنك لو جمعت كل سطر طولاً أو عرضاً وجدت المجموع خمسة عشر . ويعملون لهذا الخاتم سرّاً عظيماً في بلوغ المآرب وجلب الخير ، ودفع الشر . وأنت إذا قرأت الأركان الأربعة ، كانت

ب د و ح . ويعتقدون أن من حملها إذا كان مسافراً لم يجد في سفره تعباً ، وإذا كتبت على رسالة وصلت سالمة . وتكتب أيضاً للمحبة وتبخر وتتلّي عليها هذه العزيمة : « يا بدوح يا بدوح يا بدوح ، ألف بين الروح والروح وبحق القلم واللوح ، وآدم وحواء ونوح » . ثم تعلق على العنق ، أو تحمل على الرأس .

وكان في عهدنا كثيراً ما تكتب على الخطابات بدوح بدوح .

البرابرة

هم جيل منتشر على ضفاف النيل من جزيرة أنس الوجود إلى الشلال الثاني للنيل على مسافة تبلغ مائتي فرسخ تقريباً . ويمتازون بالسمرّة الشديدة التي تشبه خشب الجوز ، وهم أفتح من السودانيين . وقد امتازوا بالخدمة في المقاهي والفنادق والبيوت وعرفوا بالإخلاص والأمانة والنظافة ، كما اشتهروا بسرعة الغضب وقلة الفهم ، حتى لو أنى أحد منهم من المصريين بما يدل على غباوته قالوا « برابرة يا رسول الله » . وإذا اغتنوا قليلاً من عملهم في الفنادق والمقاهي رجعوا إلى أوطانهم من حين لآخر ، فأمدوا أهلهم بالأموال ، كما يفعل المهاجرون إلى أمريكا

البرابي

هي آثار قدماء المصريين وموميائهم ، وهم يتبركون بها ، وهي منتشرة في القطر المصري خصوصاً الصعيد . وقد كانت الكتابة الهيروغليفية التي عليها مجهولة إلى عهد شامبليون حين اكتشف حجر رشيد . ومع ذلك قبل أن يكتشف هذا الخط كانوا يدعون أن بعضهم قد ترجم ما عليها . فيزعمون أن ذا النون المصري الصوفي المشهور كان يحسن قراءتها ويترجم ما عليها . وكذلك نجد في كتب التاريخ القديمة بعض أنماط من ترجمتها . وإنما هي نصائح تخيلوها ومواعظ أحكموها ، دلت القراءة الحديثة على عدم صحتها .

البراغيث

كانت البراغيث آفة من الآفات المصرية ومن أكبر المصائب في زمن الشتاء ، وخصوصاً في بلاد الريف حيث تكثر الوساخ . وقد قلت بالنظافة واستعمال الأدوية المطهرة القاتلة للحشرات . ومن الأمثال المنتشرة « زي براغيث القنطرة ، قلة وزنطرة » أي أن البراغيث قليلة الجسم ، ولكنها تنط . ومن أقوال الشدياق :

يا ليلة ما أسفرت عن صباح

من البراغيث السراع الكفاح

من اللبنانيين ، مع الفرق الواسع في الغنى والثروة . ومن أشهر أعمالهم الخدمة في البيوت سفرجية أو طباخين أو فراشين أو بوابين ، والخدمة في القهاوى والفنادق . ويغلب أن يكون عليهم رئيس رومي ، فهم يحضرون القهوة أو القازوزة ، والرومي هو الذي يأخذ الثمن والبقيشيش . وقد اصطنعوا الآن حرفة جديدة ، وهي أن يقفوا أمام الفنادق أو البنوك أو المحلات أو البيوت إذا كان فيها ولائم ، ويحفظون السيارات من أن تسرق أو أن يسرق منها ، ويهدون سائق السيارة كيف يخرج من وسط الزحام نظير قرش يدفع لهم من كل صاحب عربة . ومنهم من احترفوا حرفة سائقي السيارات . وقبل إلغاء الرقيق كانت البيوت مملوءة بالجواري السود من البرابرة أو من السودانيات ، وكان يحتلطن بالعائلة كأنهن أحد أفرادها .

وتجد في القاهرة اليوم طوائف من

البرريات زوجات البرابرة يسرن جماعات ويتكلمن لغة بربرية .

معدنه الزئبق ، ملكه العلوى ميكائيل .
 يوم الخميس كوكبه المشتري ، طبعه حار رطب
 معدنه القصدير ، ملكه العلوى إسماعيل ،
 والسفلى شمس وورش . يوم الجمعة كوكبه الزهرة ،
 طبعه بارد يابس ، معدنه الحديد ، ملكه
 العلوى عينائيل ، والسفلى زو بعة . يوم السبت
 كوكبه زحل ، طبعه بارد رطب ، معدنه
 الرصاص ، ملكه العلوى كسفيائيل . ولهم
 حسابات طويلة في البروج وطالع الإنسان ،
 فمثلا يوم السبت الساعة الأولى لزل ، الأحد
 الساعة الأولى لعطارد ، الاثنين الساعة الأولى
 للمشتري ، الثلاثاء الساعة الأولى للزهرة ،
 وهكذا . ولكل برج طبع وطالع ، فإذا
 أردت معرفة الطالع فاحسب اسم المطلوب
 وأمه بحساب الجمل الكبير واسقط من المجموع
 ١٢-١٢ ، فالباقي برجه وطالعه وطبعه .

ولهم في ذلك قصائد كثيرة . وإذا
 عرف الطالع يمكن أن يكتب الحجاب على
 مقتضاه . ولهم في ذلك كلام طويل وحساب
 أطول .

ويطلق البرج على برج الحمام ، وسيأتي
 الكلام عليه في الحمام . وللأبنية الكبيرة
 كالقلاع وسراي السلاطين أبراج يقف فيها
 الحراس اتقاء للشمس والبرد .

(انظر كلمة الطالع)

بت بها أغزى وأغزو وما
 لدى إلا حدّ ظفري سلاح
 من كل ذي ناب يكاد إذا
 جن الدجى ينشبه في السفاح
 ما إن يرى بدا عن الفتك بي
 ولو ملأت الفرش لحما وراح
 وهناك نوع من الحلوى صغير أقل من الخمصة
 ملون ألوانا مختلفة يسمى « براغيت الست »
 لأنه في حجم صغير جداً يشبه البرغوث ،
 وقد قل هذه الأيام .

برج

هي في لسان الفلكيين أمكنة في السماء
 تنقل فيها الشمس . وكل برج من الأبراج
 يدل على معان ، وعندهم أن لكل كوكب
 أبراجه وطبيعته ، ولكل يوم من أيام الأسبوع
 سلطنة كوكب ، فيوم الأحد كوكبه الشمس ،
 طبعه حار يابس ، معدنه الذهب ، ملكه
 العلوى رفاييل ، والسفلى « ميمون » . يوم
 الاثنين كوكبه القمر ، طبعه بارد رطب ،
 معدنه الفضة ، ملكه العلوى جبريل . يوم
 الثلاثاء كوكبه المريخ ، طبعه حار يابس ،
 معدنه النحاس ، ملكه العلوى ميخائيل .
 يوم الأربعاء كوكبه عطارد ، طبعه ممتزج ،

برد العجوز

هو اسم لثمانية أيام ، وهي الثمانية الأولى من شهر أمشير القبطى ، ويظن أن العجائز أكثر بها تأثراً . وتلك التسمية قديمة ، فإن العرب كانت تسمى الأيام السبعة بين آخر شباط وأول آزار أيام « برد العجوز » ، وأهل الشام يسمون هذه الأيام « عدو العجائز » .

برطمة

يقولون : فلان يبرطم زى الترك ، وغرضهم أنه يتكلم كلاماً غير مفهوم ، ولا يسمع منه إلا حروف غامضة خشنة غليظة ثقيلة . وما كان أكثر ما يبرطم التركى ، ويشتم المصرى ويحتقره ، كقولهم : « وكور عرب » بمعنى فلاح أعمى ، لأن العمى فى مصر أكثر منه فى بلاد الترك . . وقبطى عرب ، أى عربى قبطى . وبس عرب ، أى عربى قذر . وعرب عقلى ، أى عقل عربى ، يعنى سخيىف . وعرب طبيعى ، أى طبيعته طبيعة العرب دنيئة . وإذا أراد أن يؤكّد شيئاً ، قال : إن فعلت هذا أكون من العرب . وإذا سئل كم كان عددكم فى هذا المجلس ؟ قال : ثلاثة ومصرى ، أو أربعة ومصرى ، لأن المصرى غير محسوب .

البرقع

البرقع هو غطاء يغطى وجه المرأة . وكان يلبسه بنات البلد . ويكون من الكريشة أو الحرير الأسود المكروش . وكان يصنع بالحلّة الكبرى ضمن ما يصنع . ويعلقن فيه قصبه ، وهى تختلف باختلاف الغنى والفقر . فقد تكون القصبه من الذهب أو من الفضة المطلية بالذهب ، أو من النحاس كذلك . ومنه نوع يسمى المشخلم . وهو برقع مخرق خروفاً واسعة أو ضيقة ، مرتبة على أشكال هندسية : من مثلث أو مربع أو خمس ، وغير ذلك .

ونساء الشرقية تضع على البرقع قطعاً من الذهب تسمى « غازى أو بندق » . والفتيات منهن يرتبن تلك القطع صفوفاً من أول البرقع إلى آخره . ويضعن تحت القصبه مرجاناً . وتلبسه الفتاة فى الشرقية مثلاً بعد العاشرة .

وأما نساء البحيرة فلا يضعن قطع الذهب على البرقع . وبعض النساء لا يضعن قصبه ، وبعضهن يلبسه من النوع الأبيض . وبعض الفقيرات يتبرقعن بقطعة قماش من النسيج السخيىف من القطن أو الكتان ويعلقن بدل القصبه عقلة غاب .

البركة

هي سر الله والأنبياء والأولياء في الأشياء ، فتي حلت البركة في شيء كفي الحاجة وربما ؛ فمثلاً إذا كانت البركة في المال سد مطالب كثيرة ، ولذلك قالوا عند ذلك « حصت البركة » وإذا لم يكن فيه بركة تشتت من غير أن يقضى الحاجات ، وقالوا فيه قلت بركته . وكذلك في الأعمار فهم يقولون : إن العمر إذا كان مباركا أنفق في كثير من وجوه الخير ، وإذا قلت بركته أنفق في غير طائل . وكذلك في الأشخاص ، فالرجل المبارك هو الذي يكون مصدر سعادة لمن حوله ، وغير المبارك من لم تكن منه هذه السعادة ، وهكذا في كثير من الأشياء .

وسموا نوعاً من البذور حبة البركة تيمناً بها . فهي في اعتقادهم تشفى كثيراً من الأمراض ، وزيتها كذلك ينفع خصوصاً في أمراض الصدر وسموا بركة ومبروك وبركات ؛ وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، والتحيات المباركات ، وبارك الله فيكم الخ ... ويقولون عند الزواج والتهنئة بالشئ «مبروك» . ومن دعائهم «بارك الله فيه» . ويستعملون الكلمة في الفرحة بالاستغناء عن الشيء فيقولون : والله بركة ؛ في شيء يستغنى عنه في سرور . وإذا وجدوا المسجد مغلقاً قالوا : « بركة يا جامع اللي جات منك وما جاتش منا » .

وكان البرقع في أول أمره أبيض أو أسود من النوع السميك . وكان عربياً حتى يدارى صدغى المرأة إلى أذنيها . وقصبتة قطعة قماش منه . وكان البرقع يثير في نفوس الرجال حب الاستطلاع ويثير الخيالات . فهو يستر وجه المرأة إلا العينين .

ومن أمثلة العامة في ذلك « ياما تحت البراقع سم ناقع » ، ومن الأمثلة أيضاً التي تتعلق بهذا « لبس البوصة تبقى عروسة » وأصله أن عروسة البرقع عبارة عن قطعة من القصب أو الغابة لبست بقطعة من الذهب أو الفضة أو النحاس ، فإذا ركبت على الغاب ، سميت عروسة ولم تكن قبل ذلك إلا غابة . وكنوا بهذا عن أن الفتاة أو المرأة إذا حليت بالثياب كانت عروسة جميلة .

وقد أخذ البرقع في الزوال شيئاً فشيئاً بناء على الدعوة إلى السفور . ومصيره على ما يظهر دار الآثار .

وليس للبرقع علاقة بالهجر ، فقد تفجر المحجبة وتعف السافرة .

برمكى وبرامكة

في لسان المصريين تطلق كلمة « برمكى وبرامكة » على الذين فقدوا الغيرة وأتوا بأعمال جنسية مشينة ، مع أن البرامكة في عهد الرشيد كانوا من خيار الناس وكانوا أبعد عن هذا المعنى . ولكن يظهر أن الرشيد لما نكل بهم كان أتباعهم يختمون ويتبرءون منهم ، وما زالوا كذلك يتناسلون حتى سقطوا في الرذائل . وسبب آخر ، وهو أن البرامكة كان لهم مغنون ومغنيات أيام عزهم ، فلما نكبوا تسكع رجالهم ونساؤهم على البيوت للإيجار فسقطوا من أعين الناس ورموا بهذه الشنائع . وفي التاريخ بعض الأمثلة على هذا ؛ فمن القبائل التي نزلت الفسطاط في عهد الفتح قبيلة تسمى « بالعتقاء » ولكن يظهر أن القبيلة سقطت بعد ذلك في البؤس والفقر ، فأطلق على مصلح النعال القديمة « عتقى » . وكذلك « حرام » كانت قبيلة مشهورة بالشدة والبأس ، تنازعها الشدة قبيلة أخرى مثلها تسمى « سعد » . فما زالت « حرام » تنحط حتى قيل لكل لص حرامى .

بشركة

يقولون « إن صح العيش ، يبق الباقي بشركة » أى يكون ترفا . ويقول الطفل « هات قرش أتبشرك به » ، أى أتزده ، ويسمون اللب الذى يقزقزونه للتسلية أو الفسقى أو مما مثل ذلك « بشركة » .

بصاص

يقال للجاسوس « ببصاص » من بص بمعنى نظر .

البصبصة

لنا فى تخريجها رأيان : الأول أنها مأخوذة من بص بمعنى نظر ، تكررت فصارت بصبص . ورأى آخر وهو أن أصلها وصوص ، والوصوصة نوع من النظر بالعين ، يقال وصوص الكلب إذا نظر . وللمصريين خصوصاً فى العهد الماضى شهرة فى البصبصة هذه قد اعتادوها فى النساء واعتادها النساء من الرجال . ولذلك تزين المرأة وتجمل كأقصى ما يكون ، وتتخلع فى المشى خصوصاً أمام الرجال ، وتمن النظر فى المرأة حتى تتأكد من أن زينتها وهياتها على ما ترغب . ثم تمشى فى الشارع ، أو قل تعتمد المشى فى

والتغنى بهما ، فلا تكاد ترى أغنية لم يصف
فيها العاشق رغبته في الوصال ، وأباه لهجران .
ولذلك ألف السيوطى وهو عنوان المصريين
كتباً كثيرة في هذا الباب أستحى من ذكر
أسمائها ، وهو معذور في ذلك لأنه كان في وسط
مملوء بهذه الشهوات . وربما اكتسحت المدنية
كثيراً من هذه العادات ، واخترعت أساليب
أخرى كصور النساء العارية ، وحسن الحديث
الخاص ، والتلميح البعيد في التغنى بجمال المرأة
ورشاقتها وحسن حديثها إلى غير ذلك .

بصل

إنما أذكره لأذكر شيئاً عن عادات
المصريين في البصل ، إن الجن إذا صحبت
إنساناً وأرادت أن تهدي إليه شيئاً أهدت
إليه قشر بصل ، فإذا طلعت الشمس انقلب
ذهباً . ومن فوائده عندهم أنهم يعصرون
البصل وينقطنون نقطاً منه في العين إذا
كانت مقروحة ، فتشفى بإذن الله . وأحياناً
يضعون من قطرة البصل هذه في عين الأرمد
بعد أن يضاف إليها قليل من الشيح ،
ويداؤون من هذه القطرة المعنى عليه بوضع
شئ في أنفه . وفي زمن الأوبئة يكثرون من
أكل البصل وشمه ، ويعتقدون أن الإنسان
إذا دخل بلداً جديداً كان أول ما يأكله

الشوارع المملوءة بالحوانيت والمقاهى ، فيتعرض
لها السوقة بأفماظ تدل على الاستجمال
والاستحسان والاستلطاف . فيقول الرجل
مثلاً : الله الله ، يا عيني يا عيني ؛ يا حافظ
يا أمين ، إيه دا الجمال ده ؛ والله ما فيش كدا
أبدا ؛ والله ما فيش غيرك ؛ قتلتنا والنبي ترحمي ؛
آدى الغزال ؛ آدى الجمال ؛ هنز ياوز ؛ ماشاء
الله ؛ يا ست ؛ يا باشا ؛ يا روحى يا قلبى ؛
يا بخت اللى قالى . . . وإذا كانت سميحة قالوا
لها : يا تحت ؛ يا جمل ؛ يا سررب ؛ فتزيد
هى فى خلاعتها . وإذا لم تسمع مثل هذه
الكلمات رجعت إلى بيتها حزينة ونظرت
في المرأة لترى ما جعل الرجال يعرضون عنها .
وكل هذا دليل على غلبة الشهوة على هؤلاء
وهؤلاء .

ومن النساء من تبصص للنساء ، فإذا
رأت المرأة امرأة جميلة غازلتها أيضاً ولافت
عليها وقد تحمكت بها . ويمجبنى قول بعضهم
في النساء المصريات بعد أن ذكر غيرهن من
الأجناس ، فقال : إن المصريات ألطف كلاماً
وأرق طبعاً ، وأحسن وجوهاً ، وأعذب منطقاً
ومحادثة ، وأكثر شبقاً من جميع النساء .
والبدويات أكثر متعة للرجال . . . الخ مما
لا يصح أن نذكره .

ولهذه الشهوات كثر العشق والغرام

البطاطة

هي أشبه ما تكون بالبطاطس إلا أنها أطول منه وأحلى . والمصريون يكثرون من أكلها من غير خبز ، مشوية ، ومسلوقة . وهي طعام كثير من الفقراء ، يأكلونها فيستغنون بها عن الخبز — وكثيراً ما ترى في شوارع القاهرة عربات محملة بالبطاطة ينادون عليها .

وقد يضع بعض الباعة على عرباتهم فرناً صغيراً فيبيعونها ساخنة ، لأنها خير ما تؤكل ساخنة .

وقد اشتهرت بطاطة سيدي جابر لأنها على ما يظهر تجود في الأراضي التي حوله في الإسكندرية . وقد اشتهر جابر بشيئين : (١) هذه البطاطة (٢) ولحم الرأس ، إلا أنهم في المنادة على لحم الرأس يقولون : يا جابر فقط من غير سيدي ، أما البطاطة فينسبونها إلى سيدي جابر .

وكثيراً ما تنسب المأكولات إلى المشايخ كنسبة الترمس إلى سيدي الامباني ، والبطاطة إلى سيدي جابر ، والخص إلى المليجي والحلاوة للسيد . وهكذا .

البصل . ومن أمثلتهم في ذلك قولهم : « بصلة المحب خروف » .

ومن الأمثال أيضاً « بصل بخمسة وبخمسة بصل » . تقوله إذا ذكرت كلاماً لمعنى خاص وذكر من تكلمه كلاماً طويلاً لا يخرج عن هذا المعنى . أى : إن معنى هذا الكلام هو معنى ذلك . ويقول أهل الجزائر « الحج موسى ، موسى الحج » ويقول الأتراك : « يا على يا ولى يا ولى يا على »

ويستعمل البصل كثيراً في ليلة شم النسيم ويعلق على أبواب البيوت وعلى السرير وعلى الغرفة اعتقاداً بأن الأرواح الشريرة إذا حضرت وشمّت البصل ذهبت ولم تعد .

بصلة

يطلقونها على الرجل البليد الجامد المغفل ، وهي تركيبة الأصل — أصلها بودالا .

بط

البط معروف ، فيقولون : بط الفطير أو بطبطه أو بططه ، إذا قطعه وخبطه بيده ليساويه قطعاً قطعاً قبل خبزه . ويسمون المرأة القصيرة الممتلئة «بطة» . وربما كانت محرفة عن بضة . والبط طائر معروف بمصر يستخدم في الأكل كثيراً . ولحم في طهيه تفننات كثيرة وخصوصاً أهل دمياط . ويصفون الأسود منه للمرضى بالشلل وخصوصاً أكل كبده .

بطن

اختفت هذه الكلمة فصار الرجل يقول :
معدته تؤلمه ، أو كبده ، أو نحو ذلك .
ويقولون بطن الوادى لما ليس بعلاء .

بطيخ

البطيخ معروف . وأجود ما يكون من
يافا . ولذلك يقولون بطيخ يافاوى . ثم استجلبوا
اللب من شلى وزرعوه وسموه شِلين ، فكان
خيراً من اليافاوى . ويزرع من غير سقى .
ويسمى ما يزرع كذلك بعليا . وهو أجود
مما يسقى بالماء . وإذا كانت البطيخة طرية
قالوا لها بطيخة ماوى ، يشربونها كما يشرب
الماء . ويعتقد النساء أن البطيخة المشقوقة إذا
شما ثعبان نجح فيها سما ، فيكون فيها دود
صغير ؛ ولكن إذا وضع في قلب البطيخة
سكين لا يقربها الثعبان ، وخبر من ذلك
اليوم وضعه في الفريجدير أو التلاجة فيكون
مثلجاً لطيفاً . وإنما وجد الدود من الذباب
يعف عليه لا من الثعبان . . وإذا قشر البطيخ
وجفف في الشمس كان منه دقيق يضعونه
للدجاج أو الوز ، ولب البطيخ يجمعونه ويحمسونه
في القرن أو على وابور الجاز ويضيفون إليه
ملحاً ويقرزونه للتسلية ، وهي عادة مشهورة .
واللب أنواع : لب البطيخ هذا ويسمونه لب
أسمر ، ولب القرع الاسطمبولى ويسمونه

يقولون في شتائمهم : جاه البطن : أى
الإسهال ، وفلان مريض بالبطن ، أى
الديستاريا ، أى الإسهال المزمن ، ويقولون
هذا الشيء بالبطن إذا كان رديثاً ، ويقولون
للنبات إذا قطع ونبت من جديد : إن هذه
هى البطن الثانية أو ثانى بطن ، ويقولون
خلاها بطن حمار — إذا أفسدها بسوء تديره .
ويقولون لمن لم يفضب إن عنده بطناً كبطن
السيد ، كأن بطن السيد في زعمهم واسعة
واسعة . ويروون أنه فتح فيه لأحد الذين
اعترضوا عليه وأمره أن ينظر إلى حلقه
فوجد في بطن السيد دنيا أخرى ، فيها المدن
والقرى والمزارع والأنهر والبحار والجزائر
والأسمك والطيور والوحوش والملوك والأمراء .
ويقولون على الطبقة الأولى من الموقوف عليهم
البطن الأولى ، وعلى من بعدهم البطن الثانية
ويقولون في وقفيتهم بطناً بعد بطن ، أى
جيلاً بعد جيل .

وقبل أن يتنقف الشعب كان لا يخصص
المريض عضواً من الأعضاء ، فيقول الرجل
بطنى توجعنى ، سواء أكان الذى يوجعه
معدته أو مصارينه أو كبده أو كلاله .

فلما تقدم الناس في الثقافة الصحية

بغلة

يقال للمرأة إذا عقت « بعلت » لأن البغلة عقيم ، ويقولون للرجل العجى « بغل » .
 ومما كان يدور على السنة العامة كثيراً حكاية « بغلة العشر » وهي بغلة كانت تظهر - فيما يقولون - في العشر الأولى من المحرم ، وبعضهم يطلقها على العشر الأخيرة من رمضان ، وتدور في شوارع القاهرة بعد منتصف الليل ، وعليها خرج مملوء ذهباً ، وفوق الخرج رأس قتيل ؛ فمن كان جيد الحظ عثر عليها ، يأخذ ما في الخرج ويملؤه قشر بصل أحمر ، وإذا أسعده الحظ وأدخلها إلى بيته ، ربما اعتادت ذلك كل سنة . وقد تذهب البغلة إلى باب المحظوظ من نفسها وتدقه برأسها ، فيفتحون لها فتدخل وتلقى ما عليها .
 وادعى قوم أنهم رأوها ، ولذلك كثير ممن كانوا فقراء اغتنوا بلقيام « بغلة العشر » .
 ويحكى أن فلاناً كان فقيراً ، واستيقظ وظل إلى قرب الفجر فخرج يريد المسجد فوجد الشارع كله مملوءاً سلماً ، وتقدم أحد الجن فقال له لا تخف ، وملاً له حجره قشر بصل وقشر ثوم ، فلما وصل إلى بيته رمى هذا القشر ، فلما طلعت الشمس وجدته ذهباً وفضة .
 وحدث شيخ هرم قال : كنت جالسا مع ثلاثة من زملائي في دار صديق لنا على

لب أبيض ، وقد يعملون من اللب الأبيض هذا مربى ، ويضعونه لمن ازداد عنده الضغط الدموى . وهم يستعملونه كثيراً عند السم في الليل ، أو الجلوس على القهاوى .
 وفي مصر دكاكين كثيرة خصصت لبيع اللب الأسمر والأبيض والحمص والذرة الحمصة ، وتسمى « فيشار » . ومن أقوالهم « حط في بطنه بطيخة صيفي » ، بمعنى أنه لم يكثر ولم يهتم .

بجمع

البيع في لسان المصريين مخلوق غريب مخيف ، يخوف به الأطفال . وزعموا أن هذا الاسم من اللغة المصرية القديمة وأنه عندهم اسم لعفريت مصرى قديم . وهو من الأشياء التي تخلع قلوب الأطفال من الصغر ، وتنشئهم جبناء . ومن أجل ذلك وأمثاله اشتهر المصريون بالجن ، فكلما بكى الطفل خوف بالبيع أو أبو رجل مسلوخة « والمزيرة » . ونحمد الله أن زالت هذه الخرافات ، واختفى البيع فكان النسل الجديد أشجع .

البغدة

هي صفة من صفات الرقة واللطف والظرف . فيقال للمرأة تبغدت إذا رقت ، وظرفت في معاملاتها . وكان عندنا خادمة سوداء تسمى مَبْغِدَة .

البق

البق حشرة صغيرة حمراء اللون ،
مفرطحة ، تقرص ، وخصوصاً النائم ،
فلا يستطيع معها نوما ، وهي أخبث من
الناموس ومن البرغوث ، وتنتشر في الحجره
القذرة خصوصاً إذا كانت فيها أخشاب ، فإنها
تلبد في ألواح الخشب . وقد قلّ البق باستعمال
المطهرات والتزام النظافة ، وهو كثير الولادة .

ويقول العامة في أمثالهم « زى البقة
تولد مية وتقول يا قلة الذرية » .

ويعتقدون أنه يمكن التغلب عليه
بالتعويذة الآتية : تكتب أربع أوراق وتلصق
على أركان الغرفة « يس والقرآن — لو
أزنا هذا القرآن على جبل — لنن لم تنتهوا
لنرجنكم ولیمسنکم منا عذاب أليم » إذهب
أيها البق والبرغوث والململ بإذن الملك الحق
وبألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
ويبخر الورق بعد كتابته بحصا ولبان ذكر .

بقر من غير قرون

يقولونها لمن كان جهولا شديد الغباوة ،
كأنه لا فرق بينه وبين البقر في عقله
إلا القرون ، فإن البقر بقرون وهو بغيرها .

قارعة الطريق ، في الليلة التي تظهر فيها بغلة
العشر ، وقد غرنا على تمضية الليل كله سهرنا
وفي الثلث الأخير من الليل سمعنا وقع حوافر ،
فقلنا لعالمها بغلة العشر ! وما خاب ظننا ، فقد
وجدنا بغلة سوداء تحمل زكبية ، فأدخلناها
الدار وأمرنا بإحضار شيء كبير من القمح
للبغلة ، ووجدنا الزكبية محشوة ذهباً ، ثم طلع
علينا عبد أسود ، وسألنا : ألم تروا بغلة ضلت
عن الطريق فقلنا : لا ... فذهب بعد أن
ملأنا الخوف .

ومن الاعتقادات الشائعة « أن البغلة
إذا حملت وولدت فهذا دليل على انتهاء عمر
الدنيا » .

وكان العلماء المظطمون يفضلون ركوب
البغلة على الحمار والفرس لسهولة سيرها ،
وكانت في ذلك تقوم مقام السيارة اليوم .
وكان العلماء والعظماء يختصون لذلك بركوب
البغال . ومن الأمثال المشهورة « أقول له بغلة ،
يقول لي حمار » ، يقال لمن لا يفهم . ومن
الأمثال للفرس : من أبوك ، قالت البغل خالي .
ووصف ظريف لطيف بغلة بطيئة السير

فقال فيها :

لك يا صديق بغلة

ليست تساوى خردلة

تهتز وهي مقيمة

فكأما هي زلزلة

بقشيش

ولما كان اليوم السابع قالت إن جارتنا فلانة ذهبت إلى الحمام بعد نفاس ولا بد من بقشيش ولما كان اليوم الثامن قالت إن إحدى جاراتنا ليلة الحناء لها ولا بد من البقشيش ، ولما كان اليوم التاسع قالت إن أحد جيراننا قد قدم من الحج ولا بد من البقشيش ، ولما كان اليوم العاشر قالت إن أحد جيراننا قدم من سفر ولا بد من البقشيش ، فلما ضاقت به الحال قال : أيتها المرأة ارشدى واصفى واقصدي إما أن تكفى عن هذا الإنفاق وعن تكليفي ما لا يطاق ، وإلا فالفراق والطلاق والبقشيش إحدى المصائب الثلاثة المصرية وهي البقشيش ومعلش وأنا مالى .

بكرة

تستعمل فى لسانهم بمعنى غدا ، والذى يريد أن يعد ولا يبنى يقول بكرة . ومن أمثالهم : بكرة نقتل الغراب . يقال مثلاً لمن يقول ولا يبنى . وأصل المثل أن الضفادع تجتمع فى الماء ليلاً وتتنق ، ويزعمون أنها فى نقيقتها تقول : بكرة نقتل الغراب . وقد استوحوا هذه الجملة من صوت نقيق الضفادع لأن الغراب إذا رأى ضفدعة اختطفها ، ويزعمون أن الضفادع تحتفى بالهار خوفاً منه ولا تعمل شيئاً ، فيطلقون المثل على من يقول

هو بمعنى منحة صغيرة تمنح لمن خدمك خدمة صغيرة . كأن يقدم لك قهوة أو يدلك على طريق أو يحضر لك عربة أو نحو ذلك . وأحياناً يسمون البقشيش حق الدخان واعتاد الإنجليز عادة حسنة بأن يضعوا البقشيش فى طبق أو نحوه ، ويفطوه بورقة ونحو ذلك حتى لا يجرح إحساس آخذه ، وقد غالى فيه المصريون فكثروا عندهم من يتطلب البقشيش ، فإذا زرت أحداً وخرجت إلى الشارع لتركب سيارتك وجدت من ينتظر البقشيش ، وهكذا فى كل خطوة . وقد وضع أحمد فارس الشدياق فى كتابه «الساق على الساق» مقامة لطيفة فى البقشيش فإن زوجته فى أول يوم طلبت منه بقشيشاً لأن جاراً له تزوج ، فلما كان اليوم الثانى ولد لبعض جيرانه ولد فطلبت البقشيش ، ولما كان الثالث قالت إن أحد جيراننا ختن ابنه وطلبت البقشيش ، ولما كان اليوم الرابع قالت إن بعض جيراننا ولد له ولد ، فلما كان اليوم الخامس قالت إن أحد أولاد الجيران قد ختم القرآن فلا بد من البقشيش ، ولما كان اليوم السادس قالت إن أخاه قد أحرز فى المكتب درجة ولا بد من البقشيش ،

ويأتون بنرجيلة (أى شيشة) ويدخنون
التبناك بالزرنينخ ، ويأسرون المريض أن
يدخنها حتى تنتهى ، فيشعر بارتخاء فى
المفاصل .

بلاش

أصلها بلا شىء ، ولكنهم جعلوها كلمة
واحدة . مثل قولهم « البلاش كتر منه » .
ويستعملونها كثيراً فى معنى النهى . فيقولون :
« بلاش هيصة » أى لا تهيص . وبلاش
خبص . وبلاش جرسة . وبلاش فضيحة .
وبلاش دوشة . وبلاش شيطنة . وبلاش
إمارة . وبلاش كذب . وبلاش لؤم .
وبلاش بهدلة . وبلاش بهللة . الخ . . .

البلاص

والأصح البلاصى ، لأنه نسبة إلى بلد
فى الصعيد ، يقال لها البلاص . وهو يلعب
دوراً كبيراً فى الأرياف ، خصوصاً لأنهم
يملاؤن به الماء من الترغ والأنهار كل يوم .
وللفلاحة مهارة كبيرة فى كيفية وضع البلايص
على الرؤوس . وكثيراً ما تغزّل الفلاحون فى
النساء يحملن البلايص ، ويعدن إلى
بيوتهن تغنين .

شيئاً ولا يفعله ، ويسمون هذا أيضاً « جنج »
ومن أمثالهم أيضاً : « بكره نسمع وبمده
نشوف » وهو أشبه بالمثل العربى القديم
« عش رجياً ترعجياً » ومن أمثالهم أيضاً :
« بكره نعد على الفرش وننفش » يضر بونه
فى موضع أنهم سوف يلاقون غداً ، ويظهر
فيه كذب المدعى ، ومن أمثالهم أيضاً : « بكره
يفتح السوق وبيان العطار من البيطار » .
يعنون بذلك « ستبدي لك الأيام ما كنت
جاهلاً » .

ومن أمثالهم أيضاً « بكره العيرة ترجع
لأصحابها » يعنون بذلك أن العارية لا ثبات
لها وهى كقول ابن الوردى :

والروح فىك وديعة أودعتها

ستردها بالرغم عنك وتسلب

البلا

يطلق عادة على مرض الزهرى ، وكان
اعتمادهم فى مداواته على شرب الزيت الحار
النقى . وقد يعالجونه بأن يوضع شىء من الملح
الجريش فى خرقة ، ويغلى الزيت الحار فى
إناء ويغطس فيه الملح ، ثم يخرج وهو ساخن
حار وتكوى به القرحة ، وأحياناً يملؤون
محجرة من الفحم حتى يحترق ، ويصير ناراً ،
فيدخلونها إلى قاعة سدت كل نوافذها ،

بلانة

ذلك الذي يأتي من الحجاز، فأكثر الحجاج تكون هديته عبارة عن كمية من البلح الحجازي الناشف، وكمية من ماء زمزم معبأة في أوان من الصفيح . وكثيراً ما يضعون البلح في فتلة ويعلقونها في رقبة الطفل طلباً للبركة .

البلغة

البلغة حذاء من جلد أصفر واسع يابسه بعض الرجال خصوصاً معلمى الصنائع، كالبناء الكبير والمبيض الكبير وخصوصاً المغاربة أيضاً .

ويظهر أن أصله من فاس في المغرب، لأهم ينادون عليها « البلغة الفاسي »

وكثيراً ما كنا نرى في الشوارع وعلى القهوات منادين ينادون عليها، ويعلنون عن جودتها، بخرط أحد التعلين على الآخر .

والأحذية أيضاً فوضى كسائر أنواع الملابس، فمنهم من يلبس البلغة هذه، ومنهم من يلبس المركوب الأحمر المحني مقدمه شبه المركب، ومنهم من يلبس المركوب المستقيم، والمحدثون يلبسون الجزمة . وعلى كل حال تعددت نعال الرجل بحسب أذواق لابسها وحكم صناعتهم .

وفي القاهرة مكان يسمى التريبعة تباع

البلانة امرأة تغشى البيوت، ويكون عملها مساعدة ربة البيت أو بنتها فيما يلزمهما في الحمام، من نزع الشعر من على الوجه والعانة بحلاوة السكر المعقود أو نحوها . وهي التي تتولى شئون الفتاة عند زواجها، فهي التي تدخل مع العروس في الحمام، وتهيئها وتنظفها . وهي التي تحني الفتاة في ليلة الحناء، وتجملها في ليلة الزفاف .

وقد تكون واسطة إذا كانت هناك علاقة حب وغرام . وهي لا تكون عادة إلا في بيوت الأغنياء، والطبقة الوسطى الشبيهة بها ..

البلح

هو في مصر أنواع كثيرة : من أشهرها البلح الأمهات، والبلح الحَيَّاني، والبلح الزغلول، والبلح السمانى، وبلح ابن عيشة . ولأن البلح الحَيَّاني كبير غليظ قالوا أحياناً في المرأة « إنها صوتت صوتاً حَيَّاني »، وأحياناً يستخرجون منه الخمر . ويأكله كثير من المصريين، وهو غذاء طيب لطبقة كبيرة من الفقراء بأنواعه المختلفة . وقد ذهبتُ مرة إلى الواحات الخارجة، فوجدت أكثر طعامهم البلح والأرز . ومن أشهر أنواع البلح

فيه البضاعات المغربية من بلع و بطاطين ،
وحرمانات ونحو ذلك .

ومن غريب الأمر أنه كان في هذه التريفة
تاجر يبيع البنغ والبطاطين المغربية ، فعثر على
نسخة مخطوطة من كتاب أمالي القلى ، طبعها
لأول مرة في مطبعة دار الكتب .

بلطجة

يطلقونها على عدم الاكتراث وأكل
حقوق الناس بالباطل . يقال فلان يبلطج
إذا كان مثلاً عليه دين فلم يؤده ، وبلطجى
للشخص القوي الذى يأكل مال الناس
ويستهتر ويعيش عيشة بوهيمية غير مكترث
بأحد . وهذا الاسم مستعمل في القاهرة ،
وفي هذا المعنى يستعمل الإسكندرانيون كلمة
« أبوأحد » وهي نظير الكلمة القديمة التي
كانت تستعمل في هذا المعنى وهي « الفتوة »

بلسكى

يستعملونها بمعنى ربما أولعل ، فيقولون :
بلسكى كذا ، وهي فارسية الأصل للدلالة
على الشك .

بليلة

هي قح أو ذرة ، تغلى حتى تنضج ،
والمترفون يضيفون إليها لبناً حليماً وسكراً ،

وقد يضيفون إليها أيضاً زبدة .

وهناك بليلة شركسية ، وهي أن تسلق
الذرة بكيسانها قبل أن تجف ، فتكون لذيدة
الطعم . وكنت في صباى أمر في الشوارع ،
فأجد بائع البليلة جالساً على كرسي وأمامه
النار وعليها طشت كبير فيه بليلة ساخنة ،
إما من القمح وإما من الذرة ، وبجانبه
مقطف فيه سكر ، فأشترى منه بلميمين ،
وهذا يكفينى . أما إذا كنت غنيا فإني أعاف
البليلة وأفطر فطيرة بسمن بقرش . وقد
اندرت هذه العادة إلا في القليل النادر .

بنات الهوى

هو اسم يطلقه المصريون على العاهرات ،
وهو إطلاق لطيف ، لأنهن أصبحن أسيرات
الهوى والضلال . والمراد بالهوى هنا العشق
والغرام وما يلزمهما . وقد اطلعت على رسالة
لمؤلف يهودى مصرى سماها : « باريس
وملاهيها ، وبنات الهوى فيها » يقصد منها
تعريف المصريين عن كيفية العشق والغرام ،
في أزهر مدينة أوربية ، ويحثهم على عدم
إهمال الحظوظ في الحياة والمبادرة إلى الانغماس
في المدينة الأوربية ، ويصف محلات أولئك
النساء وطريقة مخادنتهن .

السطوح ليلا ومعهم الإباء الذي فيه البندق
والماء ، وعند طلوع نجم مخصوص يزعمونه
يتلون العزائم ويشيرون إلى ذلك النجم ،
فيدعون أنه ينزل ماء في ذلك الإباء
فيحافظون عليه جدا ، ويدعون بأنه دواء
لكل الأمراض الجلدية ، تشفى منه دهة
واحدة من هذا الماء ، من جرب وزهرى
وخراجات ونحو ذلك .

(انظر حلب النجوم)

بنديرة

قطعة من الرق تشد على وعاء من
النحاس ، سعة آنية الطعام ، المسماة «سطينية»
يضربون عليها بقطع من الجلد في الأذكار
ضربات متنوعة .

بني

نوع من السمك يقال له سمك بني ،
ذنبه أحمر ، وشوكه الذي بجانبه أحمر ، وقد
وضعت عليه العامة أغنيات من أشهرها :
بني يا سمك بني

متفرش ومتحشي

طول الليل واما داير

وسمكي معي باير

بندر

تطلق على المدينة فيها أسواق تجارية ،
وموظفو حكومة . وهي على ما يظهر كلمة
فارسية ، بمعنى مركز تجارى . ولذلك يسمون
رئيس التجار « شاه بندر » . ويقولون : شاه
بندر التجار ، أى رئيسهم ، فكان كلمة بندر
رئيس القرى .

بندقى

هو نوع من النقود يظهر أنه كان يضرب
في البندقية ؛ فالعامة تسميه بندقى . ولا
أدرى لماذا اعتقد فيه العوام أنه من أسباب
المشاهرات ؛ فإذا دخل أحد ومعه بندقى
أصيبت المرأة بالمشاهرة ، أعنى بالمقم .

ولهذا تعتاد الوالدة أن يكون معها
(بندقى) ، حتى إذا دخل أحد ومعه بندقى لم
يضرها . وكذلك كان يعلقه في رقبته من
به مرض بعينه استشفاه به . وكذلك المرأة
عند طهرها من الحيض تضع البندقى في وعاء
وتصب عليه الماء سبع مرات لثلاث تعاق
عن الحمل .

ويزعم بعض الناس أن من فوائده أنه
تحلب عليه النجوم ، وذلك أن بعض من يدعون
السحر يضعون بنداقة في الماء ويجلسون فوق

أوحشتني والله يا مالكي
قطعت يومي كله لم أرك
هذا جفاء منك ما اعتدته
وليتني أعرف ما غيرك
فكلمة أوحشتني ، وأعرف ما غيرك ،
تعبيرات مصرية ظريفة . وقوله :

إن شكا القلب هجرم
مهد الحب عنـدم
لو علمتم محلكم
بفـؤادي لسركم
قصروا عمر ذا الجفـا
طوّل الله عمـركم
شرفـوني بزورة
شرف الله قـدركم
كنت أرجو بأنكم
شهركم لي ودهـركم
فستيم وإنـما
أنا لم أنس ذكركم
وصبرتم فليتنـي
كنت أعطيت صبركم
ورأيتم تجلدي
في هواكم فقـركم
لو وصلتكم محبكم
ما الذي كان ضرركم

طول الليل وأنا بموت
حاطط راسي على الزعبوط
مستنى الحليوة تفوت
يزول الوجـع مني
بني يا سمك بني

البهاء زهير

إنما أوردناه هنا مع إقلاننا من الأعلام
لأنه كان شاعراً مصرياً تغلب فيه الروح
المصرية والعبارة المصرية في أشعاره .
ولذلك لا ينتظر القارئ مني تاريخاً
لحياته ، وإنما توضيحاً لرقته ورقة أسلوبه
كقوله :

أرحني منك حتى
لا أرى منظرك الوعرا
فقد صرت أرى بعـد
سك عن الراحة الكبرى
فما تنفع في الدنـ
يا ولا تنفع في الأخرى
لقد خاب الذي كـد
ت له في شدة ذخرها
فكلمة منظرك الوعر ، وفلان لا ينفع
في الدنيا ولا في الأخرى ، وبعذك راحة ،
كلها تعبيرات مصرية ظريفة . وقوله :

أصبح عندي سمكة
وكسرة مدرمكة
أردت أن أحضرها
على سبيل البركة
فكلمة على سبيل البركة، تعبير مصري.
وقوله:

يا حسن بعض الناس مهلا
صيرت كل الناس قتلى
أسرت جنونك بالهوى
من كان يعرفه ومن لا
يا هاجري لا عن قلى
هجر ابنة المهري طفلا
لم تلق غير حشاشة
من مهجتي وأخاف أن لا
ورسوم جسم لم يدع
منه الهوى إلا الأفلا
وبمهجتي من لا أسمى
ه وأكتمه لثلا
عانقت منه العصن في
حركاته قدا وشكلا
وكشفت فضل قناعه
بيدي عن قر تجلى
فلثمته في خده
تسعين أو تسعين إلا

مات في الحب صبوة
عظم الله أجركم
فكلمة طوّل الله عمركم، وشرف الله
قدركم، وعظم الله أجركم، كلها تعبيرات
مصرية صميمية. وقوله:

لئن الله حاجة
أجأتني إليكم
وزمانا أحالني
في أموري عليكم
فمسي الله أن

يخلصني من يديكم
فجملته: لئن الله حاجة أجأتني إليكم،
وربنا يخلصنا منكم، كذلك تعبيرات
مصرية. وقوله:

أنا أدري بأنني
قلّ قسى لديكم
فإلى كم تطأني
والتفاني إليكم
من رأني يرقّ لي
ضائعا في يديكم
كان ما كان بيننا
وسلام عليكم
فكلمة ضائعا في يديكم، وكان ما كان،
تعبيرات أيضا مصرية. وقوله:

فكلمة أما قلت لك وملكنه روجى ،
وتشرب من قلبى ، وتبارك الله الذى عدلك ،
كلها تعبيرات مصرية وقوله :
حبيبي عينه قالوا تشكت
وذلك لو دروا عين المحال
أتشكو عينه أما وفيها
يقال أصح من عين الغزال
ولكن أشبهت لون الحميا
كما قد أشبهتها فى الفعال
فكلمة عينه قالوا تشكت ، وتقديم
عينه كما يقولون مثلا : الراجل قال راح ،
والبيت قال باعوه ، تعبيرات مصرية .
وقوله :

وخلائق كالروض رق نسيما
فسرى وذيل قيصه مبلول
فالجملة الأخيرة مصرية . وقوله :
وردوا نسيما جاء منكم يزورنى
فإنى عليل والنسيم عليل
وقوله :

رقت شمائله فقلت شمول
وحوى الجلال فقلت ثم جميل
وقسا ، فما للين منه مطمع
ونهى ، فما للقرب منه سبيل
أهواه : أما خصره فمخفف
طاوٍ وأما ردفه فثقیل

وأما لها من ساعة
ما كان أطيبها وأحلى
فكلمة : أخاف ألا ، ولثلا ، من
الاكتفاء فى التعبير شائع عند المصريين ،
وكذلك قوله تسعين إلا ، فكلها تعبيرات
مصرية . وقوله :

ويحك يا قلب أما قلت لك
إياك أن تهلك فيمن هلك
حركت من نار الهوى ساكنا
ما كان أغناك وما أشغلك
ولى حبيب لم يدع مسلكا
يشمت بى العذال إلا سلك

ملكته روجى وباليته
رق أو أحسن | لما ملك
بالله يا أحمر خديه من
عضك أو أدامك أو أخجلك
وأنت يا نرجس عينيه كم
تشرب من قلبى وما أنبلك
ويا مهز الفصن من عطفه
تبارك الله الذى عدلك
مولاي حاشاك ترى غادراً
ما أفبح الغدر وما أجلك
مالك فى فمك من مشبه
ماتم للعالم ماتم لك

أنت الحبيب الأول
ولك الهوى المستقبل
عندى لك الود الذى
هو ما عهدت وأكل
القلب منك مقيد
والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالسج
ون نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك فى الهوى
لكننى أتمل
نفذت معاذيرى التى

ألقى بها من يسأل
حسام أ كذب للورى
وإلى متى أجمل
قل للعذول لقد أظلمت
ت لمن تلوم وتفعل
أعتبت من لا يرعوى
وعذات من لا يقبل
غضب العذول أخف من
غضب الحبيب وأسهل

وقوله :

وقد طاب لنا الوقت
صفا من غير تكدير
فقم يا ألف مولاى
أدراها غير مأمور

ريان من ماء الجمال مهفف
أرأيت غصن البان كيف يميل
حلو الثنى والثنايا لم يزل
لى منهما العسال والمعسول
أحبابنا إن الوشاة كثيرة
فيكم ، وإن تصبرى لقليل
أيخاف قلبى غدركم مع أنه
جارؤ أقام لديكم ونزير
سأصد حتى لا يقال متيم
وأزور حتى لا يقال ملول

وقوله :

بالله قل لى يارسول
ما ذلك العتب الطويل
بالله قل لى ثانياً
فلقد طربت لما تقول
كرر لسمعى ذكرها
ودع الحديث بها يطول
بالله لما جتتها
هل كان رد أم قبول

إن عاد لى ذاك الرضا

فلك البشارة يارسول
لك مهجتى إن صح ذا
ك وإنها عندى قليل

وقوله :

لقد مر لنا يوم
من الغر المشاهير
فقل ما شئت من قول
وقدر كل تقدير
(انظر ابن دانيال والبوصيري)

بهدة

معناها عدم اكتراث الإنسان بالملابس
التي يلبسها ، حتى يظهر منظره غير منسجم .
ويقال بهدلة ، يعني أنبه وقرّعه . ويقولون :
هدومه مبهدة ، وفلان بهدلي . ويقولون :
الفقر حشمة ، والعز بهدلة ، يعنون
أن الفقير تكون ثيابه ملومة عليه ومنظمة ،
أما الغنى فلغناه يوسع ثيابه ويطيها ،
فتسمى بهدلة .

وتقول المرأة لزوجها إذا شنع عليها
وذكرها بما يشينها : « بلاش بهدلة » أي
فضيحة . وشاع في الأيام الأخيرة قولهم :
« الحب بهدلة » ، أي أن الحب يحمل الحب
غير مكترث بنفسه ولا بملابسه ، إذ كل
تفكيره فيمن يهواه ؛ فهو مبهدل الثياب .

وخذها كالذنانير
على رغم الذنانير
أدراها من سنا الصبح
تزد نوراً على نور
عقاراً أصـبحت مثـل
ل هباء غير منثور
بدت أحسن من نار
رأتها عين مقرر
فسابقتنا إلى اللهو
ووافيننا بتبكير
وفينا رب محراب
وفينا رب ماخور
ومن قوم مساكير
ومن قوم مساخير
ومن جد ومن هزل
ومن حق ومن زور
ورهبان كما تدرى
من القبط النحرارير
وجوه كالتصاوير
تصلى للتصاوير
ومن تحت الزنانير
خصور كالزنانير
أتيانم فما أبقوا
ولا ضنوا بمذخور

البوصيري

هو صاحب البردة المشهورة والهمزية المشهورة أيضاً . وكان كبير الكفاة ببعض المحاكم الشرعية . وقد وصف وصفاً بديعاً الكتاب والقضاة في زمنه ، وأخذم الرشوة فيقول :

نَقَدْتُ طَوَائِفَ الْمَسْتَعْدِمِينَا

فَلَمْ أَرْ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا
فَقَدْ عَاشَرْتَهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِمْ

مَعَ التَّجْرِيْبِ مِنْ عَمْرِي سَنِينَا
فَكَمْ سَرَقُوا الْفَلَاحَ وَمَا عَرَفْنَا

بِهِمْ ، فَكَأَنَّهُمْ سَرَقُوا الْعِيُونَا
وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا لَبَسُوا حَرِيرًا

وَلَا شَرَبُوا خَمْرَ الْأَنْدَرِينَا
وَقَدْ طَلَعْتُ لِبَعْضِهِمْ ذُقُونًا

وَلَكِنْ بَعْدَ مَا حَلَقُوا ذُقُونَا
تَنَسَّكَ مَعْشَرٌ مِنْهُمْ وَعَدُّوا

مِنْ الزَّهَادِ وَالْمُتَوَرِّعِينَا
وَقِيلَ لَهُمْ دَعَاءُ مُسْتَجَابٌ

وَقَدْ مَلَأُوا مِنَ السُّحْتِ الْبَطُونَا
تَفَقَّهَتِ الْقَضَاةُ فَخَانَ كُلُّ

أَمَاتِهِ وَسَمَّوْهُ الْأَمِينَا
وَمَا أَخْشَى عَلَى أَمْوَالِ مِصْرٍ

سِوَى مَنْ مَعْشَرٍ يَتَأَوَّلُونَا

بهرجة

بهرجة الثياب حسنها ولعانها ، ويقال للمرأة التي تغالي في الزينة متبهرجة . وتسمعمل أيضاً في الكلام المزوق ، وخصوصاً المكذوب ، وهو أقرب إلى المعنى الأصلي للكلمة . فالدرهم المبهرج : المزيف .

بهلوان

البهلوانية طائفة معروفة يمشون على حبال تشد على عمد أو نحوها ، مرتفعة على الأرض بنحو خمسة أمتار ، ويمسكون في يدهم عصا من الذهب تكون عادة ثقيلة ، لضبط موازنتهم .

وقد بلغ بعضهم في ذلك حدًا بعيدًا من الإتيان ، فهم يأتون بحركات غريبة على الحبال ؛ بل قد يذبجون الحروف والشاة وهم واقفون عليها .

وعادة تستدعى هذه الطبقة في الأفراح الكبيرة كفرح أنجال إسماعيل باشا .

بوز

يطلقونها على فم بعض الحيوانات . فيقولون بوز الكلب ، وبوز القرد ، وأحياناً يطلقونها على فم الإنسان لتحقيره . ومن عاداتهم إذا غضب أحدهم أن يمدفه ، فيقال بوز ، ويقولون « مالك مبول » .

ذبحها ، وتنظف ، وتدعك دعكاً جيداً بالملح والشطة ، ويأكلونها نيئة مع البوظة . والعامّة تسمى موضع البوظة بوظة أيضاً . وهو مكان وخم ، وجلاسه وخمون ، يجلس أصحابه على حصر ، مع جيوش الذباب ، مما يعف على مواجير البوظة ، ويتردد إليها بعض النساء الساقطات فيثرن الشهوات ، وينطق الرجال إذ ذاك بألفاظ الفحش البذيئة ، وتكاد تكون البيرة ضرباً خفيفاً منها استعمله المدنون . والسوريون يسمون الداندرمة بوظة . وكثيراً ما حصلت من جراء ذلك مضحكات منشؤها جهل المصريين باستعمال السوريين ، فهم لا يعرفون البوظة إلا هذا المشهور الذي وصفنا .

بيت يوسف بك

هو أمير كبير من أمراء محمد بك أبو الذهب بنى بيتاً كبيراً على بركة الفيل ، وصرف عليه أموالاً عظيمة ، وكان يبني الجهة الكبيرة حتى يتمها بعد أن يبسطها ويرخمها بالرخام المزوّق ، ويسقفها بالأخشاب الجميلة ، ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها ، لأنها لم تعجبه .

وهكذا كان يعمل ، وكان غنياً ، فكانت تأتيه من بلاده بالوجه القبلي ثمانون

يقول المسلمون لنا حقوقاً بها . ونحن أولى الآخذين وقال القبط نحن ملوك مصر . وأن سوامم هم غاصبونا وهي طويلة في غاية الحسن . وكان له أخت زوجة متزوجة تاجرأ في بمبوحه من العيش ، فكانت تعير أختها بزوجها الموظف في قصيدة لطيفة . وهو لذلك يطلب من الرؤساء منح الموظفين علاوة .

وعلى كل حال ، فقد وصف موظفي زمانه وصفاً دقيقاً يدل على أن الناس هم الناس وأكثرهم أنجاس .

بوظة

هي خمر الشعير في الغالب ، فينقع الشعير في الماء مدة ، ثم يخرج ويجفف في الظل ، ثم يجفف في الشمس ، فإذا جف يدق ، ويضاف إليه الماء ، ويترك في المواجير حتى يختمر ، وهو مسكر ثقيل ، ويشربونه غالباً في الأواني الفخار ، وتسمى كل آنية قرعة ، ويتخذ الشاربون لها مزة من اللحم المسلوق ، مع بعض الفلفل والملح .

وأهالي السودان يأكلون معها الكرشة والفشة والقلب ؛ تستخرج من الذبيحة عند

هذه الفكرة كانت من تقاليع السلطان عبد الحميد ، ويسمونه « بندق السلطان » . وكان في القلعة في مصر بندق من هذا القبيل ، يستخرج من القلعة عند الأزمات ، ويحيط الناس به . وفي الثورة الفرنسية كان يخرج به المصريون ، يتزعمهم السيد عمر مكرم .

بير يوسف

هو البئر المعروف في القلعة ، وتزعم العامة بأنه البئر الذي سجن فيه يوسف عليه السلام ، ويكثرون زيارته للتبرك ، والنساء يكثرن من النزول فيه للحبل . ويغلب على ظني أنه منسوب إلى يوسف صلاح الدين الأيوبي ، لا يوسف النبي ، لأن صلاح الدين هو الذي بنى قلعة الجبل ؛ وربما كان مطوراً من عهد قدماء المصريين ، ثم أزال عنها الرمال صلاح الدين .

البير

كانت بيوت المتوسطين والأغنياء في كل منها بير . وعليها بكرة ودلو ، يستعمل ماؤها للحمام ونفسل الأواني ونحو ذلك . وقلما يستعمل للشرب . وإذا كان البيت يحتوي أيضاً على مجرور تخزن فيه القاذورات

ألف أردب من القمح يوزعها على أرباب المصانع في بيته .

وكان لا يستقر في مجلسه ، بل يقوم ويقعد ويصرخ ، وأحياناً يهدأ .

وصادف مرة أن وجد بعض التعاويذ ، مكتوباً على عضو خفي من أعضاء زوجته ، فألها عنها ، فقالت : إن عجوزاً دلتني على شيخ يسمى الشيخ صادومة قد كتب التعاويذ ليحبيني إليك ، فنزل في الحال ، وقبض على صادومة ، وقتله وصار يشهر بالفقهاء والعلماء والأولياء .

وهجم على بيت الشيخ صادومة ، وصادر ما فيه ، فوجد فيه أشياء شنيعة . وكان ذلك سنة ١١٩١ هـ .

وكان يصادق الشيخ صادومة هذا ، الشيخ حسن الكفراوي العالم المشهور ، وكان الشيخ الكفراوي داعية له ، فشهروه أيضاً من أجل هذه المصادقة .

بيرق

هو العلم ، والبيرقدار ، حامل البيرق . وكان العامة يعتقدون أن عند السلطان العثماني بيرقاً في الآستانة إذا نشره وجب على كل مسلم الجهاد ، وبيع الأرواح ببيع السماح ، فإذا تم ذلك كان النصر للمسلمين ؛ ولعل

بيض شم النسيم

في يوم السبت الذي قبل يوم شم النسيم
ويسمى سبت النور ، اعتاد المصريون أن
يأكلوا البيض مصبوغاً صبغاً أحمر أو أصفر
أو أزرق وهكذا . . . ويلعب بعض العامة
مع بعضهم بخطط البيض بعضه مع بعض ،
فن كسرت بيضته يأخذها صاحب التي
لم تكسر . وبعضهم يتخذ بيضة من الحجر
مخروطة كخرط البيض ، ويصبغها صبغاً مثلها .
ومن ذلك قولهم : فلان يلعب بالبيضة والحجر ،
كناية عن الغشاش القادر على إخفاء غشه
بجمله ، فهو يلعب بالحجر مكان البيضة يوم
أنه بيضة ؛ وربما أخذت عادة الاحتفال
بالبيض وصبغه من الأقباط .

البيوت

كان للمصريين قبل أن يتفرنجوا نظام
خاص في بيوتهم ، يلائم معيشتهم الاجتماعية
ويلائم جوهم الحار . فكان عادة منزل
فسيح للأغنياء يبنى أساسه بالحجر والجير من
الجبال المجاورة ثم من الآجر المطبوخ بالنار ،
وكانت هذه المنازل لا تتعدى الدور الأول
إلا بالدور الثاني ؛ ولم تكن هناك ناطحات
السحاب التي نشاهدها الآن تقليداً لأمريكا ،
ولأن البيت كان لا يسكنه إلا أسرة واحدة

ومواد البراز ، والبول ، وكان القاعان عميقين ،
كان يرشح أحدهما على الآخر ، فيتلوث ماء
البثر من هذا المجرور . فيصاب أهل البيت
بضرر كبير أو صغير .
وقد استتغى عن كل ذلك بالحنفيات
والمجاري .

بيسارة

(انظر فول)

بيضة ثورة عرابي

في أثناء الحروب بين عرابي والإنجليز
شاعت شائعة ملأت مصر بأجمعها وهي أن
دجاجة وضعت بيضة مكتوباً عليها « نصر من
الله وفتح قريب » . واعتقد فيها المصريون .
وقريب من ذلك أن جماعة أهدوا لعرابي
أثناء حربه ثلاثة مدافع : مدفعا سموه مدفع
السيد البدوي ، ومدفعا سموه مدفع سيدي
إبراهيم الدسوقي ، ومدفعا سموه مدفع السيد
عبد العال .

ولكن لم تنفع البيضة ولا المدافع ؛
فحال أن تصد المدافع القوية الأوهام الخفية .

والهواء من الدخول ، وتمنع الجار من رؤية ما يجري في البيت .

وإذا أنشئ دور ثان فوق الطبقة الأولى ، أخرجت منه خارجه سُحلت على كتل خشبية مُعمل حسابها في السقف ، قد تكون متراً وقد تكون متراً ونصفاً .

وفي العادة يجعل فيها مشربية ، ويظهر أنها سميت بذلك لأن بروزها كان يكثر هواءها فتوضع فيها قفل الماء للشرب ، وهم يصنعون المشربيات من خرط دقيق من الخشب ، وربما صنعوها صنفاً فنياً رائعاً . وسطوح المنازل مسطحة ، ولذلك سميت بالسطوح ، وليست جمالونية كسطوح الفرج ، لقلة الأمطار في مصر وتتخذ مفاسر للغسيل ، وتسور عادة بسور نحو القامة . وقد يستخدم جلوس الرجل وزوجته وأولاده في الليل صيفاً .

وفي داخل الدار صحن يمد البيت بالضوء والهواء ، وحوله غرف يتخذ بعضها للخدم وبعضها للحيوانات كالدجاج والحجر ومنظرة للرجال ... ولكن الدور العلوى للنساء

خاصة ، ويسمى الحريم . فزوار الرجال في المنظرة من تحت ، وزوار النساء في بهو كبير من فوق . وإذا كانت الهيئات الاجتماعية تفضل الرجال عن النساء كان نظام البيت مبنياً على تحقيق هذا الغرض . وقد تختلف

تقريباً ، قد يكون منها الابن وزوجته ، والبنت وزوجها . وكان البيت أعز شيء عند الناس ، يقضون فيه أسعد أوقاتهم ، لا يعرفون القهاوى ولا الخمرات ، فكانوا يتفننون في تزيين البيوت لأذواقهم الخاصة ، وفي زخرفتها زخرفة توفر المناء . وأكثر البيوت داخله خير من خارجه . وربما كان ذلك من أثر الاستبداد ، فيتظاهرون أن البيت حقير ، ولبسهم حقير ، لأن الغنى مظنة جشع الولاة ، وضرب الضرائب . وعلى البيت باب يفتح غالباً إلى الداخل ، وأحياناً إذا كان الباب كبيراً عمل في وسطه باب صغير للدخول والخروج العاديين ، ولا يفتح الباب الكبير إلا عند الضرورة .

وعادة كانوا يبنون جداراً أمام الباب حتى إذا فتح الباب لم ير المارة ما في داخل البيت ، وكان الباب فيه ضبة ومفتاح ، على عادة القرون الوسطى ، لا قفل ومفتاح كما هو الشأن اليوم .

والضبة فيها مسامير تسقط ، ولا تفتح إلا إذا رفعت بمفاتيح فيها مسامير تقابل الأولى وترفعها وتفتحها .

ووجهة المنزل عليها شبابيك ركبت فيها قضب حديدية خوفاً من اللصوص ، وهذه القضب متشابكة ضيقة المنافذ لا تمنع الضوء

يكون في الشارع سوق أو أكثر، وكان في القديم عبارة عن حوانيت سقفت . وهناك وخصوصاً في القاهرة والإسكندرية وكالات ، وهي بنايات كبيرة للتجارة حول فناء مربع ، وفي وسطه حوض ماء ، وفوقها غرف كان ينزل فيها بالليل الغرباء من التجار .

وكانت البيوت مظهراً للسلطة الأبوية ، ففي البيت رجل كبير هو صاحب السلطة على زوجته وأولاده يأترون بأمره ، ويتنهون بنهيه ، ويرجعون إليه في مشاكلهم ، وهو الذي بيده الإذن في الدخول والخروج ، ويده ميزانية البيت ؛ وله الخيار فيما يأتي به ومالا يأتي ؛ وعلى الجلمة كان ملكاً مستبداً . والأولاد تقبل يده ، وزوجته لا تجرؤ أن تأكل معه ، ولا يسمح لولد أن يدخن أمامه ، ويجب أن يجلس الولد أمامه في أدب واحترام وهو الذي يزوجه إن شاء ، ويتركه إن لم يشأ وهكذا كان البيت مملكة صغيرة ملكها الأب ، ثم زال كل ذلك وانهار ، وحلت سلطة الأمومة ، محل سلطة الأبوة ، وهي أيضاً لها مزاياها وعيوبها .

الدور ولكن لا تخرج عن هذا الوصف الأساسي .

وهندسة هذه البيوت توافق الذوق العربي ، ويحس الناظر إليها بانسجامها مع شكل المساجد والأسبلة ونحو ذلك .

وفي الدور الأعلى عادة تفتح فتحة في السقف تصنع من زجاج وتفتح لتمرير الهواء .

وهناك أغنياء بالغوا في تجميل منازلهم وأنفقوا عليها الألواف ، كبيت السحيمي . ثم دخل عليها تطور كبير في الأيام الحديثة تقليداً للأوربيين .

هذه بيوت المدن ، أما بيوت الأرياف فتبنى عادة من طين نبيء ، وهي في الغالب عبارة عن قاعة ومكان للبهائم وفناء صغير . وقل أن يكون فيها شبابيك ، وإذا كانت فلا تفتح ، وفي بعضها أبراج للحمام .

وهناك شوارع كثيرة في المدن مملوءة بالحوانيت ، وهي عبارة عما يشبه الحجرة في البيت لها باب يغلق عليها ، وهناك قهاوى أخذت على نمط القهاوى الفرنسية ، وقد

حرف التاء

التار

التار بمعنى أخذ التار ، وهو أمر شائع في قرى الأرياف وخصوصاً الصعيد ، وهم يتربصون بمن عاداهم حتى ينتظروا الفرص ويقتلوه . ويقولون لمن تقاعس عن ثأره : « الأحسن تلبس برقع » ويقولون : « من لم ياخذ تاره ، النار أولى به » . ويقولون لمن تجاوز عن التار ؛ « النار ولا العار » .

التأكيد

للعوام أنواع من التأكيد منها إشارات ومنها ألفاظ ، فمن الإشارات أن يحرك رأسه إلى الأمام مع تلفظه بمعنى التأكيد . ومن الألفاظ التكرار للتأكيد ، فإذا سألت فلاناً هل سافر فلان ؟ يقول نعم سافر وسافر . ويقولون للشيء : هو حلو حلو ، أو حامض حامض ، أو حلو قوى ، وأنا أحبك كثير كثير ، وذكر العدد فيقولون اللهم صل على محمد ألف مرة ، ومائة ألف مرة . ويستعملون في التأكيد أيضاً الضغط على بعض الألفاظ عند النطق ، أو بعض حروف اللفظ ، ومن أنواع التأكيد أيضاً الحلف الكثير بالله وبالمشايخ . وعندهم أنهم إذا قالوا : والله (بكسر الهاء) كانت أشد . ولذلك يقولون والله بمقد الهاء . وقد يؤكدون المعنى أيضاً

بالحلف بالطلاق مرة أو ثلاثاً . فماتشعر المرأة في بيتها إلا وقد طلقت بسبب خارج عنها . وكذلك يقولون في التأكيد : إن عملتُ هذا أحلق شنبى ، أو أكون خارجاً عن ملة الإسلام ، أو يحصل لى كذا أو نحو ذلك .

التبني

التبني اتخاذ المرأة أو الرجل غير ولده ولداً . ولذلك طرق كثيرة : منها أن القابلة قد تمسك مكرراً غريباً فتأخذ معها امرأة أخرى وتكون هذه المرأة حاملة سقطاً جديداً ملفوفاً في ثوب ، فإذا ولدت المرأة ، وخصوصاً إذا كانت فقيرة ، أخذت القابلة الولد وكتمت نفسه حتى لا يبكى ، وأعطته في سرعة للمرأة التي معها وأخذت السقط ووضعته بدل الولد ، وادعت أنها ولدت سقطاً . وباعت الولد الجديد لأسرة بثمن كبير ، وهذه الأسرة تسميه باسمها وتربيته كابنها .

وثمة عادة أخرى وهي تبني أولاد اللقطاء ، يأخذونهم من ملجأ اللقطاء صغاراً ويربونهم ويسمونهم بأسمائهم ، ويلقبونهم بألقابهم ، فينشأون في البيت وهم لا يعلمون . وقد لا يعلم هذا السر أحد إلا الرجل وزوجته ، وهم يخصونه بقسم كبير من ثروتهم .

التشاؤب والعطاس

يعتقدون أن التشاؤب من أعمال الشيطان ، فإذا تئاب أحد قال أستغفر الله ، كأنه ارتكب جريمة ؛ وإذا عطس قال أشهد أن لا إله إلا الله ؛ وقال له من بجانبه يرحمك الله ، فإرد عليه العاطس : « غفر الله لي ولك » أو غفر الله ذنبك . وهم يتفاءلون بالعطاس ، وينشأون من التشاؤب . وبعضهم يستعمل حركة العطاس في النطق بالشهادة . فيقول أشهد .

التجارة

أكثر التجارة في مصر ، خصوصاً في الأزمنة القديمة ، كانت التجارة الداخلية . أما الخارجية ففي يد الأجانب . وأحياناً يشتغل المصريون في الأعمال الصغيرة للتجارة كبيع الأدوات الصغيرة ، ويسمونهم الخردوات . وأحياناً كانوا يتاجرون في البقايا الصغيرة بعد أن يشتغل الأروام بالأعمال الكبيرة . فمثلاً يدور بحماره وعليه كيس ليشتري بقايا القطن بعد أن يكون قد باع الفلاح المحصول للتجار الأجانب . وبعض المصريين كانوا يشاركون الأجانب في شراء المحاصيل الكبيرة . ولهم أجرة القباية والحزنجية ، وهم في الغالب مغبونون

يضحك عليهم الأروام والأرمن لجهلهم بالعادات التجارية ، ولجهلهم أيضاً بالحساب ، خصوصاً إذا كان البائع فلاحاً جاهلاً ، فإنهم يفرحون بالتمن العاجل ولو قليلاً . فكانت نتيجة هذا غنى الأروام ، وفقر الفلاحين .

هذا إلى التلاعب في الأوزان ، والغش بالقبان . فلهم أساليب كثيرة متنوعة في غش تلك الآلة . ومن أجل هذا عينت الحكومة قبايين رسميين رحمة بالفلاحين . وكانوا أيضاً مصيبة على الفلاح في الغش والخداع . وأحياناً يتفق هؤلاء القبايين الرسميون مع التجار الأروام . ويعشون في حاصل جمع الأقطان الواردة كأنهم أخطأوا سهواً .

وكذلك في استخراج صافي القطن ، فهم في عمليات الطرح يتعمدون الخطأ . وكذلك تجارة الحبوب ، فبعض التجار المصريين يشترونها ويخزنونها ويحافظون عليها حتى تتحسن سوقها .

وكان أهم ساحل ترسو عليه السفن الآتية بالمحاصيل هو ساحل بولاق الذي حل محله فيما بعد روض الفرج .

ومن التجارة المنتشرة القماش ، من بفته ، وشيت ، وقد كانت غالباً في يد الأرمن أو الأروام . وكذلك تجارة الدخان

تحفجى

كلمة يطلقها العامة على بائع المعاجين
والنازيل ؛ وهى مواد يدخل فيها الحشيش
والأفيون ، ويحمل على تعاطيها تخدير
الأعصاب عند الاتصال بالنساء . وكثيراً
ما تكون هذه الأشياء سبباً فى فساد كثير
من الرجال .

التحيات

فى الحديث : « إذا عطس أحدكم فليقل
الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك
الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل يهديكم
الله ويصالح بالكم » .

والصريون يقولون لمن عطس : يرحمك
الله . فيقول العاطس : غفر الله لنا ولكم .
ويقولون لمن سار فى جنازة : « شكر الله
سعيكم » فيرد : « عظم الله أجركم » ويقولون
لمن يتوضأ : « من بير زمزم » فيقول :
« جمأ » . ويقولون لمن حلق ذقنه عند
الحلاق : « نعميا » فيرد عليه : « أنعم الله
عليك » . ويقولون لمن عولج : « بالشفأ » .
فيرد : « شفاكم الله وعافاكم » . ويقولون
للمريض : « أجر وعافية » فيقول : عافاكم
الله » . ويقولون للحاج : « بعودة » .

والصابون ... ويأتى الصابون فى الغالب من
يافا ، وطرابلس ، ونابلس ، وأغلب وسطائه
من السوريين .

وأما البقالة فأغلبها فى يد الأروام إلا
ما كان منها وضيعاً هزيبلاً . وقل أن ينبجح
فيها وطنى ، لأن مصادرهما فى الغالب من
اليونان أو إيطاليا ، ويحسنها أيضاً بعض
السوريين ، ويبيعون منها ما يتصل ببلادهم .
أما بعض أنواع البقالة فقد كان للمصريين
نصيب كبير فيه ، كالتجارة فى السمن والزيت
والجبنة البلدية . وهم يتاجرون أيضاً فى الأسماك
والخزف والحلى والوراقة والخردوات والأحذية
والأخشاب ، والفحم والجزارة ، والكتب
العربية ، ونحو ذلك .

وقد كانت سمعة المصريين رديئة فى
التجارة من ناحيتين : الأولى المساومة فى
الأثمان ، فقد يكون ثمن الشئ خمسة فيقول
التاجر عشرين أو خمسين ، والثانية سوء
المعاملة خصوصاً مع الأجانب ، فقد يستوردون
سلعاً ويماطلون فى دفع ثمنها ، حتى كفى بعض
التجار الكبار عن معاملتهم . وقد تحسنت
الحال فى هذه الأيام بعض الشئ لمخاطبتهم
الأجانب وشر بهم من مشر بهم .

وكثيراً ما نراهم على باب الفنادق التي
يكثُر فيها السيَّاح ، وفي الأقصر وأسوان .
وقد يتصلون بالسَّاحات اتصلاً غير شريف
ومنهم من يتزوج منهن .

وفي بعض القرى بجوار الأهرام تجدد
وجوه أطفال يخرجون لأمهاتهم الأوربيات
فيكونون بيض البشرة ، صفر الشعر ، زرق
العيون من جراء ذلك .

ولما شعرت الحكومة ببجمل هؤلاء
الترجمة أنشأت مدرسة تثقف طلبتها
بالتاريخ المصري القديم وما يلزمه من لغة
هيروغليفية وغير ذلك .

تربية الأطفال

يتربى الأطفال في البيوت ، ومن العادة
الطبيعية أن يربي الطفل أول أمره أمه ،
وأبواه يفرحان به ويعتنيان به ، ومن أجل
ذلك نظر إلى المرأة العقيم نظرة سيئة ،
واعتقد أن الله غضب عليها .

وإذا تزوج الرجل امرأتين ، كانت
الولود أحب إليه من العقيم غالباً . وقد يكون
من أسباب تعدد الزوجات عقم المرأة الأولى ،
وتربية الأم أبناءها ليست مبنية على أسس
التربية ، وإنما هي تربية حيثما اتفق . إن
مرض عالجته بطلب الركة ، وإن أراد الأكل

فيقول : « أعادها الله عليكم بخير » . ويقولون
في العيد : « كل عام وأنتم بخير » فيرد عليهم
بمثل ذلك . ويقولون لصاحب الجنازة : « عظم
الله أجركم ؛ فيقول : غفر الله ذنبكم الخ » ...

تختروان

هو عبارة عن نوع من الأعمدة الخشبية
مغطى بالقماش ، يحمله بعيران . وهو عادة
تركبه العروس يوم زفافها ، للانتقال من بيتها
إلى بيت عريسها . ويركب مع العروس في
التختروان بعض صواحبها .
وكان يستعمل قبلاً في السفر إلى الحج ،
وليس الحمل إلا صورة مصغرة منه .

الترجمة

واحدها ترجمان ، وهم قوم أغلب
ما يكونون من سكان الهرم ، يصحبون
السائحين ليروم الآثار المصرية ، ويحكوا عنها
بعض تاريخها .

ومنهم من يتكلم الإنجليزية ، ومنهم
الفرنسية ، ومنهم الألمانية ، وهكذا ...
وثقافتهم محدودة ، فهم وإن كان
لسانهم طلقاً ، يتصفون بسرعة الكلام ،
وإن كان في كثير من الأحيان غير جار
على قواعد اللغة .

التربيعة

وهي أيضاً تمثل الحياة القاهرية في قرونها الوسطى ، فيباع فيها العنبر المحلول ، وعطر الورد ، وعطر الزهر ، وأمثال ذلك .
والبائعون أيضاً يمثلون البائعين في القرون الوسطى ، فقفظان من الشاهي من غير جبة ، ومركوب وحزام في الوسط ، وتجد على وجهه دكا كينهم زجاجات مختلفة الأشكال والألوان مما أعدوه للبيع ، وطريقة بيعهم أيضاً بالممارسة كأهل القرون الوسطى .
وربما كان هذا الحى من مبدأ المغربلين إلى سيدنا الحسين ، مطبوعا بالطابع الشرقى البحت ، فمن أراد معرفة الناس قديماً فليبحث عنهم في هذا الحى ، فطائفة في الكحكيين والفحامين تباع البُلغ ، وطائفة تباع العقاقير المختلفة الواردة من الهند وغيره .
وطائفة تباع الغوايش والحلقان الخ .

ترترة

قطعة صغيرة من المعدن مخروقة من الوسط خرقاً صغيراً ، يستعمل لتزيين ثياب المرأة إذ تضوى بالليل وتلمع ؛ ويضرب مثلاً في ضيق العين ، فيقال : عينه زى الترترة .
ويوضع أيضاً على مناديل الرأس ، ويكثر النساء من استعماله في زينة العروس . وبما قيل من الفوازي فيه « قد النص وعينه بتبص » .

أكلته وإن لم يكن وقته . والعادة أن تبالغ في تدليله ، وأن تطيل رضاعته ، ثم يعينها الأب حتى يذهب الطفل إلى المدرسة ، فيقل عبؤها ؛ وتحمل المدرسة أكثر عبئه . وقد يبالغ بعض الناس في تدليل أولادهم ، من ذلك أنى شاهدت طفلاً يدخن وعمره خمس سنوات ، وبناتاً ترقص رقصاً غربياً وعمرها تسع سنوات . وبعض الرجال من الطبقة الوضيعة يعلمون أبناءهم السب والقذف ، ويسمحون لهم أن يضربوهم أو يشدوا ذقنهم أو يشتموهم ، فيخرج الولد عديم التربية ، قليل الأدب .

وفي الأسرات الكبيرة تحضر مربيات أجنبيات لتربية الولد ، ويعلم الطفل آداب الاجتماع والمعاشرة .

وفي البيوت المتدينة يعلم الأطفال الصلاة والصوم ، حتى ينشؤوا على الدين .

وفي الطبقات الوضيعة يعلمون الأولاد الحرفة والكسب قبل الأوان ، فترى طفلاً في السادسة يبيع الصحف في الشوارع أو ينوب عن أبيه في التجارة في الدكان أو نحو ذلك .

وكما زاد العلم حسنت التربية .

ترمس

هو من النباتات التي تنبت في الأراضي الرملية ، وهو قديم العهد في مصر ، وينقع في الماء حتى يطرا ، وتزول مرارته . وأكثرت ما يستعملونه للتسلية بعد العصر ، كلب البطيخ واللبن الأبيض . ويستعمل أيضاً لغسل اليد كالصابون . ويدق ويدعك به الجسم مداواة للبثور التي تظهر في زمن فيضان النيل ، وتسمى حو النيل ، ومن أمثال العامة :

الندل ميت وهو حي

ما حد حاسب حسابه

هو كالترمس النى

حضوره يشبه غيابه

وقد يسمى ابن البحر لأنه ينقع فيه .

واشتهرت امبابه بالترمس ، فكثيراً

ما يقولون : الترمس الامبابى ، وينسبونه إلى

سيدى الامبابى ، فيقولون فى المنادة عليه :

يا امبابى مدد !

التسالى

اعتاد المصريون أن يتسلاوا بأشياء صغيرة بين الأكلات ، مثل قزقزة لب البطيخ ، واللبن الأبيض ، وهولب القرع الاسطمبولى ، والفشار ، وهو حبوب الذرة المشوية ، والترمس ، والفلول المقيبلى ، والفستق ، وأنواع الثقل . ، وخصوصاً فى ليالى رمضان كالجوز واللوز والبندق ، ويسمونه فطرة . وكذلك يتسلون بكيزان الذرة ، فتجد كثيراً من الباعة ، وأمامهم النار يشون عليها كيزان الذرة ويبيعونها ، وفى الأيام الأخيرة أصبح من التسالى أيضاً أبو فروة ، يشوونه كما يشوون الذرة ، ويشوونه فى الأسواق كما يشوونه فى البيوت . ومن التسالى أيضاً البطاطة ، ومصص قصب السكر .

تسخير الجبان

للمصريين اعتقاد كبير فى العفاريت والجن وقدره بعض الناس على تسخيرهم لمصلحة من أراد ، سواء فى ذلك خواصها وعوامها ، وأغنياؤها وفقراؤها ، ومسلموها وأقباطها . ويرتق كثير من الطوائف بهذه الدعوة . ويستغرب الزائر لدار الكتب من كثرة الكتب التى تحتويها فى هذا الموضوع وكثرة استعارة هذا النوع للمطالعة .

ويسمونها حروفاً روحانية أو علوية نظير هذه العلوم التي في العالم السفلى ، ويزعمون أن لكل حرف خداماً يحافظون عليه ، ويزعمون أن لكل يوم من أيام الأسبوع جنّاً تغلب عليه ويعرفها من هو أهل لها ، ففي كل ساعة من ساعات الأيام برج مخصوص له السلطان ولكل برج مواليد تتأثر به سعادة أو شقاء وهم يعملون الأحجبة على حساب هذه الطوالع . وهذه صورة حجاب من الأحجبة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية . له معقبات من بين يديه ومن خلفه الآية . الله لا إله إلا هو الحي القيوم الآية . اللهم قنا سيئاتنا وسيئات أعمالنا وسيئات ما يمكرون ، إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ١١٥١١ عوج واعوج يا عوج ما عوج » . وهكذا كثير من أنواع الأحجبة لقضاء المصالح المختلفة . وعندهم لوح يسمى لوح الحياة ولوح يسمى لوح الممات على هذه الصورة :

ومن غريب الأمر أنهم يعتقدون في الكتاب المخطوط أكثر مما يعتقدون في الكتاب المطبوع ، والمكتوب حديثاً أقل بركة وفائدة من المكتوب قديماً . ومن أشهر ما ألف في قواعد هذا الفن القصيدة المشهورة المعروفة بالجلجولية ، ومنها :

بدأت بباسم الله روي به اهتدت
إلى كشف أسرار بباطنه انطوت
وصليت في الثاني على خير خلقه
محمد من أزاح الضلالة والنلت
سألنك بالإسم المعظم قدره
بآج أهوج جلجلوت هلمت
بمصمام طمظام وبالنور والضيا
بمهراش مهراش به النار أخذت
وصبّ على قابي شآبيب رحمة
بحكمة مولانا العظيم فأنطقت
فسبحانك اللهم يا خير باري
وياخير خلاق وياخير من بعث
ألا واحببتي من عدو وحاسد
بحق شماغ أشمخ سلامة سميت
ألا واحرستني يا ذا الجلال بكاف كن
بنص حكيم قاطع السر أسبات

الخ ...

وهم يعتقدون في أن للحروف أسراراً ويكتبونها صوراً مخالفة للحروف المألوفة

لوحة الحياة

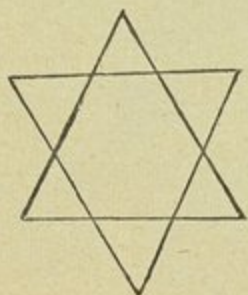
٣	٢	١
٩	٨	٧
١٥	١٤	١٣
٢١	٢٠	١٩
٢٧	٢٦	٢٥

لوحة المات

٦	٥	٤
١٢	١١	١٠
١٨	١٧	١٦
٢٤	٢٣	٢٢
٣٠	٢٩	٢٨

أو من لوحة الحياة ، فإن كان في لوحة الحياة فهو خير ، وإن كان في لوحة المات فهو شر . ولهم في ذلك حساب طويل . ومن أراد أن تخدمه الجن فإنه يصوم أربعين يوماً في خلوة لا يأكل إلا خبز الشعير والزبيب الأسود ، ولا يأكل إلا كل أربع وعشرين ساعة ، ثم يتلو العزائم ويستحضر بها الخدام ، والخدام الأول عبد أسود في يده حجر أحمر ، وعزيمته يا بنوح دردموخ أجببوا بحق سمعاط شموع برهوت برهين اسحيم . تقرأ ألف مرة وكذلك بقية الخدام الأربعين . ومنهم من له قدرة على إخراج الصوت من بطنه يزعم أن ذلك من عمل الجن ، ولهم في ذلك كتب مطبوعة في الصلوات والدعوات ، واشتهرت بذلك المغاربة على الخصوص .

وهم يعتقدون في خاتم سليمان وهو على هذا الشكل :



وبواسطته تستخدم الجن ، وهو الذي بواسطته استخدم سليمان الجن فحملت له

ولحساب المريض أو الغائب أو الحاجة

تقضى أولاً :

يحسب اسم الطالب واسم أمه بالجل والحاجة ومن هي عندهم ، ويزاد على الحاصل اسم اليوم المستول فيه . ويضاف إلى المجموع ما مضى من الشهر العربي ، ويسقط من المجموع ٣٠ - ٣٠ وما بقي ينظر فيه : هل هو من لوحة الموت

قال : ولذلك عنم أبي على ألا تذكر
سيرة العفاريت أمامه وخصوصاً قبل نومه
حتى لا يشغل ذهنه بها .

التسليم

إذا قابل مسلم مسلماً فالتحية بينهما أن
يبدأ أحدهما : السلام عليكم ، ويرد الآخر :
عليكم السلام ، إما برفع اليد إلى الرأس
أو بدونها . والعادة أن يبدأ في التسليم الراكب
على الماشي والقائم على القاعد .

وإذا كانا قبطيين أو أحدهما قبطياً فالتحية
أن يقول أولها : نهارك سعيد ، أو ليلتك
سعيدة في المساء . ويقول الآخر : نهارك
سعيد مبارك . أو ليلتك سعيدة ، وبين النساء
عادة تقول إحداها : صباح الخير ، وتكون
الإجابة : يسعد صباحك . وفي المساء مساء
الخير ، وتكون الإجابة مساء الخير عليك .
أو يسعد مساءك .

التسميم والتحريق

اعتاد الفلاحون إذا عادى بعضهم بعضاً
أن يسمموا بهائم بعضهم بالزرنينخ ، أو يحرقون
محصوله بإشعال النار فيه ، فيقابله الآخر بمثله
أو يزيد ، فيسم أيضاً بهائمهم أو يحرق زرعه .
ويفضل أن يفعل ذلك على شكواه عند

البساط ، وبنت له البلاد ، وقطعت له
الأحجار ، ونجرت له الأنهار والآبار . ومن
الكتيب المشهورة في هذا « السر الرباني في
العلم الروحاني » ، « شمس الأنوار وكنوز
الأسفار » ، « البهجة المعانة في تسخير
ملوك الجن في الوقت والساعة » و « الفتح
الرحماني في العلم الروحاني » وهكذا .

وكما أوغل الناس في قراءة الكتيب
التي من هذا القبيل وسماع أحاديث العفاريت
قلت عقولهم وزادت خيالاتهم وأوهامهم .
روى لي بعض من أعرفه أن أباه كان
لا يؤمن بالزار ولا رؤية الجن ولا شيء من
ذلك ، ولكنه جلس ليلة وانقسم الحاضرون
إلى فريقين فريق يؤيد رؤية الجن وفريق
ينكره ومنهم أبي ، واشتد الجدل إلى الساعة
الواحدة بعد نصف الليل . قال : « فلما قام
أبي ليفام صحا في الساعة الرابعة فوجد كأن
أحداً يذبه فانتبه فرأى عفاريت كثيرة في
أجسام صغيرة ، ورأى من يكلمه ويحاذثه
فقام مذعوراً ونبه أهل بيته ليحيطوا به خوفاً
مما رأى في النوم . وهذا من غير شك نتيجة
لما كان من أحاديث قبل النوم ، وهذا
يدل على أن المنح إذا شغل بهذه الأشياء
ترأت له وانعكست له صورة الأحاديث
في نفسه .

العمدة أو عند أحد كبير أو عند الحاكم .
ولذلك لا يتخلو يوم من أخبار في الجرائد عن
تسميم أو تحريق أو تقييع .
وفي السنة الماضية كان لى صديق ذو مقام
كبير موظف في الحكومة ووظيفة كبيرة أبى
أن يؤجر للفلاحين أطيانه المزروعة موزا ،
فجاءه الخبر في الصباح أنهم وجدوا زراعته
مقلوعة ، حتى الفسائل الصغيرة . فحسر بذلك
آلاف الجنيات .

التصغير

للعمامة طريقة في التصغير والتلميح لاتعرفها
العرب ، فيقولون في نفيسة نفوسة ، وفي
زينب زنوبة ، وفي خديجة خدوجة ؛ وأحيانا
يقولون حبوب لحبيب ، وشطوره ، أى شاطرة
وأحيانا يستعملون صيغة المؤنث للمذكر فيقولون :
حوشة في حوش ، أى حوش صغير ، وكباية
في كوب ؛ وأحيانا يضيفون كلمة حنة فيقولون :
حنة عيل ، أى عيل صغير ، وحنة قماش ،
أى قطعة صغيرة ، وحنة أرض ، أى أرض
صغيرة .

التصوف

التصوف كان في الأصل معناه لبس
الصوف زهادة في الدنيا ، ثم صار في أغلب
الأحيان ، إلا في القليل النادر ، صناعة
لكسب العيش .

وتتطلب هذه الصناعة عمامة خضراء
وسبحة طويلة غليظة ، والتظاهر بذكر الله ،
ودعوى مخاطبة الأولياء والاتصال بهم عن

التشبيهات

يستعمل المصريون كثيراً التشبيهات ،
وأداة التشبيه عندهم كلمة « زى » . فيقولون
مثلاً أهر زى البليح ، أزرق زى النيلية ، أبيض
زى اللبن ، أخضر زى البرسيم ، أصفر زى
الكرم . ويقولون في وصف الرجل : طويل
زى المارد ، طويل زى المادنة ؛ قصير زى
العقلة ، رفيع زى السنارة ، تخين زى البرميل ،
تقيل زى الدستور ، وهو « حجر معروف » ؛
خفيف زى ريش النعام ، حلو زى الشهد ،
مُرّ زى العلقم ، حادق زى المش ، حراق زى
القلفل ، شديد زى الحصان ، حلوزى الملوك ،
سُحُول زى الجمل ، يستحى زى البكر ، تَلِيم
زى المزين ، أحبه زى عيني ، أكرهه زى
لوت . زى اللى أنا اجوزت أمه ، وشه زى

النبي صلى الله عليه وسلم ، فحجز عليه لأن
تاجراً مشهوراً حجز عليه بدين له ثمن
صناديق مشروبات روحية .

هذه طائفة كبيرة من المتصوفين . ولسنا
ننكر أن هناك طائفة قليلة صدقت نيتها ،
وزهدت في الدنيا ، ولكنها لا تحب أن
تُعرف ولا تُعلن عن نفسها بشيء من هذه
الألاعيب ، إنما قصروا علاقتهم على ربهم
وأخلصوا له ، وباشروا أمور الدنيا كما يباشرها
رجال الدنيا ، وقصروا تصوفهم على قلوبهم ،
وقليل هم .

التعذيب

نذكر هنا أنواع التعذيب التي كان
يستعملها الأتراك في عهد ولايتهم ؛ فمنها
الخازوق ولم أره ، والشنق والضرب بالسيف ،
والصلب ، والخنق ، والضرب بالكراباج
على الرجلين والظهر . وكان بعضهم يأمر
بإذابة الملح ووضعه على مكان الضرب نكابة
للمضروب .

ومما يروى أن تركيًّا اتهم أمة له
فأنكرت ، فأمر بوضع الحجر على كفيها وعمل
القهوة على الحجر حتى تعترف .

وأحياناً يضعون يدي المتهم في الفلقة
ويأمرون بضربهما بالكراباج ، وأحياناً

طريق الروح . وقد ذمهم كثير من الناس
ومن الشعراء .

وقد انتقد الجبرتي أعمالهم ، وكلما جاءت
مناسبة شنع عليهم ، فيقول مثلاً :

« في سنة ١٢٥٠ في عمارة مسجد
زين العابدين ، على يد عثمان أغا قال :
فعمره وزخرفه ، ونادى على أهل الطرق
الشيطنانية المعروفين بأرباب المشايخ ، وهم
ينسبون أنفسهم للأحدية والرافعية والقادرية
فاجتمعوا بأنواع الطبول والمزمار والبيارق
والخرق الملونة ، حتى ملأوا الأسواق ،
وساروا ، ولهم صياح ونباح ، وجلبة وصراخ ،
وهم يتجاوبون بالصلوات ، والآيات يحرفونها ،
ونداء أشياخهم بأسمائهم كقولهم : يا هو
يا هو ، يا بدوى ، يادسوق ، ياببيوى ؛ والأغا
راكب معهم ، والفقهاء المعممون ؛ والطبول
تضرب ، والستر المصبوغ مركب على أعواد
من الخشب وحوله الرجال والنساء والصبيان
يتمسحون ويتبركون ، ويرمون عليه الخرق
والطرح لتحصيل البركة ، ولم يزالوا سائرين
على هذا النمط والخلاتق يزدادون حتى وصلوا
إلى ذلك المشهد » .

وسمعت في زمننا أن شيخاً كبيراً من
مشايخ طرق الصوفية أعطته وزارة الأوقاف
أربعمائة جنيه ليصرفها على الاحتفال بمولد

بالحبال وجزه إلى مخزن القاذورات بالمساجد ،
وتنف الذقن شعرة شعرة ، والتعريض للشمس
طول النهار في أيام الصيف .

التعصب

في بعض المصريين نوع من التعصب
شديد ، كالتعصب لقومه أو لبلده أو دينه .
ومن عهد قريب كانت كل قرية تنقسم إلى
حزبين : سعد وحرام . وبينهما حروب
ومشاجرات ، حتى كان الفريق لا يستطيع
أن يسكن بجوار الفريق الآخر ، فأحيانا يفصل
الحكام بينهما بشارع ، وأحيانا ببلدة قد
صارت خراباً من كثرة القتال .

وقد تبرأ قسم حرام من هذه التسمية ،
لأنه لما سقطت دولتهم سمى كل لص حرامياً ،
فكانوا يسمون في الشرقية بالنعامنة . ويحكى
أن امرأة من النعامنة هؤلاء ذهبت إلى ساقية
لتملاً جرتها فأراد أحد السعديين أن يعتدى
عليها فصرخت ، فجاء النعامنة وتجهروا على
الرجل حتى قتله ، وقام السعديون لأخذ الثأر
وهكذا . وكان هناك تعصب آخر يشبه هذا ،
وهو التعصب لأبي زيد الهلالي وزغبة ، وكان
هناك محدثون يطوفون بالبلاد ، منهم من
يحفظ سيرة أبي زيد ، ومنهم من يحفظ سيرة
زغبة ، وتنصب للمحدث نصبة وتتل فيها

يستمرون في ذلك حتى تقع أصابعه وكفوفه
من الضرب . ومنهم من يضع بوقاً في فم
المتهم ثم يأمر بسقاء ذى قرية فلا يزال
يصب في البوق حتى تمتلئ بطنه ويقع ،
وبعضهم يغلي الماء ويصبه على المتهم .
ومنهم من يقطع أذن المتهم أو أنفه أو يقطع
عينه . ومنهم من يغلي « الزفت » ويصبه
على رأس المتهم . ومنهم من يعرى المتهم
ويربطه بجذع شجرة طول ليلة شاتية .
وبعضهم يستعمل التخشب ، وهي قطع
ضخمة من الخشب يفصل بينهما ، ويوضع
المتهم بينهما ثم يطبقون القطعتين ويسمرنهما .
وأكثرها تعذيباً الضرب بالكرابيج كما
يأمر الحاكم التركي ، من خمسمائة زوج
أو الألف ، أو ألف وخمسمائة . واشتهرت
في ذلك الكرابيج الزعر ، وهي القصيرة
المقطوعة الطرف ، ويصفون الرجل بأن
كرابيجه زعر .

ومن ذلك الزخم الجلد . ومن المصريين
من كانوا يقلدون الأراك في هذه الأعمال
ثم قضى عليهم . ومن التعذيب إركاب المتهم
على حمار بالقلوب ، أي وجهه إلى وراء الحمار ،
وأمامه الطبل والمزمار ، والأطفال تصفق
وراءه ، ويوكل به من يلطشه . وهذا
ما يسمونه « بالتجريس » ومن ذلك ربطه

الحرّيفون الجوزة حتى تنتهى . وفي أمثالهم المشهورة « الكيف مناقلة » . ثم للحشيش على الخصوص محلات خاصة يسمى كل منها « غرزة » يكون فيها الحشيش والجوزات والنار وكل ما يتصل بها ، وأكثرها للعامة وأشباهاها . وهناك غرز أرستقراطية خاصة فرشت أحسن فرش ، وهيئت أحسن تهيئة ، يفشاها عليه القوم الكتيّفون ، وقد استقرت عن الأعين بسقار كثيف حتى لا يراها البوليس . ومما يلاحظ دائماً أن هذه الجوزات تصحبها النكت البارة والنوادر اللطيفة ، لما اشتهر عن الحشيش من تجليته للذهن وتظريفه للحديث .

التغييرة

اصطلح أهل الأزهر على تسمية الملائم التي يستعبرونها من كتّاب للمطالعة ثم ردها « تغييرة » . وأولاد البلد يسمون البلغة المستعملة أو المركوب المستعمل « تغييرة » . وبعض أولاد البلد اعتاد ألا يلبس إلا البلغة الجديدة فإذا مضت عليها أيام غيرَها يبلّغها أخرى جديدة . وهناك على العكس من ذلك من لا يلبس إلا « التغييرة » ، وقد يدفع في ثمنها أكثر من الجديدة ، لأنها وقد قدمت وعاشت دلت بذلك على مقائمتها وجودتها .

الأشعار ، فإذا انتصر أبو زيد في حروبه جمعت النقطة له ممن يتعصبون لأبي زيد . وأحياناً يقع الفريقان في قتال من أجل تعصب كل فريق لصاحبه . ولما جاءت المدينة الحديثة تعصب كل فريق لحزبه مع العداة الشديد بين سعدى ووفدى وحرّ دستورى ، من غير عداة بين المبادئ ، وإنما هو تعصب بين الأشخاص من غير مهادنة ولا مسالمة ... ولما جاءت الحرب الأولى وحارب الإنكليز والفرنسيون والأمريكيون من ناحية ، والألمان والإيطاليون من ناحية أخرى ، تعصب أكثر المصريين للألمان ، وذلك لأن الأتراك المسلمين كانوا بجانب الألمان .

والتاريخ من عهد هيرودوت إلى الكندى إلى الجبرتي يصف مصر بأنها بلد العجائب والغرائب .

التعميرة

التعميرة في لسان العامية عبارة عن غابتين ركبتا على جوزة من جوز الهند أو شبيهها ، ثم يوضع على إحدى الغابتين قطعة من الفخار أو نحوه ملئت جمرأ ووضع على الجمر (تمباك) أو حشيش أو حسن كيف (انظر حسن كيف) فيأخذها الشارب ويتنفسها حتى تحترق المادة المذكورة في الجمر . وفي العادة خصوصاً في الحشيش يتبادل

التفاؤل والتشاؤم

يكثر المصريون من التفاؤل والتشاؤم ،
 فيتفاءلون مثلاً بالأسماء كسعد وبخيت ،
 ويتفاءلون باللون الأخضر ، ويقولون في
 دعائهم لمن سكن بيتاً جديداً « جعله الله عليك
 سلقاً أخضر » . ويجتهدون في أن يدخلوا
 أول ما يدخلون بشيء أخضر . ويتشاءمون
 من الأسماء القبيحة مثل «صعب» ويتشاءمون
 من الإناء الفارغ ويطلقون عليه (ملآن) ،
 ويتشاءمون أيضاً من الكنس بعد الغروب
 ومن بيع الإبرة بعد العصر ، ومن الأعرور إذا
 اصططح به ، وهكذا ... ويعتقدون أن التشاؤم
 في ثلاثة وإن لم يقتصروا عليها وهي مشهورة ،
 كقولهم : أعتاب وأقدام ونواص ، كما ذكرنا .
 ويقصدون بالأعتاب الدور ، وبالأقدام الماشية .
 فخار سعيد يجلب السعادة ، وحمار شقي يجلب
 الشقاء . وكذلك الغنم ، ويقصدون بالنواصي
 الخليل . وليس الأمر متعلقاً بالجمال والتقبح ،
 فقد يكون الشيء جميلاً وبخته سيء ، وقد يكون
 قبيحاً وبخته حسن . ويتفاءلون ويتشاءمون
 خصوصاً إذا رأوا القمر على وجه إنسان سعيد
 تفاءلوا أثناء الشهر ، أما إن رأوه على وجه
 إنسان شقي شقوا به طول الشهر . كذلك .
 والناس عندهم قسمان : وجوه سعيدة ، ووجوه

شقية ؛ والأمثلة على ذلك كثيرة . ويتشاءمون
 أيضاً من صوت البوم بعكس صوت الحمام
 أو اليمام . فالبوم إذا تغنى فذلك نذير الخراب .
 ويكرهون أيضاً صوت الطاووس . ولا نطيل
 في ذلك ، فلهم في التفاؤل والتشاؤم أمور كثيرة .

التقريفة

يصاب الإنسان أحياناً بميعان النفس ،
 وميلها إلى القىء ، وذلك قد يكون لتحرك
 العفونة أو من النظر إلى شيء مستقبح ، فهم
 يعالجون ذلك بالليمون الحامض أو يعلقون
 شيئاً أصفر على رأسه يتدلى أمام عينيه ، ونحو
 ذلك .

تلاوة القرآن

اشتهر أبناء مصر بحفظ القرآن ، فبدأ
 فقهاء الكتاتيب بعد تعليم القراءة والكتابة
 أن يحفظوا القرآن في اللوح ، فيحفظ الطفل
 ما في استطاعته طوال الأسبوع . ثم لسيدنا يوم
 يسمع فيه للطفل الماضي . ولا يزال كذلك
 حتى يتمه .

وبعض الناس يتخذ تلاوة القرآن
 حرفة ؛ فيقرأ في البيوت كل يوم جزءاً ،
 ويقرأ على المقابر أيام الأعياد ويقرأ في
 المآتم ، وبعضهم إذا ساءت حاله يقرأ في

يتمتعن عن الولولة والعويل متى قرئ القرآن
ولذلك يستعان على صدّهن عن الولولة
والصراخ بإحضار الفقيه . والفقيه أيضاً يقرأ
في المسجد كل يوم جمعة قبل صلاتها سورة
الكهف . وفي الحفلات الكبيرة كثيراً
ما يدعى فقيه يقرأ قبل الخطباء عَشْرًا من
القرآن ، كما يقرأ في آخر الحفل ، سواء كانت
الحفلات حفلات فرح ، أو تأبين ، أو حفلات
سياسية . وكان العميان يكاد يتحدد موقفهم
ومستقبلهم بحفظ القرآن وقراءته ، وإذا منح
القارئ صوتاً جميلاً كان ذلك باب رزق له
كبيراً . وقد اشتهر بعض الفقهاء بحسن
الصوت فاستدعوا للمآتم والأفراح والقراءة
في الراديو ، فدر عليهم ذلك مالا وفيراً ،
وهم يستدعون أيضاً للقراءة في الأرياف
للمناسبات .

وقد اعتاد الفقهاء في المآتم والأفراح
أن يقرأوا جزءاً من سورة البقرة عصراً ،
وأن يقرأوا سورة يونس وهود ويوسف
والرعد والحجر والنحل والإسراء بعد العشاء
ويختموا بالسور القصار .

الشوارع ، وخصوصاً العميان منهم . وكثيراً
ما ترى في الشوارع بعض الفتيات الكفيفات
يقرآن القرآن .

ويعتقد المصريون أن قراءة القرآن من
الفقهاء في البيوت أو في الدكاكين يجلب
إليها البركة ويبعد الشياطين . والعلماء
يلجأون إلى قراءة القرآن عند الحرب أو عند
نزول كارثة بالبلد .

وتجد في بعض المساجد والأضرحة
طاولة عليها مصاحف القرآن قد وقفت على
من يريد أن يقرأ منها .

ولما انتشر الراديو وكان من نظامه
قراءة فقيه فيه في الصباح قلت عادة إحضار
الفقهاء للقراءة في البيوت .

وقد اعتاد الأغنياء والمتوسطون أن
يحضروا في رمضان فقهاء يقرأون القرآن إلى
السحور كل ليلة .

وإذا مات ميت أحضر بعض النساء
لقراءة القرآن على النساء صباحاً ، وأحضر
الفقهاء من الرجال لقراءته على الرجال عصراً
وبعد العشاء مدة ثلاث ليال . كما أن الميت
قبل أن يدفن يستحضر بجانبه فقيه يقرأ عنده
القرآن إلى أن يدفن .

ومن أسباب حضور الفقيه أن النساء

التمثيل

جاءت من الشام إلى الإسكندرية فرقة تمثيل عربية برياسة الشيخ خليل القباني ، ومثلت بعض تمثيليات منها رواية « نكران الجليل » و « هرون الرشيد » . وكان هذا التمثيل بدائياً ، فلم يسمح بظهور النساء على المسرح ، فكان إذا اضطر الممثل لتمثيل امرأة اختار شاباً من الشبان ليمثل المرأة .

وقد مثلت كذلك روايات كان قد عمرها المرحوم محمد عثمان بك جلال من فولتير وغيره ؛ وارتقى التمثيل ببناء الخديوي إسماعيل الأوبرا ، ودعوة فرقة إيطالية لتمثيل رواية وضعت لهذا الغرض ، وهي التي تسمى « عابدة » كما ارتقى فيما بعد على يد فرقة قومية . ومن التمثيليات ما اشتهر من تمثيليات ابن دانيال الموصلى قديماً .

فقد امتاز ابن دانيال بفن طريف وهو التمثيليات المسرحية . وبما يؤسف له أن مؤرخي الأدب العربي لم يُعَنَوْا بتاريخ هذا الفن مع أنه أصل من أصول الأدب . وكانت تمثيليات ابن دانيال تمثل على خيال الظل ، وكانت تسلية للطبقات السفلى ، ولكن لم يمنع هذا من عرضها على الكبراء ، تنتقل إليهم ، ولا ينتقلون إليها . فحكوا أن صلاح الدين

كان يرى هذه التمثيليات ومعه وزيره القاضي الفاضل ، وأن السلطان سليمان الأول كانت تمثل أمامه تمثيليات في خيال الظل ، وكذلك الخديوي توفيق .

وشاع أن خيال الظل كان سائداً منتشرًا منتشرًا في أيام المماليك ، وروى الشيء الكثير عنه ابن إياس .

وقد أخذ السلطان سليم أحد الممثلين لتمتيع ابنه به وهو الذي صار بعد ذلك سلطاناً ، وهو السلطان سليمان .

وقد وجد الباحثون بعض هذه التمثيليات في بعض قرى النيل الصغيرة .

وكان ابن دانيال يؤلف تمثيلياته باللغة الفصيحة ، ويميل إلى السجع — على نمط مقامات الحريري — وهي مملوءة أيضاً بالأشعار والزجل .

وقد أمضى بعض المستشرقين الألمان كالأستاذ جاكوب سنين طويلة في دراسة تمثيليات ابن دانيال . وقد عثر له على تمثيليات ثلاث : الأولى اسمها « طيف الخيال » وهي تصور الحالة السياسية والثقافية بمصر على عهد السلطان بيبرس . والثانية رواية « عجيب وغريب » وهي غير المعروفة بهذا الاسم في السوق ، وهي تمثل سوقاً كبيرة يدخل الممثلون

التَّيْنِ ، لتصبح وجوهكم مصفرةً ، و بطونكم
منفوخة ... الخ .

ولكن مع استعماله للغة الفصيحة
لا يتحرّج أحياناً من ذكر كلمات شعبية .
أما المتيّم ففيها وصف للحب ، وحيل المحبين ،
فيمثل شخصاً هيّجه الغرام ، وبكى في
انتحاب ، ويقول :

أهلَ الغرام تجمّعوا

وتوتّـلوا وتضرّعوا

موتوا تعيشوا في الهوى

وتمزّقوا وتقطّعوا

وخذوا حديثَ مقيم

عمن سواه أو دعوا

صبّ سماء دموعه

من صبّها لا تقلع

لم يبق إلا أضلع

من سُقمه تتقعقع

وادي العقيقِ بجفنه

والدمع منه ينبع

ثم يقول :

« أوّاه أوّاه .. وا حُبّاه .. وا قلباه .. !

المتيّم مسكين .. جرح من غير سيّكين ..
من أرسل ناظرة .. أنعبَ خاطرة ..
والعاشق كل شيء يذكرة .. لعمّانُ البرق

فيها واحداً بعد واحد ، يعرضون فيها
بضائعهم . والثالثة اسمها « المتيّم » وهي
تصوّر عشق المتيم هذا للقيم . وفيها تحريش
الديوك بعضها على بعض للقتال ، ونطاح
الكباش والثيران . وعلى كل حال تشهد
لابن دانيال بالفضل وسعة الخيال ، والقدرة
على الفكاهة .

وفي التمثيلية الأولى يعرض المؤلف لعصره

وما فيه من المفساد ، وأسر السلطان بإزالة

الفساد ، فسوّر ذلك ابن دانيال بقتل

الشیطان . وفي هذه التمثيلية أيضاً إشارة إلى

ما حدث في مصر من وصول الخليفة العباسي

من بغداد وتنصيبه خليفة في مصر ؛ إلى

آخر ما هنالك من إشارات إلى حوادث

حصلت في أيام الظاهر بيبرس . فابن دانيال

يصوّر تصويراً دقيقاً الحياة المصرية الشعبية

في ذلك العصر ، وهي ناحية أغفلها المؤرخون .

وهو كما قلنا يعنى بالسجع ، فيقول مثلاً :

« إن الغريب مرحوم ، والمرء يسعى والرزق

مقسوم . والفلس يجمع الدينار ، والصدقة

بالحبة هينة على ذوى الأقدار . فاركبوا

غوارب الإلحاح ، يخاطب الشحاذين »

والبسوا دروع الوجوه الوقاح . وتعاموا

مبصرين ، وتطارشوا سامعين . وركبوا على

جلودكم الجلود المسلوخة ، واشربوا نقيع

تتميل الرجل

ورمش العين ، وأكلان الكف

هي حوادث طبيعية ، ولكن العقل الخرافي يجعلها علامة لأشياء ، فإذا رمشت العين اليمنى دل ذلك على خير يحدث ، وإذا رمشت العين اليسرى ، دلت على الشر ، وإذا أحس الإنسان بأكلان في كفه اليمنى زعم أنه سيسلم على أحد ، وإذا أكلته يده اليسرى ، دل على أنه سيقبض فلوساً من أحد ، وهكذا .

يؤرِّقُه . . وإذا دنا الليل منه . . يهربُ
النوم عنه . . الخ .

* * *

وعلى كل حال وُجد واضعون للروايات قبل ابن دانيال وبعده ، وما أحقها بالتاريخ ، فإنها تضيف باباً لطيفاً إلى أبواب الأدب المعروفة . (انظر ابن دانيال)

تنبل

يطلقونه على البليد الكسلان .
والكلمة فارسية . وقالوا : تنبل ، واشتقوا
منها فعلاً ، فقالوا : تَنَبَّلَ الرجلُ ،
أى تبدَّل .

حرف الثاء

اعتاد المصريون أن ينطقوا الثاء تاء وأحياناً سيناً ، فيقولون تعيل في ثعيل ، والتار في الثار ، وكتقولهم سواب في ثواب ، وهكذا . ولذلك لم نذكر شيئاً من الكلمات المبدوءة بها

حرف الجيم

جابر

ينادى المصريون على لحم الرأس بيا جابر،
وهم يحملون طبلية فيها لحم الرأس وخبز
وطرشي . وكل من سمع يا جابر ، فهم أنهم
يبيعون لحم الرأس . ولا أدري سبب هذه
التسمية ، إلا أني رأيت في نوادر أبي زيد
أن الخبز اسمه جابر ، وأنهم ينادون عليه
يا جابر ، فهل هذا هو السبب ؟ أو هو نداء
باسم الصحابي المعروف ؟ ولماذا ؟ لا أدري ...
وأما البطاطة فينادى عليها بسيدي جابر ،
لأنها توجد في الأرض التي حوله .

الجبّا

يستعملها العامة بمعنى هدية ، فإذا دخل
القهوة رجل وكان فيها من يعرفه فإن ذلك
الصاحب ينادى صاحب القهوة ويأمره بأن
يعطى الداخل القهوة على حسابه ، فيقدمها
صاحب القهوة ويضعها أمامه ويقول له بصوت
مسموع : جبّا من فلان ! فيقول هذا في
الحال : عاش الجبّا وصاحبه .

ويقولون : « أنا باطلب منك حقي .
مش باطلب منك جبّا » ، ويقول الرجل
لآخر : إنت جبّيت على إمتة ؟ مالكش
جبّا على ... الخ .

جحّا

ليس بهمنا إن كان جحّا شخصاً تاريخياً
أو خرافياً ، تركياً أو مصرياً ، فهو على كل
حال شخصية في أذهان المصريين ، من أهم
عناصرها أنها مضحكة حكيمة . ومن عهد
قديم نسبوا إليها كل ما يصدر عن المصريين
الفكهين المصريين من حكايات ونوادر . وم
ملاً جحّا المجالس والمسامرات بحكاياته الرائعة
ونسكته اللاذعة . فإذا صادف أحدهم أن
حكى حكاية من حكاياته أتبعه الآخر بحكاية
أقدح منها وهكذا . وكل من جرّب تجربة
في الحياة واستطاع أن يصوغها في قالب
فكاهي وضعها وحكاها ، ونسبها الناس إلى
جحّا وتناقلوها عنه فيما بعد .

ومن اللطيف أن حكاياته تؤثر في أعمال
الناس ، كما كان الشعر يؤثر في الحياة الغربية ،
فمن تردد في أمر أي عمله أم لا يعمله ذكر
حكاية من حكايات جحّا فحسمته أو أقرهته .
ولجحا كتاب منسوب إليه مملوء بالحكايات
عنه . وقد طبع مراراً .

جدع

يقولون للشاب إذا كان ماهراً
ذا مروءة : « جدع » وأصله : جدع . وهو
من النوق ... ويجمعونه على جدعان .
وفي القاهرة طائفة ممن اشتهروا بالمهارة
في الضرب وانقطعوا للحماية من استيجار
بهم يسمون « جدعان » مثل « الصعاليك »
عند العرب . ويخشاهم البوليس وقد يفض
النظر عنهم . ومنهم من يفتح قهاوى
للحشيش . وفي الغالب يكونون أهل مروءة
قد تحتمى بهم المومسات والحشاشون والأفرنج
من أصحاب القهوات ونحو ذلك . ويظهر أنهم
كانوا طائفة كبيرة ذكروهم الجبتي كثيراً في
تاريخه ؛ وذكروهم على الخصوص عند ذكره
« كفر الطماعين » و « كفر الزغاري »
وقال إن سكانهما يميلون إلى التعصب
والتخريب ويسمون « فتوات » . ويتحالفون
على المغالبة والمصاربة بالعصى ، وكل طائفة
منهم لها كبير يدعونه العم ، ويناديه كل
منهم « ياعمى » وهو يدعوهم بالمشايد ،
يتبعونه إذا نازل خصومه . وعندما أن
السجن شرف ومروءة يتفاخرون به . وقد
يوعز الجدع منهم إلى صديق له أن يفعل
فعله يسجن عليها ليستأنس به في السجن .
ويتحاشون أن يغالزوا فتاة إذا عرفوا أنها

صديقة أحدهم . حُك على واحد منهم ،
بالسجن شهرين ، فلما أدخل السجن ورأى
ما فيه من الراحة والنظام ، ورأى كثيراً من
أصحابه ، تشاجر مع أحد السجنائين رغبة في
طول المدة . وقد قيل لرجل منهم وهو ذاهب
إلى السجن : كيف فعلت هذا مع أنك غني
تستطيع الإنفاق على نفسك في بحبوحة ؟
فنظر إليه نظرة ازدراء وقال : إن الله أمدني
بالصحة والقوة ، فكيف لا أستعمل مواهبى
فيما خلقت لها وهي الضرب والعبث ؟

جدوار

نبت يأتي من الهند ، ويذكر كثيراً
في كتب الطب كقذكرة داود وابن البيطار .
وهو مخدر كالحشيش ، ويستعمل بدله إذا
غاب ، ولكنه أشد منه ، فيصاب متعاطيه
بالذهول والغيوبة

الجديد

لعبة يلعبها الأطفال خصوصاً ، وهي أن
يوضع شيء في إحدى اليدين بطريقة إخفاء ،
ثم يسأل عنها اللاعب الآخر ، فإن عرفها
أخذها ولعب بها ، وإلا كان للاعب الحق
في أن يضربه .

ويطلق على نوع صغير من العملة

وكان شائناً عندهم أن منشأ هذا المرض
الجامع الأزهر لكثرة ما فيه من الأتربة
والتمل والبوق .

وفي سنة ١٢٩٣ انتشر هذا المرض في
القاهرة بشكل وباء ، ونسبوه أيضاً إلى
الأزهر ، وكان يعم كل من في البيت
أحياناً . وكان السودانيون إذا أصيبوا به ،
وظهرت قروح على أيديهم يأتون بشقفة فخار
ويحكون جلدهم بقوة ، حتى يسيل الدم
ويسلخ الجلد ، ويأتون بملح ناعم ويذرونه
عليه ، ويربطونه بشاش ، وبعد أيام يحف
الملح ، وتجف القروح . . . وهو علاج
فظيع .

الجرّة

اعتاد المصريون أن يكسروا جرّة أوقلة
وراء الخارج من البيت أو المسافر إذا كان
مكروهاً . ويقولون : « كسروا وراه قلة » .
ويعتقدون أنهم إذا فعلوا ذلك فلن يعود .
واعتماداً بائعو التمرس والبول (المِثْبَلِي) أن
يصففوا على عربتهم قليلاً صغيرة لمن يريد
أن يشرب كأنها سبيل لله ، كما اعتاد بائعو
حب العزيز أن يبيعوه بزقة . وقد كان من
عادة بعض الناس أن يصففوا أمام بيوتهم

المصرية فيقال : ليس معه ولا جديد . ويظهر
أن هذا الاسم أطلق عليه في أول العهد
بضربه ، ثم بقي استعماله حتى بعد أن قدم .

الجرّاية

هي خبز من القمح كان يوزع على
مجاوري الأزهر وعلماؤه ، فبعض المجاورين
والعلماء لهم مقدار معين من الخبز كل يوم ،
من ثلاثة إلى أكثر ، يذهب كل يوم
ويتسلسلها . وبعضهم بعد استلامها يقف على
بعض أبواب الأزهر ليأتمم بثمنه أو يدخره .
وقد بطل هذا اليوم ، وحل محله قليل
من المال يعطى بدلها . وقد استعار بعض
الناس هذه الكلمة فأطلقوها على كل مرتب
معين ، كالمخازن يحضر راتب الخبز ، والجزار
يحضر راتب اللحم ، وهكذا .

الجرّب

مرض معلوم يداويه المصريون
بالكبريت المسمى بكبريت العمود ، يدقونه
أحياناً ويضيفون عليه السكر ويتعاطونه .
وبعضهم يجعل من مسحوقه مرهما .
ويصيب الجمال أيضاً ويسمونه « حك » .
وقد كان هذا المرض منتشراً في القاهرة
بسبب القذارة ، وعدم الاحتياطي في الاختلاط .

الجزار

في ليلة العيد الكبير ، وفي صبحه بعد صلاة العيد تسمع منادين : جزّار، جزّار؛ يناديهم الناس ليذبحوا ضحية العيد . وبعد ذلك بقليل تسمع منادين آخرين ينادون : فروة للبيع، جلد للبيع . فيشترون جلد الخروف المسلوخ وفروته بشمن بنحس .

وقد جرت عادة لطيفة ، وهي أن يتبرع المضحون بها لجمعية الإسعاف ، وهم يبيعونها بأثمان معتدلة تضم إلى مالية الجمعية . وهذه الفراوى والجلود تدبغ في المدابغ العامة . فتستعمل الفراوى في البيوت للجلوس عليها شقاء ، أو تحت أرجل المترفين في السيارات . أما الجلود فتدبغ لاستعمالها في النعال .

الجرسة

تستعمل في اللغة العامية بمعنى الفضيحة . يقولون : « دى تبقى جرسه وهتيكة » . وقد كانت في الزمن الماضى إحدى العقوبات ؛ فكان الحكام الأتراك إذا أرادوا التشهير بمذنب أركبوه ووجهه إلى ذيل الحمار ، ويصيح الأطفال صيحات مناسبة ، فإن كان لصا جعلوه يمسك الحلى أو النقود التي سرقها ويقولون : الحرامى أهوه ... ونحو ذلك ...

قللا نظيفة ملأى في رمضان يشرب منها المارون وقت الإفطار . وشبهوا الكثرى بقلل الشربات ، فقالوا : « زى قلل الشربات يا كثرى » ، كما شبهوا التين الشوكى بكيزان العسل ، وجنبه البلح ببير العسل . واشتهرت قنا بالقلل إذا حرقت تكون ذات مسام واسعة ، تساعد على تبريد الماء . وكان بعض الناس يبيع قلل سمندود على أنها القلل القناوى ، فإذا ضبط ذلك المحتسب أوقع العقوبة على البائع .

ويحكون أن أحد الأتراك وهم من طبعهم حب السلطة ، أحيل على المعاش ، فأتى ببيع قلل يلقى بها الناس إحساناً ، فإذا أراد رجل أن يشرب من قلة زجره وأمره أن يشرب من الأخرى ، إظهاراً لسلطته ليس إلا . وأهل الشام يقولون : « زى قلل مصر لا كسم ولا خصر » . وكان للمصريين عناية بالقلل تدعك كل يوم بالرمل ، وتنظف وتوضع في صينية الماء . وتوضع الصينية في المشريات لتبرد . وكثيراً ما كانت تملأ من الأزيار لتزيد برودتها .

وأقاموا المآتم وبالغوا في النواح . ولذلك قال بعضهم : « ثلاثة تشقى بها الدار : العرس ، والمآتم ، والزار » .

جميعى

الجميدية ، طائفة تطلق عليهم هذه الكلمة ، ولا أدرى من أين جاءت . وهى طائفة سافلة حقيرة من الناس ، صناعتهم غالباً الشحاتة ، يسيران مع بعضها فى الغالب ، أحدهما يحمل دربكة صغيرة ، والآخر يحمل « صاجات » ، ويلبسان ثوباً قصيراً لا يتجاوز الركب ، حفاة بلا سراويل ، وعلى الرأس إما طربوش قديم أو عمامة قديمة أو طاقية قديمة ، ويفشيان الحلات ، أحدهما يطبل على الدربكة ، والآخر على الصاجات ، ويفشيان أغنيات خاصة أكثرها بذى .

ومن هؤلاء طائفة تسمى الأدباتية ، وهم يقولون زجلاً لظيفاً بعضه محفوظ وبعضه منشأً إنشاءً يناسب المقام . وقد ينشئون زجلاً فى موضوع خاص فيجيدون فيه .

وقد يلبسون طربوشاً ويحركون زره حركة دائرية ليثيروا الضحك .

ومن أقوالهم المشهورة :

أنا الأديب الأدباتى

أخب العيش تحت بطاطى

وإذا كانت الجريمة زنا ، شهره بكلمات تدل على عمله .

ويظهر أن الكلمة مأخوذة من الجرس ، وهو الصوت .

وقد انصرفت الكلمة فى هذه الأيام إلى التشهير بالمجرمين فى الجرائد الهزلية بذكر أسمائهم وأفعالهم .

الجزع

يستعملونها أحياناً بالمعنى اللغوى وهو شدة الحزن ، وأحياناً يستعملونها استعمالاً آخر فيقولون : جزعت نفسى ، أى جاشت . وهم يداونون هذا الجزع بليمونة ، قد يضيفون قليلاً من الملح أو من غير الملح بها . ويذاوونه أحياناً دواء خرافياً ، وذلك أن يضعوا قشة فى لباس رأس كمامة أو طربوش أو طاقية ويأمروا صاحبه بتحديد النظر إليه ، يقصدون بذلك أن يمحصر نفسه فى النظر إليها من غير أن يفكر فى هذا الجشيان .

وأما الجزع بالمعنى الأول فهو ظاهرة من ظواهر المصربين نتيجة للغلو فى العاطفة ، سواء فى السرور أو الحزن ، فإذا فرحوا (هتصوا) وأنفقوا كل مالديهم . وقد يستدينون لإظهار فرحهم ... وإذا حزنوا أفرطوا فى حزنهم حتى بلغوا حد الجزع ،

وأراد المسروق منه أن يعطى شيئاً للرئيس
فمنعه صاحبه ، وأفهمه أنه فعل ذلك مروءة
على حسب عادته .

جلاب اليسير

لقب للسيد البدوي ، يزعمون أن من
خصائصه أنه يذهب إلى بلاد الكفار حيناً
وبعد وفاته ويحىء بمن عندهم من أسرى
المسلمين . ويصعد خدمته إلى مؤذنته صباحاً
فيجدون هؤلاء الأسرى فوقها ، وفي أيديهم
وأرجلهم سلاسل الحديد . ولتأ كيد ذلك
يكون في مولد السيد عشرة أو أكثر لابسون
البياض وفي أيديهم أو أرجلهم الأغلال ،
يدعون أنهم أسرى السيد . وإذا استغاث
أحد بالسيد قال : يا باب النبي يا سيد ،
يا جلاب اليسير يا سيد !

الجلبية الزرقاء

أكثر لبس العامة الجلايب الزرقاء .
وهي عبارة عن بفتة مصبوغة بالنيلة فتكون
زرقاء . حتى يطلقها بعض الإفرنج على أهل
الجلاليب الزرقاء . وأكثر من يلبسها الفلاحون
الذين يعملون في الغيطان .

وقد حدثت حادثة كبيرة مع السيد
عبد الله نديم رواها في مجلته « الأستاذ » ،
وقال إنه نازلهم وتصدى لرؤسائهم وتحداهم ،
وقد كان جالساً في المولد الأحمدي ، فجاء
بعض هؤلاء الأدبائية ، فقال لهم النديم صارفاً
لهم : أقول لك امش ماتمشيش

يطلع على حشيشي

وما زال بهم حتى صرفهم . وبلغت
القصة مدير الغربية فجمعهم في حفل كبير
وساجل بينهم ، فغلبهم النديم حسبا روى .
وأحياناً يستغفون الناظر إليهم بالعابهم
فيسرقون ما معه .

قال لي صديق : إن شاباً يعرفه كان جالساً
على القهوة فجاء بعض هؤلاء الأدبائية فلعبوا
أمامه الأعيبهم ثم استغفلوه وسرقوا كيس
نقوده وفيه مائتا جنية ، فسقط الشاب مغشياً
عليه ، فرآه رجل فسأله عن قصته فكأها
له ، فطمأنه .

وكان الرجل صديقاً لشيخ الأدبائية
فأخذ الشاب وذهب به إلى حى السيدة
زينب وقصد معه إلى شيخ الأدبائية فوجداه
في منزل ضخم ، ودعاها إلى الغداء ، وغداها
أصنافاً مختلفة من الطعام ، حتى إذا جاء
المغرب حضر أدبائية البلد فاستوضحهم وسألهم
عن الكيس فأحضره له ، فسلمه لصاحبه ،

الجللة

كانت الجللة ولا تزال هي وقود الفلاحين يطبخون عليها وعلى عيدان الذرة ويحمون بها الأفران . وهي عبارة عن روث البهائم مخلوطا بالتبن .

ومن غريب الأمر أنهم كانوا يبيعونها في القاهرة ، يضعونها في جنبتين على الحمار وينادون عليها بالجللة الصيفي ، أيام كان الناس يعجنون بأنفسهم ويخبزون في أفرانهم الخاصة ، قبل أن يطاف بالخبز على البيوت .

الجلجلوتية

هي قصيدة من العزائم السحرية ، يعتقدون أن من قرأها قضيت حاجته .
(أنظر تسخير الجان) .

الجلل والغزالة

قصة مشهورة منظومة شائعة بين العامة في ذكر معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام . أولها :

في أول القول مدحك يا نبي استفتاح .
يا من تسلم عليك الشمس كل صباح .
نطق الجلل والغزالة واسلم أبو مسعود .
على يد ابن رامة صفوة المعبود ...
كان النبي والصحابة جالسين صفيين .

مجتمعين بان رامة سيد السكونين .
إلا أناهم جلل بيكي بدمع العين ...
نطق وقال السلام مني عليك يا زين .
قال له عليك السلام يا جلل مالك .
لابد ماجيت تشكى من عيا حالك . الخ
القصة .

الجنـازة

أحياناً تطلق هذه الكلمة على جمع من النساء يجتمعون في بيت الميت للبكاء والعيول والولولة والصياح واللطم وخمش الوجوه ، ويسمى المآتم . وأحياناً تطلق الكلمة على مجموع السائرين بالنعش في الطريق ، فقهاء ومعزين . ومن عادة المصريين وخصوصاً المصريين الغلو في عواطف الفرح والحزن . فكان إذا مات رجل عظيم فكل نساء بيته يغطين رؤوسهن بالأسود وأوجهن بالوحد أو بالنيلة ، وهي عادة قديمة ذكرها هيرودت عن المصريين القدماء في تاريخه .

فهن يكثرن من الدفوف والدق عليها بنفحات خاصة ، والقرع على الصدور بالأيدى . وقد يضر بن صدورهم بالأحجار ، ولا يلبسن الملابس إلا إذا كانت سوداء .

وإذا كان الميت عزيزاً صبغن كل غطاءات الفراش والوسائد بالسواد ، وقلبت

مع أحد تلاميذه فزلقت رجله ومات . فلما
أخبرت زوجته وكان عزيزاً عليها وصادف أن
أبها زارها من الريف ليقضى عندها ليلة ،
صبرت وكتمت عنه الخبر لثلاثين يوماً ، وكانت
تدخل الحجرة وتعلقها على نفسها وتبكي ،
فإذا خرجت إليه لم يشعر منها بشيء غير
عادي حتى أتى الصباح فأخبرته ، وخرجت
إلى المستشفى وأسلمت زوجها للتدفن . وأخبرت
أن عميد جامعة أمريكية في بيروت قتل ابنه
الوحيد في الحرب العالمية الثانية ، فلما ذهب
بعض الأصدقاء ليعزوه هو وزوجته لم يلاحظوا
عليهما أي شيء غير عادي ، فظنوا أن الاسم
مفلوط ، وأبوا أن يعزوها ، حتى لا يقعوا في
خطأ ، ثم تأكدوا من أن الخبر صحيح وأنهما
هما المنكوبان ، فعجبوا من ضبط عواطفهم .
وكان لنا جارية ومات أحد أقاربنا
وكان عزيزاً علينا فخلقت شعرها وظلت أربعين
يوماً لا تأكل إلا الزيتون الأسود ، ولاتنام
إلا على حجر ، ولا تشرب القهوة إلا سادة ،
وتدعى أن في ذلك وفاء للميت . وقد زال كثير
من تلك العوائد اليوم

البسط والسجاجيد ، ووضع وجهها على الأرض .
والنجف والشمعيدات تلف بقماش أسود .
وتستدعى طائفة من النساء تسمين المعددات
وتغنين أغاني مخصوصة بنغمات حزينة . وتمتنع
الزوجة إذا مات زوجها عن الحوم .

وإذا كان للميت فرس كان يركبها يقص
ذنبها ويوضع الشعر على السرج ، وتقاد أمام
النفس .

ومن اعتقادهم أن روح الميت تبقى
بحوار الجثة وهي في البيت قبل الدفن لاتفارقها
ولا يصح إدخال السمك ولا الفاكهة
في بيت الحزن إلا بعد الأربعين ، ولا يصح
أن يوضع السكر على القهوة أيام المأتم ، ولا بد
من إضاءة السراج مدة ثلاثة أيام في الحجرة
التي مات فيها . ولا بد أن يفرش النعش
تحت الميت بشيء كالحاف ونحوه . وإذا
كان الميت من الأغنياء لف النعش بشال
من الكشمير . ولا بد أن يكون ماء الغسل
والصابونة والليفة التي يغسل بها الميت من
خارج البيت . ويفرش في المقبرة حيث يوضع
الميت حناء ، إذا كان الميت عزيزاً أو غنياً .
وإذا قورن مانسمعه من ضبط بعض الإفرنج
عواطفهم الحزينة أخذنا العجب ! فقد حكى
لي أن أستاذاً ألمانيا كبيراً كان يدرس في مصر
ثم ذهب في إجازة وأراد مرة أن يتسلق جبلاً

الجناس اللفظي

يولع المصريون في كلامهم العامي بالجناس اللفظي يستعملونه في نكتهم وفي أغانيهم كثيراً مثل قولهم في الأغاني :

محبكم داب وانتم لم دريتوبه

والنار بترعى فؤاده وانتم لم دريتوبه

وهي متجانسة اللفظ . ومعنى الشطر

الأول أن المحب ذاب من حبه ، وأنتم

لم تدروا به ، ومعنى الشطر الثاني أن النار

ترعى فؤاده ، وثوبه لم يدر بالنار ... وأعرف

صديقاً كان يسير في الشارع فقابله رجل

يعرفه فسأله : ماذا فعل فلان في الامتحان ؟

قال له : ما نجحش ، فقال : ما أنا عارف .

لكن هو عمل إيه ؟ فكانت نكتة ، لأن

كلمة ما نجحش ، فسرّها بمعنى أنا جحش .

جن

« جنّ » يقال فلان جنّ ، وجماعة

جن ، للفرد والجمع ، بمعنى أنه أو أنهم

أشرار . ومثله لفظ عفريت ، وعفراريت .

وقد أخذه المصريون من سورة الجن

في القرآن واعتقاد العرب فيهم ، وقول كل

شاعر : إن له شيطاناً .

يقول أبو النجم العجلي :

إني وكل شاعر من البشر

شيطانه أني وشيطاني ذكر

ويزعم الفرزدق أن له شيطاناً اسمه

« عمرو » ، ويزعم أعشى ميمون أن شيطانه

اسمه « مسحل » وهو يقول في قصيدته :

دعوت خليلي مسحلا ودعواله الخ ...

ويروي لحسان بن ثابت :

ولي صاحب من بني الشيبان

خفيماً أقول وحيناً هوة

وأغلب المصريين وخصوصاً الأطفال

والنساء يزعمون أن الجن تظهر بالليل في صورة

كلب أو قط ، والأغلب في صورة قط أسود ،

ولذلك يتحاشون ضرب القطط والكلاب

بالليل . وإذا صادف وجود قط غريب بالليل

في بيت من البيوت ، لم يشكوا في أنه جن ،

وراقبوا حركاته وسكناته ، وفسروا كل

حركة بتفسير ، وإذا تقدم القط إلى الأكل

من أحد الأطباق فلا يطرد وإن خطف

اللحم ؛ ويعتقدون أنه إذا ضربوه آذاهم .

وهم يزعمون أن الجن تفعل كثيراً مما

يفعله الناس . فمثلاً نسبوا إليها أنها بنت

« تدمر » ، ويزعم القطامي أنها تغني .

ويزعمون أيضاً أن للجن علاقة بالإنس ،

فقد يعشق الجنى امرأة ، وقد تعشق جنيسة

رجلاً ، والفقهاء في بعض كتبهم فرضوا صحة

ذلك . وكنت أعرف رجلاً شركسياً ، كثير

الصمت ، قايل الكلام ، تبدو عليه كثرة

وكثيراً ما يعلقون حذاء قديماً في رقبة الأطفال يزعمون أنه يمنع تأثير العين ، ولا يصلح هذا النعل القديم لذلك إلا إذا وجد ملقى في الطريق ولا يُعرف له صاحب ، وأن يوجد أحد النعلين فقط .

وقد يعتقدون أن سبب المرض جنية سوداء لبست الرجل أو المرأة ، فلا ترضى عن لبسته إلا بالزار . وفي الزار هذا تدق للجنّي الأسود دقات على نفثات خاصة ، يفقر من أجالها من لبسته الجنّية ، فيأني بحركات بهلوانية .

* * *

وعقب تولى محمد على مصر عرف كثير من الأتراك اعتقاد المصريين في الجن ، فكانوا يلبسون بالليل ثياباً سوداء أو بيضاء ثم يخرجون ، زاعمين أنهم جن ، فيخاف المصريون ويهربون ، فيفتنم الأتراك هذه المسألة ويفعلون ما يريدونه .

وأعرف سيدة مقعدة تعتقد أنه لبسها الجن بسبب أن أحد خدمها ضرب قطعاً أسود بالليل ، فعاد القطن شديد الصياح ، ثم اختفى فخافت من أن يكون جنّياً يؤذيها ، وكذلك كان .

وبعض المصريين والمصريات يزعمون في بعض البيوت أنها مسكونة ، ومعنى أنها

التفكير ، فكان يزعم أن جنية تعشقه ، وأنها لذلك منعتة من التزوج ، وأنه يختلى بها كل ليلة ، وقد قضى حثفه ، رحمه الله ، ساكناً متبتلاً معتزلاً الناس .

وذهبت العرب إلى أن الجن لا تأكل ، ولكن المصريين يزعمون أنهم يأكلون ويشربون ، ولذلك اعتاد بعضهم إذا توهم أن مرضه جاء من غضب الجن عليه ، أن يذيب في الماء نوعاً من السكر الأحمر ، في إناء بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة ، ويأخذ المريض ذلك الإناء أو يذيب عنه من يصعد به إلى سطح البيت وهو ساكت لا يتكلم ، ولا يلتفت وراءه وهو صاعد ، ويقلب الإناء بما فيه على الأرض ، ولا يذكر اسم الله وهو يريقه ، ثم يترك الإناء وهو في مكانه ، وينزل كما صعد ... يزعمون بذلك أن الجن تشر به ، ويكررون هذا الأمر ثلاثة أسابيع على الأقل ، فقد يرضى عنه الجن فيشفى ...

ويزعم المصريون أن الجن قد تتعرض للإنسان إذا سار وحده بالليل ، وقد يتشكل الجنى بشكل حذاء قديم بال ؛ وأن الإنسان إذا لقي الجنى وضربه بسلاح أو رماه برصاصة فأصابته ، يصير نعلاً قديماً . ولذلك يكثر استعمال النعل القديم تعويذة أو حجاباً يعلقونها على رأس الخليل أو الحمير أو الجمال ؛

الجنى ، فحضر ، وتكلمت بكلام رجل كأن الصوت يخرج من بطنها ، فأطراها محمد على على فعلها وأمرها أن تقرب منه حتى يقبل يدها ، فلما مدت يدها قبض عليها وأمر بإضاءة الشموع ، فرأى أنها هي المرأة ولا جنى ولا غيره ، ثم أمر بالقاءها في النيل ، فجزع الجند الحاضرون ، وظنوا أنها ولية وأن هذا الأمر خارج عن الدين ، فقال لهم محمد على : لا تجزعوا ، لو كان الجن معها لأخرجوها من النيل ، ولو كانت مدعية ادعاءً باطلاً فقد استرحنا منها . فلما أقيت غرقت واستراح الناس منها ، وكان في حارتنا رجل يسمى الشيخ أحمد الصبان كان يبيع الفحم على باب الحارة ثم عمى وافتقر ، وسكن في غرفة ضيقة ، فما لبثنا أن سمعنا أن جناً تقمصته ، وأنه يبين الخبآت ، ويتكلم بصوت غير صوته الطبيعي فقصده الناس من كل فج ، وصلاح حاله .

جنينة الأزبكية

هي حديقة في حي الأزبكية ، تبلغ نحو اثني عشر فداناً . وهي الآن متنزه يتنزه فيه الناس خصوصاً بعد العصر . وتصدح فيها الموسيقى العسكرية يومين في الأسبوع هما يوم الأحد والجمعة ، ولكن لها تاريخ طويل ، لا يهمننا منه إلا ما كان قبل عصرنا بقليل .

مسكونة أن الجن سكنوها ، وخصوصاً إذا حدثت في البيت حادثة قتل ، فهم أحياناً يسمعون أنيباً ، وأحياناً يضرب البيت بالحجارة ، ونحو ذلك .

وأعرف صاحباً لي اشترى بيتاً رخيصاً في المعادي لأنه قتل فيه صاحبه ، فسكنته العفاريات ، فبيع بنصف ثمنه أو أقل .

ويتصل بذلك اعتقاد الناس وخصوصاً النساء بأن العفاريات تقمص الرجال والنساء فإذا تمصتهم نطق الجن على ألسنتهم بأصوات غريبة ، ثم أخبروا على ألسنتهم بأخبار غريبة ، وتنبأوا بنبؤات مستقبلية .

وكان في زمننا يكاد يكون في كل حارة أو جملة حارات شيخ أو امرأة من هذا القبيل وحدث هذا للشيخ يوسف صاحب المقام المشهور ، فقد تنبأ مراراً بأحد المغيبات أمام الوالي ، وصدق في تنبؤه ، فادعيت له الولاية وبنى له مسجد كبير في شارع القصر العيني ، ودفن فيه ، واعتقد فيه .

وحدث مرة أن ادعت امرأة أن الجن تقمصوها ، وذلك في عهد محمد علي باشا ، ففتنت الجنود ، وكثر اعتقادهم فيها ، حتى استفحل أمرها ، فخاف محمد علي من ذلك فاستدعها إلى قصره ، وكان الوقت ليلاً ، فأمرت بإطفاء الأنوار ، وادعت أنها تحضر

تتوسطه امرأة تسمى عالمة ، تظهر دلالتها ،
 وفجورها ، كل بحسب طريقتة ، ويقصدها
 كل ليلة الوارثون ؛ وتنظر إليهم العاهرة
 نظرة فيها تهند ليعرف أنه المراد ، فيقع
 الواحد منهم في شركها ؛ وأصحاب تلك
 القهوات غالبا من الأروام ، فيحضر ويكثر
 من نعوت الباكويات والباشوية وسعادتك ،
 فيقول : « بلهجة الأمر ؛ « شوف الست
 « تشرب إيه ؟ فتطلب الشمبانيا من الصنف
 الغالى الذى كان فى وقتها يساوى عشرين
 فرنكا ، أى ثمانين قرشا ، وتشرب منها
 كأسا ثم تتركها وتطلب غيرها ، باتفاق مع
 الرومى ، وتصفّ الزجاجات التى طلبت على
 المائدة ؛ فإذا امتلأت وضعت الزجاجات
 تحتها . وكما برعت المرأة كثرت الزجاجات
 التى تفتح لها ؛ وإذا مجزت المائدة عن
 الزجاجات من فوق ومن تحت صُفّت مائدة
 أخرى ، وهكذا . حتى ليبلغ عدد الزجاجات
 أحيانا مائة زجاجة أو مائتين . فإذا فعل الرجل
 ذلك أشارت إليه المرأة إشارة شكر . ولا
 يزال كذلك حتى يفرغ جيبه . وهناك موائد
 القمار لا ترى فيها كأسا إلا الرومى صاحب
 الحان . وكان فى الجنينة جبلاية وبركة .
 وفوق الجبلاية قهوة ملئت بالنساء العاهرات
 جلس بجانبهن الشبان .

فقد عاصرت الاحتملال الإنجليزي ،
 وتعود الناس الحرية . وصارت كلمة الحرية
 تجرى على كل لسان ، فكانت جنينة
 الأزبكية مظهر ألتلك الحرية التى فهم الناس
 منها الفجور والخمور والحشيش والقمار .
 وكانت جنينة الأزبكية مراد أصحاب
 الشهوات . فامتلات بمحانات الخمور والمراقص
 والمغنين والمغنيات ، وأما كن الحشيش والقمار
 والفساد ، وأمّا الناس من كل حدب ،
 حتى كان اسم الأزبكية دالا على الفسق
 والفجور بأنواعهما ، فما تبلغ الساعة الرابعة بعد
 الظهر ، حتى يتزاحم الناس على الأبواب
 للدخول شيبا وشبانا ، ورجالا ونساء يبغون
 الحظ والانشراح ، وتنتشر فى طرقاتها
 العاهرات . وبعد غروب الشمس يأخذ
 الأروام فى ترتيب حاناتهم ، وترى أمام
 الحانات من يحمل زجاجات الخمر وجوقات
 المغنين والمغنيات ترد تباعا ؛ فإذا أظلمت
 الدنيا أضيئت الثريات والفوانيس ، وتأخذ
 كل جوقة مكانها ، وترص الكراسى رصا ،
 ويملا بعض صفوفها النساء العاهرات ، أمام
 كل واحدة مائدة ، عليها ثياب خفيفة رقيقة
 ينطقن بألفاظ الفحش ، ويتثنين تنثيا
 ملهبا للشهوات ، ويملن ذات اليمين وذات
 اليسار . وكل تحت فيه جمع من الآلاتية

جهاز العروس

اعتاد المصريون أن يقالوا في جهاز العروس ، وأن يضعوه على عربات مكشوفاً ، وكلما كانت العربات أكثر كان الزهو بالجهاز أكبر . ولذلك يضعون على العربة مرتبة ولحافاً فقط ، أو يضعون مخدات فقط ، حبا في التظاهر بالكثرة . وفي أفراس الأنجال ، أى أنجال إسماعيل ، كان جهاز كل من عروس البرنس حسين وحسن منسّقاً في ثلاث غرف فسيحة بالقصر العالى للعرض على الأنظار ، من حلى مرصعة بالجواهر والألماس . وقد عرض جهاز العرائس الأربع محملاً على عربات تحت حراسة جند ، تتقدمها فرقة موسيقية لإرسالها إلى بيوت العرسان .

الجوقة

يطلقونها على جماعة من الناس ، وعلى الأخص الجماعة يكونون مع المغنى .

وفي مكان آخر جوقة من الموسيقى . وأما البركة فكان فيها قوارب تحمل الرجل وخذنه ، والرجل وغلّامه . وهنا وهناك تحت آلاتية يجلس فيه المغنى على شلّة مرتبة يتمايل يمينا وشمالا ، واشتهر من هذه التخوت تحت شاب يهودى يسمى داود اليهودى ، لا يتجاوز العشرين إلا قليلا ، جميل الوجه ، بدين الجسم ، وحوله جوقته ، ويغشى هذه الجنينة بعض الأتراك والألبان بغوغائهم وصلفهم ، ويكثر بين العشاق وعشيقاتهم الرسل يحملون الأخبار . ثم أزيلت هذه المساخر بعد أن تدفق فيها ملايين من الجنهيات ، وفسد منها كثير من الشباب والشابات ، وهدمت البركة ، وتفرق حول الجنينة الرواد . وبذلك لعبت جنينة الأزبكية دوراً هاماً .

ومن ذكرياتها أن عبده الحمولى المغنى المشهور ، كان فى نشأته خريج إحدى تلك التخشيبيات .

والله مغير الأحوال ... فقد مضى عليها زمن كانت مقابر ، وأحيانا كانت مساخر ، وأحيانا كانت مسرحاً للتعيد والغلمان ، ومعرضاً للقناء . ثم زالت كل تلك الأحوال .

حرف الحاء

فانتقلت من اسم أسرة إلى اسم صناعة إلى
الدلالة المعنوية .

* * *

ومن لذة الكباب ، أن شبهوا الطعمية
به إذا كانت لذيدة ، فقالوا طعمية كباب .
وكنت أعرف بائعاً للطعمية لا يرضى أن
يقال له هات طعمية ، بل لا بد أن يقال له :
هات كباب ، اعتزازاً بطعميته .

ومن مشهيات أكل الكباب إتقان
أنواع السلطات ، فسلطة طحينية ، وسلطة لبن
وسلطة قوطة الخ ...

وقد صار طعام الحاتى هذا مشهوراً
عند المصريين ، كالقول المدمس والطعمية ،
والبسارة . وإذا أتى أجنبي وأراد أن يعرف
الأطعمة المصرية ، كان في مقدمتها الكباب
الذى يصنعه الحاتى ، والفول المدمس ،
والطعمية ، والكنافة .

وما يتظرف به بعض المصريين أن
يجعلوا مائدتهم كلها من هذه الأطباق
المصرية البحتة .

الحاء

يقولونها مقصورة لزجر الحخير ، والحث
على السير ، ويستعملونها أيضاً في اللغة العامية
مقصورة أو من غير ألف للدلالة على الفعل
يحصل في المستقبل القريب .

فيقولون : حاقراً ، وحاكتب ،
وحامشى ، أى سأفعل ذلك سريعاً . وربما
كان اختصاراً من كلمة حالا ، أى حالا
أكتب ، وحالا أقرأ ، وحالا أمشى .

الحاتى

أصلهم عائلة مصرية ، والحاتى لقب
لهم . وقد اشتهر من بعض هذه الأسرة
جماعة عرفوا بصناعة اللحم المشوى ، يسمى
الکباب ، يصنعونه فوراً عند الطلب ،
وينضجونه بسرعة . ومن عوامل نضجه
بسرعة أنهم يضيفون عليه بعض المواد كملح
الظرون ، ومن غلبة هذه الصنعة عليهم أن
صاروا يسمون كل من يصنع الكباب :
« حاتى » . حتى اشتقوا أيضاً من الكلمة
أفمالا ، فقالوا : « حتاه » ، و« يحتيه » ، بمعنى
أكل نحوه ، وضحك على عقله ؛ وهذه إحدى
الكلمات التى شاهدنا تطورها في حياتنا ،

حادثتان

خصصتهما بالذكور لأنهما كانتا مؤثرتين في نفسى وفي نفس معاصرى وفي رأى العام . وتدلّان على مقدار حساسية الرأى العام في بعض النواحي دون بعض . الأولى حادثة زواج الشيخ على يوسف ، وهى حادثة لو وقعت في البلاد الأوربية ما اهتمت بها ، ولا التفت إليها الرأى العام أى التفات . . ولكنها كانت في مصر كبيرة الشأن جداً ، حتى أن الرأى العام اهتم بها أكثر مما اهتم بمصائب الاحتلال الإنجليزي ، بل ربما كان الاحتلال قد وسعها ليلهيها بها عن أعماله فينا . وخلاصتها أن الشيخ على يوسف صاحب جريدة « المؤيد » تزوج بالسيدة صفية بنت الشيخ السادات ، وهى حادثة تحدث كل يوم ولا تحرك ساكناً ، ولا تلفت ناظراً ، ولكن هذه الحادثة أقامت مصر وأقعدتها ، وملأت الصحف والمجلات ، وحركت مشاعر الشعراء فشعروا فيها ، والمتنדרين فتنادروا عليها ، حتى سموا عامها عام الكف ، كما سموا عامها قبلها عام الكف . وشغل بها الناس من الخديوى إلى البائع الجوّال . ذلك أن الشيخ على يوسف ، وهو رجل كهل ، تزوج بنتاً بلغت سن الرشد ،

برضاها دون رضا أبيها ، واعترض أبوها على هذا الزواج . فما أهمية هذا الحادث ؟ ولكن لعبت الخصومات السياسية ، فقد كان للشيخ على يوسف صاحب جريدة « المؤيد » أعداء كأصحاب « المقطم » وجريدة « اللواء » للحزب الوطنى ، ومحافظه المصريين على حرمة الزواج وعدم التعدى على تقاليد المتبعة ، وفراغ عقول الناس جعل هذه المسألة مسألة الرأى العام .

وقد رفعت قضية من الشيخ السادات لطلب فسخ عقد الزواج لعدم تساوى الزوجين في الكفاءة ، إذ هى شريفة من نسل النبي ، وهو ليس شريفاً .

واشترك في هذه المعمة القضاء والسياسة والأدب والأخلاق . فجلسات المحاكم وما دار فيها من مرافعات تطلع على الناس في الجرائد ، والشعراء يضعون المقطوعات الظريفة ، والجرائد الهزلية تنشر النكت اللاذعة ، والباحثون يبحثون في سلسلة نسب الشيخ على يوسف ، هل هو من الأشراف أولاً ، والشيخ على يوسف يدعى الشرف ، ويستخرج من نقابة الأشراف سلسلة نسبه ، فإذا أحد أجداده يلقب بالخوجة فلان ، فيبحث : هل الخوجة لا تطلق إلا على النصرانى أولاً ؟ وهكذا من سخافات .

أهل دنشواى بأشد العقاب ، وفعلاً أقيمت
المشائق فى دنشواى ، وقتل بعض الفلاحين
وجلد البعض . ونستخلص من الحادثة الأولى :

(١) أن الرأى العام المصرى فى ذلك
الوقت كان يتحرك للتوفاه من الأمور ،
ويقض النظر عن عظامها ، كالاحتلال
الإنجليزى ، والظلم الذى يقع على رأس الرعية
من حين إلى حين .

(٢) أن مسألة الزواج عندهم مقدسة
وخاضعة للتقاليد القديمة .

(٣) تدخل السياسة فى الأشياء حتى
البيد عنها فتفسدها .

(٤) غلبة المسائل الشخصية على المسائل
العامه .

ونستطيع أن نستخلص من الحادثة الثانية :

(١) محافظة الفلاح محافظة تامة على حرمة
الزواج ، وحرمة ملكيته الخاصة لا العامة .
فلوضاعت البلد بأكلها ما أهمته ، ولكن
لو حرق جرنه الخاص لسفك فيه الدماء .

(٢) نجدة الفلاحين بعضهم لبعض عند
نزول الكارثة بأحدهم .

(٣) عسف الإنجليز وظلمهم .

(٤) أن هذه الحادثة تغلقت فى أعماق
نفوس المصريين حتى لم يزلها شئ . وكانت
سبباً فى التفات بعض الناس إلى الوطنية ،

وقد كانت هذه الحادثة سبباً فى انتشار
الجراند بين الناس ليروا فيها كل يوم طريفة .
وكان ذلك أيضاً سبب اتصالى بالجراند بعد
أن كنت لا أقرؤها .

والحادثة الثانية حادثة دنشواى .
ودنشواى بلدة فى المنوفية ، وكان قد خرجت
فرقة من جنود الإنجليز مع ضباطها من القاهرة
إلى الإسكندرية ، فلما وصلت إلى منوف
انحرفت فى سيرها ، وقصد خمسة ضباط منهم
بلدة دنشواى ، لعلمهم أن فيها حماماً يصاد ،
فبينما هم يصيدون ، خرجت من يد أحدهم
رصاصة أصابت امرأة فى الجرن ، وأشعلت
فيه النار ، فهاج زوجها ولم يرد أكثر من أن
يساق الجندى إلى المركز ، فاجتمع حول الضابط
زملاؤه ، وجاء الرجال من أهل البلدة للإنجاد
صاحبهم ، فأطلق الضباط الإنجليز النار على
الأهالى ، فأصيب بعضهم ، فهجم الأهالى
على الضباط وجردهم من سلاحهم ، وضربهم
بالعصى الغليظة ، فأصيب ضابطان ، وجرى
ثالث وهو جريح . وعدا مسافة طويلة ، ثم
سقط على الأرض ميتاً . فلما علم الجنود
الإنجليز بذلك حضروا وقبضوا على من حول
القتيل من الأهالى وفرّ أحدهم فأطلق الإنجليز
عليه الرصاص وقتلوه ، ومثلوا بجثته ، وقامت
الدنيا لهذه الحادثة وقعدت . وتوعد الإنجليز

الحارة

هي بقعة على يمين الشارع أو شماله ، يسكنها قوم بينهم روابط ، والشارع يشمل حارات أو دروبا ، والحارة تشمل على عطفات ؛ وهي تكون الوحدة الاجتماعية بعد الأسرة . فالأسرة في البيت والحارة تنتظم مجموعة من البيوت أو الأسر ، والشارع يمد الحارة بالوسائل التجارية ، وفيه الحمام الذي يلزم للحارة ، والمسجد والمستوقد والسوق . وبين سكان البيوت في الحارة الواحدة روابط متينة ، فيشتركون في المآتم والأفراح ، ويتسامرون في المنابر . وكل رجل في الحارة يعرف بقية الرجال ، وكان في القديم على كل حارة بوابة كبيرة وعليها بواب ، وفي وسط الباب الكبير باب صغير يفتح إذا جاء رجل واحد بالليل فيكون فتح الباب الصغير اقتصادياً . وكان الداعي إلى هذا عدم انتظام الأمن والهجوم بالليل ؛ فلزيادة الأمن يغلّق باب الحارة حتى لا يمكن اللصوص الدخول ، وبها يعتز أبناءها وإليها ينتسبون ، فيقولون نحن أولاد الحارة الفلانية ، كالعادة القديمة في الافتخار بالقبيلة ، وعلى كل جملة حارات شيخ يسمى شيخ الحارة يزعمون أنه يعرف أهل الحارات التي في اختصاصه ، فيشهد لهم إذا اتهموا بتهمة في نظير

وملء قلوبهم ناراً لم يطفئها شيء إلى اليوم ، ومنهم كاتب هذه السطور وكثير من المصريين . وقد أطاحت هذه الحادثة باللورد كرومر عميد الإنجليز في مصر وبغيره من المصريين والإنجليز . ولكن كل ذلك لم يخفف من لوعتها . ومن أجل هذه النتائج ذكرنا الحادتين . وأذكر أني قرأت الجرائد يوم محاكمة بعض أهالي دنشواي ، وكنت معزوما في الإسكندرية على العشاء ، فبكي الحاضرون جميعاً وتركوا مكانهم من غير عشاء .

حادى بادى

هي غنوة مصرية يتغنون بها ... يقولون : حادى بادى : سيدى محمد البغدادى : شاله وحطه ، كله على دى ... وهم يقولونها عندما يلعب الولد مع الآخر أو مع البنت ، ويكون اللاعب قد مّد يديه مفرودين على الأرض ، فتقال كلمة من هذه الغنوة على يد ، والكلمة الأخرى على اليد الأخرى ، حتى إذا وقعت القرعة وهي آخر كلمة على إحدى اليدين ضربت . ونظير ذلك غنوة تقال في أصابع اليد ، فيقال على كل إصبع جملة من هذه : آدى البيضة ... وادى اللي قشرها ... وادى اللي أكلها ... وادى اللي قال ... هات حتبه حتيته ... أحسن أقول لأم ستيته .

تخبزها فطيرا، أو تعملها رقيقاً، لياً كل زوجها
شعرها . ومنها أن تأخذ من دم حيضها شيئاً
قليلاً تضيفه على الماء الذي يشر به زوجها ؛
ومن الأحجية أن يأخذن كاغدا أحمر ، ويكتبن
فيه « يا ودود يا ودود ، يا عطوف يا رءوف ،
سبعين مرة ثم يكتب الخاتم الآتى :

و	د	و	د
٦	٤	٦	٤
د	و	د	و
٤	٦	٤	٦
و	د	و	د
٤	٦	٤	٦

ويجعل فيه تراب يؤخذ من تحت أقدام
الزوج . وكان مشهوراً في هذا الباب
الشبسية ، وستأني في الشين - ومن ولع
المصريين بالحب أكثروا من ذكره وذكر
الوصال والهجر في أغانيهم وأمثالهم .

حَبْرَة

نوب أسود كانت تأثر به المرأة ،
وكان منه مشجر ومقلم ، وسادة ومخرق ،
وهو يختلف في التفصيل ، فنه ضيق الوسط ،
واسع الذيل ، ومنه تفصيل قاضح : يظهر
كشم المرأة ، وقد يخييط بعضهن على الحبرة
شرائط حرير سوداء يسمونها « خروقا » ،

عشرة قروش أو نحو ذلك . وعليه التنبيه
على من بلغ سن القرعة وضمان المشتبهين
ونحو ذلك . وهو ليس له مرتب حكومي
ولكنه يعيش على ما ينفحه به بعض أهل هذه
الحارات عند اللزوم كماأذون ليس له ماهية ،
ولكن ما يتقاضاه من المتزوجين والمطلقين .

حانوت

كلمة تقال على معنيين : على كل دكان
وأحياناً تطلق على دكان محضّر الميت ، فهو
الذي يغسله ويكفنه ، ويحضر من الدكان
الخشبية ، ويحضر من يمشى أمام الميت
وهكذا ... ويسمى الرجل (حانوتي) . ولعلها
محرفة عن « حنوط » والرجل « حنوطى » .
والناس يتشاءمون من هذا الدكان إذا مروا
عليها ، كما يتشاءمون من ذكر الموت .

الحب

الحب والغزل شائعان بين المصريين ،
وهما كثيران في زجلهم وشعرهم ؛ وللعامة منهم
اعتقادات ، ووصفات وأحجية ، يزعمون أنها
تحبب الأزواج في الزوجات ، والزوجات في
الأزواج . وللنساء على الخصوص أحراز
وحجب ووصفات كثيرة ؛ منها أن تأخذ المرأة
قليلاً من شعر رأسها وتمزجه بقطعة من العجين

يحرص على أن يلقب بالحاج دائماً ، فيقال
الحاج محمد ، والحاج علي .

و بعض الناس يبالغ في الحج فيحج
سبع مرات أو أكثر ، و بعضهم يبالغ أيضاً
فيحج على رجله ماشياً ، و بعض المسلمين
يُحج عنه عدداً على قدر ماليته . و رأيت
بعضهم يقف وفقاً على عشرة يحجون عنه كل
عام . والحج يعلى عادة صاحبه بين أصحابه
ومعارفه أكثر من الصلاة والصوم والزكاة .

و بعض الفقهاء يقصد من القوت
الضروري له ولأولاده ليتمكن من الحج . وكان
الحج دائماً على جمال ، ثم أصبح يحج الناس في
السيارات ، و بعضهم يحج بواسطة الطائرات .

حجاج الخضرى

كان من طائفة الفتوات ، طويل القامة ،
مهيّباً ، عظيم الهمة ؛ وكان شيعياً لطائفة
الخضرية ، وله عليهم الصولة ، مسموع
الكلمة . وقد بنى البوابة المعروفة بالرملة
« المنشية » وسميت بوابة حجاج ؛ وقد زالت
الآن . وقد شنقه الوالى مظلوماً ... قالوا إنه
فعل به ذلك زجراً لغيره .

وشاهدت ابنته تسكن في حارتنا تسمى
حجاجة ، وكانت نحيفة القوام ولسكنها عجربة ،
ذات لسان طويل ، يخاف منها أهل الحارة .

ويتخذها النساء الداعرات وسيلة لاجتذاب
الرجال لحسن تفصيلها والتخلع فيها . وقد
ذهب التمدن الحديث بهذه الخبرات وأشكالها
وخلاعتها ؛ فقد أصبحت المرأة سافرة تخرج
بالفساتين العادية ، وذهب جمال الخبرة
وخلاعتها وفتها وصنعها .

الحج

فريضة من فرائض الدين الإسلامى ،
ويحتفل به المصريون أكثر من غيرهم . فلهم
الحمل الذى لا يساويه محمل آخر ، وهم الذين
يعدون كسوة الكعبة كل عام . وكثير من
الناس لا يحجون إلا ليلقبوا بالحاج فلان
أو الحاجة فلانة . وإذا عاد الحجاج عادوا
بهدايا وخصوصاً ماء زمزم والبلح على شكل
سَبَّح ، والعنبر والدبل والخواتم الفضة
والسَّبَّح . و بعض العامة قبل حضور الحجاج
يبيضون بيوتهم من الخارج ويرسمون عليها
رسماً بدائياً شكل رجل راكب جملًا أو نحو
ذلك ، ثم يستقبلون الحاج بالزفة ، و يقيمون
الولائم ، و ينصبون نضبة كنضبة الأفراس ،
وكثيراً ما يؤثر الحج في الحاج أثراً حسناً ،
فيقلع عما كان يرتكبه من الجرائم ، و يعود
صالحاً لاعتقاده أن الله يغفر الذنوب جميعاً
بحجه ووقفته على عرفات . وكثير من الناس

حجر الكباس

هو من أحجار المشاهرة ، يحكونه للوالدة في ماء يدهنون به جسمها ، وخصوصاً صدرها ونديها ، منعاً للكبسة ، وسيأتي تعريفها . وتوجد أنواع كثيرة من الأحجار للاستشفاء بها ، منها حجر العقرب ، وقد مر الكلام عليه في اصطبل عنتر ؛ ومنها حجر الدم ، وهو نوع من العقيق الأخضر فيه عروق حمراء ، يحملونه لمنع نزيف الدم ، ومنها حجر الحب . وتحمله النساء وخاصة السودانيات ، وهو من نوع الزلط ، إلا أنه خفيف هش ، لونه أحمر قاتم ، إذا حك في ماء تتحلل منه مادة بيضاء ، وهن يزعمن أنه إذا أراد إنسان أن يجذب فيه آخر ، يتحليل حتى يرش عليه ماء من الماء الذي حك فيه ذلك الحجر ، وأن يتدهن هو أيضاً به .

وقد قرأت قصة بهذه المناسبة أن امرأة فرنسية كان زوجها يضربها كثيراً بعد أن يشرب كثيراً من الخمر حتى يسكر ، فذهبت إلى مجوز وشكت إليها زوجها وطلبت منها أن تعمل لها شيئاً من السحر عساه أن يكف عن ضربها ، فوعدها العجوز أن تعزم لها عزيمة حين تأتياها في الغد ، فلما جاءت أعطتها زجاجة ماء ، وأمرتها إذا جاء زوجها

أن تملأ فيها من الماء وتعمل ما يأمرها به الزوج ولا تتكلم ، وبعد أسبوع قابلتها وسألتها عن الحال فقالت إن سحرك نفع ، فلم يعد يضربني ؛ ثم تبين أن المرأة كانت ثرارة كثيرة الكلام ، وكان زوجها يضربها لثررتها ، فلما أمرتها العجوز بإطاعة زوجها ، وملء فيها بالماء ، لم يعد هناك ما يدعو إلى الضرب .

حدوتة

هي تحريف لكلمة أهدوتة في اللغة الفصحى ، ولا تطلق إلا على القصة باللغة العامية ، وهم عادة يفرشون لها فرشاً صيغته : « كان يا ما كان يا سعد يا إكرام ، ولا يطيب الحديث إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام » ونسرد هنا بعض الحوادث على نمطهم :

١ - كان فيه سلطان ولا سلطان إلا الله ، ولا نبي بعد رسول الله ، وكان للسلطان ثلاثة أولاد : الشاطر حسن ، والشاطر محمد ، والشاطر علي ؛ وكانوا فرسان شطار ، ومتعلمين كل حاجة ، ونافعين أبوم ومريحينه ، ومنظمين أمور المملكة .

وبعدين أمهم ماتت ، والسلطان تزوج بنت الوزير ، وكان الوزير يكره أولاد السلطان لأنهم مضيقين عليه ، ومش مخلصين له كلام ، فسلط بنته ، وقال لها لازم تعلمي

قال له السلطان إذا كنت عرفت مرضها
اعرف لنا دواها .

قام ففتح الكتاب وقال : دواها ميچيش
إلا على بلبل الصباح . قال السلطان : وفين
بلبل الصباح ؟ فقال له : في البستان المسحور ،
ورا السبع بحور ، ولا يجبوش إلا أولاد الملوك .
قال السلطان : دا أمر سهل ، وأنا عندي
أولادى ما شاء الله ما فيش أشجع من كده .
وطلع حكى لهم على ما قاله الطبيب قالوا له :
يا أبونا احنا فى خدمتك ، ومطرح ما تأمرنا
احنا ما نقاخرش ، وأخذوا الزاد ، وركبوا
خيولهم ، واعتمدوا على خالقهم ، وساروا على
بركة الله ، وصلوا على زين الملاح ومشوا
اليلانة ، بلد تشيلهم وبلد تحطهم ، لما دخلوا
فى وسط الجبال ، انتهى بهم المسير إلى آخر
الطريق ، ثم وجدوه ينقسم إلى ثلاثة شعب
مكتوب على واحدة منهم دى سكة
السلامة ، وعلى الثانية دى سكة الندامة ،
وعلى الثالثة دى سكة اللى يروح ما يرجعش ،
وأخيراً انتظروا على أنهم يعملوا قرعة ، وكل
واحد يمشى فى سكة ، فأما الشاطر حسن
فمشى مشى وبعدين رجع لبلده ، وحكى لأبوه
على ما كان ؛ وأما الشاطر محمد فتاه فى الطريق
ومشى مشى ما لاقاش حاجة ورجع لبلده ،
وأما الشاطر على ففضل ماشى طول النهار ،

حيلة تخلى السلطان يكره أولاده .
قامت البنت احتارت تعمل إيه ، إلا
ودخلت عليها مرييتها ، وكانت عجوز نحس
وإبليس يتعلم منها المكر ، فقالت لها مالك
زعلانة محتارة ، فقالت لها يا أمى العجوز ، الأمر
فيه وفيه ، وأنا مش عارفه أعمل ازاي ؛
قالت لها : بس كده اداشى بسيط ، وبكره
الصبح ماتقوميش ، ولما يسألك السلطان قولى
له بس عيانه شويه ، وبعدين يحلها ربنا ،
نهايته ولا أطولش عليكم فى الصبحية قعدت
تنازع ، قال لها السلطان مالك ، قالت له بس
عيانه شويه النهارده ، فاتها وطلع لشغله ،
جاتها المعجزة ومعها رفاق ناشف ، حطته
تحت فرشها ، وصارت كل ما تتقلب يقطق
الرقاق ، وتقول هى دى عظامى بتقطق ،
وتنازع وتصرخ ، استعجب السلطان وجاب
لها الحكما ، وهم ما يعرفولهاش دوا .

شوية وفات واحد من تحت الشباك
وكان دا ابن المعجزة ومعلمه وهو ينادى
ويقول عيان نداوى ، مريض نداوى . قالت
امرأة السلطان له : نادى الحكيم ده يمكن
يعرف مرضى ، دخل عليها وبص كده وكده
وفتح الكتاب ، وبعدين قال : يا ملك الزمان
ووحييد العصر والأوان ، دا مرض المللكة
مش من الأرض ، دا مرضها من الجان ؛

وأخيراً لقي جنيته لا ليها أول يعرف ولا آخر
يوصف ، وفيها كل أصناف الزهور والفواكه ،
وفي وسطها قصر عظيم ، دخل جميع قاعات
القصر ما عرفش حد ، فاستعجب ، وفي
أوضه من الأوض لقي صفرة تامة من جميع
الأصناف ، والسكرامى مرصوفة حوالين
الصفرة ، وقعد يستنى يستنى ما حدش جه .
فقال له عقله : قوم اتعشه ، فأكل لما
شبع ، وراح غسل إيده وقعد جنب الشباك
يشم الهوا ، بص على باب الجنيته لقي غول
داخل ، فخاف وارتعش ، قام جرى يدور
على مطرح يستخبي فيه ، واحتار ورجع تانى
دخل الأوده اللي كان فيها ، واستخبي ورا
الباب ، فالغول ضرب الحيطه وخبط بإيده
عليها ، انفتح فيها باب مسحور ، وجلس على
السريير وقال : اطلعوا ، طلعت عشرة بنات
زى النجف ، وقعد الجميع على السفرة ، وقعدوا
ياكلوا ، ثم قال الغول : مين اللي رايحة
تكون عروستى الليلة ؟ ما حدش رد ، قام
وسحبهم من شعورهم ، ودخلهم أوده وقفل
الباب ، قام الشاطر على وخرج فى الجنيته لقي
العشر بنات مساكين ، قالوا له : إانت إنس
ولا جن ؟ قال لهم : إنس ، قالوا له : إيش
جابتك هنا ؟ فحكى لهم على اللي حصل ،
فخرجوا يلفوا فى القصر ، وبعدين لقوا دولاب

٢ — أحدثك حدوته ، بالزيت ملتوته ،
حلفت ماكلها ، حتى يبجي تاجرها ، تاجرها

والمسار عند الحداد ، صانعه المخصوص به .
والحداد عاوز بيضة ، إذ لا يكون شيء بلا
شيء ... الخ .

٣ — دخلت من عاطفة لعاطفة ، لقيت
مغنى بزفة ، لقيت حبيبي متكى ، على مخدة
فستقى ، قال لى خدى المفاتيح واسبقى ،
أخذت المفاتيح وسبقت ، لقيت صببة لبيبة ،
زى الشمس المضيئة ، متسكية على مخدة حرير
طرية ، لو كان بيتنا قريب ، كنت جبتلكو
صحن زبيب ، تا كلوا لما تصلوا على الحبيب ،
فيجيب السامعون « ألف صلاة عليه » وهذا
فرش الحدوتة ، ثم بتدى فيها فتقول : كان
يا ما كان ياسعد يا إكرام ، مايطيب الحديث
إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، فيجيب
السامعون : عليه الصلاة والسلام . ثم تقول :
كان صلوا على النبي ، ثم تقول : كان وحدوا
الله . وكله تشويق للسامعين لكي تزيد فيهم
رغبة السماع .

٤ — كان فيه واحدة جميلة فايقة فى السوق
لقيت شاب جميل جالس وعلى دكانه يافطة
مكتوب فيها : كيد الرجال غلب كيد النساء ،
فاغتاظت من ذلك ، وذهبت إلى الدكان
وأخذت تغازل الشاطر حسن صاحب الدكان

فوق السطوح ، والسطوح من غير سلم ، والسلم
عند النجار ، والنجار عاوز مسمار ، والمسار
عند الحداد ، والحداد عاوز بيضة ، والبيضة
فى بطن الفرخة ، والفرخة عاوزة قمحة ،
والقمحة عند التاجر ، والتاجر عاوز فلوس ،
والفلوس عند الصريف ، والصريف عاوز
حنّة ، والحنّة فى أيديهم ، ضربة تكوّر
عينهم . وهى حدوتة لطيفة تدل على مبلغ
اتصال الأعمال بعضها ببعض ، وهى فى معنى
قول المتنبي :

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وقد سمعها رجل صوفى فشرحها شرحاً
صوفياً قال : أحذتك حدوتة ، بالزيت
ملقوته ، يعنى السر الإلهى ؛ حلفت ماكلها ،
أى أتناولها ؛ فإن القصد لا يتم إلا بالوسيلة .
حتى ييجى تاجرها ، المراد به المرشد
الكامل ، والمربي الواصل . والتاجر فوق
السطوح ، لا يذهب ولا يروح ، بل إليه
يراح ، وبه تنتعش الأرواح . والسطوح
عاوزه سلم ، يتوصل به إليها ، حيث إن المدار
عليه . والسلم عند النجار ، وهو الأستاذ
الكامل ، والمسلك الواصل . والنجار عاوز
مسمار ، يثبت به سلم القرب والوصول .

والنبات ، وخلفوا أولاد وبنات ، وتوته توته
فرغت الحدوتة .

٥ - وحدث في عهد محمد علي باشا أن
كان رجل نخاس ، وكانت تجارة الرقيق
منتشرة متزوجا بامرأة غنية بمعض الغنى ؛ ثم
أهملها ، فغضبت منه وعملت على الطلاق
منه ، فمشت رجلا فقيراً ؛ وفتحت له دكاناً
بجوار البيت ، وكان في البيت نخلة تتصل
بمشربية ، يقفز إليه عشيقها كلما أراد ؛ فقفز
إليها مرة ، وإذا بصاحب البيت يحضر ،
فأمرت خدامها بأن رجلا عندها ، فأخبروه .
فدق الباب طويلاً ، وصرخ : عشيق ،
عشيق . .

فحضر الجيران ، وكسروا الباب ، ودخلوا
فلم يجدوا أحداً ، وكان العشيق قد قفز إلى
النخلة ونزل عليها إلى الأرض ، فتمتمت المرأة
وقالت : هو يتهمني في عرضي كذبا ،
وذهبت نائي يوم إلى القاضي وحكت له ،
وطلبت الطلاق ، واستشهدت بالشهود ،
فرفض القاضي أن يطلقها . وفي مرة أخرى
حضر العشيق كعادته ، وحضر صاحب
المنزل ، فوجد عشيقها معها ، فأمسكته مع
عشيقها وكيفته ووضع منديلا في فيه ،
وسكينا بجانبه ، وهددته إن صاح أن تقتله ،
ونامت مع عشيقها أمامه ، حتى إذا انتهيا

وأخيراً قال لها : أريد أن أخطبك من أبيك
فن أبوك ؟ قالت له : قاضي البلد ! ولكن
أبي لا يريد أن يزوجني ، ولذلك يقول
لمن جاء إليه يخطبني : إن بنتي هتمة
بأتب ، فقل له قابل . ولا أريد إلا شرف
النسب ؛ فأخذ كام تاجر وياه العصر ، وذهبوا
إلى القاضي وقالوا له : نريد أن نتشرف
بالنسب إليك . فقال لهم : إن بنتي كذا وكذا
كما ذكرت الفتاة ، فقال الشاطر حسن : قد
قبلت لأنني أريد شرف النسب ولا أريد
الجمال . وأخيراً عقد العقد ودخل الشاطر
حسن على زوجته ، فلم يجد الفتاة التي رآها
وإنما وجد فتاة شوهاء كما ذكرت ، فغطى
وجهها وخرج ، وفي ثاني يوم جاءت الفتاة
وضحكت ، فقال لها : ما المخرج ؟ فقالت : لا ،
حتى تغير الياضة وتكتمب : كيد النساء
غلب كيد الرجال ، وأخبرته بأبيها الصحيح
وقالت له : أحضر طائفة القرديّة والغوازي
والخولات واذهب بهم إلى القاضي ، وقل له :
هؤلاء أقاربي ، فتضايق القاضي ، فقال له
الشاطر حسن : وأنت شفت إيه ، دول لسه
جاين طوايف طوايف من قرايبي . فقال
للشاطر حسن : اعمل معروف خد فلوسك
وطلقها . فأخذ فلوسه وطلقها ، وذهب إلى
أبي الفتاة الحقيقي وتزوجها ، وعاشا في التبت

وكان معها كلبة تُطعمها من حين لآخر وتعطفُ عليها - فسألته المرأة من هذه الكلبة فقالت لها إنها كانت شابة جميلة ، وغضب عليها عاشقها فسحرها كلبة . فقالت : يا أمي إني أخاف من البقال الذي تحتى أن يسحرنى ، فقالت لها العجوز : وماذا تعطينى إن رجوتهُ ألا يسحرك بشرط أن تنيليه ما طلب ؟ فرضيت ووعدها أن تمنحها زوجاً من الأساور ، وعينت لها موعداً تستقبل فيه البقال ، فلما جاء الموعد تزينت وتجملت الفتاة وانتظرت العجوز البقال فلم يحضر ، وخافت أن تضيع عليها الأساور ، فترقت أن يمر عليها أى رجل مناسب ، وصادف أن مر التاجر زوج الفتاة ، وكان عائداً من سفره ، فاستوقفته وقالت له : ما رأيك فى فتاة جميلة تستقبلك ؟ فقال : لا بأس ، ولكم الخلاوة . وقادته إلى بيت الفتاة ؛ فما كان من الفتاة إلا أن لطشته على وجهه وقالت له : أهكذا تفعل أيها الرجل الخبيث ؟ فأخذ يعتذر لها ويسترضيها . . .

وتوتة توتة ، فرغت الحدوتة .

٧ - ومن حكاياتهم الدالة على إيمانهم البالغ بالخط ، وأن الطمع لا يُفيد ، أن رجلاً فقيراً كان طيباً وكان عطوفاً على زوجته وأولاده . وطلبت إليه زوجته مرة أن يأخذ سلطانية

حليته ، وشالت السكين وأخرجت المنديل من فمه ، وصرخ الرجل : حرامى حرامى ! فجاء الجيران فلم يجدوا أحداً ، فظنوا أنه مجنون ؛ فسألوه ، فقال لهم : حرامى ! فقالوا مسكين ! شفاك الله . وذهبت ثانى يوم إلى القاضى تطلب الطلاق ، فحكم بإرساله إلى مستشفى المجاذيب ؛ وأخيراً ظل سبعة أشهر وكما زاره أحد حكي له حكاية اللص فيقول : لا زال مجنوناً ، شفاه الله ؛ وأخيراً وبعد تعب ، رضى أن يطلقها ، فأحضرته إلى البيت ، وأحضرت المأذون وطلقةا .

٦ - كان فيه شابة جميلة متزوجة تاجر ، فأراد التاجر أن يسافر ، فخاف عليها أن تحونه ، فأوصى بقالاً يفتح دكاناً تحتها أن يراقبها ويحافظ عليها ؛ وأمرها أن تدلى حبلاً فيه مقطف كل يوم ، وأوصى البقال أن يضع لها اللحم والخضرفى المقطف كل يوم وهى تشده .

وفى مرة من المرات نظر إلى فوق فرأى المرأة فأعجبته ، فعشقتها ، وكتب لها ورقة مع اللحم والخضار يخبرها بذلك فرفضت ؛ فرض الرجل وجاءت إليه امرأة عجوز فحكى لها الحكاية ، فوعده أن تسهل له الأمور ؛ فذهبت العجوز إليها وادعت أنها خالتها ، وقبلتها كثيراً ، وزعمت أنها مشتاقة إليها ،

والحدوتة نمرة (٢) مثلاً تدل على معنى طيب في التعاون . ولكن مما يؤسف له أن أكثر حواديتنا في الجن ومكر النساء ولعب القدر كما رأينا . وحبذا لو جمعت الحواديت الشعبية وقُيدت ثم دُرست ثم تبين أثرها .

حرامى

كان في كل بلدة تقريباً في المدن أو القرى طائفتان : طائفة تنتسب إلى سعد ، وطائفة تنتسب إلى حرام ؛ فهذا سعدى أى منتسب إلى سعد ، وهذا حرامى أى ينتسب إلى حرام . ويظهر أن سعداً انتصرت على حرام ، فتدلى حرام حتى كان من نسبه لصوص ؛ وسمى اللص حرامياً .

الحرب

للمصريين في حال الحرب أحوال نفسية وأخلاق اجتماعية ، لعل خير ما يمثلها ما حكاه الجبرتى في موقفهم عند الحالات الخصوصية فإنه في يوم من الأيام حضر إلى ثغر الإسكندرية عشرة مراكب إنجليزية ، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر ، وبعد قليل حضرت خمسة عشر مركباً ، وحضر عدد صغير مكون من عشرة ، وطلعوا إلى البرّ واجتمعوا بكبار البلد ، والرئيس

ويحضر لها سمناً لتصنع به كنفافة . فلما ضاقت الأمور على الرجل ترك دكانه وهام على وجهه حتى بلغ شاطئ البحر . وركب سفينة أوصلته إلى جزيرة غنية انقطع أهلها عن العالم . وقبض عليه وأرسل إلى الملك ، فسأله الملك : أصدىق أنت أم عدو ؟ فقال الفقير : صديق . فقال الملك : ما دليل صداقتك ؛ فقال : الدليل أنى أهديك هذه وكانت سلطانية . فظن الملك أنها تاج عظيم ووضعها تاجاً على رأسه ، وأعطاه في مقابل هديته ذهباً كثيراً ، وجواهر كثيرة ؛ وعاد الرجل إلى أهله وأوسع معيشتهم ومعيشته . فلما رآه بعض الطامعين الأشرار على هذه الحال غار منه واستفسره وذهب إلى هذه الجزيرة يحمل معه هدايا فخمة من ثياب مزركشة وعقود الخ ، فلما أهداها للملك فرح بها وأراد أن يهديه أعظم هدية في نظره فأهداه السلطانية . وكان نصيبه خيبة الأمل .

هذه نماذج من الحواديت التي تحكيها العجائز وخاصة بالليل حيث يجتمع الأطفال والنساء ، ولا تزال تحكى حتى يجيء موعد النوم .

وهى باب كبير من أبواب تربية الأطفال ، فالحدوتة الطيبة التي تدل على شجاعة أو صدق أو بطولة ، تنتج نتاجاً طيباً ، والعكس .

الحرب والعساكر ، فلم يشعر أهل الإسكندرية إلا وهم كالجراد المنتشر حول البلدة ؛ فاجتمع الكشاف والعربان ، فلم يستطيعوا مقاومتهم ، واضطر أهل الإسكندرية إلى التترس في البيوت والحيطان ، ودخل الفرنسيس البلد ، وأهله يدافعون عن أنفسهم ويقاتلون . فلما أعيام الأمر ، وعلموا أنهم ما يكونون بكل حال ، وليس عندهم استعداد للقتال خلوة الأبراج من آلات الحرب والبارود ، وكثرة العدو وغلبته ، طلب أهل الثغر الأمان فأمّنوهم .

وعول أكثرهم على الفراق ، فلما علم بذلك الأمراء بمصر ، اجتمعوا هم والعلماء وقرروا أن يرسلوا مكاتبة إلى استانبول ، وجهز مراد بك العساكر وخرج لملاقاتهم وحربهم ، وصاروا يصادرون الناس ، ويأخذون ما يحتاجون إليه من غير ثمن ، وأمسروا بعمل سلسلة تخينة جداً طولها مائة ذراع وثلاثون لتمنع العبور من بحر النيل ؛ فلما خرج مراد بك بدت الوحشة في الأسواق وكثر المخرج بين الناس والإرجاف ، وانقطعت الطرق . وأخذت الحرامية في كل بلدة تطارق أطراف البلد ، وانقطع مشى الناس من المغرب ، ونادى الأغا والوالى بتفتيش الأسواق

إذ ذاك السيد محمد كرتيم ؛ فاستخبرهم المصريون عن غرضهم ، فقالوا إنهم إنجليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس ، لأنهم خرجوا بعبارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ، وربما كان مقصدهم مصر ، وربما دهموكم فلا تقدرّون على دفعهم ؛ فلم يقبل السيد محمد كرتيم ، وظن أنها مكيدة ، وجابهم بكلام خشن . فقال رسل الإنجليز : إننا سنقف بعيداً ، ولا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بالثمن . فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا غيرهم عليها سبيل ، فذهبوا عنّا ، فعادت رسل الإنجليز وأقلعوا من الإسكندرية ليمتاروا من غيرهم ؛ فلما عرفت هذه الأخبار بمصر حصل بها لغط كثير ، وتحدثوا كذلك فيما بينهم ، وكثرت المقالات والأراجيف .

وأما الأمراء فلم يهتموا بشيء من ذلك ولم يكثرثوا به ، اعتماداً على قوتهم ، وزعمهم أنه إذا جاءت الفرج لا يقفون في مقابلتهم ، وأنهم يدوسونهم بخيولهم . ثم وردت مراكب الفرنسيس وعماراتهم الكثيرة ، فأرسوا في البحر ، وأرسلوا جماعة يطلبون بعض أهل البلد ، فلما نزلوا إليهم ، عرفوهم مقصدهم ؛ ولما دخل الليل تحولت مراكبهم إلى جهة العجى ، وطلعوا إلى البر ومعهم آلات

وبعض الناس يتطوع بالإفناق على البعض الآخر . ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح ، والأكل وغير ذلك . بحيث إن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم . وخرجت الفقهاء وأرباب الأشراف بالطبول والزمر والأعلام والكلبات . وهم يدقون ويصيحون ، ويذكرون أذكراً مختلفة . وصعد السيد عمر نقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بريقاً كبيراً سمته العامة « البريق النبوي » ، فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق ، وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبات والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح . ولم يبق في القاهرة إلا النساء والصغار وضعفاء الرجال ، والطرق معفرة من عدم الكس والرش .

وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على قدم وساق يقتل بعضهم بعضاً ، وينهب بعضهم بعضاً . وغارت العرب على الأطراف والنواحي وصار قطر مصر من أوله لآخره في قتل ونهب وإغارة على الأموال ، وإفساد المزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد .

وكانت الرجال متنافرة قلوبهم ، منحلة عن أممهم ، مختلفة أسراهم ، حريصين على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم ، مفترين بجمعهم ،

والقهاوى ليلاً ، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين لإذهاب الوحشة .

ووردت الأخبار بورود الفرنسيين إلى دمنهور ورشيد ، وازداد الرعب ، وكانت العلماء عند توغل الفرنسيين يجتمعون كل يوم بالأزهر ويقراؤن البخارى وغيره من الدعوات ، وكذلك مشايخ الطرق الأحمدية والرفاعية والبرهامية والقادرية والسعدية ، وغيرهم من الطوائف ، وأرباب الأشراف ، ويعملون لهم مجالس بالأزهر ، وكذلك أطفال المكاتب ، ويذكرون اسم اللطيف وغيره من الأسماء . ولما وصل الخبر إلى الأمراء شرعوا في نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة إلى البيوت الصغار التي لا يعرفها أحد .

واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها على معارفهم وثقاتهم ، وأرسلوا البعض منها إلى بلاد الأرياف ، واستحضروا دواب للشيل وأدوات الارتحال . ولما رأى أهل البلد ذلك تخوفوا وخرج الجميع لبر بولاق ؛ وكانت كل طائفة من طوائف الصناع يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خيامة ، أو يجلسون في مكان خرب ، أو مسجد ، ويرتبون لهم ما يصرف عليهم وما يحتاجون إليه من الدراهم التي جمعوها .

وبناء على ذلك أرسلوا لجناب الخديوي خطاباً مؤداه : أنهما يكفلان استمرار السلم والسكون في البلاد المصرية وأنهما متفقان على الاشتراك في السعي من دفع كل ما من شأنه أن يحدث في مصر ارتباكا . فأثارت هذه المذكرة غضب العراقيين ، وسخط الباب العالي ، وفهم عرابي من ذلك أن الخديوي توفيق قد انضم إلى الدولتين . ثم قامت الثورة ، فتدخل الإنجليز حريبا بدعوى إقرار السلام ، والمحافظة على سلامة الخديوي . وخشى العلماء وبطريرك الأقباط والأعيان والتجار استمرار الاضطرابات ، فأرادوا التوفيق بين الخديوي وعرابي فلم يمكن ؛ وأخيراً صار عرابي « باشا » الحاكم بأمره ، وقامت الثورة الفكرية ، وحدثت المذابح في الإسكندرية ، واشتبك عرابي مع الإنجليز ، وانهزم العراقيون بعد قليل . وقد ذكرنا من قبل ما أشيع في أيام الثورة عن البيضة التي باضتها الدجاجة ومكتوب عليها ما يستفاد منه النصر ، والأعلام المنسوبة إلى السيد البدوي وإبراهيم الدسوقي وسيدى عبد العال « ولم يقف جيش عرابي في القتل الكبير طويلاً ، فقد انهزم جيشه سريعاً ، ووجد الإنجليز أن العراقيين أهملوا الطريق بين الصالحية والقتل الكبير ، وتركوه خالياً من

محتقرين شأن عدوهم ، مرتبكين في رويتهم ، معمورين في غفلتهم ؛ وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم ... الخ

ويدل على أخلاقهم أيضاً في الحرب ما ذكره محمد « باشا » شفيق في الثورة العراقية ، إذ قال : « شعر عرابي « باشا » ورفاقه بالحيف الواقع عليهم وعلى أمثالهم من جراء التمييز بين المصريين والشراكسة والأتراك . فألقوا مظاهرة ، فازدادت قوتهم ، واختلف النظر بين معاملته هو وإخوانه بالشدّة ، أو معاملتهم باللين والحسنى . واغتر عرابي بما كان يسمعه من رعاية الخليفة له وعنايته به ، واجتماع الناس حوله ، فاعتقد أنه زعيم مصر الأكبر ، وخيل إليه أنه صار صاحب الكلمة النافذة ، وأنه إليه يرجع الأمر كله دون الخديوي وحكومته ؛ وطاف في البلاد يستميل الأهالي ويتألفهم ويبث فيهم دعوته .

ولم يقف غرور عرابي عند حد حكومته بل رسخ في ذهنه أنه لا خوف عليه من وقوف فرنسا وإنجلترا في سبيله ، لما بينهما من منافسة في السياسة المصرية . مع أن الدولتين كانتا على وفاق فيما يتعلق بمصر .

الحرب ، وعدم معرفة شؤون الدنيا ، والجهل
بالسياسة الخارجية وشؤونها .

(٧) فوضى الناس غير المحاربين
وتعطيلهم لحركات الجيوش .

(٨) مساعدة بعض الناس الخيِّرين بكل
ما يملكون من مال وقوة ، ولكن ذلك لم
يكن منظماً ولا خاضعاً للعقل .

(٩) محرفة الرؤساء وشموخهم بأنوفهم
من غير كفاية .

كل هذا سبب في الحزبين المهزومة
السريعة مع الأسف الشديد .

ولكن ، والحق يقال ، إن المصريين
حديثاً تعلموا من هذه التجارب ، فظهرت في
الحرب العالمية الأولى والثانية ، وفي حرب
القتال ، مظاهر رائجة تخالف التي مضت ،
فكان من الشبان — وخصوصاً الإخوان
المسلمين — مواقف مجيبة تستدعي الإعجاب ،
من بيع الأرواح ، بيع السماح . وبالأمس
سمعنا أن شاباً غنياً يملك نحو الأربعمائة فدان
تقدم للقتال وراح ضحيته . فما لبث أخوه
الشاب أن حل محله في الصف ... إلى كثير
من هذه الحوادث التي تدل على التصميم
والتيضحية ، وهما العنصران اللذان لم يكونا

نقط الدفاع ؛ ولم يطل القتال أكثر من
عشرين دقيقة ، وأسفر عن انهزام العربيين
شرهزيمة ، بعد أن قتل منهم نحو ألفين ،
وأسر نحو ذلك .

وما برح الإنجليز يتقدمون ، والعربيون
مستغرقون في نومهم ، فحاول عرابي أن
يستوقف الفارين ، ويستفزهم إلى القتال
والدفاع فلم يمكنه ذلك ، لأن الذعر كان قد
دبَّ في قلوبهم ، ففرَّ عرابي لينجو بنفسه .
وكان الإنجليز كلما تركوا نقطة أقاموا فيها
دورية للمحافظة عليها . ثم كان من أمر
الثورة وفشلها ما كان .

ويمكننا أن نستنتج من تلك العناصر ،
بما ذكره الجبرتي وشفيق « باشا » النتائج
الآتية :

- (١) غرور المقاتلين المصريين ،
واستهتارهم بعدوم من غير دراستهم للحلم .
- (٢) عدم الاستعداد الكافي للحرب .
- (٣) الهرجلة وعدم النظام .
- (٤) الاعتماد على الأدعية والبخارى
والأذكار مما ليس وسيلة حربية .
- (٥) قلة الثبات أمام العدو .
- (٦) عدم العلم بالأفانين العسكرية
الحديثة ، والاعتماد على الأساليب القديمة في

للإنسان . وللحروف قوة في باطن العلويات ،
ولها هوة في باطن السفليات . وبعضهم يجعل
للحروف طبائع ، فبعض الحروف حارّ ،
وهي ا و ي ل م ع . وبعض الحروف
يابسة ، وهي س ق ب ج . وبعضها
رطبة ، وهي ه ر ش ص ط . والباردة هي
ب ه ذ ظ ص ض .

ثم إذا كان الحرف منصوباً فخار ،
أو مرفوعاً فيابس ، أو مجروراً فرطب ،
أو مجزوما فبارد .

وللحروف أيضاً اتصالات بالبروج مقدّمة
مما إذا ووقفت على طريقتهم تسبب عنها
العداوة والبغضاء ، والسعادة أو الشقاء . ولم
في ذلك حساب طويل ، وكتب خاصة .

الحسد

يعتقد المصريون كثيراً في الحسد .
وخلاصة هذه العقيدة أن بعض الناس عنده
خاصية في عينه ، إذا نظر إلى شيء أماته
أو أتلفه . ومن غريب الأمر أن رجلاً عظيماً
كابن خلدون يحكى مثل هذا ويقول إنه
شاهد بعض الناس إذا نظر إلى خروف
أو نعجة نظرة خاصة أماتها ، ثم إذا شرحت
وجد قلبها قد تحمّت . وقال إنه رأى في بلاد
المغرب جماعة من هذا القبيل يسمون
« البعاجين » .

من قبل . هذا إلى القدرة على اكتشاف
المؤامرات والدماسن التي كانت تجوز على
المصريين فيما مضى ، والقضاء عليها في حينها .
فإذا أضفنا إلى ذلك امتناع أكثر العمال
المصريين عن معاونة الأعداء دلّ ذلك كله
على تغير الحال في السبعين سنة الأخيرة ،
وأن فيهم من يصح أن يكون مثالا للجهاد
والبطولة مما لا يقلّ عما يصدر من الأمم
الحية الأخرى .

حرز

كلمة تطلق على الأحجبة وغيرها ،
للاحتراز من الجنّ والحسد (انظر أحجبة) .

الحروف

يزعمون أن لكل حرف من حروف
المجاء سرّاً ، وأن أسرار القرآن كلها وضعت
في سورة الفاتحة ، وأن الفاتحة وضعت في
البسملة ، وأن أسرار البسملة وضعت في حرف
الباء ، وهكذا .

وكل حرف له خواصّ ، وله أعداد .
ومن ذلك حروف الجمل وتقابل أبجد هو ز الخ .
فالألف بواحد والباء باثنين الخ . . وترابى ،
وهوائى ، ومأى . ويقولون إن بعض هذه
الحروف نارى . والأعداد للحروف كالأجساد

أرقيك ، والله يشفيك ، من كل نفس
أو عين .

ومن هذه الطرق أن يوضع قليل من
الملح فوق جمر من النار ، ويقف المحسود ،
ويجعل الجمر بين رجليه ، وتلقى الرقية للذكورة .
ثم تجعل الراقية وجهها في وجه الذي ترقيه ،
وتتأهب بشدة ، حتى يتأهب المحسود .
ويحكون أن رجلا اشتهر بالحسد ، فكان
يجتمع إليه أصحابه ، فإذا مرّ جبل اشتهوه ،
طلبوا إلى الحاسد أن يحسده ، فيقع على شفا
الموت ، فيذبح ويؤكل .

ومن الرقى : بسم الله الرحمن الرحيم .
بسم الله عظيم الشأن شديد البرهان . ما شاء
كان . حبس حابس من حجر يابس .
وشهاب قابس . اللهم إني رددت عين العائن
عليه ، وعلى أحب الناس إليه ، وفي كبده
وكليتيه ، ولحمه ودمه . فارجع البصر ، هل
ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب
إليك البصر خاسئا وهو حسير .

وأحيانا تأتي بعض المعاجز فتوقد ناراً ،
وترمي فيها شيئاً من « الشب » وتذكر أسماء
الذين يظن أنهم الحسدة ، وتأخذ دُبوساً
أو إبرة فتضعه في عين الصورة التي تحوّل
إليها الشب ، وتقول : فقأ الله عينها .

وقد تأخذ قطعة من الورق وتشك

ويعتقد المصريون أن الحسد يكون على
أتمه إذا نظر الحاسد وشفع نظرتة بالشهيق .
وكان من الشائع عند النساء أنه إذا نظر رجل
تلك النظرة أسرعت المرأة وقالت له : « وراك
تعبان أو عقربة أو نار » فيلتفت وراءه لينظر
إليه ، وبذلك يذهب سحر عينه .

ويداؤون ذلك بأن يأخذوا قطعة من
طرف ثوب الحاسد ويبخروا بها المحسود ،
سواء كان إنساناً ، أو حيواناً أو أى شيء
آخر .

ويزيد الاعتقاد في الحسد إذا اشتهى
ما عند المحسود ، كأن كان الحاسد فقيراً
والمحسود غنياً ، أو عند المحسود مواش أو أموال
يشتهيها الحاسد ، وكما إذا كان الحاسد ليس
له ولد والمحسود كثير الولد . ويزعمون أن
الحجاب يمنع العين . ولهم في ذلك طرق .
منها وضع قليل من الملح الجريش في كيس
يعلق في عنق الأطفال ، وكذلك ناب الذئب
أو ناب الضبع ، أو رأس هدهد عليه ريش ،
توضع في قطعة من السخميان الأحمر ويخاط
وأحيانا يداؤون الحسد بالرقى . من ذلك
رقية مشهورة وهي :

« بسم الله أرقيك ، من كل شيء
يؤذيك . ومن كل عين حاسد . بسم الله

الحسوم

ويسمونها أيضاً الحسومات ، أو أيام الحسوم . وهي السبعة الأيام أول برميات من الشهور القبطية ، ويمتنع فيها الفلاحون من بذر الأرض ، يزعمون أن ما يزرع في هذه الأيام يخرج عليلًا ضعيفًا لا يأتي بمحصول . ويزعمون أيضاً أن ريحاً سامة خفيفة تهب في تلك الأيام .

وفي القرآن : « سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا » .

حش

حشّ البرسيم إذا قطعه من الغيظ ، وحشّ القمح أو القطن إذا قطعه وهو صغير ، وعلى سبيل الجاز يقولون : « حشّ وسطه بالنبت » ، كأنه ضربه فقسم وسطه إلى قسمين كما يفعل بالحشيش .

حشكلة

يقول الرجل لرجل آخر « بلاش حشكلة » ويعنون بها التملق . وربما كان أصله فارسياً ، ففيها الحشكل : الردى . والحشكل : ما تطاير من الحديد .

فيها الدبوس مرات متعددة في كل مرة تقول : من عين فلانة ، ومن عين فلانة ، ثم يبخر الحسود بهذه الورقة مع الملح . والاعتقاد في هذا الحسد شائع كثير . ومن الأقوال المشهورة : « عين الحسود ، فيها عود » . (انظر قر)

حسن كيف

هو اسم غريب يطلقونه على نوع من السجاير وضعت فيه قطعة من الحشيش . وأحياناً يطلق على التبغ الذي يوضع في حجر الجوزة ويوضع فوقه الحشيش ثم يدخن . وكيفية استعماله أنهم يقطعون التبغ قطعاً صغيرة ، ثم يأخذون قليلاً من عسل القصب في الكف ، ويفركون التبغ فيه حتى يلين ويمتزج بالعسل ، ويضعونها في حق من الصفيح ، فإذا أرادوا تدخينها أضافوا عليها قطعة من الحشيش ، ثم يضعونها جميعاً في حجر الجوزة .

الحشيش

الحشيش كيف قديم ، وربما نafs
الخر ؛ ويسمونه في كتب الطب القديمة
(القنب) . يقول بعضهم : « إن أول من
استعمله الشيخ حيدر في سنة ٦٥٨ » .

ذلك أن الشيخ حيدر خرج يوما وقد
اشد الحر وقت القائلة منفرداً بنفسه إلى
الصحراء ، ثم عاد وقد علا وجهه النشاط
والسرور بخلاف ما كان يعهد من حاله .
فإنه أخذ يحدث أصحابه ويؤانسهم ؛ فسأله
عن السبب ، فقال : خرجت إلى الصحراء
وحدي ، فوجدت كل شيء من النبات
لا يتحرك إلا نباتا له ورق ، فجعلت أقطف
منه وآكل ، فحصل عندي من الارتياح
ما شاهدتموه .

وكان هو القنب . وقد نصح أصحابه
بإستعماله ، فاستعملوه . فاشتهر بالعراق ووصل
إلى الشام ثم إلى مصر . وفي ذلك يقول
بعضهم :

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر

معنبرة خضراء مثل الزبرجد

يعاطيكها ظبي من الترك أغيد

يمس على غصن من البان أمد

فتحسبها في كفه إذ يديرها

رقيم عذار فوق خد مورّد

وأحيانا ينسبونها إلى أهالي الهند ويقولون
إنهم أول من استعملوها . قال الشاعر :
قم فانف جيش الهمّ واكفف يد العنا
بهندية أمضى من البيض والسمر
وقال فيها آخر :

وخضراء كافورية بات فعلها

بألبانها فعل الرحيق المعتق

إذا نفحتنا من شذاها بنفحة

تدب لنا في كل عضو ومنطق

غنيّت بهاعن شرب خمر معتق

وبالدق عن لبس الحرير المزوق

وقوله « كافورية » ليس المراد نسبتها

إلى كافور المشهور ، وإنما نسبتها إلى بستان

في القاهرة يقال له بستان كافور ، وكان

يسمى البستان الكافوري ، نسبة إلى كافور

الإخشيدي . وكان يزرع فيه الحشيش بكثرة

ويستجاد . كالذي قال :

رُبّ ليل قطعته وندي

شاهدي وهو مسمي وسميري

مجلسي مسجد وشربني من خض

راء تزهو بحسن لون نصير

قال لي صاحبي وقد فاح منها

نشرها مزريا بنشر العبير

أمن المسك؟ قلت ليست من المس

ك ولكنها من الكافور

وقد انتشر هذا الكيف فوقه فيه
بعض الأغنياء و بعض الفقراء و بعض الموظفين
ولما اعتاده بعض الأغنياء أقاموا له صالونات
فخمة . وانتشر في مصر انتشاراً كبيراً ،
وتحايلوا على تهريبه ، واشتهر متعاطوه
بالفكته والخيال البارع ، ونسبت إليهم كثير
من القصص اللطيفة ، وحل المشاكل العويصة .
وقال من يتعاطاه ويتعاطى الخمر معاً : « إن
الحشيش يجنب والخمر تشجع » وهذا طبيعي ،
لأن الحشيش يخدر الأعصاب ويضعفها ،
والخمر تنشط الدورة الدموية وتهيجها . وقال
واحد من هؤلاء إنه إذا أراد مقابلة الحكام
شرب الخمر ، لأنها تدفع عنه الخوف ، وإذا
أراد الاتصال الجنسي استعمل الحشيش
لأنه أذ .

وللحشيش استعمالات أخرى كالمعجون
والمنزول ، والمادة الأساسية في كل ذلك هو
الحشيش .

وقال مجرب للحشيش : « شعرت كأن
جدران الكون انبسطت حولى ، وصدرت
منه أصوات مطربة ، أزلت ما فى نفسى من
هم وخوف ، وفتح أمامى فردوس النعيم ،
وخضت فى بحر من البهجة والسرور ، وطفح
الحب على نفسى ، وبعد ساعات قليلة أخذت
هذه المناظر تقل ، وشعرت بجوع شديد ،

وقال آخر :

قم عطشى خضراء كافورية

قامت مقام مدامة صهباء
يفدو الفقير إذا تناول درهما

منها له تيه على الأمراء
وقال بعضهم : « شرسكرسكر الحشيش »
وقال المقرزى : « ما بلى الناس بأفسد
من هذه الشجرة لأخلاقهم » .

وقال بعضهم : إذا اعتدتها وجدتها
تورث السفالة والذليلة .

والفقراء يستعملونه على طارق شتى :
فمنهم من يطبخ الورق طبخاً بليغاً ، ويدعكه
دعكاً جيداً باليد ، حتى يتعجن ، ويعمل
منه أقراصاً . ومنهم من يحفقه قليلاً ، ثم
يحمسه ويفركه باليد ، ويخلط به قليلاً من
السهم المقشور والسكر ، ثم يسفه ويطيل
مضغه . ومنهم — وهم الأكثر — من
يدخنونه فى الجوزة أو فى السجاير باسم حسن
كيف .

وبعض الأمراء كان يعاقب عليه بقطع
الأضراس . وكان يزرع فى القاهرة فى أرض
الطبالة ، وباب اللوق ، وحكر بولاق ، ثم
منعت الحكومة زرعه فى مصر ، فكان
يزرع فى سفوح الجبال . وهو الآن أكثر
ما يجلب من لبنان وما حولها .

غيرك « وهي كقولهم : عامل الناس بما تحب
أن يعاملوك به . « وحط الفاس في الراس » ،
بمعنى أنه وضع الشيء في مكانه . ويقولون
« حط في الخرج » عند الاستهانة بالشيء .
« وحط ركك على عافيتك ، وقول يا عيني
يا حيلي » ، يقال لوجوب الاعتماد على
النفس ، ويقولون : « شال الحمام ، حط
الحمام » ، إذا أدرك الإنسان خيراً ثم ذهب
عنه سريعاً .

الحظ

يؤمن المصريون كثيراً بالحظ ، ويسمونه
الحظ أو البخت ، وأنه خير من الكفاية ؛
ومن أمثالهم المشهورة : « قيراط حظ ولا
فدان شطارة » ، ويقولون : « إن الحظ قد
يسوق الأرزاق لمن لا يدرك الخط في الأوراق
ويحرم صاحب البلاغة ولا يجد من القوت
بلاغة » . ويقول الشاعر :

رزق التيوس يجيئها بسهولة
وذوو الفصاحة رزقهم مسجون
فإن كان حرمانى لأجل فصاحتي
أمن على من التيوس أكون
ويقول البوصيري صاحب البردة موالاً :

فدخلت مطعماً أكلت فيه كل ما قدم لي من
الطعام ، وأحسبه ألد ما ذقته ، ثم عدت إلى
مخدعي ونمت نوما عميقاً ، ولم يبق من تأثير
الحشيش سوى اصفرار وجهي وتعجب جسمي «
وقيل في الحشيش موال هو :

بلعت يوم بندقة في لونها خضرة
رأيت بياض عيني صار عليه حمرة
وصرت عابرو خارج بيتنا ما أدره
وأنا ما باشوفش جوه ولا بره

حطّ

بمعنى وضع ، يقولون حط رجله على
السلم ، أي وضعها ، وحط في عينه قطرة أي
وضع . ولذلك يسمون القطرة والششم
« حطوطاً » ويقولون حطّ السعر ، أي نزل
وفي اصطلاح بعض التجار : الحطيطة ، وهي
القدر الذي يتجاوز عنه التاجر لعميله مما
اتفق عليه .

ومن الأمثال في هذه الكلمة « حط
ديله في اسنانه » إذا أسرع ، « ويحط على
الغلبان لما يستعجب القوي » والضمير في يحطّ
يرجع إلى القدر . ويقولون : « حط فلوسك
في كحك ، تشتري أبوك وأمك » ، « وحط
إيدك على عينك ، زى ما توجعك توجع

يدرس دراسة صالحة ، فلم ينجح نجاحاً تاماً .
وربما أمكن استيعاله في المدن والقاهرة
والإسكندرية . أما في الفلاحين حيث يعمل
الرجال طول النهار في الغيط المسقى ماء وفي
الزراع ، فلا بد من تفكير طويل لمكافحة
هذا الخفاء .

حفلة التكنية

كانت تقام في بيت شيخ السادات حفلة
تسمى حفلة التكنية ، في ليلة ٢٧ رمضان ،
وهي ليلة القدر المعروفة ، يجتمع فيها كثير من
الناس ، ويجلس فيها مسيد السادات على
منصة عالية وسط هذا الجمع ، وبالقرب منه
كاتب أمامه سجل ، فإذا أراد أحد الحاضرين
أن يكنى من شيخ السادات تقدم ومعه
نقيبان من النقباء ، وتقرأ الفاتحة ، وتمر برهة
في سكون وصمت يقوم فيها أن شيخ
السادات يستلهم السماء ، ثم يلقيه بأبي الأنوار
أو أبي الوفاء أو نحو ذلك ، والمسجل يسجل
اسم الشخص وكنيته وتاريخه .

ومن الشاع أن من تكنى كنية لاتعطي
الكنية لغيره . ثم بطلت هذه العادة .

ربّ الفصاحة عديم الذوق يقف أبلم
والأبلم التيس مصدّر ومتعظّم
يارب إن كان حرمانى كما تعلم
أمن على أكون تيس بن تيس أبلم

وقال الزاجل :

يا ابن آدم قل طمعك

دى السعادة وعد سيدك

لا تقل دا بالشطارة

أو تحمصها بإيدك

إن رزقك مثل ظلك

إن مشيت مشى قبالك

من له فى الغيب شىء

لا يموت حتى يناله

الخفا

الخفا : عدم لبس شىء فى الرجل ،
والمصريون ربما كانوا أكثر الأمم خفاء .
وخصوصاً الفلاحين نساء ورجالا . وهم من
خفام قد يبس جلدهم ، لتعويض الطبيعة
عن النعل .

ومن قريب تأسست فى القاهرة لجنة

لمنع الخفاء ، لأنها وجدته سببة ، وتبرع ناس
كثيرون بمبالغ طائلة لمنع الخفاء . ولكنه لم

حكم قراقوش

يضر به العامة مثلاً للحكم الظالم ، ولم
في ذلك حكايات كثيرة عن قراقوش هذا .
والسيوطي « الفاشوش في حكم قراقوش »
قال فيه : إنه سئل عنه سنة ٨٩٩ وهو يدرس
بجامع ابن طولون فألف فيه كتاباً يحتوي
على عشرين ورقة .

وكان قراقوش هذا وزيراً للسلطان
صلاح الدين ، والمعروف عنه أنه كان عادلاً ،
ولكنه شديد في العدل ؛ يخضع للعقل
لا للعاطفة ؛ وبظهر من سيرته أن اتهمه
بالظلم ظلم ، وأنه كان مصلحاً عادلاً معمرّاً ،
ولكن الناس ظلّموه ، فانسبوا إليه كل حكم
ظالم مستبد . ومن عادات السيوطي أن
يفتخر بالسرعة لا بالتدقيق .

الحكومة المصرية

كانت مصر ولاية عثمانية وكانت تحكم
بباشاوات من قبل السلطان ، وأحسن باشا
في نظرهم هو من ورد لخزينة الدولة أموالاً
كثيرة . فكان يجور على الأهالي لتحسين
سمعته عند السلطان . وكان يمين إلى فترة
قصيرة ثم ينقل ، فكان ينتهز فرصة وجوده
ليفتنى ، وليحسن سمعته ويصلح حال نفسه .
ولذلك كان يبهظ الحكومين بالضرائب

الحفوف

اسم لعملية إزالة الشعر النابت على
الوجه ونحوه ، بواسطة نوع من اللبان
الأسود ، يسيحونه على النار ويأخذونه
ساخناً ، تضعه المرأة على وجهها ثم تشده
بقوة ، فيخرج معه الشعر من جذوره . يفعلن
ذلك في وجوههن وأعناقهن ، وبعضهن
يزججن بواسطته حواجبهن . وهناك طريقة
أخرى وهي أن يأخذن الرماد الحار يدعكن
به الوجه دعكاً شديداً ، فيكون له مثل هذا
التأثير . وقد يعقدن العسل الأسود أو السكر
على النار ، وبعد أن يعقد قليلاً يستعملنه
استعمال اللبان . وهو نوع من التجميل
اعتدنه بين حين وآخر ، فإن المرأة لا تستلطف
إذا ظهر في وجهها أو عنقها أو نحو ذلك
شعر غريب .

منهم إشارات خاصة لتمييز كل واحد عن الآخر في عمله ووظيفته .

وكان قبل عهد محمد على أكثر الأراضي ملكا للعلماء والحكومة ، والباقي للمتزمين والبعض موقوف على المساجد والجهات الخيرية . ويعرف بالرزقة .

وفي عهد محمد على غير هذا النظام وجعلت الأراضي كلها ملكا له إلا القليل المكون .

وقد أبطل ملكية المتزمين وعوضهم عنها بربع يدفع لهم كل سنة ، وبذلك زادت أمواله .

وكان هناك ضرائب على الأطيان

وضرائب شخصية على الرؤوس ، وكانت تجبي هذه الضرائب على العموم بشدة وبظلم ،

ومن أجل ذلك ورثنا نظر الأهالي إلى الحكومة نظرة المصيد للصائد . وورثنا أيضاً

اعتقاد أن ما يمكن الاستيلاء عليه من مال الحكومة لا حرج فيه ، لأن الحكومة قد

استولت عليه ظلماً ، فن استطاع أن يفر من الضرائب ، أو يأخذ قطعة أرض من أموال

الحكومة فليفعل ، وهكذا ، كما ورثنا أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل .

وكان من أهم أعمال الحكومة القضاء أو المحاكم ، وكان في القطر المصري عدة محاكم

بدائية ، بعضها للزواج والطلاق ، وبعضها للجرائم ، كالقتل والضرب والجرح وبعضها

والجبايات . إلى أن خرجت مصر من الحكم العثماني وأصبح ارتباطها بها ضعيفا . وألفت

للإدارة فروع مختلفة للبحرية والزراعة والتعليم وغير ذلك . وأنشئ مجلس عام يشمل كل

المجالس الخصوصية يسمى مجلس الحكومة . ومن اختصاصه النظر في جميع الأقسام ،

فكان إذا عرض عليه أمر هام تدعى إليه جميع الحكام .

وقد قسم محمد على باشا مصر إلى سبع ولايات ، جعل على كل ولاية منها مديراً ،

اثنان في الوجه البحري ، وأربع في الوجه القبلي ، وواحدة للقاهرة . وكل مديرية تنقسم

إلى مراكز ، كل مركز عليه مأمور ، وفيه من يمثل الحكومة في الزراعة ، وآخر للتعليم ،

وثالث للصحة ، وهكذا . وكل مركز ينقسم إلى قرى ، وكل قرية عليها عمدة . والعمدة

تحت رياسته مشايخ بلد ، وشيخ البلد هو الرئيس المباشر للفلاحين ، وكان على كل

مأمور ومدير أن يبعثا بتقرير أسبوعي للداخلية يبينان فيه أعمالهما اليومية .

ومما جد على مصر في عهد محمد على اختيار كثير من المديرين والمأمورين من

المصريين ، ومن الأقباط أيضاً بعد أن كانوا لا يعينون إلا من الأتراك ، وجعل لكل

في الأحكام ، وانتشار الرجاء ، وغير ذلك ولم تكن الأمور منظمة ومرتببة ومحددة الاختصاص كما هي اليوم ، إنما كان نظاماً بدائياً وأحكاماً بدائية

حلب النجوم

عزيمة يزعمون أنها تجب الرجل في زوجته كالشبهة .

ومن الغريب أن هذا الاصطلاح — وهو حلب النجوم — اصطلاح قديم ، استعمله أبو العلاء المعري في لزومياته .

حلق بلا اودان

إذا رأوا شيئاً وليس له ما يرتكز عليه قالوا حلق بلا اودان ، وذلك مثل كقالب في يد أُمِّي ، أو أولاد ولا مال لتريبتهم . ومثل ذلك كثير . ويقولون في عكسه : اودان بلا حلقان . وذلك إذا كانت هناك وسائل وليس هناك الغاية : كالبلا صحة ، وامرأة جميلة بلا أولاد . ونحو ذلك .

ويتحسر بعض الناس فيقولون : لما كانت اودان لم يكن لنا حلقان ، فلما وجدت الحلقان لم يكن لنا اودان ، كالرجل لما كان صحيحاً كان فقيراً ، فلما اغتنى جاء الغنى بعد أن فقد الصحة .

للعقوبات . وتعتبر سلطة المحكمة مستمدة من سلطة الوالي ، فهو الذي يختار كبار القضاة ويعينهم ، وهؤلاء يباشرون تعيين من دونهم وكان السلطان يرسل قاضياً كل سنة إلى مصر ، وهو رئيس السلطة القضائية على اختلاف أنواعها . ولم يكن للعدالة وزن كبير ، فقد عرف عند المصريين عن القضاة أنهم يقبلون الرشوة ويحكمون بغير العدل ، وحدثت جملة حوادث تدل على هذا ، منها أن رجلاً غنياً ترك بنتاً واحدة وترك لها نحو ستة آلاف جنيه ، فأراد أحد التجار أن يشاركها في الإرث ، فأوعز لأحد البوابين أن يدعى أنه عاصب لها ويرث معها الميراث الشرعي ، واتصل بالقضاة ورشاهم فحكموا بذلك ، وكان الشيخ المهدي متغيباً عن المجلس ، فلما حضر شكت إليه الوارثة ، فقال لها لا يمكنني نقض الحكم إلا إذا وجدت فيه منفذاً ، ثم اطلع على القضية فوجد المنفذ وألغى الحكم ، وقضى لها بالميراث كله بحضرة الوالي ، وتذمر العلماء وكبير التجار ، وهكذا كان من بين المرتشين من يسمع لضميره ويحقق العدالة ... ومن الرشوة أن يكون أحد الخصمين وجبها والآخر غير وجبها ، فيقضى للوجب لوجبه لوجهته لالحقه . ومن المصائب أيضاً كانت شهادة الزور ، وتوسط النساء

الحلم

يعتقد المصريون كثيراً في صحة الأحلام ، وهناك بعض الفقهاء والعلماء قد شهروا بتفسير الأحلام من عهد ابن سيرين ، ولا يزال كتابه في تفسير الأحلام ، صدرراً لهؤلاء العلماء والفقهاء . وبعض الأحلام مجرد هلوسة لا قيمة لها ، وبعضها يصدق . وفي ذلك يقول الشاعر :

وغزاة وعدت تزور مجبها

في النوم كي تشفى بها الأسقام

فأجابها مستبشراً بوصولها

يا حبذا لو صحت الأحلام

والعامة يعتقدون بأن النائم تطير روحه

في النوم وهي في لون أخضر ، فترى حوادث كثيرة ، فإذا رجعت إلى البدن تذكرت ما رآته . وكثيراً ما يفسرون الشيء على نقيضه ، فإذا رأى النائم نفسه في ضيق دل ذلك على السعة ، وإذا رأى سعة فهو ضيق وشقاء . ويعتقدون في ركوب الحمار فرجاً ، وفي ركوب الفرس عزراً ؛ وإذا أخذ شيئاً من ميت دل ذلك على طول العمر . والزواج موت ، ولبس الأبيض فرح ، والأسود حزن .

ويزعم بعض الناس أن أحلامهم لا تكذب . وأعرف تاجرأ كبيرأ خاصمه داثنوه ورفعوا عليه دعوى بالإفلاس ، فذهب

إلى فقيه وقرأ له سورة ، فلم أنه سيحكم للتاجر بالبراءة ، وقد كان ذلك ، وحكمت المحكمة برفض دعوى الإفلاس .

ولى بنت تقيم في لندن ، وهي شغوفة جداً بكسب الرهان ، فخلعت يوماً بأن الذى سيكسب فرس فرنسى اسمه كذا ، ولم تعلم من قبل ولا ورد ذلك الاسم على سمعها ، واشتهر عند الناس أن هذا الفرس لا يقدر له النجاح ، إذ هو فرس مغمور . ومن العجيب أنها وضعت بعض المال على هذا الفرس بعد التحذير ، ثم أعلنت النتيجة في الراديو في المساء فإذا هى الفرس الراجحة . وكثير من هذا يرويه كل إنسان في تجاربه الشخصية . وبعض الأوربيين يفسره باشتغال العقل الباطن فيما يعرض للإنسان في الحياة ، فيجد في المنام رموزاً تدل على هذه الأحداث ، وإن بعض الأحلام لا تصح ولا يذكرها الحالم ، وبعضها يتحقق ، وهو الذى يذكره .

الحماة

الحماة : أم الزوج ، وشهرتها في عدائها
لزوجة ابنها مشهورة في الشرق والغرب .
ومن الأمثلة المشهورة « الحمة حُمى » .
ويقصون عليها الأقاصيص الكثيرة ،
وقد قال بعض العوام فيها بعض الأزجال ،
من ذلك قول بعضهم :

إن كنت داير وابن غرام

قِفْ واستمع واملا الأفهام

قصة ظريفة بالأحكام

اصح تكون عينك غفلا نه

قلتها في غيرة الحموات

لما رثيت منهم نكبات . .

لما تشوف ابنها نشوان

يقوم يعمل حالته زعلان

تقول له أمه زعلان على إيه

إن كان جواز قل لى عليه

وأنا أخطب لك بنت البيه

ست جميلة وأهل أمان

من لطشتها تقوم وتطبل

وتجمع العيالة وتهلل

يدخل جوزها يقف يتأمل

يلقى الدار بالفرح ملآنه

يقول لها جوزها جرى إيه

هو جنون جالك واللا إيه

الجرسة دى أمال على إيه

دى فضيحتنا بقت رنانه

وبعدها ينصبوا الأفراح

ثلاثين ليلة طوال ملاح

والهم عنهم راح واتزاح

وأم العريس تجرى فرحانه الخ

وقد اتخذت الحماة موضوعا للتكسيت

على الألسنة .

الجمار

الجمار من أحسن وسائل النقل قبل

اختراع الأتومبيلات . وكان يركبه الناس

كثيراً في التنقلات ، وخصوصاً النساء ،

فكان يصنع لمن بردة خاصة مريحة

ويستحضر لمن كراسى للصعود منها على

الجمار . وكان في القاهرة لوحات زرقاء

في أنحاء مختلفة كتب على كل واحدة منها

(موقف ستة حمير) . واشتهر الجمارون

بالنكت والظرف لاستعمالهم الحشيش . كما

يستعمل الجمار عادة في حمل السماد في الفيظ

ونقل المحصول ، وقل من لم يكن عنده

جمار أو حمير .

فيه ، ومتى اعتادها لا يفارقها ؛ ولا تمضى أشهر إلا وقد كثر في البرج البيض . ومن عادة الحمام أن يبيض ويفرخ ويكون صالحاً للذبح في شهر تقريباً .

وقد يكون في البرج نحو ألف زوج ، وربما ولد هذا العدد خمسمائة بيضة ؛ فيكون مصدر ربح كبير للتجار فيه ، وبعضهم يعتقد أن الجان تسكن بيوت الحمام .

وهم يصفونه للضعاف الناقهين من المرض . وفي الإنجيل : « كونوا حكماء كالحيات و بسطاء كالحمام » . والحمام معروف بالحب والغزل ؛ فإذا غاب أحد الرفيقين عن الآخر حزن عليه حزناً شديداً . وقد قالت العرب والمصريون في ذلك أشعاراً كثيرة وزجلاً كثيراً . وفي التاريخ كان لنوع من الحمام شأن كبير ، وهو حمام الزاجل ، لإرسال المراسلات ، قبل الواهورات والطائرات . وحمامة نوح التي أرسلها لتستكشف الأرض مشهورة معروفة ؛ فقد أرسل الغراب أولاً فلم يرجع ، فعرف أنه لا يصلح لهذا الغرض ، فأرسل الحمام فرجعت وفي فمها ورقة زيتون .

وقد أخبر بعض الناس أنهم راقبوا الحمام فوجدوا أن الزوجين لا يبخون أحدهما الآخر إلا نادراً . وحكى بعضهم أنه رأى

ويستعمل الحمام المصريون في السب والشتم دليلاً على البلادة ، وهو سب للحمار ظالم ، لأنه صبور على الشدائد . وفي هذا المعنى الجيد لقب آخر خلفاء بني أمية بمروان الحمار ، لأنه كان جليداً صبوراً على احتمال الشدائد .

حَمَام

الحمام طائر معروف ، وقد كان كثيراً في الديار المصرية ولكنه قلّ اليوم . فقد كان أغلب القرى لا تخلو من أبراج تصنع مخصوصاً للحمام ؛ فكنت ترى في القرية عشرين برجاً أو ثلاثين ، وتكون الأبراج مرتفعة من سبعة أمتار إلى عشرة . تبنى أولاً مر بعة بالطوب الأحمر ، كل ضلع منها نحو أربعة أمتار . فإذا علوا قليلاً أبدلوا الطوب بقواديس الساقية ، ويجعلونها من الفخار صفوفاً صفوفاً ، ويجعلون فيها من الداخل ، ويصنعون حول الصفوف من الخارج عيوناً بارزة ، لكي يقف عليها الحمام ، ويضعون أيضاً ألواحاً من الخشب عريضة يستريح عليها . ويأتي الحمام من البرية ويقف على تلك الأبراج أو العيدان . والقواديس تصلح لتمشيشه ، فيتخذ له منها عشا ليبيض

أعوذ بالله من ورهاء قائلة

للزوج ؛ إني إلى الحمام أحتاج

وهما في أمور لو يتابعهما

كسرى عليها يشين الملك والتاج

وهو يدل على أنه كان يرتكب في

الحمامات في زمانه بعض الجرائم من نوع خاص .

ويكاد يكون في كل حي مصرى حمام أو

حمامات ، وخصصوا له بعض أيام للرجال

وبعض أيام للنساء ، وكثيراً ما يذهب الرجال

إلى الحمام صباح الجمعة بعد الجنابة للاغتسال

واعتماد الرجال أن يناموا بعد الحمام في ردهته

قبل أن يلبسوا ملابسهم ويخرجوا .

وفي الحمام عادة رجل عريان مؤتزر إزارا

يسمى « المسكيس » لأن بيده كيسا من

الجلد لا يزال يحكه على جسم المستحم ،

فتتكون معه إفرازات يطردها ، وذلك قبل

أن ينزل المستحم في المغطس . واعتادت

الآنسات قبل الزواج أن تذهبن إلى الحمامات

مع من تسمى « البلانة » فتحمين بعناية

خاصة ، وذلك قبل الليلة التي تسمى ليلة

الدخلة .

وفي الحمام أحجار خفيفة هنا وهناك يحك

بها المستحم رجله لتنظيف ، وكذلك هناك

قوم وظيفتهم نشف الإبط والشعر . ومن

الأمثلة الدائرة على لسان المصريين « حمام

أنى حمام خادنت غير زوجها فآرها الزوج

بنفثة فما زال ينقرها حتى أماتها . ثم خرج

هأما ، وغاب يومين ورجع بأنى جديدة .

ومن أمثال العامة « فلان زى الحمام ،

يفغوى كل يوم برج » ، ويضربونه للرجل

المنقلب ، فإن الحمام قد يكون في برج ، ثم

يألف برجا آخر فيطير إليه . وعدو الحمام

الثعبان . وهذا هو الذى دعا المصريين إلى

وضع القواديس ونحوها . وقد تألف الثعابين

برجا من الأبراج ، فيهرب الحمام حتى

لا يعود في البرج شئ . والثعبان يألف

أبراج الحمام ، فيشرب بيضها ، ويقتل

أفراخها . ومن أجل ذلك يتعهد أصحاب

الأبراج البرج بالنظافة ، وكلما كبرت الأفراخ

زادوا في نظافته ويجزوه بفاسوخ ، لاعتقادهم

أن رائحته تبعد الثعابين .

الحمام

قال أبو العلاء المعرى :

يعيب أناس أن قوما تجردوا

لحمامهم نصب العيون الشواذر

لقد سعدوا إن كان لم يجر عندهم

من الوزر إلا تركهم للمآزر ...

وقال :

الحمصة والسكى بالنار

شاهدت في زماننا الحمصة والسكى بالنار لبعض الأمراض ، فالحمصة كانت عبارة عن أن المزين يفتح فتحة الذراع بمقدار ما يضع الحمصة ، ثم يضع الحمصة ويضع عليها ورقة من الورق المقوى ، ويربطها بمنديل أو شاش ، ويتركها هكذا ، وهي تمتص من الجسم بعض الفضلات . وكما عطبت الحمصة غيرها بغيرها وهكذا . ويعتقدون أنها تشفى من الصداع ومن أمراض كثيرة . وقد رأيت أبي يستعملها في بعض الأحيان .

وأما السكى بالنار فيمهر فيه بعض الناس ، وخصوصاً بعض البدو ، ويستعملونه في بعض الأمراض كعرق النساء والروماتزم . وهو علاج صعب استغنى عنه ببعض الأدوية الحديثة . ولصعوبته قال العرب « آخر الدواء السكى » ولا يلجأ إليه اليوم إلا عند قليل من المعتقدين فيه .

وبلغنى عن بعضهم أن السكى نفع العلاج به في أمراض لم ينجح فيها الطب الحديث .

بلا مية » يشبهون به الجماعة من الناس يتصايحون على غرض لم يتحقق ، وهم يعتادون أن يقول بعضهم لبعض « حمام العافية » ، يريدون أنهم يسألون الله أن يجعله حماما يذهب بالمرض ويسبل الصحة . وقد غزت فيما غزت المدينة الحديثة الحمام ، فصنع كل في بيته حماما له ولعائلته ، واكتفوا بالبانويو عن مغطس السوق ، وصار لكل أسرة حمامها الخاص . وكنت أذهب مع أبي في حمام حينا ، وكان حماما كبيرا ، بجانبه مكان يسمى المستوقد ، من وظيفته أن يسخن ماء الحمام ، ومن وظيفته أيضاً أنه يدمس قدور الفول المدمس للحى كله ، ثم يخلط الحريق ببعض التراب ، وتسمى المادة بعد ذلك « القضم » . ولا أدري من أين أتت هذه الكلمة ، ويستعمل في البناء مخلوطا مع الجير والرمل . ولا أدري لماذا كنت أكره الذهاب مع أبي إلى الحمام

على كل حال كان الحمام صرفاً كبيراً من مرافق الحى ، يتقابل فيه الناس ، ويتحدث فيه الأصحاب ، وأحياناً يقضون فيه بعض معاملاتهم . وكان لكل حى حمام ، ومسجد أو أكثر ، وسوق وكتاب ... فسبحان مغير الأحوال .

حمل الأثقال

اشتهر المصريون بحمل الأثقال على ظهورهم وعلى أكتافهم ، سواء كانت أثقالاً مادية أو معنوية ، فقد يحملون فوق ورتهم . وترى مثال ذلك إذا وقفت في محطة السكة الحديد في القاهرة والإسكندرية ، ورأيت مقدار ما يحملون ، كما يدلك على ذلك أيضاً ما إذا وقفت على عمارة كبيرة تبنى ورأيتهم وخاصة الصعايدة منهم يحملون على أكتافهم الحجارة الثقيلة ومواد البناء . بل منهم من اشتهر بأنه يستطيع أن ينقل خزانة حديدية ثقيلة على ظهره ، وتذكر مقدار تحمل المصريين الأثقال إذا رأيت بلاد الإنجليز مثلاً ، فقد رأيتهم يستخدمون غالباً العربات الصغيرة في نقل الغنش والأمتعة ، كما يستخدمون الآلات المتنوعة في البناء ونقل الأحجار والمؤن . ومن اشتهر بهذا أيضاً العربيّ عند نقل غنش البيوت من بيت إلى مكان آخر ، فلهم قدرة عجيبة على حمل الأثقال .

الحمل

لقب يطلقونه على رجل يحمل على ظهره إبريقاً كبيراً من الفخار له بزوز ، يسقى به من شاء . وقد يمر على الدكاكين فيملاً لهم قلهم .

وقد دعا إلى ذلك قديماً صعوبة الحصول على ماء الشرب في الطريق مع حرارة الجو . ومن هذا القبيل ما كنت ترى في كثير من الشوارع رجلاً يحمل قربة لها بزوز ويزعم معه الناس أن هذه القربة حلت فيها البركة فهي لا ينتهي ماؤها .

فكلما فرغت امتلأت . وهو يلقي ماء حوله من القربة ليوم الناس أن ما أفرغ منها كثير .

ويزعمون أنه يسقى الناس من الصباح إلى المساء وهي لا تنتهي .

الحمى

الحمى معروفة وهي أنواع . وقد دلت تجارب العلماء على أنها ميكروبات مختلفة ، لسكل نوع من الحمى نوع منها يمكن الاستدلال عليه بالفحص . بعضها شديد وبعضها خفيف ، وبعضها مميت ، وبعضها لا يميت . ولكن العامة يعتقدون أنها نوع من الجن تلبس الإنسان فيمرض بها . وقد وصف المتنبى حمى الملاريا وصفاً دقيقاً لطيفاً . وقد مرضت مرة بالحمى فنعوا عنى كل أنواع اللحم حتى مرقتة ، وغيروا كل أنواع الطيبخ حتى لا تصلنى راحته ، حتى ضعفت وتعبت جداً . وفي اليوم الرابع والخمسين صممت على

حنبلى

يقال للرجل المتشدد المتزمت : « حنبلى » ،
نسبة إلى أحمد بن حنبل ، وهى نسبة خطأ ،
لأنهم كانوا يعتقدون فيه أنه متشدد عن غيره
من الأئمة ، كما يطلقونها على الموسوس فى
الوضوء والصلاة ونحو ذلك ، كالرجل الذى
يقول عند الدخول فى الصلاة نا نا نا نا ، نويو
نويه ، نويت الص ، نويت الص نويت الصلاة ،
وهكذا . ويتوضأ ثم يتوضأ ثم يتوضأ .

كالذى يقول الشاعر :

وموسوس عند الطهارة لم يزل

أبدا على الماء الكثير مواظبا

يستصغر النهر الكبير لذقنه

ويظن دجلة ليس تكفى شاربا

حنا

لها شأن كبير عند العروس قبل الزفاف
وفى ذلك ليلة تسمى ليلة الحنا سنذكرها فيما
يأتى . وبعض النساء يضعن عليها مواد تجعلها
خضراء أو سوداء ، ثم ينقشن بها نقوشا
مختلفة ، وأحيانا قليلة يستعملها الرجال ،
وبعض الرجال يخضبون بها لحامهم إذا شاب
الشعر ، ويمزجونها بالخل لتثبت ، ويضعونها
على رأس المحوم لتخفف حرارته ، وخضاب

الأكل ، قدموا لى فرختين سميتين
وطبخوا لى ملوخية وتخوفوا من أكلى .
ولكن من الغريب أنى شفيت بعد هذه
الأكلة تماما . ويداوى العامة الحمى أحيانا
بذبابه من ذباب الخيل ، وأحيانا يلصقونها
بقطعة عجيب ويلزمون المريض بأن يبلعها ،
وأحيانا يستعملون الخلل مع النشا دهانا ،
وأحيانا يلجئون إلى الأحجبة ويكتبون
ورقة فيها لا إله إلا الله ، نارت واستنارت .
لا إله إلا الله حول الوسن دارت . لا إله إلا
الله وفى علم الله سارت . لا إله إلا الله أذنت
الحمى وغارت ... وغارت ... وغارت ...
وأحيانا يعلقون عظمة ميت كافر فى رقبة
المريض ، وأحيانا يكتبون حجابا فيه (ا ح
ا ك ك ح ع ح م م خ) ، لأن هذا
يميت العفريت فتذهب الحمى . وكم لهم فى
ذلك من ضحايا .

ومن أمثلة العرب المشهورة « الحمى
أضرعتنى إليك » . يعنون بذلك أن الذلة
التي يسببها مرض الحمى جعلتني أتضرع
إليك وأتذلل .

الأسواق . وشجرتها تزرع في البساتين ،
ويعتقد النساء أنه إذا أخذت جهاجها ، وهي
الروس التي لم تفتتح ، وغليت في الماء ثم
شربت أسقطت الحمل . والله أعلم .

الحواشين

هي في لسان العامة فريق من الأولياء
يحوشون البلاوى عن الناس ، أى يمنعونها .
يدل على ذلك القصة التي أرويها ، وهي أن
رجلا من العراق جاء إلى مصر ، وكان من
الأولياء ، وقابل ولياً من الأولياء ، وسأله عن
القطب المتولى خفارة مصر ، فذله على جزار ،
فذهب إليه وطلب منه رطل لحم فأعطاه فقال :
هذا لا يعجبني ، فقطع له الجزار رطلا آخر ،
فقال مثل الأول ، وما زال كذلك حتى قطع له
الخروف كله . وذلك لأنه علم أن اللحم ضار ،
فكان هذا الولي من الحواشين . ويقولون
في بعض استغاثتهم « حوشوا يا حواشين » .

الحنا منتشر في الشرق من قديم ، وفي ذلك
يقول الشاعر :

خود كأن بنانها

في خضرة النقش المزد

سملك من البلور في شب

لك تكون من زبرجد

وروى لى بعض تلاميذ المرحوم الشيخ
حسين المرصفي الأستاذ في دار العلوم أنه كان
واسع الاطلاع . دخل مرة في أول السنة
فصلا ، فسأل الطالب الذى أمامه عن اسمه ،
فقال له الحناوى . فابتدأ الكلام في الحنا
وماورد فيها ، واستعمالها ، حتى انتهت الحصة .
ثم سكت وقال : ذكرونى في الحصة الآتية ،
وما زال في الحنا أسبوعا كاملا ؛ مما يدل على
سعة الاطلاع وكثرة الاستطراد في الأدب
العربى . ومن الأغاني المشهورة عند المصريين
الحنا يا الحنا يا قطر الندى ...

وربما كانت الأغنية قديمة ترجع إلى
قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون
لما زفت إلى الخليفة في بغداد ، وقد كانت
الأغنية موجودة حتما في عهد محمد على ، إذ
سجل بعض المستشرقين نوتة لغنائها .

وزهر الحنا لطيف الرائحة يباع في

حوش

هي كلمة تطلق على وسط الدار ، وتطلق أيضاً على بناء يبني حول المقابر ، وتبنى فيه غرف ولوازمها حتى تتمكن الإقامة فيها في المواسم والأعياد . ويطلق ثالثاً على البيت الكبير يشتمل على مساكن أرضية كثيرة يسكنها فقراء الناس وأخلاقهم . ولذلك يقولون عن أدنياء الناس « حوشى »

أو « حوشية » . واشتهر من هذه الأحواش حوش « بردق » في المنشية ، لأن سكانه كثيرو النزاع كثيرو الخصام ، لا تمر عليه إلا وتسمع غوغاء . ولذلك إذا رأى الناس زبطة قالوا : « زى حوش بردق » ويقولون حاش بمعنى « منع » « فحاشه من الضرب » أى منعه ، (وحوش) بمعنى جمع .
(انظر الحواشين)

حرف الخاء

الخاطبة

هي امرأة اعتادت أن تدخل البيوت بصفة بلانة أو دلالة ، فتتعرّف إلى نساء البيت وفتياته ؛ وهي توصى عادة بالبحث عن زوج للفتاة ، أو زوجة للفتى ، فتكون صلة التعارف بينهما . وكثيراً ما تتبالغ في جمال البنت وغناها ، أو تتبالغ في جمال الشاب وغناه ؛ وذلك نظير جعل تقاضاه منهما بعد أن يتم الزواج ؛ ولما تقدمت المدنية شاهدت هذا العام في إحدى قهاوى رمل الإسكندرية امرأة قيل لى إنها خاطبة ، يوسطها من شاء من الشبان والشابات فتجمع بينهما ، لنظر بعضهما إلى بعض ، فإذا أعجب كلٌّ الآخر تم الزواج وإلاّ لا .

وإذا كان السفور معتاداً أمكن نظر كل منهما إلى الآخر وتقابلهما سراراً حتى يتم الزواج أو يتم الانفصال .

وكان ينشأ في العهد القديم من الخاطبة متاعب كثيرة ، فقد يتبين أن الزوجة ليست كما وصفتها الخاطبة من جمال أو غنى ، وأن الفتى ليس كما وصفته من استقامة أو غنى ، ولكن يكون ذلك بعد انتهاء العقد وتتمام الروابط ؛ وكان هذا في أيام الحجاب أشدّ وأعنف

خان الخليلي

إنما ذكرناه دون غيره من أحياء القاهرة لأنه محتفظ بصفته الشرقية ، فهو حتى في شكل بنائه من عقود ووكالات على الجانبين تحتها دكاكين على الصفين ، يمثل حالة التجارة في الشرق في العصور الوسطى ؛ وتباع فيه السجاجيد المعجمية والسبح السكرمان ، والصواني النحاسية المنقوشة أو المكتوب عليها آيات قرآنية ، ونحو ذلك

ولذلك إذا جاء السائحون في القاهرة كان من أهم برامجهم زيارة خان الخليلي ، فيشترون منه بعض السلع الشرقية تذكراً لهذه الزيارة ، ويشاهدون فيه نوع التجارة في القرون الوسطى ؛ وبائعوه أجناس : منهم الأتراك والشوام والعجم وغيرهم .

الخنتان

يولى المصريون الخنتان أهمية كبرى ، حتى لقد بلغت أن قبيلة سودانية أرادت الدخول في الإسلام فكتب رئيسها إلى بعض علماء الأزهر يستوضحه الإسلام وما يفعله أفراد قبيلته لدخولهم في الإسلام ، فكتب إليه العالم الأزهرى قائمة بما يجب أن يعملوه ؛ فكان أولها الخنتان ، فرفضت القبيلة أن أسلم ؛ وقد كانت هذه المسألة قلة ذوق .

الناس بقصر الختان على الذكور دون الإناث ،
وحجتهم في ذلك أن ختان البنات قد سبب
انتشار عادة تعاطى الحشيش والنزول والأفيون
ونحو ذلك . وذلك بسبب أن البنت إذا
اختنت ثم كبرت فختانها يقلل من لذتها
الجنسية ، فيضطر الرجل إلى استعمال المخدرات
التي ذكرناها لغيبابه عند مضاجعتها ، فنادوا
بعدم ختانها حتى لا يضطر الرجل إلى مثل
هذه المخدرات ؛ ولم تلق هذه الدعوة في أول
أمرها كثيراً من الاهتمام .

والمصريون يسمون الختان طهارة كان
الفتى والفتاة يتطهران بهذا العمل .

وكثير من الناس ينتهز فرصة زواج بنت
أوشاب في البيت فيختن أولاده اختصاراً الكثرة
الحفلات ، فيكون الموكب مكوناً عادة من
عربة للعروس وعربة للطفل المراد ختانه .
وبعضهم قبل الختان يزور الختن شيخاً من
الأولياء كالإمام الشافعي . وعادة تجري حفلة
كبيرة في ساحة الإمام للختان العام الذي
يشارك فيه عدد كبير ، خصوصاً من أولاد
الفقراء ، وتكون هذه الحفلة العامة عادة عند
فتح الخليج في النصف الثاني من أغسطس
أو الأول من سبتمبر . ويعتقدون أن هذا
الوقت من أنسب الأوقات ، فقد خف الحر
ولم يهجم الشتاء ، وامتلأ الجو بالرطوبة مما

والختان عادة تشمل الذكور والإناث
جميعاً ؛ فللأطفال حلاقون يقولون ذلك ،
وللبنات دايات يقمن بهذه العملية ؛ وقد
يقول الأطباء هذه العملية في بيوت الأغنياء
وقد جرت عادة الأطباء أن يختنوا أولاد
الأغنياء .

وربما كان المصريون أحرص الناس
على الختان ؛ وقد ثبت أن قدماء المصريين
كانوا يختننون ، وربما كان هذا هو السبب
في حرص المحدثين منهم على ذلك ، وقد
زعموا أنه ينجي الأطفال إذا ما كبروا من
الأمراض .

وقد جرت العادة أن يكون الختان في
نحو السابعة من العمر ، وهم يحتفلون به
ويؤلفون لهذا الغرض موكباً يجتمع فيه الأصدقاء
والحبابون ، ويُركبون الغلام جواداً أو عربة
بعد أن يلبسوه لباساً فخماً وأمامه الموسيقى
أو الطبل والمزمار ؛ وقد يزينون الولد بزى
الفتاة الصغيرة ، ويطوفون به في الشوارع
القريبة من بيتهم على هذه الحال . وتقام
مأدبة كبيرة ؛ والعادة أن يختن الطفل عقب
هذه الحفلة .

والختان يفصل بين حياة الطفولة
وحياة المراهقة ؛ وفي هذه الأيام من حياتي ،
أعني في سنة ١٩٥٠ وما بعدها ، نادى بعض

ويعاملونهم معاملة الإنسان الحرّ ، ولذلك كانوا يفضلون الخدمة عندهم على الخدمة في بيوت المصريين . وكل من كان من بلد أحضر خادمه أو خادمته من بلده ، ومن لم يكن من بلد ، أحضرهم له طائفة تفتح دكاكين في مصر ، يسمون الخدمين ، وبعضهم يعمل أيضاً عمل ما ذكرنا في الياسر جي .

(انظر الرقيق)

الخرافات والأوهام

الحق ان المصريين يفوقون غيرهم في الخرافات والأوهام . والاعتقاد فيها عادة يلازم الجاهل سواء كان متديناً وغير متدين ، فإذا زال الجهل زالت ، فإن كان غير متدين اعتنقها ، وإن كان متديناً حول العقائد إلى خرافات . فكم لهم من عقائد في رؤية الجن مبثوثة في ثنايا هذا الكتاب ، فهم يظهرون أحيانا في صورة ققط أو كلاب ويحدفون الطوب من البيوت الخربة ، حتى ليكاد كل شر في الدنيا منهم ، وحتى كأن كل شيء فيه جنّ أو جنّية ، وهم يسكنون الشوارع ، وخصوصاً في الظلام ، والمقابر والآثار القديمة . وهم يجسسون في رمضان ويطلقون فيما عداه . وإلى جانب الجن الأولياء . وكل شاذ ناقص الحلقة ولى من أولياء الله ،

يساعد على التثام الجرح . وقد جرت الطبقة الكبيرة والوسطى على أن تلف القطعة التي فصلت من الولد في منديل وتضع عليها ملحاً حتى لا تتعفن ويربط المنديل في عنق الولد على شكل عقد حتى إذا شفي من هذه العملية رماها في النيل أو في الخليج .

الخدم

كان الخدم في الأزمنة القديمة يملأون البيوت من رجال ونساء حتى قد يفوق عددهم عدد أهل البيت . وكانت توزع أعمال البيت عليهم . فلكل خادم اختصاصه . هذا يعمل القهوة وهذا يحضر الأكل ، وهكذا ... وكان قبل دخول أنابيب الماء في البيوت يحضر الماء السقاء ، ويسمى سقا الحريم ، وكانت أجورهم رخيصة . وكثيراً ما وقعت من بعضهم أحداث شائنة . وكانوا كثيراً ما يتطلعون إلى البقشيش من كل من دخل البيت من الغرباء .

فما زالت أجورهم تملو وعددهم ينقص ، حتى صعب الحصول عليهم . وهم اليوم كالكبريت الأحمر . وقد هجر كثير البيوت الواسعة للشقق الضيقة لقاتهم ، فقد أفسدهم كثيراً استخدام الأجانب لهم ، لأنهم يعطونهم الأجرة الكثيرة ، وخصوصاً في أيام الحروب ،

واعتماد على الحروف وجملها ، والاستخارة
وأشكالها .

ومن قديم من عهد الفراعنة أتقنوا فن
السحر ، يستحضرون الأرواح ويستخدمون
الأطفال في المندل ويعتقدون في التنجيم ،
وأن السعادة والشقاء مرتبطان بالنجوم .
وتفتح الجرائد إلى اليوم فترى خصائص من
ولد في أكتوبر وفي كل شهر وفي كل أسبوع
من الشهر ويعتقدون في الكيمياء والقسرة
على قلب المعادن إلى ذهب والخرافات حول
ذلك ودوران الفجر على البيوت ينادون :
نبين زين ! والذين يستحضرون الثعابين من
البيوت ، والمناداة على الرقي في أيام عاشوراء ،
والذين يحاربون بالبخاري الخ الخ ... حتى
ليكاد الإنسان يرى في كل خطوة خرافة .
وهذه كلها تزول تدريجاً مع العلم .
وبعبارة أخرى تزول مع زوال الجهل .
ولذلك ترى أنه كلما أغرقت قرية من القرى
في الجهل كثرت فيها الخرافات .

تستجاب دعوته وتلمس منه البركة ، وكل
ميت منهم له سر باتع .

وقد يكون بعض هؤلاء مجانين أو
مجازيب . فهم يعلون جنونهم أو انجذابهم أو
إتيانهم الأعمال الشاذة باتصالهم بالله وملائكته .
والقاهرة مملوءة بالمشايخ : كالمولى في باب
زويله ، وسيدنا الحسين بجانب الأزهر ،
والسيد البدوي في طنطا ، والدسوقي في دسوق ،
وتقام الموالد لهؤلاء الأولياء يأتون فيها
بالعجائب .

ويعتقدون في العين وأثرها ، فهم يخشون
منها في كل شيء ، فإذا أعجبوا بشيء قالوا
ما شاء الله ! اللهم صل على سيدنا محمد .
ويعتقدون في البخت والقدر ، وينسبون
كل أفعال الخير والشر إليهما ، والأحجية
وأهميتها وأشكالها وألوانها ، وتبركهم بحدوة
الحصان ، والكتابة على الدكاكين بأنها
في حماية الله ، ويعتقدون أشكالاً وألواناً في
الأحلام ، وفي أيام السعد وأيام النحس .
ويعتقدون النحس في يوم السبت ،
والخير في يوم الجمعة ، فيقولون : يوم الجمعة يوم
الفضيلة ، ويتشاءمون من ساعة فيه ويقولون
إنها ساعة نحس ، ويذهبون إلى العرافين
ليخبروهم بالمضى ، وينقبوا بالمستقبل ، من
ودع ، وقرأة كف ، واعتماد على الزائرجا ،

الخُرج

الخُرج وعاء من صوف أو قطن ذو جنبتين ، يوضع على الحمار أو الحصان أو الجمل أو الكتف ، ويأخذه معه من أراد سفراً أو خروجاً إلى مكان بعيد ، فيملؤه من الأشياء التي يريد إهداءها لبيته : ككيزان ذرة أو شمام أو بطيخ أو نحو ذلك .

وقد اعتاد الأطفال المصريون أن يغيظوا التجار الشوام الذين يحملون على أكتافهم الصابون ينادون عليه فيقولون : « محمود في الخُرج » فيغتاظ البائعون من ذلك ؛ ولا أدري ما سبب هذه الكلمة .

وقد يبالغ الأغنياء في الخُرج فيطرزونه بالذهب أو الفضة ، ويتخذون منه آلة للزينة والزهو . وكثيراً ما يتخذ الخُرج أداة من أدوات الحاج عند سفره إلى الحج ، ليعود وخُرجُه مملوء بالهدايا ، كما زمزم وبعض التمر الجاف وبعض الهدايا الفضية ، كالدبل والخواتم والسبّح ،

خرزة البقرة

يزعم النساء أنه توجد في عنق بعض الأبقار أو بطونها قطعة شحم لها وصفة عجبية وهي تسمين الهزيلات . ولذلك يرجو بعض النساء الجزائرين في البحث عنها ، وهي شهيرة عندهن .

وربما كانت أسهل هضماً من المفتحة . وقد يصنع بعضهم الحلبة مطبوخة بالعسل بدل خرزة البقرة والمفتحة . ويضيفون عليها أيضاً البندق المقشور والسمس ، وهي أخف منهما وأصح لقلة لخبطة الأصناف .

وطريقة أكل هذه الأشياء في الغالب أن يؤخذ نصف الرغيف أو ربعه ويحمر ، ثم توضع ملعقة أو ملعقتان من المفتحة أو خرزة البقرة أو الحلبة على ظهر الخبز ، أو في داخله ، ثم يؤكلان معاً قطعة قطعة .

الخزّام

حلقة كان يضعها نساء بعض الطبقة الدنيا وبعض الفلاحات ، خصوصاً أهل مديرية الشرقية ، في الأنف ؛ وقد ورد الخزّام في غناء بعضهم ، وهو زينة ليست بالجميلة . وعند الأغنياء يكون هذا الخزّام من الذهب .

مع بعض البقول ، وقد اشتهر بالخس سيدى
المليجى فى مليج ، ولذلك ينادون عليه
« خَسَّك يا مليجى » كأنه من اختصاصه ،
كاختصاص الإمبابى بالترمس .

الخشبة التى تطير

يعتقدون أن الولى إذا مات ووضع فى
خشبة الميت وأريد أن يدفن فى مقبرة
لا يرضاها ثقل جداً على الحاملين له حتى
لا يستطيعوا السير به . وكثيراً ما شوهد
ذلك فى القاهرة والأرياف . وقد شاهدت
مرة ميمتاً فعل به ذلك . وكما مشى به حاملوه
توقفوا ، فإذا غيروا وقف الجدد أيضاً ، ثم
أراد الحاملون أن يضلوا الشيخ فلفوا
بالخشبة جملة لفات حتى لا يعرف الشيخ أين
يتجهون ، ثم ساروا بالخشبة فسارت بهم .

وهناك منظر آخر نشاهده فى هذا الباب
وهو أن يدعوا أن الشيخ يريد أن يسرعوا
به إلى الدفن فيجروا بالخشبة ويزعموا أن
الشيخ يطير .

وقد نشر فى الجرائد منذ أيام عن تنازع
بلدين على الشيخ فى أيهما يدفن ، وقد فصل
بينهما الشيخ الميت بأجماهه إلى مقابر أحد
البلدين ، وبذلك حسم النزاع .

الخس

اعتاد المصريون أن يأكلوا بين
الأكلات أشياء خفيفة يسمونها (شبرقة) ،
كالب والحص ، ومن ذلك الخس والملانة
وهى الحص الأخضر . وقد اعتادوا أن
يأكلوها فى ليلة شم النسيم ، فيحرصون على
أكل البيض الملون يوم السبت الذى قبل
شم النسيم ، ثم الملانة والخس ليلة شم النسيم .
وفىها يسمون البصل الأخضر ويعلقونه على
رؤوسهم إلى الصباح . ثم يأكلون الفسيخ
ظهراً ، ويشترك فى ذلك المسلمون والنصارى
جميعاً ، فهو يوم شعبى .

وقد ترى الناس يأكلون الخس وهم
يمشون فى الشوارع ، أو يقرقزون الملانة
أو اللب ، أو يمصون القصب ويرمون قشره
مما يقدر الشوارع كثيراً .

وإذا نظرت إلى كناسة الشارع يوم
شم النسيم رأيت عجباً من بقايا هذه الأشياء
ومما تصنعه الطبقة الوضيعة يوم شم النسيم
غيراً كل الخس والملانة شرب الخمر ، وهم
بعد شربها يتصايحون فى الشوارع ، ولذلك
يمنع خيار الناس عن الخروج فى ذلك اليوم
اتقاء للأضرار .

وكثيراً ما يستعملون الخس فى السلطة

الخصاء

هو عملية جب المذاكير، والذي كبر منهم يستخدم في البيوت لحفظ الحرير ومراقبتهم ولا يطلع عليهن من الرجال غيرهم . وهي عادة قديمة تكلم عنها الجاحظ في كتابه « الحيوان » . ويقوم بهذه العملية في مصر في الأغلب مدينتا أسيوط وجرجا - يقوم بها جماعة من الأقباط . وعاصمة هذه العملية قرية قرب أسيوط تسمى زاوية الدير . ويموت من هذه العملية نحو ٢٥٪ من أرها . ومن الخصيان من بلغ مبلغاً عظيماً كخليل أغا ، وهو أغا والدة الخديو إسماعيل . فقد كان يت رأس في الحفلات حتى على الوزراء ، وقد أشرف على بناء مسجد الرفاعي وبنى له مدرسة هي التي تسمى إلى الآن مدرسة خليل أغا . وقد رفع السلطان محمود أحد أغواته إلى رتبة باشا . والخصاء هذا يميز صاحبه ، فترى جسمه مترهلاً وصوته رقيقاً وعينه ذابلة . وكأنه يريد أن ينتقم مما فعل به فيكون في العادة جباراً . ومنهم من لم يمنع جبهه عن فجوره وفساده ، فيكونون أحياناً وسطاء بين سيداتهم وأحبائهن . بل أحياناً يتصلون بالنساء . ومنهم من يتزوجون على هذا الوجه . وفي التاريخ أعمال كثيرة لهؤلاء الأغوات بعضها عظيم وبعضها فظيع .

الخصاب

اعتاد بعض المصريين من رجال ونساء أن يخضبوا ، وقد كان الخصاب أولاً بالحناء ، ثم صاروا يخضبون باللون الأسود بمستحضرات من الأجزاخانات ، يسترون به الشيب ليدلوا على صغر سنهم أو سنهن ، ومنهم من يجيد الصبغ حتى يرى أن المصبوغ طبيعي .

الخضر

يعتقد بعض الأولياء أنهم رأوا الخضر في يقظتهم ، وخاطبوه وخاطبهم ، وهو عبد صالح كان مع موسى ؛ ويزعمون أنه شرب من عين الحياة ، فلم يمّت من عهد موسى إلى اليوم ، وأن الأولياء الصالحين يرونه جهاراً ويخبرهم بالمغيبات ، وإذا ذكروه قالوا : عليكم السلام ! إيهاما بأنه مرّ عليهم وسلم عليهم .

الخطوة

يقولون خطوة عزيزة ، إذا غاب الزائر
— الذى يدعى أنه عزيز — مدة ثم حضر .
وتستعمل الخطوة بمعنى آخر : فيقال أهل
الخطوة . وهم قوم يزعمون أنهم قادرون على
قطع المسافة فى خطوة ، فيكون مثلاً فى لحظة
فى مصر ، وفى اللحظة الأخرى فى الحجاز ،
لا يعوقهم بحر ولا جبل . ولهم فى ذلك
حكايات غريبة ، كحكايتهن عن قوم يقيمون
فى بلد ، ثم هم يصلون كل صلاة فى وقتها فى
الحرم المكي والمدنى . ولذلك إذا كان رجل
بعيد وحضر فجأة قيل له : هل أنت من
أهل الخطوة ؟

وتستعمل بمعنى المسافة القريبة ، فيقال
بينك وبين المكان الفلانى خطوة ،
أى مسافة قليلة ؛ ومثلها فى هذا الاستعمال
« فركة كعب » . ويستعملونها فى الدلالة على
اعتقادهم فى القضاء والقدر : فيقولون بين
الخطوة والخطوة يفعل الله ما يشاء . ولا
تمشيش خطوة على خطوة إلا بإذن الله .

وسموا بعض الناس أبا خطوة . ويعتقد
النساء أن المرأة إذا كانت عقيماً وتخطت قتيلاً
زال عقمها .

خلخال

حلية تلبسها المرأة فى الرجل ، وقد يكون
من ذهب ، وقد يكون من فضة ، وقد يكون
من نحاس مطلى بالذهب .

والمرأة المستهتره تلبس الخلخالين فى
رجل واحدة ، فإذا مشت كان للخلخال
صوت يلفت إليها الأنظار ... وقد بطل
استعماله فى المدينة الحديثة .

الخلوة

كان فى بعض المساجد حجرة منمزالة
يأوى إليها بعض الناس للخلوة أياماً معدودة
يكثر فيها من التأمل والذكر .

وقد اعتاد بعض الصوفية أن يخصصوا
أياماً للاعتكاف فيها وقضائها فى العبادة .

وقد سمي بعض الصوفية لذلك
بـ (الخلوّتى) ، وهناك طريقة صوفية تسمى
الخلوئية .

الخليج

كان يشق القاهرة في العهد القريب
خليج ، يفتح له ماء النيل عند فيضانه ،
ويسمى ذلك فم الخليج .

وكان طويلاً تبنى على ضفتيه بيوت
الأغنياء للاستمتاع بمنظره ورطوبة الجو .
وقد تمد منه أنابيب لهذه البيوت
لتستقي منه .

وكان كثير الأضرار ، إذ لم يتعنف
بعض الناس من أن يصب فيه القاذورات
أو يرمى فيه الحيوانات الميتة المتعفنة ، أو ترمى
فيه لحمة الختان .

ولعدوبة الماء كان يسرع إليه الفساد ،
فإذا شرب وملئت منه القلل مرض شارب به ،
كما أنه في أيام الفيضان كان يحمل الطمي
الضار بالشرب .

ولذلك صنعت الحكومة خيراً بردمه ،
خصوصاً وأنه كان أيضاً عرضة لتوليد الناموس
والحشرات إذا أخذ النيل في الانحسار . وإلى
الآن ترى في القاهرة شارعاً يسمى شارع
الخليج ، يجرى فيه الترام بعد أن كان يجرى
فيه الماء .

الخمسين

الخمسين أيام خمسون بعد شم النسيم
تهب فيها رياح شديدة من الجنوب ، وتكون
سموما حارة . فإذا هبت الرياح اصطبقت
السماء بالحمرة قليلاً أو كثيراً ، وقد تمتد حتى
يتعثر التنفس على الإنسان . ويشيع المصريون
أنها أبادت قوافل برمتها في الصحراء . وقبل
هبوب الخمسين يخرج المصريون إلى المزارع
لشم النسيم . وهم يعتقدون أنهم إذا شموا
النسيم في ذلك اليوم وهو اليوم المعروف بشم
النسيم ، اتقوا شرور الرياح الخمسينية .

خمسة وخميسة

هي عبارة عن كفتٍ فيها خمسة أصابع ،
وتصنع عادة من عاج أو من فضة أو من نحاس
مطلي . ويزعمون أنها تسقلت النظر فتقع
عين الحسود عليها ، فلا يؤذى الشيء الذي
وضعت عليه ، لأن عين الحسود لم تقع على
الشيء إلا بعد أن تقع على الخمسة والخميسة .
ويعلقونها على كل من يخشون حسده ،
خصوصاً إذا كان جديداً ، كسيارة جديدة ،
أو فرش جديد .

الخواجة

الخواجة في لسان المصريين هو أوربي يلبس بدلة وبرنيطة ، سواء كان روميا أو إيطالياً أو إنجليزيا أو غير ذلك .

وهو يحترم في مصر ، ويخاف منه ، ويعتقد فيه العلم والأمانة أكثر من المواطنين ، وخصوصاً في الزمن الماضي . فإذا قدم طبيب وكان خواجه اعتقد أنه طبيب أمهر من الأطباء المصريين مهما كانت شهادته وضيعة . وإذا كان تاجر يوناني ببرنيطة استطاع أن يشتري من الفلاحين قطنهم أكثر مما يستطيع التاجر المصري مهما غشهم وخدعهم . وإذا وعد المصري الخواجة اعتقد أنه يفي بوعده أكثر مما يفي المصري . ومك ضحك الأوربي على ذفن المصري ، لا لشيء إلا لأنه خواجة . وسبب هذا أن الخواجات الأوربيين هم الذين غزوم وفتحوم ، فأجلوم جميعاً ، وخافوا منهم من غير تفرقة بين إنجليزى وغيره ...

ومن أسباب ذلك أيضاً المحاكم المختلطة وما كانت تهرب به المصريين ؛ ولهذا كان كثير من العقلاء يتوق الدخول في هذه المحاكم .

وقد أوجدت هذه الحالة مركب النقص في المصريين ، فاحترموهم واعتقدوا فيهم

الكمال في كل شيء ، مهما كان الخواجة ساقطاً . ولما كثر غش بعضهم وأدركوا الأعيبهم ورأوا أنهم ناس كسائر الناس يخدعون ويكذبون قل احترامهم لهم ، ولم تعد لهم المنزلة الأولى التي كانت لهم .

ونشاهد أن منزلتهم في الإسكندرية أقل من منزلتهم في القاهرة لكثرة اختلاطهم بهم ومعرفتهم إياهم .

ولا يطلقون الخواجة إلا على من كان نصرانياً ، ولكن الأتراك قد يطلقونه على بعض المساميين أيضاً . ولما نارت مسألة زواج الشيخ على يوسف وطعن في كفاءته لبنت السادات أحضر نسبه ليدفع به عن نفسه ، فكان من ضمن أجداده من يسمى الخواجة فلان ، فطعن في نصرانية أجداده .

خيال

يستعملونها بمعنى كف ، ويقولون أنا خيالها ، أى كف لها . وتقول النساء عن التي يتأخر زواجها : « خيلها لما يبجى خيالها » .

خيال الظل

(انظر قراقوز)

حرف الدال

الدرراویش

يطلق هذا الاسم على الصوفية ، وهم كثيرون في مصر ، ويحترمون كثيراً . وأكثرم احتراماً من كان من الأشراف أو من بيت أبي بكر ، ويلقب بالبكري ؛ وعمر ، ويلقب بالمعري . ويلقب رئيس الطائفة بشيخ السجادة ؛ وتعتبر السجادة العرش الروحي . وفي مصر أربع سجاجيد كبيرة . وأشهر طوائف الدرراویش هي الرفاعية نسبة للسيد أحمد الرفاعي ، وعمامتهم سوداء ، أو من الصوف الحالك الأزرق .

واشتهروا بالإتيان بالأعمال العجيبة : كغرز المسامير الحديدية في أعينهم من غير أن يقاسوا ألماً ، وابتلاع الحجر والزجاج ، وخرق أجسامهم بالسيوف ، وخذمهم بالمسلات .

وأحياناً يحرقون قطعة من جذع النخل ويحشونها بخرق غمست في الزيت والقطران ، وإشعالها ، ثم وضعها مشتعلة تحت الإبط .

ومن الدرراویش فرقة السعدية وأعلامها ، وعمامتها خضراء ، واشتهروا بإمسك الثعابين السامة والعقارب بلا خوف . ويركب شيخ السعدية في المولد النبوي والموالد الشهيرة حصاناً ويسير به على بعض أجساد أتباعه ، ويسمى هذا الموكب بالدوسة . ومن الطوائف

طائفة القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني . والأحمدية نسبة إلى السيد أحمد البدوي . والشعراوية ، نسبة إلى مؤسسها الشيخ الشعراوي . والبيومية ، نسبة إلى السيد علي البيومي . والبراهمة ، أو البرهامية ، نسبة إلى سيدي إبراهيم الدسوقي ، وأعلامهم خضراء .. الخ .

وهم كثيرون ، وقد نشروا في البلاد الخرافات والأوهام . وكلما كان الرجل مجنوناً أو قليل العقل اعتقدت فيه الولاية .

الدربكة

هي نوع من الطبل يوقع عليه المنغنيات نغمات خاصة بدائية ، ويمتاز بذلك السودانيات . وربما أخذ من نغماتها «الجزبند» الحديث ، فهو يشبه هذه النغمات السودانية .

دستور

يطلقون الدستور على الحجر المنحوت تبني به البيوت . ويقال : بني بيته بالدستور . ويطلقونه أيضاً على القانون الأساسي لنظام الحكم ، ويقال : هذا موافق للدستور ، وهذا مخالف له . ويستعملونه ثالثاً إذا مرّ رجل على امرأة ليعلنها بالتحجب ، فالرجل إذا طلع السلم على الحريم قال دستور أو ياساتر ،

دودة الأنف

يزعم العوام أن في الأنف دودة صغيرة ، وأن بعض الناس عندهم عزائم إذا تلوها وحكوا الأنف نزل الدود منها . وشاهدت ذلك بنفسى وجُرب بالفعل معى . والغالب أن هذا الرجل دجال ، وأنه يستحضر في كفه بعض هذا الدود ، ثم بحركة خفية ينزل هذا الدود من كفه على أنف الطفل ، فيُظن أنها نازلة من الأنف مباشرة ، والله أعلم .

الدين

إنما نتكلم عليه لأن له أثراً كبيراً عميقاً وظاهراً في الحياة الاجتماعية المصرية . والحق يقال إن المصريين معروفون من قدم بالتدين حتى من لم يتدين منهم يتحمس للدين إذا مسّ ولو مساً خفيفاً . وأكثر المصريين مسلمون ، ولكن أكثرهم يعتقد الإسلام بعد أن امتلاً بأوهام من الديانات الأخرى ، وبعد أن تسربت إليه عادات وتقاليد ليست منه في الأصل . وترى الدين الإسلامى في شتى المظاهر : فأنت إذا فتحت الراديو سمعت تلاوة القرآن والأحاديث الدينية ، وإذا مزرت في الشوارع رأيت المساجد ومآذنها العالية ، وإذا عشت رمضان في مصر ، رأيت الحياة

فتسمع المرأة ذلك فتحجب . ويستعمل أيضاً عند زيارة الأضرحة والمشايخ ، فيقول الرجل أو المرأة : دستور ياسادة ، كأنه يستأذن في الزيارة ... وكذلك إذا أرادت سيده أن تكبّ ماءً قدراً مثلاً فتقول دستوراً تحذيراً للمارة ، وكذلك احتراساً من أن الشيء يصب على الجن فيتأذون ويضرون الفاعل ، فهذه الكلمة تمنع منه .

دغرى

يقولون : امش دغرى ، بمعنى امش مستقيماً ؛ وهى ترقية أصلها طغرى .

الدلالة

امرأة تشتري البضائع المختلفة الخاصة بالنساء ، كالمناديل وقمصان النوم والزيت والصابون والروائح العطرية ونحو ذلك . ثم تدخل بيوتاً خاصة اعتادتها ، وتبيع هذه السلع بأثمان أكثر مما اشترت . وهى عادة تنقل أخباز البيوت وسرايرها باتصالها بالخدم ومعرفة أسرار البيوت منهم .

ومنهم من تدين حتى ترى الدين في كل
حركاته، وحتى من تربوا في المدارس الأجنبية
دعاهم اختلاطهم بالنصارى إلى التمسك بالدين
فالإسلام يتغلغل في أعماق نفسه ولو لم يؤد
شعأره ظاهراً . وقد ظن بعض الآخذين
بالظواهر من الأجانب تنصير من تفرج من
المسلمين ثم خاب فألم . ثم هم كانوا يعاملون
الأرقاء معاملة حسنة امتثالاً للدين ، ويعاملون
الحيوانات معاملة حسنة امتثالاً للدين ، وليس
الإسلام دين تبشير ، ومع ذلك يدخل فيه
الوثنيون أفواجا لبساطته واعتماده على
كلمتين : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله »
ولكن مخالطة المسلمين لأُم أخرى كالأقباط
واليهود أخذوا عنهم بعض التقاليد
وأعطوهم البعض الآخر ، وعلى العموم يكاد
الإسلام يتغلغل في الحياة المصرية إلى
حد كبير .

وقل أن ترى من بعضهم عملاً إلا
والإسلام عنده باعته والمطالب به . وكذلك
إذا تجنبوا عملاً فالإسلام هو الباعث على
تجنبه والكف عنه .

البيئية تتأقلم بمرضان . فاحتفال بالإفطار
وإحسان إلى الفقراء ، وسهر للسحور
والمسحراتية ، ومدافع الإفطار والسحور ،
والإمسك ، وكثرة الابتهالات ، وإخراج
زكاة الفطر قرب العيد . وإذا حضرت موسم
الحج رأيت الرغبة فيه والاحتفال به والدعوة
إليه ، إلى كثير من أمثال ذلك .

وإذا نظرت إلى بيوت المصريين
القدماء رأيت الحریم منفصلاً عن مواضع
الرجال ، لما يعتقدونه في الإسلام من
الحجاب ورأيت الناس يعملون رغبة في الجنة
وخوفاً من النار . ومن ناحية أخرى ترى
الاعتقاد في الجن وتأثيرهم ، وفي الذِّكر وفي
الأولياء ، ولا يعملون عملاً إلا إذا قالوا إن
شاء الله ، ولا يخرجون من عمل حسن إلا
إذا قالوا الحمد لله . ثم هم يعتقدون كثيراً في
القضاء والقدر ، ويؤثر ذلك في عدم التطلع
لما هو آت وعدم الحزن على ما فات .

ويعتقدون في البعث ويوم الحساب .
وكثير ممن يأتون بالفضائل كالصدق والصبر
والكرم والشجاعة يعتمدون فيها على الدين ،

حرف الذال

الذقن

تنتج بعض أشجار اللبخ شيئاً أصفر أشبه بالقطن المندوف ، له رائحة خفيفة طيبة ، ومن ظرف المصريين أنهم يسمونه ذقن الباشا ، كأن منظره يذكرهم بالباشا العظيم الترف إذا كان له ذقن بيضاء .

وقد يتجمع الأطفال حولها للهو واللعب . ومن الأمثال المشهورة في الذقن « واحد شايل دقنه والباقي تعبان ليه » يضربونه مثلاً لمن يحمل همّاً لآخر وليس له شأن فيه . ومن أمثالهم أيضاً « أردب ماهولك ماتحضر كيله ، تتغبر دقنك ولا ينوبك إلا شيله » ، وكلا المثلين يحرص على اهتمام المرء بنفسه دون تدخل في شؤون غيره ، جرياً على القاعدة السخيفة التي تبنى عليها معاملتهم ، ويفسرها قولهم دائماً في كل شيء : وأنا مالي .

ذمة

يسمى المسلمون النصراني واليهود الذين يدفعون الجزية أهل ذمة ؛ أي هم في ذمة المسلمين ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم . ويقولون للرجل الفاسد : خرب الذمة ، وذمته واسعة .

وأنشأ بعضهم مجلة فسكاهية وسماها كلمة

مشهورة وهي « السبعة وذمتها » ولا أدري أصلها .

وكذلك يقال للرجل الفاسد : ما عندوش ذمة : وللرجل الراحل إلى الدار الآخرة : ذمة الله . وإذا أراد رجل أن يستحلف آخر يقول له : أذمتك هل حصل كذا .

الذوات

كلمة تطلق على الطبقة الغنية ، أصلها ذوات الحيثية ، ثم اكتفى بالقسم الأول . والحيثية نسبة إلى حيث ، أي حيث يكون لهم شأن . وأولادهم يسمون أولاد الذوات . وهي كلمة تدل على إباحية واستهتار ، وإفراط في الخمر والنساء ، وما إلى ذلك . والحق أنه في مصر تتميز الطبقات تميزاً كبيراً ، فمنهم من يملك عشرين ألف فدان أو أكثر ، ومنهم من لا يملك شيئاً . حتى جاء قانون الملكية ، فحصرها في مائتين ، والناس يقدرون بعضهم بمقدار ملكيتهم . ولذلك كثيراً ما يسألون عن الرجل فيقولون عنده كام فدان ، وعليه كام طين . وكانت هذه الطبقة ذات شأن كبير في مصر ، حتى كأنها فوق القانون .

فهي التي تنشئ العادات والتقاليد ، وهي التي تتحكم في الأسعار . ومن العجيب

سكنها غيرهم . ومصالحة التنظيم تعاملهم أيضاً
في الكس والرش والنور معاملة ممتازة .

وهم عادة مع غنهم يشترون السلعة بأقل
ما يشتريها الفقير ، لأنهم يشترون كل شيء
في إبانة ، ويخزنونه على مدى السنة ، من
سمن وبصل وغير ذلك .

وهم لم يحسوا أثناء الحرب بالحرب ،
فرزقهم واسع وهم فوق التموين وقوانينه ، وقد
زال كل ذلك في العهد الجديد .

ومنهم تنبع الأمثال الدالة على احتقار
المال ، لأنهم لا يهتمون في تحصيله . ومن
غنهم وفقير غيرهم تكونت الاشتراكية ، إذ
رأى الاشتراكيون أن الحالة في الأمة لا تجرى
على عدل ، فالأغنياء في ذروة لا يميزون
بذكاء ولا حسن تجارة ولا عمل .

وإنما أغلب غنهم نشأ من إرث ،
أو مساعدة المقادير ، ولذلك بدأت تخف
الفوارق شيئاً فشيئاً بين الأغنياء والفقراء .
والفاس سائرون في كل العالم إلى ذلك .

الذوق

اشتهر القاهريون بالذوق . يظهر ذلك
في نكتهم ، وأناقة ملبسهم ، وطرق حديثهم
(انظر ابن ذوق)

أن نسبة ذريتها تكاد تكون نسبة عكسية
مع أطيانها وعقاراتها .

فالأغنياء قليلو الذرية غالباً بعكس الفقراء .
كان الترف يُقل نسله . وهم في حياتهم
الاجتماعية متميزون ، يغالون في المهر وفي
النفقة ، وفي العادة لا يعرفون كيف يحسنون
تربية أولادهم . فالاعتاد في التربية على أبناء
الفقراء وأبناء الطبقة الوسطى .

وأعرف صديقاً لي كان ابنه وابن حاجبه
في كلية الحقوق ، فكان ابنه يرسب في
الامتحان وابن حاجبه يكون الأول عليه .
والطبقة الوسطى عادة تقلدهم ، وتشرئب
إليهم ، وتتشبه بهم .

ولذلك تتكون العادات من أعلى إلى
أسفل . وقد شهروا بالفخفة وحب السيطرة ،
وكانوا أشبه بأصحاب الإقطاعيات . والفلاحون
عندهم كأنهم عبيد مملوكون كالأرض .

وقد ساعد على ذلك ما كان في مصر
من قلة الضرائب ، فكان أكثر المحصول
يذهب إليهم أو إلى جيوبهم ، وأقله يذهب
إلى الفلاحين . ولذلك يقولون لمن تكبر
وتجبر « عامل ابن ذوات » . وهناك شوارع
في القاهرة كأنها وقف عليهم لا يستطيع

حرف الراء

الراية

يكثر من استعمال الرايات الحمراء أو الخضراء للدلالة على الفرح ، تمييزاً له عن الميتم . وإذا لم يقيموا صواناً علّقوا رايتين كبيرتين على باب البيت للدلالة عليه .

ويستعملونها أيضاً في الموالد . وإذا كانت عصاها كبيرة سميت بيرقا .

وعندهم عقيدة أن هناك بيرقا يسمى بيرق النبي ، يستخرجونه إذا جدّ الجدّ ، وحزب الأمر . وفي هذه الحالة يحمله عظيم وينشره ، فيلتف حوله الناس ، كما فعله السيد عمر مكرم في حرب المصريين مع الفرنسيين .

وكانوا يعتقدون أنه عند السلطان عبد الحميد بيرق نبوي إذا نشره وجب على كل مسلم الخروج للجهاد .

الرَبَط

الرَبَط هو عمل سحرى يعمله الشيخ ويتلو عليه عزائم ، يزعم الناس أنه يعوق الرجل عن الإتيان بالأعمال الجنسية . ولذلك يلجأ المربوط إلى هذا الشيخ أو شيخ آخر ، يحلّ هذا الربط ، فإذا حلّ عاد الرجل إلى طبيعته الأولى .

ويكثر ذلك في القرى . ويسمى المصريون الحكام القابضين على زمام الأمور : أهل

الربط والحلّ ، وأحياناً أهل الحل والعقد . ويسمون الأولياء الذين يتولون حكم الأقاليم في زعمهم أهل الحل والربط أيضاً .

الرتب

هي الألقاب التي يعطيها الخديوى أو نحوه لمن أراد أن ينعم عليه ، من بيك درجة ثانية ، وبيك درجة أولى ، وباشا . ومثل الرتب العسكرية كالصاغ واللواء والفریق ونحو ذلك . وقد كانت هذه الرتب مستعملة في عهد إسماعيل وتوفيق ، ولكن رتبة « الأفندى » كانت أعظم مما هي اليوم . ولذلك كان النساء إذا عظمن سيدة قلن إنها الست أم الأفندى ، ولا يقلن أم البيه ولا الباشا .

وفي عهد الخديوى عباس أصبحت الرتب فوضى ، ولها سماسة يقبضون شيئاً لأنفسهم و شيئاً لغيرهم ، وحدد تقريباً سعر لكل رتبة يدفعه الطالب . فترتبة بيك من الدرجة الثالثة ٢٥٠ جنيتها ، والثانية مع لقب بيك ٣٠٠ جنيتها مصرياً ، وذلك أيام كان الجنيه جنيه ، حتى ضج الناس من ذلك .

وألقبها أميركا ، ولم يبق لها شأن إلا في مصر وشرق الأردن . وخاصم الإنجليز الخديوى في شأنها ، خصوصاً بعد أن أراد

المرأة مع حماها تفعله زوجة ابنها معها شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع . ويحكون أيضاً على ذلك القمص الكثيرة التي لقيت فيها الحماة الجديدة ما فعلته مع حماها .

وقريب من هذا أيضاً ما يعتقدون من أن الرجل أو المرأة إذا ارتكب جريمة ارتكب معه مثلها . ومن ذلك قولهم : « القاتل يُقتل ولو بعد حين » واعتقادهم أن مَنْ زنا بامرأة زَنِىَ بامرأته ، وَمَنْ غازل امرأة غُوِزِلَ بامرأته ، وهكذا ... وهو اعتقاد قديم كالقصة التي روتها ألف ليلة وليلة : « دقة بدقة ، ولو زدنا لزاد السقة » .

الرقص

للمصريين نوع من الرقص يخالف الإفرنجى ، والرقص المصرى أكثر تحريكاً للشهوة . وربما شابهه بعض الشيء الرقص الإسباني ، لأنه ربما أخذوه عن العرب ، ويسمونه أيضاً الرقص البلدى ، وقد أخذ المصريون نوعاً من الرقص الإفرنجى وأحلوه في مدارس البنات وسموه الرقص التوقيعى . ويقسميز الرقص الإفرنجى أيضاً بأنه رقص نساء مع رجال ، أما الرقص البلدى فهو رقص نساء وحدهن ، أو رجال وحدهم .

واشتهر بين المصريين رقص العوالم ، ورقص الغوازي ، ورقص المحترقات . وهو

الخدوي الإنعام برتبة على موظف في ديوان الأشغال كان قد رفت للاختلاس . وتدخل اللورد كرومر في الأمر ، وكلف بطرس باشا غالى إلغاء الرتبة ، فألغيت بعد أن نشرت في الوقائع المصرية ، بدعوى أنه حدث خطأ في الاسم ، وهكذا من الفضائح . وقد ألغت العراق والشام هذه الألقاب ، بعد أن ألغاها الغرب وألغتها أمريكا . واليوم نحمد الله على إلغائها جميعاً فقد كانت سبباً من أسباب الفساد وتمييز الطبقات .

وللصوفية رتب تشبه رتب المدنية ، فالريد والشيخ والمتولى والقطب والنعوث الخ ... ولكل اختصاص .

رضا الوالدين

يعتقد المصريون اعتقاداً جازماً أن من أهم أسباب سعادة الإنسان موت والديه وهما راضيان عنه ، فإذا لم يرضيا أو رضى أحدهما ولم يرض الآخر ، كان ذلك سبباً للشقاء . ولذلك إذا رأوا رجلاً موقفاً في الحياة ناجحاً قالوا : « يستاهل ، أبوه وأمه داعيين له » ، وإذا رأوا فاشلاً في الحياة شقيماً قالوا : « أبوه وأمه ماتوا غضبانين عليه » . ولم في ذلك أمثلة كثيرة .

وقريب من هذا ما يعتقدون أن ما تفعله

على العموم رقص فظيع لما تثيره حركات المرأة من الشهوة . والمصريون إذا نظروا إلى هذا الرقص لا ينجلون منه ولا يستحيون . ويعدونه من وسائل الفرح والابتهاج . وهو منتشر في البيوت ، فيتعلم بعض الفتيات من النساء الرقص ، ثم يرقصن وحدهن مع صواحبهن من غير أن يكون معهن زوج أو أب أو أخ . ثم هؤلاء العوالم أو الغوازي لا يُجذبن الرقص إلا مع توقيع موسيقى ، لأنه يضبط حركاتهن ؛ فالعوالم وأمثالهن يرقصن ، والرجال أو النساء خلفهن أو جانبهن يوقعون على الآلات الموسيقية لهن ، فإذا كانت الحفلة حفلة نساء فقط ، وقع بعض النساء على طبلة ، أو دربكة أو نحو ذلك . ومن حين لآخر توزع على العوالم والموسيقيين أقداح الخمر ، وكثير منهم يسرفن في الشرب فيقعن مغشى عليهن ، وكثير منهم فتيات جميلات ، يستهوين النظر خصوصاً برقصهن ، وفي المحلات العامة بعد أن يرقصن يجلسن مع الرجال ، أو على حجورهم ويناغشهم ، ويباغ بعضهم بالرقص إلى أنواع الفجور ، وهن يلبسن ألبسة خاصة ، كثيراً ما تحلى بالترتر ليلمع في ضوء الليل . وتتميز ملابسهن بأنها تظهر جسم المرأة على حقيقته ، وهن في العادة يحتفظن بثبات السيقان ، وتحريك الوسط

أو الأرداف ، وأحياناً يحركن أذرعتهن على شكل دائرة . وهناك نوع من الرقص يسمى « رقص النحلة » ، فتزعم الراقصة أن هناك نحلة حلت في ملابسها ، وتتحرك حركات كأنها باحثة عن النحلة ، وهي ليست إلا في مخيلتها ، فإذا لم تجدها خلعت ملابسها شيئاً فشيئاً بدعوى أنها تبحث عن النحلة ، حتى تتعري تماماً ولا يسترها إلا ستار بسيط ، والنساء حولها يصفقن ويقلن : النحل يا هو ... ومن الرقص رقصة تسمى رقصة الصلاة ، فتبدأ كبيرة الراقصات بأن تقول الصلوات وتزعم الراقصة أنها تصلي ، وتتشبه بالمصلين والمصليات ، وهي إذ ترقص تقول : بصلي بصلي ، صبح بصلي ، ظهر بصلي ، عصر بصلي ، والنبي بصلي ، ياخويه بصلي ... إلى أن تنتهي الرقصة .

ومن المناظر الشائعة التي يحرص بعض الأجانب السائحين على رؤيتها منظر هذا الرقص البلدي ، حتى أحياناً تجذب الراقصة المشهورة ربحها الكثير في أن تسافر إلى أوروبا وأمريكا لعرض مناظر الرقص البلدي .

والحترقات من العوالم والغوازي يجلبن في العادة ثروات كبيرة من النقود ومن الأجور . وفي عهد محمد علي كانت الغوازي يرقصن في الشوارع فيثرن شهوات المارة ،

الرقيق

كان الرقيق منتشرًا في مصر ، وكان أنواعا ، منه ما هو أسود وهو أقل قيمة ، ومنه ما هو أبيض ، وكان يستعمل في الطبقات الراقية . وأذكر أن والدي كان قد اشترى جارية سوداء بـ (خمسة وتتو) ولكن لم تطق والدي بقاءها لغيرتها ، فاضطر أبي أن يبيعها .

وكان قصر عابدين في عهد الخديوي إسماعيل مملوءًا بالجوارى البيض ، لكل زوجة من زوجاته عدد كبير من هؤلاء الجوارى ، ولهن ألقاب وأعمال ، فطائفة منهن كانت تسمى القلفاوات ، ومنهن من وظيفتهن تنظيف البيت أو تديبه ، أو تقديم القهوة عند غياب الخصيان ونحو ذلك . وكانت السراى ترسل إلى استامبول من يختار هذه الجوارى .

وفي آخر عهد إسماعيل وزعت الجوارى التي في السراى على كبار الموظفين والأغنياء . وكان الخديوي يمنح كل جارية تزوج مقداراً من المال تتجهز به في حدود خمسمائة جنيه ذهباً . وبعض النسل من البيوتات الكبيرة اليوم من هؤلاء الجوارى ، وفيهن في الغالب العنجهية التركية والأرستقراطية التي عهدناها .

فصدر أمر بمنعهم من الرقص في الشوارع ، فخبأ في الرقص كان يرقص بدلهم الخلوات ، وهم طائفة من الرجال فقدوا رجولتهم ، وتأشوا في كلامهم وحركاتهم ، فكانت البلوى أفظع ، والمنظر أسمع .

وبتغير الزمان نظر إلى الرقصات نظرة لا بأس بها ، على أن رقصهن فن جميل ، وأخذ الرقص البلدى ينكمش شيئاً شيئاً ليحل محلّه الرقص الإفرنجى على الجاز بند .

رُقِيَّة

الرُقِيَّة تعويذة يستعاذ بها من الشر وقد تكون الرُقِيَّة من عين حاسدة ، ولهم في ذلك طرق كثيرة ؛ من ذلك أن تؤخذ قطعة من طرف ثوب صاحب العين وتحرق في النار ، وتُتلى عليها التعويذة .

ومن الرُقِيَّة المستعملة كلمات تقال بعد وضع قليل من الملح في كيس صغير ويعلق في رقبة الأطفال . وهناك رُقِيَّة خاصة تقال في أيام عاشوراء ، وهي في العشرة الأولى من المحرم ، فتعدّد الأشياء التي في البيت ، وتضاف إليها التعويذة ، حتى لا تحسد . وهناك رُقِيَّات كثيرة لا داعي للإطالة بذكرها ومن ذلك تسميتهم « رُقِيَّة » ، وهي تصغير رُقِيَّة .

وله مساعدون ؛ والمشتري للجارية له الحق في تسليمها كما يشاء ، حتى في كشف عورة الأنثى ، وبعضهم كانوا يضعون الجارية في طشت مملوء ماء ليعلموا إن كان جسمها يمتص الماء أم لا . ولكن والحق يقال كانت معاملة الملاك للرقيق معاملة حسنة ، فكانوا يعتبرون كأحد أفراد البيت . وهنّ من جانبهنّ كنّ يخلصن لأسيادهنّ ، ولكن لا ننسى أنهنّ كنّ أحيانا سبياً لشقاء البيت ، فقد كان مباحاً للرجل طبقاً للشريعة الإسلامية أن يتصل بجاريته ، وكان هذا مثاراً للزوجة الحرة ، وكثيراً ما ينسل من الحرة ومن الجوارى فيكون العداء بين الأولاد ، وبذلك يكون البيت شعلة من نار .

وأخيراً أبطل الإنجليز عادة الاسترقاق وحرّروا العبيد والإماء وقاوموا الرق بعنف ، حتى أنهم انتقموا من شريف باشا انتقاماً شديداً ، وقادوه إلى المحاكمة بسبب شرائه لبعض الجوارى بعد صدور القانون بإلغاء الرقيق ، وأهانوه إهانات كبيرة ظاهرها أنهم يحافظون على الحرية ، وباطنها أنهم يشفون غليلهم من موقفه السياسى الذى كان يناهض به سياسة رياض باشا . فقد كان رياض باشا يتهم بمالأة الإنجليز ، أما شريف باشا فكان لا يمالئهم ويطالب بالدستور ونحو ذلك . فكانت هذه الحادثة فرصة للانتقام

وكانت هذه الجوارى الشركسيات مستبدات بأزواجهن ، لا يرضين حتى يخضعنهم لأوامرهن . وقد حدثت حوادث طلاق من هذا القبيل بسبب استبدادهن ، وكان أزواجهن يلاقون عذاباً شديداً بسبب طلاقهن . وأعرف حادثة غريبة في هذا الباب ، وهى أن شاباً جميلاً مُنح امرأة شركسية من هذا القبيل ، وكان يحضرها في العادة إلى بيت الزوج أفا من أغوات السراى فلما كشف عن وجهها وجدها عجوزاً شمطاء شوهاء مسلوطة ، فخطر له في الحال خاطر غريب ، وقبّل يدها بدل أن يقبلها ، وجلس أمامها باحترام ، فاندحشت وسألته عن السبب ، فقال إن أبى كان تركيا ، وقد وصف لى عمّة تركية وصفاً دقيقاً ينطبق عليك ، ولذلك أحترمتك كعمتى . فقالت إنه ليس لى أخ ، ولكنه أصرّ ، وما زالت تكذب هذا الخبر وهو بصير حتى يئست منه ودعت الأغا فأخذها وذهب بها إلى السراى . ففضب الخديوى واستدعاه . وما زال يلح عليه فى قوله الحقيقة حتى قالها . فضحك الخديوى وأعجب بكائه ، واختار له جارية أخرى شابة من شباب القصر جميلة . وكان فى القاهرة أسواق كثيرة لبيع الرقيق بنوعيه ، من أشهرها دار قريبة من باب الخلق يشرف على كل بيت منها نخاس

بيع الوفاء ، فإذا مضت المدة الميعنة ولم يدفع الراهن ما عليه مَلَكَه المرتهن . وقد يكون الرهن على نصف الثمن أو أقل من ذلك ، فتضيق الأرض على صاحبها . وكان في القاهرة دكاكين كثيرة أكثرها للأرمن مملوءة بنحاس مرهون أو صيغة ، أو نحو ذلك .

روضة المدارس

ربما كانت روضة المدارس أولى المجالات الرسمية .

فقد أنشأتها وزارة المعارف ، واستكثبت فيها كثيراً من الكتب . وكانت عنايتها كبيرة ببايبن سمجا اليوم ، وهما : الألفاظ ، والتواريخ في آخر شطر من القصائد . ومن أحسن ما فيها أنه كانت تقال في إحدى القاعات بعض محاضرات قيمة في شتى العلوم ، ثم تنشر هذه المحاضرات في المجلة . وكانت تختار في كل حين وآخر كتاباً حديثاً تنشر منه مازمة كل أسبوع لتجمع هذه الملازم فيما بعد في كتاب مستقل . وكان يرأس تحريرها في بعض أوقاتها على فهمى زقاعة . وقد خدمت مجلة روضة المدارس العلوم والفنون عهداً طويلاً ، قبل أن تعرف مصر المجالات الحديثة . وهي تدل على الحركة العلمية والأدبية في ذلك العصر .

منه ... ومع هذا فقد خوّفت كبار المصريين ومتوسطيهم من امتلاك الرقيق .

ويسمى المصريون تجار البيض « الياسرجي » وتجار السود « الجلايين » ؛ وفي بعض الأحيان كان الياسرجي هذا يعمل عمل القوادين ، فيختار أجمل الفتيات لفاسدى الأخلاق من الأغنياء ، ويرسلهن إليهم بدعوى أنهم يرونهن ليشتروهن ، وبعد أيام يردونهن بدعوى أنهم لم يعجبين . ويقوم بهذا العمل في العصور الحديثة بعض الخدمين

الركة

يزعم بعضهم أن الركة في لسان العجائز قطعة من الخشب ينفض عليها السكتان ، وكان يعهد بها إلى النساء ، فكان يجتمعن حول الركة هذه للقيام بما فرضه عليهن أزواجهن أو أسيادهن ، وكل امرأة تصف وصفة نجحت في الشفاء .

ومن ثم سمي الطب المستند على وصفات العجائز « طب الركة » وقد ألف فيه بعض الكتب .

الرهن

ينتشر بين الفلاحين الرهن ، وقد اعتادوا أن يرهنوا أرضهم ، فيضع المرتهن يده على الأرض ويستغلها . ومنه النوع الذى يسمى

حرف الزای

الزار

تسمى شبيخة الزار الكدية ؛ فتقوم الكدية وتضع كرسيا في وسط المجلس وتجلس عليه صاحبة المنزل الذي أقيم لها الزار ، وتحضر فرختين وديكا ، وتربط أرجلها ، ثم تضع الديك على رأسها والفرختين على أكتافها ، ثم تتلو قراءات معهودة ، وتنشد أناشيد والفرخ تقابل نشيدهن بالزعيق ، وجميع الحاضرات يقفن « دستور يا سيادي مدد يا أهل الله يا سيادي » ، والكدية وأعاونها يضررن بالدف وينشدن الأناشيد على نغمات مختلفة ، ثم يقربن من صاحبة المنزل ، ويسرعن في الدق وصاحبة المنزل هذه تركع أمام الضاربات ، ثم تجيء إحداهن ومعها ملابس الأسياد ، وهي عباءة مزركشة بالقصب وطربوش مكلل باللؤلؤ ، وسيف وخنجر ملبسان بالفضة ، فتتقلد السيف وتمسك الخنجر بيدها ، وتقف متمايلة أمام ذلك الجمع ، والآلات تضرب ، والأناشيد تنشد ؛ ثم تقف صاحبة المنزل وتقول : السلام عليكم ، فيقال لها أهلا وسهلا ، من أنت ؟ تقول هي : أنا الشيخ عبد السلام ، مثلا ، فتضرب حين ذلك على الدف نغمات تسمى الشيخ عبد السلام ، فترقص صاحبة المنزل رقصا عجيبا يناسب الشيخ عبد السلام ؛ حتى إذا فرغ الدور قامت الكدية ، وكتبست

صاحبة المنزل ، فينصرف الشيخ عبد السلام إلى حاله ، ثم تدعى صاحبة المنزل أنه قد لبستها زوجة الشيخ عبد السلام ، فتقول بصوت رفيع : السلام عليكم يا ستات ! فيحضرن لها ملابس نسائية تناسب زوجة الشيخ عبد السلام ، كل بدلة من الحرير ، ولها لون خاص ، وخواتم وخلاخيل وأساور ، ثم يضررن لها الضربات التي تناسب الشيخ عبد السلام ؛ وكل ذلك وهم في وهم .

ولنذكر الآن بعض الأناشيد المستعملة

في الزار :

(١) فاتحة الحفلة والصلاة عليه ، صلوا

عليه ، النبي العربي ، صلوا عليه ...

ماما الهدى ، آه يا ماما ، بدر التمام

يا محمد ، نصبوا الكراسي لماما ، يرّ السماح

لماما ، برّ الهدى يا ماما ، صاحب العوايد

ماما ، صاحب الدبايح ماما ، نصبوا الميدان

يا ماما ، آه يا زهر الورد يا ماما ... الخ .

(٢) سلام على أم غلام ، يا مرحبة

يا أم غلام ، سلام على أم غلام ، يا مرحبة

بأم غلام ، ردو السلام على أم غلام ، يا بنت

ماما يا أم غلام ؛ يا أم الغلام والعفو منك ،

يا أم الغلام بيني برهانك ، يا أم الغلام واشفي

عيانك ، يا أم الغلام والطبل طبلك ،

يا أم الغلام والليله ليلتك .

الزائرة

يستعملون بها على عمل التنجيم ، وهي جدول ينسب إلى إدريس . ويقسم الجدول إلى مائة خانة صغيرة في كل منها حرف ويتلو من يستشير الجدول الفاتحة وآية : وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلخ ... ويضع بعد أن يغمض عينيه إصبعه على الجدول فيقع على حرف ، فيقيده ويدون الحرف الخامس بعده ، والحرف الخامس بعد الحرف الثاني له ؛ وهكذا حتى يكون جملة يقرأها لتبين الطالع ... ولهم فيها تعاليم كثيرة لا حاجة لذكرها .

الزبرجد

الزبرجد حجر من الأحجار الكريمة الأحمر ، أكثر ما يستخرج من جزيرة بالبحر الأحمر تسمى جزيرة الزبرجد ، وقد كان الزبرجد يسرق من الجبل ، حتى تعاقد جماعة في سنة ٩٠٥ من بينهم عبد الرحمن بك كامي من أعيان السويس . ومسيو مكسيوس ، على أن يستخرج الطرف الأول الزبرجد ويرسله للأخير لبيعه في جنيف ، على أن يأخذ ثلاثين في المائة من الأرباح الصافية ، وعلى أن يتعهد الطرف الثاني بأن يفحص

المناجم ، ويتصرف فيها بما يراه ملائماً ، ويتولى بنفسه طلب امتياز استخراج هذا المعدن والبحث عنه .

وقد كان المصريون يستعملون الزبرجد في حلهم كثيراً ، ولذلك كانت تجارته تجارة رابحة .

الزجل

نظم من الشعر العامى على أوزان خاصة . وقد كثر عند المصريين الزجل وتنوع أشكاله . وللمصريين أزجال ظريفة ، خفيفة الروح خفيفة الوزن . واشتهر منهم في الأيام الأخيرة الشيخ النجار ، والشيخ القوصى ، وعبدالله نديم ، وحسن الآلاتى ، وإمام العبد ، وغيرهم . ولطائفة من العوام وهم المسمون «بالأدبائية» أزجال لطيفة يسألون بها الناس ؛ ويقولون بعضها ارتجالاً . ولعبدالله نديم قصة مشهورة في مولد السيد أحمد البدوى ، إذ جاءه بعض الأدبائية هؤلاء ، فنازلهم بالزجل حتى غلبهم كما تقدم ، ولا نطيل في ذكر أمثلة منها ، فله كتب معروفة .

الزراعة

الزراعة هي الحرفة الأولى للمصريين من قديم الزمان ، وأما ما عدا ذلك من تجارة وصناعة فنانوى بالنسبة لهم . وإذ كان القيام بالزراعة قديماً أتقنها الفلاحون على مر الأيام ، فهم يتقنون الزراعة ولوازمها . ويساعدكم في ذلك جودة الأرض وسهولة زرعها ، ولكنهم مع الأسف يلتزمون الزراعة على الأنماط القديمة ، من غير أن يدخل العلم الحديث تحسيناً كبيراً ؛ فالآلات الزراعية لا تزال هي الساقية والشادوف ، ولا يزالون في ربههم وحرثهم ودرسهم وبذرهم يسرون على النمط القديم .

ولم تدخل الآلات الزراعية الحديثة إلا في أطيان الأمراء والأغنياء ، والمنتظر أن تتم هذه الآلات .

والفقراء عادة يعتمدون على النيل في الري ، ولكن هذا لا يكفي إلا الزراعة النيلية ، فاتجهوا أخيراً إلى الآبار الارتوازية . ولا لزوم لوصف الزراعة وآلاتها ، فهي معروفة عند الكافة . والزراعة عادة تنقسم إلى قسمين : يسمون أحدهما زراعة شتوية ، كالقمح والشعير والفول والعدس والترمس والحلبة . وزراعة صيفية ، كالقطن والذرة

والأرز والسكرتان . وأهم ما يزرع الآن القطن ؛ وقد أدخله محمد على باشا على زراعة مصر فأنتت الأرض بخير أنواعه . ولا يزال يعد المحصول الأول ، والقمح هو المحصول الثانى . وإذ كان الفلاح شقياً تتوالى عليه المظالم من كثير من العمد وشيوخ البلاد والملتزمين والصرافين والكشافين ، والوجبات والمال ونحو ذلك من قديم الزمان ، ورث أهل مصر النذل لأن أكثر البلاد حتى المتعلمين أبناء فلاحين ، فللفلاحة أخلاق خاصة استلزمها نوع المعيشة .

وفي الأيام الأخيرة زاحمت الصناعة الزراعة فتغير تبعاً لذلك خلق الأهالى (انظر فلاح وكشاف وملتزم ووجبة) . وكثيراً ما تصاب الزراعة وخصوصاً القطن بدودة صغيرة تتلف محصوله قليلاً أو كثيراً ، وتأسر الحكومة الأهالى بفتنتها قبل استفحالها ، لأنه على محصول القطن تتوقف ثروة البلاد . ولم يعن من عهد محمد على إلى الآن بدراسة هذه الدودة علمياً وكيف يقضى عليها . والفلاحون لا يزالون يعتقدون أن الزراعة إذا نجحت من الدودة فمن الله ، وإذا ساءت فمن الله ؛ ويسمون ذلك ندوة . وهم معذورون في ذلك بعض العذر ، لأنهم يشاهدون أنه قد يكون هناك قطعتان متجاورتان من الأرض

الزلال

يعتقد بعض العوام أن الدنيا طبقات
ترايبية على طبقة مائية ، وأن هذه الطبقة
المائية على طبقة صخرية ، والطبقة الصخرية
محمولة على ثور ذى قرنين ، يحمل هذه
الطبقات على قرن واحد ، فإن تعب من حملها
نقلها إلى القرن الثانى ، وهذا الانتقال يسبب
الزلال ، وهنا ينتقل الذهن إلى الثور الذى
يحملة فيقولون إنه محمول على القدرة .

ومن لطيف ما فى الأمر أن صديقاً كان
له صديق ذو بغلة ، وكانت البغلة رديئة .
فقال له :

لك يا صديقى بغلة

ليست تساوى خردلة

تهتز وهى مقيمة

فكأنما هى زلزلة

تنجح إحداها وتسوء الأخرى . ولكن
الحكومة تعتقد أن من نجحت منهما فلسبب
علمى ، ومن لم تنجح فلسبب آخر علمى .
ومع ذلك فلم تعتمد الحكومة على إحصائيين
يعرفون أسباب الدودة وعلاجها .

الزغردة

اعتاد النساء فى مصر أن يزغردن عند
المناسبات السارة كوجودهن فى الفرح ، أو
عند سماعهن خبراً ساراً ، أو لرؤيتهن المحمل
على جمل ، وإذا حضر حاج من الحجاز ،
أو نحو ذلك .

ولهن فى الزغردة طريقة يلعب فيها
اللسان ، فيفهم من لم يسمعها أن هناك شيئاً
ساراً حدث .

وهن يسمين النغمة الأخرى الحزينة
« صواتا » ، وربما كانت الكلمة تحريفاً
عن الأصوات ؛ وهى نغمة أخرى يعلم من
سممها أن هناك حادثة وفاة أو خبراً محزناً .

والأذن المصرية يمكنها أن تفرق بين
الصوتين بسهولة ، فتعلم أن هذا دليل فرح
أو حزن . وعلى كل فالصوت سواء كان
صوت زغردة أو صوت صوات يحمل الناس
المتجاورين من رجال ونساء على تجمعهم
لاكتشاف سر الخبر .

الزنا

يقولون إن فلاناً ابن زنا ، أى أنه خبيث شرير . والعامّة تعتقد أن ابن الزنا يأتي شريراً خبيثاً . وهم يقولون أيضاً : « ابن الزنا إما قواس أو مكاس » ، وهما وظيفتان دنيشتان .

فالقواس هو السائس الذى يجرى أمام فرس سيده ويصيح لإفراح الشارع له . وأحياناً يكون السائس من أبناء العرب والسيد تركياً فيصيح السائس بكلمات فى سب سيده ، فقد بلغنى مثلاً أن السائس الذى كان يجرى أمام قاسم باشا ناظر الحربية كان يقول بأعلى صوته « أوعى يا واد التور السنارى جاى » ويوجد إلى الآن من يطلقون عليه اسم قواسين يجلسون مع الحجاب ويلبسون ثوباً من البفتة مصبوغاً بلون أزرق وتقتصر وظيفتهم على قضاء مصالح وقتية داخل ديوان المديرية أو ديوان المركز .

وهذه الوظيفة آخذة فى التلاشى ، خصوصاً وقد كرهها الأوربيون وعدوها عادة همجية وحشية . وهذا المثل وضع أيام سلطة هانين الوظيفتين ، فكان القواس يلازم باب الرئيس من أكبر مصلحة إلى أصغرها ، وكان يطلع على أسرار الرئيس كلها

كما يطلع السكرتير الخصوصى ، وكثيراً ما يكون الوساطة بين الناس وبين الرئيس فى أخذ الرشوة ، وإنهاء العمل مع الحاكم . وكان فى القرى يشمخ بأنفه ، ويتمجرف فى كلامه ، ويتجبر ويسب اعتماداً على سلطة سيده . وإذا كان الحاكم فى القديم حاكماً مطلق السلطة فقد كان قواسه صورة مصغرة من سيده . وأما المكاس فهو مأخوذ من المكس ، وهى دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق . ويطلق اسم المكاس فى الوقت الحاضر على أولئك الإخوان الذين يقفون عند مدخل المدن لجباية الضريبة المفروضة على ما يدخلها من حاجيات الغذاء ؛ وكان اسمها الرسمى الدخولية ، وكان فيها كثير من الظلم والجور والعسف والغش .

وقد أدركتها فى آخر أيامها ، وكان أبى رحمه الله يشتري من الإمام الشافعى الفراح ، ويشترى البيض أربع عشرة بقرش صاغ . وكان عند الإمام مكاس يلبس بدلة زرقاء ، وكان يعتقد فى أبى الصلاح ، فإذا وصلنا إليه سمح لنا بالدخول من غير ضريبة ، وهذه كانت مكسبنا ، ثم أبطلت تلك العادة . وقد كان منهم سفلة يعرفون النساء بدعوى أنهم يفتشونهن لعل فى لباسهن شيئاً مهرباً ، ويحسسون على بطن الحبلى ليتحققوا إن كان

وجرت عادات قبل الزواج في إقامة العرس ، منها ليلة الحنا وليلة الدخلة ، وسنذكرهما في محلها .

والزواج يختلف اختلافاً كبيراً بين الطبقة الغنية والطبقة الفقيرة ، فإذا كانت الطبقة غنية بالغ أصحابها في نفقات الأفرح وبذل الأموال من غير حساب ، سواء في المآدب أو معالم الأفرح ، ولا يكتفون بليلة الدخلة بل يقيمون ثلاث ليال قبلها ؛ وكان العريس يجمع في منزله قبل يوم الزفاف أصدقاءه الأخصاء ممن يجيدون الغناء والعزف على الآلات الموسيقية ، ويسمون هذه الليالي ليالي الضمة ؛ وفي ليلة الزفاف يرسل العريس العربات الفخمة مع والدته لأخذ العروس من بيت أهلها ، وتكون العربة المخصصة لها ، مزينة بالشيلان الكشميري والورود والأزهار ، يجرها اثنان أو أربعة من جياد الخيل ، ويحفرها اثنان من الفتوات ، وأحياناً من رجال مخصصين لذلك يسمون الضوية . وهما يرتديان شيلاناً من الكشمير ثم تتقدم والدة العريس على العروس لتقردها إلى المنزل ، ثم تتلوها والدة العروس ؛ ويسير هذا الموكب خلف الموسيقى في بعض الشوارع الهامة ، ثم يعرج على منزل العريس ، فيتقدم العريس لاستقبال عروسه فتياً ويتمتع ؛ ولا تنزل

في بطنهن جنين أو شيء مما تؤخذ عليه الضريبة . ولهذا اعتبرهم اليهود أمام دواتهم أنجاساً ، وسموهم العشارين . ولم يسمحوا للسكاس أن يدخل الهيكل أو أن يشهد المجالس ؛ ولهذا قالوا في المثل : إن ابن الزنا إما قواس أو مكاس . وأراحنا الله من القواسين والسكاسين . وللزنا أساليب مختلفة ، وللنساء فيه حيل غريبة ، وقصص عجيبية . وقد كثر في مصر لحرارة الجو وقوة الشهوة البهيمية ، ولم يمنع منه حجاب أو سفور ، وقد كان هناك في المدن بعض أحياء للماهرات تعطينهن الحكومة ترخيصات ، وأخيراً ألغتها وحرمتها بعد أن أعدت العدة لتسريحهن .

الزواج والطلاق

الزواج عادة شائعة في جميع الأمم ، وقد اشتهر عن المسلمين تعدد الزوجات ؛ ولكن والحق يقال إن تعدد الزوجات بين الطبقة الراقية والوسطى قليل في مصر . ولا يفشو إلا في الطبقة الدنيا ، وكان لا يصح في عرف المصريين أن يرى الزوج زوجته قبل زواجها ، ولكنهم يرسلون الخاطبة ، وقد يرسلون أمهاتهم وأخواتهم لرؤيتها ، حتى إذا ارتضيتها يرسل الزوج الشبكة ، وهي هدية قبل العقد ، ثم يعقد العقد ، وحينئذ يحل له أن يراها .

المزمار ، ويتزاحم الفتوات على الرقص أمام
المزمار ، وتمشى العروس في ناموسية بدل
الشيلاان الكشمير ، وتركب التختروان إلى
منزل العريس . وربما كان أخم زواج وأفراح
- أفراح الأنجال ، والمراد بالأنجال أنجال
الخدويى إسماعيل - وقد كان ذلك في عهد
أبيهم إسماعيل . وإلى الآن يسمى شارع في
المنيرة بشارع أفراح الأنجال . وقد زوج
إسماعيل أولاده توفيق وحسين وحسن . وقد
ابتدأت هذه الحفلات بمقد العقد ، حضره
الوزراء والعلماء وكبار الأعيان في سلامك
القصر العالى ، وكان يرأسهم خليل أغا ،
وهو أغا والد إسماعيل . وهذا مايدعو إلى
العجب ، إذ كيف يتراأس هذا الأغا على
هؤلاء كلهم . ولكن كانت سلطته عظيمة ،
وهو الذى أشرف على بناء مسجد الرفاعى ،
وإنشاء المدرسة المعروفة باسمه « مدرسة
خليل أغا » وقد ابتدئت الحفلة بالقرآن
الكريم ، ودخل الشهود على باب العروس
المسدول عليه الستار وسألوها : هل تقبلين
أن يكون فلان زوجك ؟ ولايزالون يكررون
هذا حتى قبلت . ودامت الحفلات أربعين
يوماً كاملة ، يأكل الحاضرون ويشربون
ويهرج الطلبة فيها كما يشاؤون ، وتنوعت
فيها موسيقى الغناء ، وغنى فيها عبده الحولى

إلا بعد إلحاح ، ثم تفجر الذبائح على عتبة
الباب . ويسير العريس مع عروسه إلى داخل
البيت محجوزين بالشيلاان الكشميرية حتى
لا يراها الناس ، ثم يستقبلهما العوالم ويسرن
أمامهما إلى الكوشة ، وهى عرش مزخرف
أعد خصيصاً للعروسين ، وفى أثناء ذلك تبدر
البدر ، وهى عبارة عن نقود ذهبية صغيرة
من ذات الخمسة قروش ، أو فضية من ذات
القرش الواحد ، يبدرها العريس أو أقارب
الزوجين ؛ والغرض من ذلك صرف الحاضرات
عن النظر للعروسين منعاً للعين . ويخرج
العريس بعد تناول العشاء يحوطه جماعة من
أصدقائه يحملون باقتين من الورد ، ويتقدمه
بعض الأصحاب يحملون الفناير . ويؤلفون
موكباً يسمى زفة ؛ وتسمى الزفة زفة العريس
تسير أمامهم الموسيقى ، ويسيرون جميعاً إلى
المسجد حيث يصلى العريس ركعتين ، ثم
يعود بموكبه إلى المنزل . ويدخل على العروس
فيرفع ما على وجهها من نقاب ، ويراها لأول
مرة ، ويجلس بجانبها . وعند ذلك يقدم لهما
الشربات ثم يخنفيان عن العيون .

أما الزواج فى الطبقة الفقيرة فكان
وضيعاً ؛ فنحمل المشاعل بدل الفناير والطبل
البلدى بدل الموسيقى ، والبوظة بدل الشربات
والخمر ، ويرقص الناس رقصاً بلدياً أمام

الزواج ، وهو جائز في نظر المسلمين ؛ ومن أسباب الطلاق أنه قديماً كان الأب بصفته ولياً يزوج ابنه أو بنته في الصغر ، فإذا كبر لم يوافق الزوج هذا الزواج ، فأدى ذلك إلى الطلاق ، وقل ذلك الآن . ومن الأسباب أيضاً أن تكون المرأة مصابة بعم أو بمرض شديد ، أو أن تخلف بنات فقط ، فيستحل الزوج لنفسه أن يتزوج غيرها .

وقد تعاون تعدد الزوجات ومُلك اليمين على فساد الأسرة ، والعداوة بين الأولاد من أمهات مختلفة . والرجل الشرقي في العادة حاكم مستبد في بيته . والنظر إلى المرأة كان نظراً وضيعاً ، وكانت تعتبر أحط منزلة من الرجل إلا في القليل النادر . وهذا أفسد نفس الأبناء ، لأنهم لا يجدون جو محبة يسود البيت .

وتعدد الزوجات آخذ في القلة لانتشار العلم ، وكثرة الطلاق كذلك آخذة في القلة أيضاً لرؤية الزوجة قبل الزواج ، ونفوذ الرجل آخذ في القلة بسبب تعلم المرأة .

والظواهر غيرهما ، وأقيمت فيها الملاعب البهلوانية وعرض جهاز كل عروس على المتفرجين ، من حلى مرصعة بالألماظ ، ومفروشات ثمينة ، وغير ذلك .

والأغوات يستقبلون المدعوات وتضرب لمن الموسيقى ، الحريم وكان من المدعوات بعض الأفرنجيات ، وكان يستقبلهن بعض من يعرف لغاتهن . وهكذا . . . وبطلت تلك العادة كلها حتى أصبح العريس يقود عروسه بعد الحفلة البسيطة ، فيذهب بها حيث شاء من غير زفة ولا غيرها .

وكلنا نعرف أن الشريعة الإسلامية تميز تعدد الزوجات في حدود . والعادة أن يمهر الزوج الزوجة . وفي الطبقة العالية قد يبلغ المهر ألف جنيه ، وفي الطبقة الفقيرة يمهرها نحو خمسة جنيهات .

والذي يدعو إلى اقتصار أغلبية المصريين على زوجة واحدة هو تساوى عدد الرجال بالنساء تقريباً ، والطلاق هو حل عقدة

حرف السين

السائس

هو رجل يلبس صديريا وسروالا ويتحزم على السروال ، ويمسك بيده عصا طويلة ، وكان يتقدم عربات الأغنياء ويقول :
وسع ، وسع ؛ يحمي الراكب من الزحام ، ويسهل له عقبات الطريق .

وقد بطل ذلك في الغالب بسبب السيارات . ومن أعماله أيضاً أن يغسل العربة وينظفها ، وقد يهد إليه أيضاً أن يتعهد الخيول التي تسيّر بهم . وهم في الغالب يحسنون العدو .

وقد تستخدمهم السيدات في الذهاب بهن إلى بيوت لا يحببن أن تعرف ، فيتخذن منهم أمناً على الأسرار .

السباب

معجم المصريين في السباب معجم واف ، ذو ألفاظ متعددة ، وكما مضى زمن زيدت هذه الألفاظ .

وكثيراً ما يستعملون في السباب أسماء بعض الحيوانات كالخنزير والسكب والحمار ، وربما كان من أشنع السباب عندهم السباب بالدين ، كابن النصراني وابن اليهودي ،

ويا كافر . وبعض أنواع السباب فاحشة ينجل منها المثقف .

وأشد من ذلك كله التظاهر بالبصق على المسبوب .

سبارس

تري كثيراً من الأطفال ذكوراً وإناثاً يمشون في الشوارع وييدم كوز صغير يلمون فيه أعقاب السجائر . ويسمون « أولاد سبارس » ، ثم يفركون هذه الأعقاب ويبيعونها لمن يصنع من دخانها سجائر جديدة ؛ وهي ضارة جداً ، لأنها فضلاً عن ضرر الدخان قد تكون محملة بالميكروبات التي سرت إليها من شرب المريض أو من الأرض .

وأيضاً فهم يقولون إن الأعقاب تتجمع فيها أكثر مضر الدخان . ولهؤلاء الأطفال تقاليد متعارفة بينهم في الاختصاص بالشوارع وفي ترابطهم ، وكثيراً ما يكون لهم كبير يرجعون إليه في منازعاتهم .

ومنهم من يجمع إلى هذه الحرفة النشل ، وهم يتحينون الفرص في أماكن التدخين كالقهاوى ونحوها ، وفي مركبات الترام .

السبحة

عقد يكون عادة من تسع وتسعين حبة ، أو ثلاث وثلاثين . وقسمت هذا التقسيم ليقال عليها إحدى عشر مرة ، أو ثلاثاً وثلاثين : سبحان الله . وفي القسم الثاني : الحمد لله . والثالث : الله أكبر . ويختمونها بلا إله إلا الله .

وتستعمل أيضاً في الاستخارة ، فيأخذها الآخذ حينما اتفق ؛ فإذا انتهت بما يدل على العمل كان معناها العمل ، وإذا انتهت حباتها بما يدل على النهي كان معناها عدم العمل .

وتستعمل أحياناً لمجرد الذكر . وهي تكون عادة من أحجار وأخشاب مختلفة ؛ فالقراء يستعملونها من طين ملون بالأسود ، والمتوسطون من حب أسود يسمى يسراً ، يعتقدون أنه ييسر الأمور ، أو من خشب العرعر . والأغنياء يستعملونها من الكهرمان أو من نوع يسمى « البنزاهير » وهو حجر يجلب من بعض جبال الأفغان .

وتستعمل كلمة السبحة أيضاً في جماعة من الفقهاء ، وخصوصاً كفيفي البصر ، يجتمعون ويقرأون السبحة ؛ وهي سبحان الله . يقولونها مئات المرات ، ويختمونها

بأسماء الله الحسنى وبعض الأدعية ؛ وهي في العادة تقال لمئتين مات وتُوهب لروحه .

وجرت عادة المصريين أن يعملوا يومها « لقمة القاضي » وهي نوع من العجين يقطع قطعاً ويقل بالزيت ، ويأكل منها قارنو السبحة ، ويوزع منها على الأقارب والجيران .

سبعة

يقدم المصريون عدد سبعة ، لأن الله خلق الدنيا في ستة أيام واستراح في اليوم السابع كما يقولون ؛ والسماوات سبع ، والأرضون سبع ، وأيام الأسبوع سبع . ولذلك يجري هذا العدد على ألسنتهم كثيراً فيقولون : « السبعة وذمتها » ، و « الديق فات فات ، وذيله سبع لفات » ، « وسبع صنع في يديه ، والمم حاطط عليه » ، ويتكلم بال سبع تلسن ، ويغنون : « سبع سواقي بتنعى لم طفولى نار » . وهكذا .

وكثير من الأدعية تطلب من صاحبها أن يكررها سبع مرات . وقد نال بعض هذه المزية عدد السبعين فيقولون : « ستين سنة ، وسبعين يوم » . وفي القرآن الكريم : « إن تغفر لهم سبعين مرة » الخ ...

السبوع

هو اليوم السابع من ولادة الطفل ،
فالطبقة الوسطى والعليا يعينون بذلك اليوم
فيطبخون فيه كشكا بفراخ . ومن أمثالهم :
هو فرخة بكشك ، أى أنه عزيز كالمولود ،
لأن الكشك بالفراخ يذكر بذلك المولود ،
ثم يدقون ملحاً في هاون ، ليعتاد الطفل سماع
الصوت القوى . ويرشون في ذلك اليوم
ملحاً في البيت حفظاً له من العين ، ويغنّون :
برجالاتك ، برجالاتك ، برجالاتك ، حلقة
ذهب في اوداناتك . والرجالات جمع رجل .

ويظهر أن الأغنية مأخوذة من أغاني
البدو ، كما تدل عليه صيغة الغناء ، أى برجالك
برجالك ، تلبس الذهب . والبدو يجمعون
الرجل على رجالات ، والودن على الودانات .

وفي يوم السبوع وقبله وبعده يُشرب
المغات ، وهو نبات هندي أميل إلى الصفرة ،
ويزرع الآن في مصر أيضاً ، يُدق وتوضع
عليه بعض عقاقير يعرفها العطارون حتى يصير
ناعماً ، فإذا أريد عمله حمر في السمن ، ثم
أضيف عليه الماء حتى يغلي ، ثم يضاف
عليه بعض من اللوز المقشر المكسّر والسكر ،
ثم يعبأ في فناجين ويُشرب .

ويعتقدون أنه نافع للولادة لأنه يشدّ

أعصابها التي أنهكتها الولادة .

وعلى العموم فالיום السابع في كثير من
الحالات له تقديس خاص كسبوع الزواج
وسبوع الميت ، وإنما لم يشتهر كسبوع الطفل
عند الولادة .

السييل

اعتاد الناس أن يتقربوا إلى الله ببناء
سييل لشرب الماء لأنه كان عزيزاً ، وكانوا
يخزنون الماء في الصهاريج ، ثم يرفعونه لشرب
الناس ، وأحياناً يتفننون في عمارته تفنناً
جميلاً ، ويبنونه على شكل ضخّم جميل
« كسييل أم عباس » ، ويكتبون عليه
بالذهب ، ويجعلونه دورين ، وأحياناً ثلاثة .
ويكون هذا السييل ملجأً للمعشى .

وقد يبنون بجانبه كتّاباً ، وأحياناً يبنون
هذا السييل لشرب الحيوانات كالأحصنة
والأفراس والحمير والبغال ، مما يدل على الرأفة
بالحيوان ، والتقرب إلى الله بأكله وشربه .
وفي القاهرة أسبلة كثيرة من هذا
القبيل ، وهذه حسنة من حسنات المصريين .

السجاد العجمي

أولع بعض المصريين بالسجاد العجمي ،
يفرشونه في الحجر ، ويماقون القطع الصغيرة
منه على الحوائط ، ويفرشون منه قطعاً صغيرة
للصلاة عليها . وبالغ بعضهم فاقتنى مجموعة
منها وصرف فيها أمواله مع كثرتها . وكما
كانت السجادة أقدم عهداً بالغ في ثمنها النجار
ولو كانت مهلهلة . وقد مات الدكتور على
باشا إبراهيم رحمه الله قريباً ، وكان كل ماله
سجادة .

وهم يفضلونه على السجاد المصري
والسجاد الإفرنجي ، لأنه أمتن وأجود .

وقد اتجه قوم حديثاً إلى السجاد المصري
لما أحسن وأتقن ، واستغنوا به عن السجاد
العجمي .

السحلب

من مشروباتهم في الشتاء السحلب ،
وهو نبات يأتي من الهند ، يدقونه حتى يكون
ناعماً ، ثم يضيفونه على الماء والسكر فيربو
ويسبب الدفء .

وقد يضيفون عليه القرفة المدقوقة على
وجهه ، وقد يستعملون اللبن بدل الماء . وهو
كثير الاستعمال عندهم في الشتاء .

السخرة

السخرة كانت تطلق على نوعين :
تسخير الأهالي من غير أجر في المصالح العامة
كحفر الترع وحراسة الجسور ، خصوصاً أيام
الفيضان ، من طغيان ماء النيل ، وإما تسخير
الأهالي في أطيانهم ، كأن يؤخذ الفلاح
ومحراثه ومواشيه لحرث أرض الغني بلا
مقابل ؛ كما تؤخذ امرأته لتساعد ، وتؤخذ
حمارته ليحمل عليها التبن والعليق لمواشي
الغني ، ويؤخذ ابنه ليقف على المحراث ، حتى
إذا رأى كومة من الحشيش اقتلعها ، وتؤخذ
بنته لتساعد أمها في تجهيز الطعام لوالدها ...

ولهذا كان يهرب الفلاحون من أجل
هذه السخرة ، وسموا سنة من السنين كثر
فيها هذا الظلم في التسخير بسنة «الطفشة» ؛
فكانوا يؤرخون بها ، ولا تسمع واحداً
يذكرها إلا وهو يتحسر أو يبكي . وكان من
أنواع السخرة والمظالم «الملح» ، فقد كانت
الحكومة تحتكره وتفرضه على القرى ، وكل
قرية عليها مقدار من الملح يحدد تحضره إلى
العمدة ، وكنت ترى أسراباً من الفلاحين
يسيرون في الطرقات نحو المركز حاملين
الأكياس والمقاطف ، أو آخذين نصيبهم
من الملح المخصص لهم . وإذا لم يأخذ رجل
ملحه اتهم بأنه يستعمل الملح الخارج عن

السرية

السرية ، والجمع سرايا ، هي الجارية التي يملكها الإنسان ، ويحل له أن يتصل بها ، وقد تنسل منه أولاداً فتسمى إذ ذاك أم ولد ، وكثيراً ما تعتق الأم عند ما يفظم الولد لإرضاء لها . وبعض الزوجات تمنع أم الولد من الدخول في البيت بعد ذلك غيرة منها ، ولسكى ينساها الولد ولا يتعلق بها .
(انظر جارية ورقيق)

سعة الرزق

من أراد أن يوسع عليه في رزقه ويقبل عند الخلق ، فليدع هذا الدعاء عقب كل صلاة ، خصوصاً بعد صلاة الجمعة :

بسم الله الرحمن الرحيم ... يا الله ،
يا واحد ، يا موجود ، يا جواد ، يا صمد ،
يا باسط يا كريم يا وهاب ، يا ذا الطول
والإحسان يا حنان ، يا منان ، انفضح منك
بنفحة خير ، تغفني بها عن سواك إنك على
كل شيء قدير . إن تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح . إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ... ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق . إن نصرمك الله
فلا غالب لكم . نصر من الله وفتح قريب ...
اللهم يا غني اكنفني بحلالك عن حرامك .
واغنني بفضلك عن سواك واحفظني بما

احتكار الحكومة ، وهي تهمة فظيعة . وقد أبطل رياض باشا أيام كان رئيساً للوزارة في عهد توفيق باشا السخرة بأنواعها ، وعاقب من سخر الناس في مزارعه ، ولو في مزرعة الخديوي ، ولذلك كرهه الأغنياء ونقموا عليه ، واتهموه بأنه خسر الفلاحين عليهم ؛ كما يتهم اليوم من يريد تعليم الشعب . وفر كثير من بلادهم وتركوا أوطانهم هرباً من الضرائب المتواليمة ، رسمية كانت أو غير رسمية ؛ أو هرباً من السخرة . وكان من نتائج هذا أن تظاهر الناس بالفقر ، فيرتدون الثياب القديمة ويسيرون على أقدامهم بدل الركوب خوفاً من أن تلمح الحكومة فيهم التفتي فيتقل عليهم الضرائب .

السرطان

يطلقونه أحياناً على حيوان ردي يكون في البرك ، يدخل في بطونهم مع الماء فيكبر فيها . ومن أجل ذلك لا يشبع صاحبه مهما أكل .

وهو ما كانت تسميه العرب قديماً « الصفر » . وفي الحديث « لا عدوى ، ولا هامة ، ولا صفر » . وربما أطلقوه على ما يسمى هذه الأيام بالدودة الوحيدة . ثم أطلق هذه الأيام على نوع من الورم الخبيث لا يزال ينمو حتى يموت صاحبه . ولم يوقف الآن على دواء له .

السفر

السفر قطعة من العذاب ، وهم يكرهونه ويكرهون الرحلة من بلدهم إلى بلد آخر ولو في قطرم ، فلا يرضون أن يرحلوا ولو ضاقت بهم المعيشة ؛ ولذلك قل أن تجد مغامراً يذهب من جهة إلى جهة أخرى . وقد كان اللورد كتشير يريد أن يعمر جزءاً من أراضي البحيرة فخب إلى الفلاحين الانتقال إليها ، ورغب كل أسرة بملك خمسة أفدنة ، وتسهيل الزراعة عليهم ، فلم يفلح مشروعه لالتصاق الفلاحين بالطين . وكل يوم نسمع بكاء وشكوى من موظف انتقل من القاهرة إلى بلدة قريبة منها أو بعيدة ، ومصالح الحكومة كانت مملوءة بالرجاءات من هذا القبيل . وكثير من أوقات الوزارة وكبار الموظفين كانت ضائعة في هذه الرجاءات . بل قد كنت يوماً منتدباً في وظيفة بوزارة المعارف فكنت أرجي كثيراً في نقل موظف من شبرا إلى السيدة زينب ، ومن العباسية إلى شبرا ، ليكون الموظف بجوار بيته ؛ وكنت أعتاظ من ذلك غيظاً شديداً . وحُدثت أن هذه العادة موروثه عن قدماء المصريين ، فقد كانت هذه أخلاقهم . وصادف أن لى ابناً أرسل في بعثة إلى إنجلترا فكانت أمه تطيل البكاء عليه ولو كان في

حفظت به الروح في الجسد ، وانصرتي بما نصرت به الرسل ، ولا تشمت بي أحداً إنك على كل شيء قدير .
ولهم حكايات شعبية كثيرة تدل على أن الاعتماد على الله والطلب منه خير من الطلب من الأغنياء ، كما أن لهم حكايات تدل على الاشتمزاز من سعة الرزق ، كالذي سمعته أمس من أن امرأة رجل غني عاتبته في أنه يشتغل طول يومه في الأعمال ولا يسعد أهله في الجلوس واللعب معهم ، وأرته رجلاً فقيراً وزوجته يسكنان في كوخ أمام القصر ، كان يصنع المزامير من القاب ويعطيها لامرأته تبيعها ، وبعد أن تبيعها تحضر له خبزاً وجلافاً كلان ثم يغنيان ويرقصان . فناداه الغني وعاتبه على أنه لا يزوره ، فقال له : نحن قوم فقراء ، وإذا طلبنا شيئاً فن الله ولا حاجة لنا إلى مخلوق . والمعيشة معدن والله الحمد . فنفضه الغني بثلاث وورقات بثلاثمائة جنيه ، وقال له : حسن بها حالك ، فذهب إلى زوجته وأخذها يقلبان النظر فيما يتاجران فيه : إن تاجرا في البيض فقد يمشش ، وإن تاجرا في الغنم أو البقر فقد تموت ، وهكذا ظلا يقلبان النظر فيما يعملان . وعلاهما هم وتركوا الزمر والرقص . وأخيراً ذهب الفقير إلى الغني ورد له الثلاثمائة جنيه ؛ وعاد يزم ويرقص !

السقا

كان يحترف توزيع الماء على البيوت قبل دخول الحنفيات فيها . والسقاءون يحملون القرب على ظهورهم من الجلد مملوءة بالماء الحلو أو المالح . وقد يحملونها فارغة ومعهم برميل كبير مملوء بالماء ركبت فيه حنفيات من الخلف ، يجره حصان أو حمار . فإذا ناداهم أحد فتحوا الحنفية وملؤا القربة . والسقاء ينادى « سَقًا عوض » ولا أدري معناها . وهو يعامل أصحاب البيت بإحدى طريقتين : إما بشرطة على الباب كلما أتى بقربة خطّ خطأ ، وهذه عرضة المسح ؛ وإما بخزرات زرقاء يعطيها لصاحب البيت — كلما أتى بقربة أخذ خرزة ، فإذا انتهى الخرز علم أنها أخذت عشرين قربة مثلاً . وقد كان سقاء الحرير هو رئيس الخدم وقد زالت هذه الحرفة بانتشار الحنفيات في البيوت وإنشاء حنفيات عمومية . ومن عادة المصريين إذا رأوا بغاء أن يقولوا له : « أبوك السقامات » . ومن أمثالهم أيضاً « جوزها سقا وتبات عطشانة » ؛ وأحياناً يحمل السقاء قربه على حمار ، أو قرتين أو أكثر على عربة صغيرة .

هذا مصلحته . وتود لو استطاعت أن يوظف بجانبها .

وتسمع الغرائب في مغامرات الأوربيين وحبهم للارتجال ، وربما كان من أسباب ذلك أيضاً أننا لم نتعود الحروب والأسفار والمهجرات التي تتطلبها ، وربما كان أيضاً من الأسباب أن أكثر المصريين فلاحون زراعيون ، والزراعة تتطلب القرار ، والاتصاق بالأرض . ويكثر في أغانيهم الرغبة في الرجوع إلى الوطن والشكوى من الغربة . ويكثر المصريون أيضاً من شكوى فراق المحبين في شعرهم وزجلهم مثل أغنية « يا وابور قوللى رايح على فين » ونحو ذلك . وربما كانت هذه عادة المحبين دائماً قديماً وحديثاً .

السفرجية

السفرجي هو الذى ينظم المائدة عند تحضير الأكل ، ويقدم أطباق الطعام ؛ وهو منسوب إلى سفرة ، نسبة تركية ؛ والسفرة عند الأتراك المائدة .

والغالب أن يكون أكثر السفرجية من النوبيين لإتقانهم هذا الباب .

سكران طينة

يقولون للمفرد في السكر: سكران طينة
ولعلمهم يريدون أنه سكر وأفرط في السكر
إلى أن صار فاقد الشعور كالطينة . أو
يريدون أنه لفرطه في السكر قد صار فاقد
الشعور فيقع في الطين . وقد ورد هذا
الاستعمال في بعض الشعر المتقدم .

السلطان سليم

هو السلطان سليم العثماني ، وإنما
عطينا بترجمته لأن ما نال مصر على يده ويد
خلفائه أثر فيهم تأثيراً كبيراً ، حتى إن كثيراً
مما نراه في أخلاق الشعب المصري إنما
هو أثر من آثارهم . وقد أتى بعد المماليك
الشراكسة (انظر شركسى) .

وقد دخل القاهرة في جنود كثيرة
وموكب عظيم . وقد جمع الأمراء الباقين
على الحياة وأمنهم على حياتهم بعد أن وبخهم
على مقاومتهم ، وبصق في وجوههم ،
وأمر بجسهم في القلعة ، ثم أمر بضرب
أعناقهم . وفي يوم آخر قتل أربعة
وخمسين أميراً ، وصارت أجسامهم مرمية
على الأرض تنهشها الكلاب والذئاب
وتفسد الجو ، حتى صار النساء يعطين

المشاعلية «حالي المشاعل» أموالاً كثيرة لدفن
أزواجهن . وفي تلك الأيام زاد الطين بلة
هجوم البدو من العرب للسلب والنهب والقتل
في البلاد ، وأغاروا على عدة بلاد من بلاد
الشرقية ، ونهبوا ما فيها من مواش وأدوات ،
وسبوا النساء والصبيان وباعوهم بأبخس
الأثمان . حتى قال شاعرهم :

يادهر بع رتب المعالي مسرعا

بيع الهوان ربحت أم لم تربح

قدم وأخر من أردت من الهوى

مات الذي قد كنت منه تستحي

وشنق بعض الأمراء ، وكانوا محبوبين فكثرت

عليهم الحزن والأسف . وقد خلت البلاد

للسلطان سليم وتمكنت الدولة العثمانية من

الديار المصرية فصارت مصر ولاية بعد أن

كان سلطانهم أعظم السلاطين . ذلك أن

السلطان سليمان أناب عنه (خير بك) ،

وترك بمصر خمسة آلاف فارس وخمسمائة من

رماة البنادق والرصاص . ولما خرج خرج

معه ألف جمل محملة من الذهب والفضة ، غير

التحف والنحاس والصيني والخيول والبغال

والإبل وقد سلبت رجاله ووزراه من مصر

وبلادها ما لا يدخل تحت حصر .

من عادى عدواً من المصريين دس إليه عند
العثمانيين . ونهبوا القماش والسلاح والخيول
والبغال والجوارى والعبيد من كل شيء
جليل ، ونهبوا الذهب والسروج الذهبية
والبلور والعقيق والخلع المطرزة بالذهب
ثم تغالوا حتى أخذوا أموال الأوقاف ، ولم
يردعهم أحد ؛ فغالوا في الضرائب ، وأخروا
صرف ماهيات الشراكية نحو ثمانية أشهر
ثم دفعوا لهم منها شهرين ؛ وقتلوا الكلاب
الكثيرة حتى قال قائلهم :

تأملوا ما جرى بمصر

من حادث عم بالعذاب

فما رعى الترك في دماء

فكيف يرعوا دم الكلاب

وقد نظم ابن إياس في ذلك قوله :

نوحوا على مصر لأمر قد جرى

من حادث عمت مصيبته الورى

زالت عساكرها من الأتراك في

غمض العيون كأنها سفة الكرى

(يريد بالأتراك الشراكية الذين أزال

ملكهم العثمانيون)

وأنى إينسا عسكر سيام

حلق الذقون ولبس طرطور يرى

لا يعرف الأستاذ من غلمانه

وأمرهم بين الأنام تحقرا

ولحق مصر من الضرر الشامل مدة
إقامة عساكره بها ما لا يوصف ، وعمت
البلية ، وبطل منها نحو خمسين صنعة . ولم
يجلس في القلعة ، ولا أنصف مظلوماً من
ظالم ، بل كان مستغرقاً في لذته وسكره ،
مقيماً في المقياس بين الصبيان المرء ، وترك
الحكم لوزرائه ، ولم يكن يظهر إلا وقت
سفك الدماء ، وعساكره دينيون قذرون
يأكلون في الأسواق على ظهور الخيل ،
ويتجاهرون بقلّة الدين وشرب الخمر ، وغالبهم
لا يصلى ولا يصوم ، وليس لهم أدب ولا
ذمة ، ومع ذلك فقد أسعده الحظ ، واتسعت
مملكته من الفرات إلى مصر . وأخذ معه
ابن السلطان الغورى . وقد أرسل إلى
القسطنطينية قبل خروجه كثيراً من علماء
مصر وأشرفها وتجارها ، وعدداً من أهل
كل حرفة ، فتعطل بمصر كثير من المصالح .
ومن خوف الناس من جنوده كان الأعيان
يستأجرون بعض العثمانيين ليحفظوا بهم
بيوتهم ، وصار هؤلاء الجند العثمانيون إذا
رأوا رجلاً ماشياً في الطريق قالوا إنه شركسى
يريدون الفتك به ، فيستشهد بالناس أنه
ليس بشركسى ، وإنما هو مصرى ،
فيقولون له : اشتر نفسك من القتل بدفع
شيء من المال ، فيفعل ذلك ؛ وصار كل

قد جاء لابن عباس شعر قاله

لكن منه النظم يحكى جوهر الخ
وقد توالى على مصر ولادة طغاة يعينون
من قبل السلاطين العثمانيين . ونقرأ تاريخهم
وأحداثهم في مصر فنرى مع الأسف سلسلة
من المساوىء ، ونقرأ تاريخ ابن عباس فيفزعنا
ما يقول . وقد كان إسلام أكثرهم إسلاما
ظاهريا ، فالإسلام عندهم جلوس في أدب عند
سماع القرآن ، ووضع مصحف صغير في علبة
ذهبية أو فضية من غير مراعاة لعسل
ولا صرف . وأكثر ما ترى في تاريخهم
سفنك في الدماء ، وإسراف في المال
والشهوات ، وكثرة المصادرات ، ويعتقدون
أنهم يستطيعون أن يكفروا عن كل هذه
السيئات ببناء مسجد أو سبيل ، كالذى حكى
أن أحدهم عمّر مسجدا اغتصب أكثر مواده
من حجارة ورخام وأخشاب من مساجد
وبيوت أخرى ، حتى أطلق عليه المصريون
الفكهون « المسجد الحرام » .

فقال ابن عباس : « إن المصير بين طويلو
الأسنة ؛ نعم إنهم طويلو الأسنة كثيروالنندر
قصيروالفعال » . وقال مرة أخرى لرجل
منهم إنه ظلم ظلما كثيرا ثم حجج . معتقدا أنه
كفر بذلك عن سيئاته ؛ فقال قائل :

جل الإله مصدقا عما حكى

في سورة الروم العظيمة أخبرا
ولاه رب العرش سلطانا على
مصر وهذا الأمر كان مقدرا
لهفى على الأبواب كيف تكسرت
وخلت أما كتبها وصاحبها سرى
لهفى على نهب القماش وبيعه
وبأنحس الأثمان صارت تُشترى
لهفى على فك الرخام ونقله
من كل بيت كان يبدو مزهرا
زالت محاسن مصر من أشياء قد
كانت بها تزهو على كل القرى
لهفى على الفرسان كيف تقطعت
أعناقها بيد العدو إذ افترى
صارت على الطرقات من أجسادهم
رماحكت عيد الضحى الأكبزا
لهفى على ذلك الحريم وهتكه
من بعد صون فى الحريم مخذرا
لهفى على عيش بمصر وقد خلت
أيامه كالحلم ولّى مدبرا
يا رب إنا بالنبي المصطفى
والأنبياء وكل سادات الورى
نسألك كشفاً للكروب بسرعة
واعف عن الإجرام عفا واغفرا

حجبت البيت ليتك لا تحجج

فظلمك قد فشا في الناس ضجوا

حجبت وكان خلفك حمل ذنب

رجعت وفوق ذلك الحمل خرج

(انظر بدائع الزهور لابن عباس)

ثم كان الولاة الذين تولوا بعده ظلمة
قساة جبارين نهابين مرتشين مما أذل
المصريين ، وحقر نفوسهم ، ولا تسأل عما
كان يفعله الكُشاف والملتزمون وغيرهم من
الأتراك العثمانيين ، حتى إن العوام أكثروا
من الأمثلة وتناقلوا الحكايات التي تدل على
ظلمهم وغبائهم ورشوتهم وتدينهم ديناً ظاهرياً
ونحو ذلك .

نعم إنهم امتازوا عن المصريين بالنظافة
والجمال والأناقة في المعيشة . ولكن هذا
لا يقاس بجانب جبروتهم وسوء سلطانهم ،
فربما كان تأثيرهم السيء في المصريين
أكبر أثراً .

وقد حكموا قرناً طويلاً قابلها المصريون
بصبر عجيب ، حملهم عليه في الغالب طبيعتهم

واتحادهم في الإسلام . ولذلك لم يتحملوا جزءاً

منه من الفرنسيين لخالفتهم للمصريين في

الدين ؛ فظلت كل يوم ثورات تقض مضاجعهم

حتى خرجوا . وكذلك الأمر مع الإنجليز .

لقد لقي المصريون كثيراً من العذاب

والذل في العصور المختلفة ، من فراعنة ،

ويونان ، ورومان ، ومن ابن طولون في

عسفه وخفخته ، ومن الإخشيديين في ذلتهم

وضعتهم ، والفاطميين في تحريفهم وكثرة

سفكهم للدماء ، والأيوبيين في الخلاقات

الشديدة بينهم وزجهم المصريين معهم ،

والماليك في طيشهم وغرورهم . ولكن هذا

كله لا يساوى ما لقي الشعب المصري من

العثمانيين . فقد حط عليهم من الهم والغم

والذل ، والنفخة الكذابة ، والخنوع للألقاب

والرتب ، وتقويم الناس بحسب أطيانهم

لا بحسب ملكاتهم ، ما لم يكن له نظير وما

بقي أثره إلى اليوم .

ولذلك كان انفجارهم في العهد الحاضر

انفجاراً عظيماً ، يدل على تحملهم الكثير .

السن

و بعض الأوربيين عادة يأفون من ركوب بعض « السلونين » معهم في السفينة أو في قطار أو في مطعم .

وهذه العادات كلها سائرة إلى الفناء .
ومن هذا القبيل ما كانت عليه المرأة من المبالغة في احترام زوجها ، وقد كانت منذ سنين تقف أمامه لتتلقى أوامره وتدعوه يا سيدي ، ولا تستطيع أن تأكل معه ، وقد تقف أمامه عند الأكل بالكباية فيها الماء وتخضع له أكثر من خضوع الخادمة له ، وتتخذ كل الوسائل لنيل رضاه وتوفير أسباب السعادة له . ثم تغير الحال فبدأت بالمساواة ، ثم بخضوع الرجل للمرأة .
والله بالمستقبل عليم .

السهرات

كان في الزمان الماضي تقام سهرات خاصة في بيوت خاصة ، يدعى إليها نخبة من الفتيان والفتيات ، يقضون لياليهم في البيوت في أنس ، وسمر ، وترف ؛ وقد يقودون بعض أصحابهم معهم .

ولسكى يحتفظوا بسرية هذا كانوا يعصبون أعينهم ويركبونهم عربات إلى البيت المقصود ، فإذا وصلوا فكنت العصابة ،

كان المصريون قبل هذه الأيام يحترمون السن احتراماً كبيراً ؛ فالصغير يحترم الكبير والأولاد يحترمون آباءهم ، فلا يدخنون أمامهم ، ولا يرفعون صوتاً عليهم ؛ وأكبر الإخوة عادة يقوم مقام الأب . وإذا دخل كبير الأسرة عليهم وكانوا يدخنون أخفوا السجائر . وكانوا في القديم إذا مر سن محترم على رجل وهو يدخن شُبُكا وضعه بجانبه لإخفائه . ومن هذا القبيل احترام الرؤساء .
فن لم تكن له رتبة احترم ذوى الرتبة ، والفلاح يحترم العمدة أو شيخ البلد ، وإذا مر فوجد العمدة نائماً على الباب لم يستطع أن يمر عليه ، وإذا كان راكباً نزل عن ركوبته .
وعلى العموم يحترم من هو أقل سناً من هو أكبر منه سناً ، ومن كان من طبقة ، الطبقة التي هي أعلى منه ، وهكذا ... ويظهر أيضاً هذا الاحترام في المحادثات ، فن كتمب لمن هو أكبر سناً أو جاهاً افتتح خطابه بقوله أبى أوسيدى أو والدى ، وإن كان نظيره قال له أخى .
ومن هذا القبيل تعاضم الجنس ؛ فقد كان الإنجليز في السودان يحرمون على أهل البلد أن يسيروا أمامهم وهم ركوب ، بل لا بد أن ينزلوا عن ركوبتهم احتراماً لهم .

سور القرآن

يعتقدون أن سور القرآن وآياته ليست للدعوة الإسلامية ، ولكن لكل سورة خواص ، كالشفاء من الأمراض ، والسعادة ، ومواجهة الحكام ، فيقولون مثلا : إن من أراد أن يصلح بين زوجين أو أخوين متخاصمين ، فليكتب في قرطاس بماء ورد وزعفران وشيء

من مسك : بسم الله الرحمن الرحيم . محمد فلان بن فلانة لفلان بن فلانة ، أو فلانة بنت فلانة طاعة لله ولفاتحة الكتاب . مالك يوم الدين الخ » ... وهكذا . ويكون في حالة الكتابة بخور عودولبان ذكر . ويقولون في آية الكرسي مثلا : من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت . ومن قرأها عند النوم لم يقربه شيطان تلك الليلة . ويقولون إنك إذا أردت هلاك عدو أو خراب داره فاقراها عدد حروفها ، وقل بعد ذلك . يا قاهر يا ذا البطش الشديد .

ويقولون في الوقاية من العين (يكتب ويحمل بعد البسملة) : خرجت عين الحسود من أحداق بيض وسود ، قل أعوذ برب الفلق الخ . . .

ومما يكتب للعين والنظرة ويعلق على

وبعد الانتهاء يعودون كما جاءوا ، لئلا يعرفوا في أى مكان كانوا ... وكانت تذايع أخبار غريبة عن رجال من الجيش يدعون إلى بيت كبير ، يتوصل إليه بسرداب ثم لا يظهر لهم أثر بعد . وقد أخافت هذه الشائعات أناسا كثيرين من إجابة الدعوات إلى هذه السهرات السرية .

سوارس

كان في القاهرة عربات كبيرة مسقوفة تحمل الركاب من شارع إلى شارع ، يجرها جياد ، وربما سميت سوارس باسم منشئها ، كميدان سوارس الذى سمي باسمه ؛ وكثيراً ما يكون الركاب على الجانبين ، وفي الوسط توضع الزكائب والأخراج والقفف فيصعب على المار أن يتخطاها . وكثيراً ما تحدث منازعات بسبب ذلك . وقد حدثت لى شخصياً حادثة من هذا القبيل ، إذ كنت أحمل بيدي كتاباً من أربعة أجزاء وأردت أن أخطو القفف فلمست رجلى امرأة فسببت ، فلما زجرتها صوتت ، وكان ما كان مما لست أنساه . وقد جرت الحادثة إلى المحاكم .

والبيع والشراء تغلب عليهما الماكسة ،
فالشئ إذا كان بخمسة قروش قال البائع إنه
بثلاثين ، فيقول المشتري إنه بخمسة ، فلا يرضى
البائع ولا يزال المشتري يزيد قرشاً فقرشاً حتى
يكتفى ، وذلك كما كسة الإنجليز عند المعاهدات ؛
ولا أدري أخذوها من أم أخذناها عنهم .

ويلحق بذلك الباعة المتجولون وهم
يبيعون أ كثر الأشياء ، فمنهم من يبيع
المأكولات ، ومنهم من يبيع المشروبات ،
ومنهم من يبيع الملابس ، ومنهم من يبيع
الخردوات . وهم أكثر من أصحاب الدكاكين
بما كسة . وهم عادة يبيعون الأشياء أرخص ،
لأنه ليس عليهم إيجار دكان ، ولا إيقاد أنوار ،
ولا أجرة عمال ، ولا دفع ضرائب . وكل
ذلك موفور عليه . وبعضهم ماهر في الماكسة
والخداع ، وأكثرهم من الصعايدة .

سوق العصر

كان في جوار بيتنا بالمنشية سوق يعقد
بعد عصر كل يوم ، ومن أجل ذلك سمي
سوق العصر ؛ وهو خلف جامع السلطان
حسن . وكنت ترى فيه أنواعاً مختلفة من
السلع ، فهذا يفرش فرشة عليها مطاوي
ومقصات وفتاحة علب وسكاكين وقطع
من الحديد المختلفة ، وهكذا . وهذا يبيع
مأكولات كالكرشة والسقط ، وهذا يبيع

الرأس هذه السور الثلاث التي ليس فيها كاف
سورة العصر ، ولا يلاف قريش ، وقل أعوذ
رب الفلق . وهكذا لكل سورة وآية فوائده .
ومن ذلك أيضاً إذا أريد حبس المطر
في أوقات الضرورة « فليقل إن الله يمسك
السموات والأرض أن تزولا . يا أرض ابلى
ماءك ويا سماء أقملى ، وغيض الماء . اسكن
أيها الغيث كما سكن عرش الرحمن ... وله
ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم »
وقد ألف فيه كتب كثيرة . وفي تفسير
الزنجشري في آخر كل سورة بيان لفوائدها .
وقد اشتهرت على الخصوص سورة يس
والواقعة وتبارك وقل هو الله أحد لقضاء
أغراض شتى .

السوق

يكاد يكون لكل حى سوق ، يكون
فيه البقال والجزار والخضري والفكهاني و بائع
السجاير ونحو ذلك .
وهناك أسواق عامة كبيرة للأحياء كلها .
وربما كان السوق لشئ خاص دون غيره ،
كالصاغة لبائعي الحلى ، والتربيعة لبائعي
الدهانات والعطور . والكعكيين لبائعي البلق .
والغورية لبائعي العقاقير ، والموسكى لبائعي
الأقمشة . وهكذا ... فمن أراد شيئاً قصد
سوقه واشتراه .

البیض والسمیط ، وآخر یبیع النحاس ، وحاو یمجم الناس علیه ، وآخر یبیع المراتب والألحفة والأسرة ، وآخر یسن السكاكين والمقصات ، وهذا یلعب الكتشیبة لعبة ماهرة ، حتى قلّ أن یصیب اللاعب فی لعبه . وهكذا كان السوق معرضاً صغیراً للأدوات والمأكولات والمفروشات المنزلیة وینعقد إلى المغرب كل يوم .

وكان لی فی المرور علی البائعين تسلیة كبيرة وإن لم أشتر شیئاً خصوصاً فی عصر رمضان .

السید احمد الكنفانی

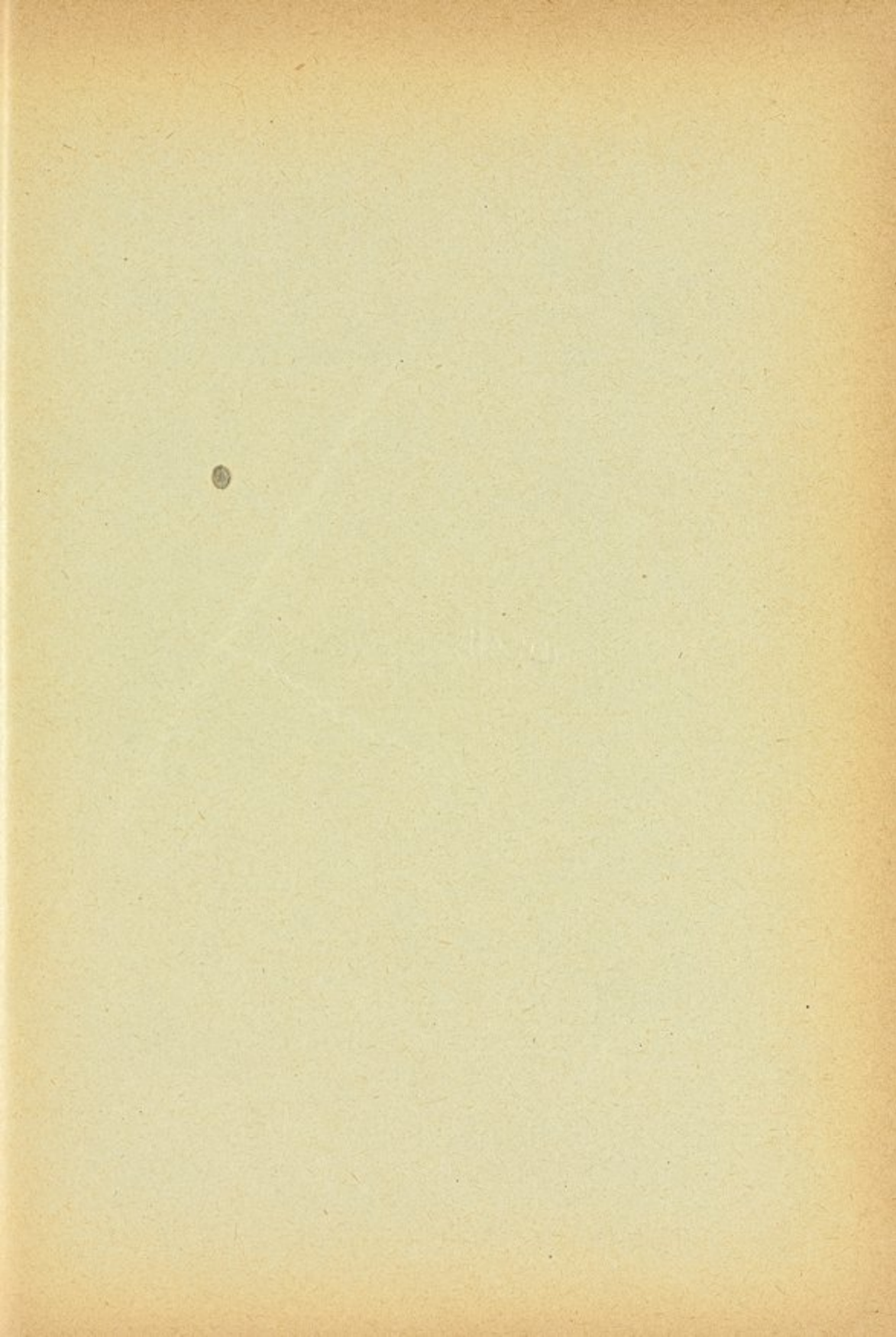
كان رجلاً بديناً یبیع الكنافة عند باب المتولی ، یلبس قفطاناً وعمة من غیر جبة ، واشتهرت كنفاته بالجودة ، واشتهر أيضاً بأنه عنده دواء یشفى الإجزیما والقوبة . وحدث أحد الأطباء الكبار أن خادماً له أصیب بالإجزیما واشتد علیه المرض فوصف

له العلاج فلم ینجح ، ولكن عجوزاً ذهبت به إلى هذا الرجل ، ومن الغریب أنه شفی تماماً . وربما كان علاجه نوعاً من الأدهان تنفع فی هذا المرض ولكن الغریب أن الذی یقوم بهذا العلاج هو « كنفانی » .

سیدی الأربعین

عند القاهریین شیخ مشهور ، یرسمى سیدی الأربعین . یدعون أن له أربعین مقبرة ، والأربعون كناية عن الكثرة ، وليس المراد بها العدد المخصوص . والسبب فی كثرتها أن صاحب البیت إذا وجد الناس یبولون فی ركن من أركان بیته أو حارته فتمنهم فلم یقبلوا احتیال بین لیلة ونحهاها فادعی أن فی هذا المكان سیدی الأربعین ، وبنی ضریحاً صغیراً ، وادعی أن فیة شیخا ، فامتنع الناس عن البول فی هذا المكان . ولذلك تراه كثيراً فی أركان القاهرة .

حرف الشين



شال

هو أنواع كثيرة : منها الشال الكشميري نسبة إلى كشمير . ويستعمل الشال الكشميري في مناسبات كثيرة ، كلف خشبة الميت ، وتعطية العروس عند دخولها إلى بيت زوجها ويلبسه بعض العلماء للتدفئة في الشتاء ، ويهدى للمأذون إذا عقد عقداً لقوم أغنياء ، والأمرء والأغنياء يحتفظون بصندوق مملوء بهذه الشيلان للإهداء منها في المناسبات . وهناك شيلان أخرى غير كشميرية ، فشال من نسج رفيع يتعم به ، وشال من قطن أو صوف تلفه المرأة على رأسها أو تضعه على كتفها في الشتاء ، وقد يلبسه الرجال في الأرياف .

ويتغزل الصاعدة في المرأة تلبس الشال ، ومن أغنياتهم المشهورة هذه الأيام : « يا أم شال أحر قطيفة يا أم شال » . ويسمون بعض الشيلان الشال الغاباني ، وأصله ياباني ، وهو مشجر كالشال الكشميري ، ولكنه أرخص منه .

شبكة

(انظر حب) .

الشبك

عود خشبي طويل ، ركب في آخره قطعة من الخشب القوي مجوفة كالبلوط ونحوه يوضع فيها الدخان ، وقد كان منتشرأ في مصر ، وكثيرأ ما كنا نرى الأغنياء يخرجون ووراءهم الخادم يحمل الشبك ليستعمله سيده إذا جلس في الدكان أو في البيت . ويبلغ طول الشبك نحو متر ، ويتفنن فيه أصحابه ، فقد يغطي بالحرير الذي تحليه سلوك ذهبية . ويكون فمه عادة عند الأغنياء من الكهرمان ، وقد يرصع بالأحجار الكريمة ، وكان يحترف كثير من الفقراء حرفة تسليك الشبك . فيسمى محترفوا هذه الحرفة « المسلكاتية » فكنت ترام في الطريق يحملون مقظناً أو وعاء فيه سلوك ممتدة . ومن هذا القبيل الشيثة أو النرجيلة ، وكان يقضى المصريون في شر به أوقاتاً طويلة . وقد أطلق على مصلح الشبك للأغنياء ، الشبكشي . وهي نسبة تركية . ولا يزال إلى اليوم عائلات كثيرة تسمى بالشبكشيتية .

شجرة العذراء

هي شجرة عتيقة في جهة المطرية . يحج إليها المسلمون والنصارى على السواء ، ويتبركون بها ويدعون الدعوات لاعترافهم في استجابتها عندها .

الشحاذون

ينتشر الشحاذون في مصر انتشاراً كبيراً على أشكال وأنواع . فمنهم من يتجول في الشوارع والحارات ، ومنهم من يقف على أبواب الأولياء والمساجد ، ومنهم من يتربص غفلة الناس فيأخذ النذور وليس عملهم إلا نوعاً من الشحاذة . وهم كثيراً ما يستخدمون الدين في الشحاذة . فيدعون دعوات دينية تدعو إلى الكرم والإحسان . وقد يستخدمون وسائل موسيقية كالضرب بالدف ، والتغنى بمدح النبي صلى الله عليه وسلم . ومنهم في العصر الحديث من يتخذ حرفاً شكلية لا قيمة لها كالوقوف أمام السيارات ، وعند الخروج من الملاهي ونحو ذلك . وكان مقتضى جوع مصر وإمكان الاكتفاء بقليل من المأكولات ومقتضى ثروة البلاد أن يكون الشحاذون أقل من هذا ، ولكن كثير منهم اتخذها حرفاً . وهم يكثرون عادة عند ما يستطيعون

أن يستفوزوا عواطف المسلمين للإحسان كأوقات زكاة الفطر ورمضان والعيد الكبير وغير ذلك . ومنهم من يدخل المساكن ويستجدي ، ويتصنع الفقر والبؤس إما بالعرج أو بالعمى أو بأفة نزلت به ، كالجرب والبرص أو بمحادث نزل به كقطع يده ورجله ونحو ذلك وكلما جهدت الحكومة أن تمنعهم بالتقنين بمنع الشحاذة وجمعهم في الملاهي ذهبت أعمالها في هذا السبيل أدراج الرياح وعاد الشحاذون كما كانوا .

وهناك شحاذة أخرى أرقى من هذه وهي الرجاوات لتعيين نسيب أو قريب في الحكومة أو نقله من مكان بعيد إلى القاهرة وهناك أنواع أخرى كالذين ينتظرون ترقية شخص فيكتبون له قصائد في التهنية أو المدح . ومن ينتظرون مؤلفاً يخرج كتاباً فيرجون في إهدائه لهم . ومرة طلب إلى أحدهم أن أهديه كتابي فجر الإسلام وادعى أن حرامياً سطا عليه وأرسل إلى زجلا يقول فيه :

طبق في البيت ولا خلى

طبق في البيت ولا خلى

ويعتذر بذلك عن عدم قدرته على شراء الكتاب . ومثل ذلك الموظفون في المكتبات

في عظمة وغطسة . ومن الأمثال الشائعة
أنهم يقولون : « حسنة وأنا سيدك » .

ويحكون أن تركيا افتقر فأتى بإيريقين
ليشرب منهما المارة ويعطونه إحساناً . فكان
كلما تقدم أحد من إناء ليشرب منه زجره
وأمره بالشرب من الآخر ، إظهاراً لعظمته
وسيطرته .

ومن هذا الباب الشحاذة بالقرآن
أو القصائد النبوية ، فكثيراً ما تجد في الشوارع
رجالا وفتيات يقرأون القرآن للشحاذة وكثيراً
ما تجد في الحارات رجالا ينشدون القصائد
النبوية ومعهم الدف يضربون عليه للسؤال .

الشربات

من المعتاد أن يقدم « الشربات » في
المناسبات المفرحة وهم يصنعونه من أشياء
كثيرة من الماء مذاها فيه السكر مع ماء الورد
أو ماء زهر البرتقال أو عصير البرتقال أو
الليمون الخ . ويستعمل المصريون خصوصاً
بعد الأكل (الخشاف) وهو ماء محلى بالسكر
وضع عليه الزبيب والصنوبر والتين والبلح
والعنب .

وقد يباع هذا الشربات في الطرقات كما
يباع أيضاً الخروب والعرقسوس ، وهم عادة

العامة ، فلا يسمعون بمؤلف إلا ويطلبون
منه إهداء كتبه كأن المؤلف ألفها للإهداء
إلى غير ذلك .

واشتهر شحاذو السيدة زينب والسيد
البدري بالإلحاح في الطلب ، فيقولون إذا رأوا
ملحاً « زى شحاتين السيّدة ، أو شحاتين
السيد » . وبعض الشحاذين يظهرون الفقر
ويلبسون الأخلاق البالية مع أنهم قد يكونون
جمعوا من شحاذتهم أموالاً طائلة ، ثم هم
لا يكفون عنها كأنها حرفة شريفة . والعادة
أن يسأل السائل بألفاظ كثيرة مثل أعطني
حسنة لله . فيجيب الآخر بالعباءة أو يقول
له : الله يمن عليك — وعلى الله ، إذا أراد أن
يصرفه . وما يجري من حكايات الشحاذين
أن أحدهم يقول إنها حرفة مربحة ، فهو
يستطيع أن يسأل ألفي شخص فهب أن ألفاً
وستائة مسئول قال على الله . فيبقى أربعائة
يعطيه كل رجل قرش تعريفة ، فتصير
مائتي قرش .

وقد جرت العادة أن بعض المحسنين
يحسن بالطعام واللباس خصوصاً في رمضان ،
وبعضهم كان يحسن بالمليم ، فلما فقد الملیم قيمته
صار أقل ما يحسن به القرش . وأصبح الشحاذ
يأنف أن يأخذ ملياً أو مليمين . وينسبون
إلى الأتراك أنهم قد يقعون في الفقر ويسألون

كثير من الشركسيات الجميلات ، يسترقن
ويبعن في الأسواق للأمرء والأغنياء .

وفي الحكم العثماني كان منهم جنود
كثيرون يسمون الشركسة ، ومن غريب
أمر هؤلاء الجنود أنهم انقسموا قسمين :
قسم يقال له الفقارية ، وقسم يقال له القاسمية
وبينهما عدا ، كما انقسم الفلاحون والعربان
إلى سعية وحرامية .

وقد كانت الفقارية مشهورة بالغنى
والكرم ، والقاسمية بالغنى والبخل . واختص
الفقارية باللون الأبيض ، فراكبهم وأوانيهم
وكل شيء يستعملونه أبيض بعكس القاسمية
فقد تميزوا باللون الأحمر فبرقتهم أحمر وأوانيهم
ومفروشاتهم حمراء . واشتد النزاع بين الفريقين
كما اشتد بين السعية والحرامية . وكثر
الخراب بسببهم ، وهكذا انحلت الأمة المصرية
من قديم .

وقد ورثنا عنهم إلى الآن نوعاً من الإدام
يسمى الشركسية ، وهو طعام عماده الرز
والفراخ . ولا يزال إلى اليوم عائلات ، كثيرة
في مصر من أصل شركسي ، يتميزون ببياض
الوجه وحمرة وطابع خاص بهم ، ونظافة في
بيوتهم وغير ذلك .

يقدمونه في الأفراح ككُتَب الكتاب
ويسمون بأئمة الشربلى . وفي المدن دكاكين
كثيرة يباع فيها الشرابات . وأحياناً يسقونه
وفاء لنذر كريض نذر أهله إن شفى أن
يسقوا الشرابات . وقد غزته أخيراً الكولا
والببسي كولا . ويقولون دمه شرابات
أو كلامه شرابات إذا كان خفيف الروح .

الشركة في البهائم

اعتاد الفلاحون أن يشتركوا على
الجاموس والبقر والعجول . وقد يشاركهم
الحضريون في ذلك ، فإذا فعلوا فقد اعتادوا
أن يكون للفلاح الذي يطعم البهيمة لبنها وعملها
في نظير إطعامه لها ، فإذا ولدت مولوداً فهذا
المولود مناصفة بينهما . وكثيراً ما يحدث النزاع
بسبب هذه المشاركة خصوصاً إذامات البهيم .

الشركس

نوع من الترك وقد حكموا مصر مدة
١٣٩ سنة . وأولهم برقوق ويليه فرج وربما
نسبت إليه الفرجية . وقد عرفوا بالجمال والقوة
وقد أورثوا أخلاقهم لبعض المصريين . وكثير
من العائلات الشركسية كانت تسكن مصر .
وبقي الحكم في أيديهم إلى أن أخذه منهم
السلطان سليم العثماني ، وكان يجلب إلى مصر

الشعر

كما تجدها في الزجل وكما تجدها في الأغاني .
ويظهر أن تولى الظلم عليهم وانغماسهم في
التيهتك والذائد وورقة ذوقهم طبعهم بهذا
الطابع الذى لا نظير له . ومن الأدلة على ذلك
أن قرأت مرة قصيدة لطيفة ، فأعجبت بها
ورأيت فيها الطابع المصرى فقلت لابد أن
تكون هذه مصرية ، ثم قرأت ترجمة صاحبها
فإذا هو مصرى حقا . ونسوق الآن بعض
هذا الشعر المصرى للدلالة على ما نقول :

أصبحت أفقر من يروح ويغتدى

ما فى يدي من فاقة إلا يدي
فى منزل لم يحو غيرى قاعدا
فإذا رقدت رقدت غير ممدد

لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة

ومخدة كانت لأم المهتمدى

ملقى على طراحة فى حشوها

قل كمثل السمسم المتبدد

والفار يركض كالخيلول تسابقت

من كل جرداء الأديم وأجرد

هذا ولى ثوب تراه مرقعا

من كل لون مثل ريش الهدهد

ومثل :

دعوتنى للعرس ياســــــــــــــــيدى

فكذت أن أحضر من أمسى

الشعر معروف . ولكنهم يعتقدون أن
كل جزء من الإنسان كقص الشعر والأظافر
والخجان يجب أن يحفظ ، وإلا كان عرضة لأن
تأخذه امرأة فتعطيه لرجل يسحره ؛ لأن من
يريد أن يسحر غيره كان من خير وسائله أن
يحضر له خصلة من الشعر أو الأظافر .

الشعر

للشعر المصرى طبيعة خاصة تشيع فى
الرجز وفى الأغاني ، وفى النكت . وهذه
الخصائص هى :

(١) خفة الروح وحسن الذوق .

(٢) العناية غالبا بالجناس اللفظى .

(٣) استعمال التعبيرات المصرية ، مثل

للحيطان آذان ونحو ذلك .

(٤) الذوبان فى الحب من بكاء على

القطيعة ، وغزل فى العيون والقودود وبكاء

على أيام الوصال ، وحزن على المشيب ونحو

ذلك .

(٥) تسلط النغمة الحزينة على النغمة

المفرحة .

وهذه الخصائص الخمس تجدها فى الشعر

عقول المصريين ، بدعوى دخول بعضهم في الإسلام كعبد الله منو ، وربما ادعى نابليون نفسه ذلك .

ولكن لم تجز الحيلة على المصريين ، فظلوا في عداوتهم للفرنسيين بحكم مخالفتهم لهم في الدين .

وهذا هو الذي يفسر طاعتهم للترك وسكوتهم عن مظالمهم لاتفاقهم مع الأتراك في الدين .

ويظهر أيضاً الشعور في كل حركاتهم ، وسكناتهم . وحتى عرابي « باشا » نفسه استغل هذا الشعور الديني في ثورته . فكان يستعين على نجاحها بحمل العلماء على قراءة البخاري ، وحمل الدراويش على إقامة الأذكار . واستغل الشعب ببيضة ولذتها فرخة في طنطا زعموا أنها مكتوب عليها : (نصر من الله وفتح قريب) ، وبالمدافع الخشبية الثلاثة ، وهي مدفع السيد البدوي ، ومدفع سيدي عبد العال ، ومدفع سيدي إبراهيم الدسوقي . ولكن يظهر أن الشعور القومي ظهر إذ ذاك . فحركة عرابي نفسه في بدنها كانت مطالبة بمساواة الضباط والجنود المصريين بأمثالهم من الشراكسة ، وهذه نزعة مصرية لا إسلامية . ولكن يؤخذ

وها أنا اللييلة في داركم
فالكلب ما يهرب من عرس
ومثل قول الآخر :

جمعك ابن الكتيب والغصن
فرتق بين الجفون والوسن
يا فتنه ما وقيت صرعتها
مع جذري دائماً من الفتن
باللفظ واللحظ كم ترى أبدأ
تسخر بي دائماً لتسخرني
ومثل :

أرى شعرة بيضاء في الخد نابته
لها لوعة في صفحة الصدر ثابتة
ومن شؤمها أني إذا رمت تنفها
نفقت سواها وهي تضحك شامته
(انظر البهاء زهير وابن دانيال)

الشعور الوطني

نذكره لأنه ظاهرة من ظواهر الأمة الاجتماعية وأصبح عاملاً مؤثراً في حياتها ، ولم يكن موجوداً إلا في الأيام الأخيرة بعد الاحتكاك بالأجنبي وتقليده . فلما هاجم الفرنسيون مصر لم يكن الشعور الوطني ظاهراً ، وإنما كان الموجود الشعور الديني ، فلذلك أراد الفرنسيون أن يضحكوا على

نبض له قلب مصر لأول مرة ، كما قال قاسم بك أمين .

ومع ذلك ظل الشعور الديني يغلب الشعور الوطني بدليل أنه لما نادى أحمد لطفى السيد فى الجريدة بالدعوة إلى المصرية لا العثمانية ولا غيرها ، كره الناس قوله وشنعوا عليه . ثم لما جاء سعد « باشا » زغلول كان من أثره إيصال الشعور إلى الفلاحين إذ كان نابعاً من أنفسهم ، وكان خطيباً مفوها . وطالب بتوقيع توكيل من الفلاحين أيضاً فاجتمعت البلاد كلها حوله .

وشىء آخر ينسب إليه ، وهو فهمه وتفهمه الأعيب سياسة الاستعمار وسد الباب فى وجهها . فإذا أرادوا أن يفرقوا بين مسلم وقبطى جعل فى الوفد أقباطا يوقعون معه عرائضه ، ودعا إلى تعاقب المسلم والقبطى . وإذا أرادوا الإغراء بالمال والسلطة أبى عليهم ذلك .

وشىء ثالث كان له الفضل فيه وهو عدم الخوف من التهديد ، فقد كان المصريون قبله يخافون أشد الخوف ، وكان إرسال إنجلترا مركباً حربياً واحداً كافياً فى حل كل إشكال ، فهدد هو بالنفى إلى سيشل ، فقبل عن رضا واطمئنان . وأصبح الأسطول لا يكفى فى الإقناع .

على الثورة أنها كانت مصحوبة بفرور الزعماء ، بل إن هذا الشعور كان من قبل ذلك . فيؤثر عن مراد بك عند مهاجمة الفرنسيين أنه قال : « إنهم إذا جاءوا مزقت شملهم » وكذلك كان عرابى يستخف بالإنجليز ، ولذلك لم يحصن البلاد التحصين الكافى .

وشىء آخر وهو عدم فهم المصريين للأعياب السياسية ، والدسائس الخفية ، مثل إرشاء بعض المصريين بالأموال للتفريق بينهم ونحو ذلك

وعلى العموم ، فقد كان الذين يساعدون عرابى وطنيَّةً يحصرون على الأصابع ، ولما كسروا واحتل البلاد الإنجليز ، ظهر المقت والغضب ، ولكن كان يلطفهما الإيمان بالقضاء والقدر . وأن الله سلط الإنجليز علينا لظلمنا وعصياننا . ولما جاء مصطفى كامل كان من مزيبته تقطير الشعور الوطنى إلى الشعب بعد أن كانت نزعة الوطنية أرسقراطية ، وذلك بجريدته وخطبه ، فاشقت إقبال الناس عليهما وتأثرهم بهما .

وكثر أيضاً اتصال الشبان بالأوربيين عن طريق البعثات وقراءتهم الكتب الأجنبية فى الوطنية ، ورؤيتهم مشاعرهم وأعمالهم . ولذلك لما مات مصطفى كامل

الشمس

هي من المعبودات القديمة . وكانوا يقيمون لها شعائر العبادة ويسمونها (رع) وقد بقيت بقايا من عبادتها . من ذلك أغاني الفلاحين ويطلقون على الشمس فيها (البهية) ولا يزال عندنا من بقايا هذا أن الطفل أو الطفلة إذا خلعت سناً من أسنانه أو أسنانها قذف بها في الشمس وقال :

« يا شمس يا شمس ، خدى سنّ الحمار وهاتى سن العروسة » وفي بعض أغاني الصباح تمجيد الشمس مثل « الشمس طلعت ، نامت ، وصحيت » الخ ...

الشمع

يستعملونه للإضاءة . وإذا أرادوا كثرة الإضاءة أكثروا من الشمع ، وأحياناً يصنع شمع كبير يغيب زمناً طويلاً . ويستعملونه أيضاً في فوانيس رمضان ، ويعلقون شمعة على رأس الطفل المولود حديثاً . ويحفنون عادة في عيد الميلاد فيستحضرون شمعاً بعدد سنّي المحتفل به وهي عادة أفريقية . وتضاء به مقامات المشايخ . وتضاء به المصاييح في زفة العريس .

وتسرب الشعور الوطني بفضله وفضل السيدة زوجته إلى النساء ، كما حدث في مظاهرة السيدات ، وأخيراً زاد الشعور القومى من كثرة المظالم ، فقد فشت الرشوة والنهب والسلب ، والفساد من كل نوع ، فلما قام الجيش بتغيير هذا النظام انضم الشعب إليهم وأيدهم ، ولو لم يكن الشعور القومى قوياً ما نجحوا .

وقد كان لى صديق كلما شكوت له كثرة الفساد ، قال دعه ، فإن شعور المصريين لا يظهر إلا بكثرة الفساد .

ومن الغريب أن الشعور يتنبه لأشياء دون أخرى ، فالفلاح مثلاً يتنبه وعيه إذا اعتدى عليه في ماله وحريته ، والناس يتنبهون لاغتصاب مالهم ، ولا يتنبه شعورهم كثيراً ضد الرشوة .

وينقصه عدم الفرور أيضاً وحاجته إلى الوعى الزائد ، وتقدير الشخص بعمله لا بحزبه ، والإكثار من العمل لا القول ، وغير ذلك . والزمان كفيل بهذا كله إن شاء الله .

وفي حرب القنال الأخيرة مثل رائعة على ما نقول . أ كثر الله من أمثالها .

الشهور القبطية

كثيراً ما يستعمل الناس وخصوصاً
الفلاحين الشهور القبطية بدل الشهور العربية
والأفريقية لأنها ثابتة تتبع الشمس . فيمكن
أن يرتبوا عليها مزارعهم ومحاصيلهم وصيفهم
وشتاءهم . وقد اعتادوا أن يضعوا الكل شهر
خاصة تخصه . ويتذاكرونها بمناسبة ،
فيقولون (توت) الكتكوت يا كل وبموت ،
دليل على أنه في هذا الشهر تصاب فيه
الكتنا كيت بالأمراض وهو يساوى
أكتوبر . (بابه) ادخل واقفل البوابة ،
لأن الحب خزن في البيت فيخشى عليه
من اللصوص . وهو يساوى نوفمبر . (هاور)
أبو الذهب المنثور . ويعنون بالذهب حبوب
الذرة التي نضجت . وهو يساوى ديسمبر
(كيك) صباحك مساك ، تقوم من فرشك
تحضر عشاك ، دليل على أن فيه يكون النهار
أقصر ما يكون وهو يساوى يناير . (طوبة)
تصير الصبية كركوبة ، كركوبة أى عجوزة
دليل على شدة البرد ، حتى أن الصبية القوية
تكون بردانة كسلانة كأنها امرأة عجوز :
وهو يساوى فبراير .

الزرع في النمو . وهو يساوى مارس .

(برمات) روح الغيط وهات . دليل
على أن الزرع يكون نضج ، والمحصول
استوفى . وهو يساوى أبريل .
(برموده) دقوا الشعير بالعمودة ،
ولا يبقى في الغيط ولا عوده ، لأن المحصول
انتهى وطاب واستحق أن يدق . وهو
يساوى مايو .

(بشنس) إكنس البيت كنس .
لنفاد المحصول الخزون . واستقبال المحصول
الجديد ، وهو يساوى يونيو .

(بؤونة) يسمون بؤونة بؤونة الحجر ،
أى أنها من شدة حرها تؤثر في الحجر وهو
يساوى يوليو .

(أيبب) يقولون أحيانا من يأكل
الموخية في أيبب يجيب لبطنه طيب ، لأن
عودها يكون صغيراً . وقد يختلط بعيدان
أخرى ضارة .

وأحيانا يقولون أيبب ، طباخ العنب
والتين ، إذ يظهران أول ما يظهران فيه وهو
يساوى أغسطس .

(مسرى) في مسرى تجرى كل ترعة
عسرة ، من كثرة الفيضان وهو يساوى
سبتمبر ، ويسمون ليلة ١١ طوبة ليلة الفطاس
وهم يتوقعون فيها مطراً ولو خفيفاً ، فإذا لم تمطر

(أمشير) يقول للزرع سير سير ، لأن
في أمشير يسخن بطن الأرض ويبتدىء

« عمى يا شايب ما بحبّكش
دقنك البيضة شكشكت وشّى
ويقولون عن الشايب « رجله والقبر »
ويقولون لمن أسنّ كثيراً « طله قله الأسنان
الخضر ». ويظهر أنه إذا كبر جداً وسقطت
أسنانه أكل على لثته فتجمدت فظنوها
أسناناً وقالوا إنها خضر ، بمعنى اللينة ؛ لأن
كل لبن يقولون عنه أخضر . فالثوب إذا لم
يتم جفافه قيل له أخضر ، ويقولون في
الأرض إذا رشّت ولم تجفّ إنها خضراء .
وهكذا ... وربما حدث في التاريخ شواذ
من رجال أسنّوا فنبقت لهم أسنان جديدة
تشبه أسنان الطفل .

ويقول أبو العلاء المعري :
إذا ما أسنّ الشيخ أقصاه آله
وجار عليه النجل والعبد والعرس
وأكثر قولاً والصواب لمثله
على فضله أن لا يحس له جرس
يسبّح كما يغفر الله ذنبيه
رويدك في عهد الصبا مليّ الطرس
فأصبح عند الغانيات مبعّضاً
كان خزه خزي وعنبره كرس

السماء غضبوا . ويقولون غطست يا نصراني ،
صيفت يا مسلم بعد أربعينين . ويسمون
الرياح الشديدة التي تكون في أواخر طوبة
زفة أمشير .

الشيب والشباب

يبكى الشعراء كثيراً شباهم لأن النساء
لا يقبلنهم بشيبيهم ، ومليّ الغزل المصري
بهذا مما يدل على حياة الغزل عند المصريين
وكره النساء للشيب ، ولذلك يبكى الشيب
شباهم لأنه هو الذي كان يرضى النساء .

ومن الحوادث الكثيرة في مصر أن
يتزوج الشيخ في سن الستين أو السبعين
زوجة شابة ، وكثيراً ما يكون هذا سبباً
في خروج المرأة واستيفالها الرجل مع الإكثار
من صبه للمال بين يديها . ولكن كيف
يعنى المال عن قوة الشباب .

ومن الأغنيات المشهورة :

تجوزوني للشايب ليه
هو أنا وحشة والآ إليه
ومن الأمثال المشهورة « « أبرد من
الشايب عند الصبايا » و « أبرد من الشيب
إلى الغواني » ويقولون للشيخ إذا تصابى
وزلّ « شايب وعايب » . ومن الأغاني :

الشيثة

يقال له (التّبّاك) . والرجال البلديون
يستعملون (الجوزة) بدل الشيثة . وهي
عبارة عن غابتين بينهما جوزة أو ما يشابهها
مملوءة ماء .
ومن التّبّاك نوعان مشهوران : تمباك
يسمونه حَمِيّ ، نسبة إلى حماة ، وهو محرف
عن حموى . وتمباك عجمي .

كانوا يستعملونها كثيراً هي والشبك
حتى قد يخصصون لها بعض الخدم ، فيضعون
الماء في إناء زجاجي أو بلوري ، ثم يركبون
فيه أنبوبة طويلة لينة ، ويضعون حجراً من
الفخار يملؤونه فحماً وعليه نوع من الدخان

حرف الصاد

الصالونات

كان في مصر صالونات كثيرة ، يتحدث فيها في السياسة والأدب والاجتماع ونحوها . وهذه الصالونات بعضها كان صالونات أرسقراطية كالصالون الذي كانت تقيمه نازلى هانم فاضل وكان يحضره مثلاً الشيخ محمد عبده وسعد باشا زغلول ، وإبراهيم بك الهلباوى . وكان في عابدين أمام باب باريس وكانت موضوعاته الجدل في أدق المسائل السياسية والاجتماعية ، وكان وسيلة للفت أنظار بعض الحاضرين واستفادتهم . وكصالون الأنسة مى وكان يحضره كثير من الأدباء . وأكثر حديثهم في الأدب وما إليه . وهناك صالونات ديمقراطية كاجتماع بعض العلماء والأدباء في صالون حلاق أو في دكان بائع سجائر ، أو في دكان شربتلى فيتذاكرون الأدب ويتناشدون الأشعار . وقد يعرضون لأحاديث في النقد الأدبي . كذلك كان هناك صالونات هي عبارة عن المنادر ، يجتمع فيها بعض أهل الحى ويتسامرون في الأدب ، وأحوال البلاد وشؤونها . ومنها صالون لجنة التأليف والترجمة والنشر . ويقام مساء كل خميس من كل أسبوع ويتباحث فيه في السياسة والأدب

والاجتماع ويغشاها كثير من مثقفي القوم ، مصريين وغير مصريين . وكان يقام في مركز اللجنة في عابدين ، ثم انتقل إلى مركز اللجنة في شارع سعد زغلول . ومثله صالون الأستاذ كامل كيلانى وهناك منقديات سياسية أخرى . وقد تخرج من هذه الصالونات بقسميها عدد كبير من البارزين في السياسة والأدب . ولو دوت محادثاتها لكانت سجلاً عظيماً يصور الآراء الشائعة في زمانها ، ويبين كيف تعرض الآراء المختلفة . ولأصوّر للقارئ صورة من صالون ديمقراطى كان يُعقد كل ليلة في مندرة بيت بجوارنا : كان يجتمع فيه أصدقاء صاحب البيت ، فأحياناً بعد العشاء يتسامرون ، وأحياناً يأتون بفقير ذى صوتٍ حسن يقرأ لهم القرآن الكريم ، وأحياناً يتحفهم ساكن البيت بجوقته ، إذ كان هو نفسه يضرب على الدف ، وأحياناً تُقص القصص اللطيفة ، وتسمع بعدها ضحكات من مكان بعيد . وهكذا كان في كل حارة مندرة كهذه أو أكثر . ثم غزت هذه الصالونات القهاوى المختلفة . وحل اللعب بالنرد والشطرنج محل هذه المسامرات . ويروى لنا التاريخ الحديث أن كثيراً من الأدباء كعبد الله نديم وحافظ إبراهيم كانوا من

جدالٍ شديدٍ ثم مبعثٍ تقريبٍ بين هذه الآراء . وتكاد كل صحيفة كبيرة اليوم وكل هيئة يكون لها نادٍ ينصب من حين لآخر فيجتمع فيه خيار المثقفين ويتبادلون الآراء وقد تلتقى إذ ذاك بعض المحاضرات .

الصداع

الصداع داء معروف . وإنما سقناه هنا لأن كثيراً من الدجالين يعالجونه بعلاجات خرافية ؛ من ذلك قطع الشريان الصدغي الفسكي ، ويسمونه ضرب العرق ، فإذا نزل الدم زعموا أنه يزيل الصداع . وقد يعالجونه بخرافة أخرى ، وهي رسم صليب بالريق على صدغ المصدوع . ومن طرق العلاج أيضاً غزيمة يتلوها المعزّم فيكون فيها الشفاء حسب زعمهم .

الصعايدة

هم سكان الوجه القبلي ، وقد عرفوا بالصبر على العمل واحتمال شدائده ؛ وهم كثيراً ما يرحلون إلى المدن كالقاهرة والإسكندرية ، ولشدة أعمال البناء بنيت البيوت والعمارات الكبيرة على أكتافهم . وأكثر الباعة المتجولين منهم كتجار الفاكهة وغيرهم . وهم شديدو الغيرة على نساءهم ، وكثيرو التعصب على غيرهم . ويظهر ذلك أشد الظهور في مجاورى الأزهر ،

خريجي هذه الصالونات ، سواء في شعرهم أو في ثقافتهم ؛ وقد قلت عادة هذه الزيارات وإنشاء المنادر بسكن الشقق في العمارات حيث لا تنسع لمثل ذلك . ومن خير الصالونات التي شاهدتها صالون المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق بعايدن بجانب سراي نازلي هانم . فكان هذا الصالون مثلاً للبيوت القديمة ؛ فكان يجتمع معه المرحوم حسن باشا عبد الرازق الكبير والشيخ محمد عبده ، وحسن باشا عاصم وغيرهم وكان يجتمع مع ابنه المرحومين حسن باشا عبد الرازق ومحمود باشا عبد الرازق رجال السياسة يتناقشون في المسائل السياسية . وكان يجتمع مع المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق وعلى باشا عبد الرازق رجال العلم ، إذ كانا عالين من الأزهر ، فكان يغشى مجلسهما رجال العلم في الأزهر ، والمثقفون العصريون وبعض السيدات الإفرنجيات ، فيتكلمون في العلم وفي الاجتماع ، وأحياناً قليلة في السياسة ، فكان مجلساً ظريفاً . وقد اعتاد هذا البيت أن تقام فيه مواعيد عامة للقاء والعشاء يُدعى إليها من حضر ، ثم تنصب حلقات الحديث والمناقشة ، وقد تستمر إلى ما بعد منتصف الليل ، ويُستمع فيها أعتق الآراء وأحدثها ، فكانت بذلك مثار

كما اشتهر من شعرائهم في العصر الحديث
الشيخ محمد عبد المطلب ، ولهم أغانٍ يستظرفها
القاهريون ويفنونها مثل :

يا أم شال أحر قطيفة — يام شال
سلم على ... ومثل : يا واور يا مقبل على
الصعيد ... الخ

ويكثر في أغانيهم كلمة (يابوى) وهم
يفضلون الأخذ بالتأثر بيدهم على الشكوى إلى
الحكومة . وقد تمر سنون طويلة وهم
يكنون في أنفسهم المطالبة بالتأثر حتى يتمكنوا ،
وتجرى في ذلك حوادث فظيعة في منتهى
الوحشية ، وأكثر أسبابها الغيرة على النساء
والتعدى على الزرع والحيوان .

وتعد أسيوط عاصمة الصعيد . ولذلك
عقدوا فيها المؤتمر القبطى . ولهم لهجة خاصة
بهم يستعملون فيها الجيم المصرية بدل القاف ،
مثل : جال في [قال] ، وجلنا في [قلنا] ؛ كما
أن لهم كلمات خاصة بهم واستعمالات وأساليب
لا يشاركون فيها غيرهم ، وقد تغمض لفتهم
وخصوصاً فيما هو أعلى من أسيوط حتى
ليصعب على القاهريين فهمها .

كما أن لعامتهم ملابس خاصة ، فإذا
رأيت من يلبس جلباباً أسود ويتحزم عليه
ويتلفع بشال على رأسه استدللت من ذلك
على أنه صعيدى صميم . ويسكن على أطراف

فإذا تعدى بحرأوى على صعيدى تعصب
هؤلاء لصاحبهم ، وهؤلاء لصاحبهم .

وشهروا كذلك بالكرم أكثر من
من البحاروة ، فإذا نزل عندهم ضيف أكرموه
غاية الإكرام ، كما شهروا بالشدة في المعاملة ،
ولذلك يخافهم الناس . وقد يثور بعض الصعيديين
على بعض ، وقد تحدث من مضارباتهم
ومؤمراتهم بعضُ الحجازر : وربما كان عددُ
الأقباط فيهم أكبر نسبة مما هو عند البحاروة .
وربما كان الدم المصرى فيهم أوضح منه في
البحاروة ، وذلك لقلّة اختلاطهم بغيرهم .
واشتهر منهم علماء وسياسيون كثيرون كان
لهم يدٌ في الحركات السياسية والاجتماعية ،
كرفاعة رافع الطهطاوى ، ومحمد باشا محمود ،
وحسن باشا عاصم ، والدكتور على باشا إبراهيم ،
 وغيرهم ، وهم كثيراً ما ينزحون من بلادهم
يبيعون الفاكهة أو الأشياء الصغيرة كأمواس
الحلاقة ، ثم يعودون إلى بلادهم في مواسم
الزراعة . وقد يتزوجون وينسلون ويتركون
زوجاتهم وأولادهم في بلادهم ، ثم يبيعون
ما يبيعونه في المدن الكبيرة ويعيشون وحدهم
من غير عائلاتهم .

وقد اشتهروا بأغانٍ خاصة بهم كالواوات ،
واشتهر من زجالهم الشيخ عبد الله لهلوبة ،
والشيخ القوصى ، وكانت لهما أزجال ظريفة ،

الصناعة المصرية

في مصر صناعة وصناعون ، ولكن صناعتهم كانت بدائية ، وقطعت في الأيام الأخيرة خطوات واسعة ، فالسائحون في عهد محمد علي كانوا يقولون إنه إذا خربت ساعتهم لم يحدوا من يصلحها لهم إلا إذا كان أجنبيا ، واشتهر الأطباء الأجانب وزاحوا الأطباء الوطنيين ، وكان الكبراء إذا أرادوا صناعة شيء استجلبوه من الخارج ، وكانت الصناعات المصرية حقيرة ، تشتغل في المهن الغذائية ، كعجن الدقيق وخبزه ، وذبح البهائم وجزارتها ، ومعامل الدجاج وتربية البيض ، وتحضير الفول المدمس ، والنطاطرية وكانوا أيضاً يحضرون الملابس تحضيراً بدائياً فيغزلون باليد القطن والحرير ويصبغون الملابس ويفصلونها ويخيطونها ونحو ذلك .

وشهر في القاهرة سوق تسمى سوق العقادين ، كانت تباع فيها شلات الخيط والزراير ونحوها .

وكذلك يعملون في تشييد المساكن من بناء ونجارة وتبليط ونحو ذلك .

ولما جاءت الحرب الكبرى الأولى وامتنع ورود البضائع من الخارج أتجه بعض الناس إلى ترقية الصناعة الداخلية فربحوا

بلادهم كثيراً من البدو وقد تخلقوا بأخلاق الصعادية ، وتخلق الصعادية ببعض أخلاقهم . وكثيراً ما أتعب هؤلاء البدو سكان الحضر بسلبهم وغزوم ونهبهم .

وهم مشهورون بنوع من السمك يخللونه ويملحونه (ويسمى الملوحة) كما أنهم مشهورون بنوع من الخبز منه العيش الشمسي والبتار المر حرج .

الصفاء

كان شعر النساء قبل الموضة الجديدة لا يُقص ، ولكن يجدل صفائر .

وقد اعتدن أن يصفرن شعرهن صفائر بعدد فردى : إحدى عشرة صغيرة أو ثلاث عشرة ، وكل صغيرة تربط بثلاث خيوط من الحرير الأسود ، تعلق بها قطعة ذهبية أو شيء يشبه الذهب رقيق كالورق يسمى الصفاء ، ويقص الشعر فوق الجبهة ، فتبدل منه خصلتان على الصدغين .

وكنت ترى في سوق المغربلين صفاء يتلاعب به الهواء يباع للنساء من أجل هذا . ويكثر استعماله في أيام الأفراح .

الصوان

في الغالب إذا أقيم مأتم لميت أو كان هناك استعداد لجنازة أو فرح كبير أقيم صوان على قدر صاحبه في الكبر والصغر ، فنصبت الخيام الملونة بالأبيض والأحمر من الداخل ، وسقفت بخيام أيضاً إذا كان الوقت شتاء ، ويقام على عروق من الخشب الطويلة ، وأضئ بالكلبات أو الأنوار الكهربائية الحديثة ، وفرش بالسجاجيد ، وصفت الكراسي على الجوانب . وإذا كان فرحاً أقيمت الرايات ، وزيد في الكلبات أو الأنوار الكهربائية . والذي ألبأ إلى ذلك عدم اتساع البيوت المصرية وعدم احتياها لهؤلاء المشيعين أو المعزين أو المهنيين ، وربما كانت الأسرة فقيرة لا تحتمل نفقات هذا الصوان ، ولكنهم يرونه ضرورياً على كل حال . وقد كانت العادة أن يستمر هذا الصوان ثلاثة أيام أو أكثر مما يضلح أهله ، ولكن الأغلب اليوم في عصرنا الاكتفاء بليلة واحدة ويكثر عمل الصواوين في الموالد ، مثل مولد النبي ؛ وكان في عهدنا تقام صواوين صغيرة متنقلة للقراوز والرقص ، ثم زالت هذه بدور السينما ودور المسرح المشيدة . وتُنشأ في بعض المديرات صوانات عامة للمناسبات ، كقراءة القرآن في رمضان . وإذا مات ميت في مكان بعيد نصب له أهله صواناً في وسط البلد شفقة على المشيعين .

كثيراً ، وكان من نتائج ربحهم تشجيع همة بعضهم للرقى بالصناعة ، فأصبحت تجد من الصناعة المصرية موبليات فاخرة وجلوداً عظيمة ، لا يفرق بينها وبين الصناعة الأجنبية إلا حسن الصقل .

وقد اشتهرت بلاد مصرية بصناعات مختلفة كالغزل في المحلة ، والقلل القناوى في قنا ، والقذور الإسكندرانية ؛ ودمياط بالجلد والموبليات ؛ وأسيوط بالكراسي ونحو ذلك ولا يزال المدى فسيحاً في الصناعات المصرية حتى توازن الصناعة الأجنبية . وقد حارب الإنجليز الصناعة المصرية كثيراً ، وفرض اللورد كرومر على المنتجات المصرية ضرائب كثيرة شلت حركتها ، وأوهوا المصريين أنهم أهل زراعة لا صناعة ، ثم أثبتت الأيام فيما بعد أنهم صالحون للصناعة أيضاً .

ولكن مع الأسف شأنهم شأن غيرهم من العلماء ، صناعتهم صناعة تقليد لا ابتكار ، وهو مرض عام شامل فإذا ابتكر هؤلاء ابتكر هؤلاء . فهم إذا رأوا عربية سكة حديد ، استطاعوا أن يقلدوها ولكن لم يستطيعوا أن ينشئوها على نمط جديد .

حرف الضاد

الضبة

كانت العادة قديماً أن يعلق الباب بالضبة، وهي خشبتان على شكل صليب تقريباً وهي مخروقة خروفاً أربعة أو أكثر. إذا أغلقت نزل فيها أربعة مسامير مقطوعة الرأس فلا يمكن فتحها إلا بمفتاح فيه مسامير كذلك، ترفع المسامير التي سقطت في الخروق فتفتح. واشتهر من ذلك ضبة باب أولاد عنان، وهو مسجد شهير قرب محطة السكة الحديد، فيذهبون إليه خصوصاً يوم الجمعة عند الأذان ويتمسحون بهذه الضبة، ويدعون دعوات لشفاء الطفل، ويفتحون الضبة ويغلقونها على رأس الطفل، ويقولون يا ضبة ضبيدي، يا تعديشي يا تموتيه! ويعتقدون أن الجن قد تبدل الأطفال فتأخذ الصحيح وتبدل به السقيم، وأن الضبة كفيلة بإرجاع الطفل الصحيح؛ ولذلك يقولون العبارة السابقة. ويكررون ذلك ثلاثة أسابيع، ولما تجدد المسجد والنظام الجديد في البناء والنجارة ليس فيه ضبة وإنما فيه قفل ومفتاح أعاد خدمة المسجد تركيب الضبة لاستفادتهم منها، وتضليل العامة بها. وهناك من يكتب الأحجية تبركا بأولاد عنان، ويكون عادة مكوناً من (١) بلحة صغيرة يسمونها بلحة

الغيرة (٢) قطعة كبيريت عمود (٣) قطعة من عمود الصليب، وتجلد بجلد أحمر ويعلق حجاباً للطفل. فهذا يجعل الجن يغيرون أبناءهم. ومن أمثالهم «الخيري بيان على الضبة» دلالة على أن البيت إذا كان سعيداً ظهر ذلك في كل شيء حتى في الضبة، وإذا تمزق الثوب طولاً وعرضاً قالوا «تمزق ضبة ومفتاح» أي تمزقاً يشبههما. وإذا شج أحدكم رأس الآخر طولاً وعرضاً قالوا: «شجّه ضبة ومفتاح».

الضرائب

ألف المصريون من قديم حكاية الضرائب. ويسمون الضرائب على الوارد من الخارج جرماً، وعلى الضريبة الداخلية مكساً، وكان في زمننا موظفون يقفون عند مدخل القاهرة في جملة نواحيها، فإذا جاء أحد يحمل سلعة قدروا عليها ضريبة. وكانت هناك ضرائب مختلفة على الرؤوس وعلى السلع ويظلم فيها بعض الناس كثيراً، ويحاجي بعض الناس كثيراً. والعامّة تسمى بعض الضرائب وخصوصاً على الرؤوس «فردة» ولا أدرى من أين أتت. ولما احتل الإنجليز مصر أرادوها بلداً زراعياً لا صناعياً، ولذلك لما أنشئ مصنع مصري لعمل البقعة فرضوا عليها ضرائب كثيرة حتى تكون

بالفعل ، وفي النهاية إلى نصفها أو ربعها .
ويحملهم على الهرب ما يرون من أنها كثيراً
ما تصرف في غير محلها .

وسمعت أن مصرياً كبيراً كان غنياً
وأراد أن يشتري بيتاً من إنجليزى ، فقال له :
بكم تباعه ؟ قال الإنجليزى : بألف جنيه .
وكان ثمناً معقولاً . فقال له ذلك الكبير
المصرى : أنا أقبل شراءه بالألف ولكن
لى عندك رجاء واحد : هو أن يكتب فى العقد
صورياً أنك بعته بستائة جنيه . قال الإنجليزى :
ولماذا ؟ قال : لأفر من بعض الضريبة . قال
الإنجليزى : مع الأسف لست أبيعك لك
ولا بألفين ؛ لأن من أراد أن يسرق حكومته
لا يستحق أن يعامل .

ضرب الرمل

يشتغل به فى الغالب بعض المغاربة
والسودانيين . فكثيراً ما تراهم بجانب
الشارع وأمامهم منديل فيه بعض رمل أصفر
ويزعمون أنهم يفتشون بالمستقبل ، فيرسمون
على الرمل خطوطاً بأصابعهم بعد أن يرمى
الطالب شيئاً من النقود يسمونه « بياضاً »
ويعبرون عن ذلك بقولهم : « إرمى بياضك ! »
ثم يزعمون له أشياء يقولونها له ، إما عن
طريق التنويم المغناطيسى أو عن طريق
الفراسة . وقليلاً ما تصح ، وكثيراً ما تكذب .

أعلى من البنية التى تأتى من الخارج فبارت .
ومع هذا كانت الضرائب فى مصر أقل منها
فى الخارج . ولذلك كان كثير من الإفرنج
الذين عاشوا فى مصر كتجاراً جانباً ومستشارين
أجانب يفضلون أن تكون أموالهم فى مصر
ليهربوا من ضرائب بلادهم .

وفى العهد الأخير كثرت الضرائب
بأشكال مختلفة حتى كان كل شىء عليه
ضريبة . ويدعى بعض المالىين أن الضرائب
فى مصر أصبحت أكثر منها فى إنجلترا .
والذى دعا لفرض الضرائب رؤيتهم أن
المصريين منهم أغنياء جداً ، ومنهم فقراء
جداً . فلا بد أن يؤخذ من الغنى لإصلاح
حال الفقير ، ورفع مستوى عيشته .

والضرائب بهذا المعنى تقبل فى سهولة
وعن رضا لو كانت تصرف حقاً فى مصلحة
الفقير ، لأن الفقير فى مصر كالفلاح سيء
الحال جداً ، لا يسكن مسكناً نظيفاً ، ولا
يشرب ماء نظيفاً ، ولا يأكل إلا كلاً مغذياً ،
فمن المصلحة أن يقابل ترف المترفين بتحسين
حالة الفقراء المدقعين . ومع أن الضرائب
كثيرة فى مصر فهى لا تأتى بمحصول يناسب
كثرتها ، لأن المصريين يعتقدون من عهد
الظلم أن الهرب من الضريبة لا بأس به ،
وكما استطاع الإنسان أن يهرب فليهرب .
ولذلك تقدر الضريبة بمبلغ من المال ثم تصل

ضرب الودع

أكثر ما يحترف هذه الحرفة الإماء السود ؛ تجلس الأمة على قارعة الطريق وأمامها جملة من الودع ، وهي بيوت حيوانات بحرية حلزونية ، وقطع من القروش وقطع من المعادن حمراء وخضراء وسوداء ، فمن حضر عندها شكى لها ، إما من جفاء زوجها أو زوجته ، أو من عدم الحمل ؛ فتقول لها المعجوز السوداء : إن الودع يقول كذا أو كذا . وأحياناً يكون ضرب الودع هذا سبباً من أسباب الشقاء بما تخبره هذه كأن تقول لها : إن زوجك يحب غيرك ، أو أنك تحتاجين إلى أعمال كثيرة لتحبلى ، أو نحو ذلك .

الضرة

اعتاد بعض المصريين ، وإن كانوا قلائل ، أن يتزوجوا أكثر من واحدة ، وقد يجمعون بينهما أو بينهن في بيت واحد . وقد اشتهرت الضرة بمعاكسة ضررتها وعداوتها .

وبذلك يصبح البيت في الأعم الأغلب عبارة عن جحيم . فلا يزال الرجل يسمع شكوى من هذه وشكوى من تلك ، واتهماً

لهذه واتهماً لتلك ، ولذلك لا يقر للبيت قرار . وفي الغالب تتلاشى اللذات التي تحدث في أول أيام الزواج ، ويحل محلها الشقاء . ويزداد الأمر سوءاً إذا خلف منها فإن الأولاد أيضاً يتعادون ويرضعون مع لبنهم هذه العداوة . وفي الغالب يفضل الأب إحدى الضرتين فيفضل أولادها ، فيؤجج نار العداوة في الآخرين .

الضريح

هو عبارة عن تركيبة مربعة أو مستطيلة من الخشب أو النحاس ، توضع على قبور الأولياء الصالحين . ومن الأسف أن ليس كل من وضع عليه ضريح يكون ولياً صالحاً فقد يكون ولياً صالحاً كما يقولون ، وقد يكون غير ذلك .

ومن هؤلاء الصالحاء من ثبت تاريخياً علمهم وصلاتهم ودفنهم في هذه القباع كالإمام الشافعي ، ومنهم من رُئى في المقام موضعه ولم يثبت دفنه في هذا المكان ، كضريح السيدة زينب ؛ فقد كان معروفاً أن موضعه كان قناطر الماء ، ولذلك يسمونه مشهد السيدة زينب ؛ وبعضهم لا يستحق الولاية ، ولا عرف بالصلاح ، كالذي حكاه على باشا

فادعت أنه مجنون ووضعت في رجليه قيداً
من حديد فأخذوه فوجدوه كما قالت .

واعتمل اسانه من الكلام لشدة خوفه
وبقى على ذلك مدة . ثم شاع بين الناس أن
له كرامات ، وإخباراً بالمغيبات ، فقصده كثير
من الناس ، أسراء وغير أسراء ، واعتقدوا
فيه خصوصاً النساء ، وازدحم بيته بالزوار ،
وهجت عليه النذور والهدايا . كل ذلك وهو
لا يتكلم ، بل ملقى على الفراش ، وعليه حرام
من صوف أبيض ، وفي رجليه قيود الحديد ،
وحوله الخدم ، وعند رأسه امرأة تروح عليه ،
وهو يحرك رأسه ، ويلعب بشفتيه ، فيسمع
له صوت ساذج خفي جداً ، يشبه صوت
الأخرس ، وليس له مفهوم ؛ فعند ذلك تقول
المرأة للحاضرين : فلانة ستزوج ، وفلانة
ستصطحب مع زوجها ، وفلانة ستجبل ، وفلان
الغائب سيحضر ، وزيد سيترقى ، وبكر
سينعزل ، إلى غير ذلك من الخرافات . وكل
من كان حاضراً يفهم لكلامه معنى خاصاً
به من هذه الألفاظ .

وبسبب ذلك صارت خدمته ثروة
كبيرة ، وفوائد كثيرة ، واستمرت حالته
هكذا إلى أن مات ، فبني له الخديوي
إسماعيل هذا الجامع ، ودفن به . وهو جامع
عظيم لم يُبنَ لغيره من الأفاضل ذوى المعارف

مبارك عن الشيخ صالح أبي حديد فقد قال :
« إن الشيخ صالحاً كان في مبدأ أمره قاطع
طريق ، وكان له صاحبان ملازمان له ،
أحدهما الشيخ يوسف المدفون في شارع قصر
العيني ، والثاني لم أقف على اسمه ، وإنما
كان يجلس بحارة درب سعادة على مكسلة
بيت متخرب هناك ويتزيى بزى الدراويش
وللناس فيه اعتقاد كبير ، ويزعمون أنه من
الأولياء فيتبركون به ويقبلون يده . وكان
يستمر جالساً إلى الليل ، وكما مر عليه رجل
بمفرده يقول يا واحد ، فيخرج في الحال من
البيت جملة رجال يحيطون به ويدخلونه
البيت قهراً عنه فيقتلونه ويسلبون ماله .
واستمروا على ذلك الفعل القبيح زمناً طويلاً
إلى أن شعر الضابط المراقب بذلك . فأمكن
كميناً وحرص رجلاً على المرور ليلاً من
هناك ، فلما مر الرجل نادى الشيخ كعادته ،
فخرجت الرجال واحتاطت به ، وإذا بالسكين
قد خرج عليهم وضبطهم ، ووضع يده على
الشيخ ومن كان معه بالبيت ، وعاقبهم عقاباً
شديداً . فأقرّ الشيخ على صاحبيه الشيخ
يوسف والشيخ صالح هذا ، وكان الشيخ
يوسف يلوذ بلاط أوغلي فعنى عنه . وأما الشيخ
صاحب المكسلة فقتل بعد تعذيبه ، وأما الشيخ
صالح هذا ، فاحتسى بامرأة مغنية مشهورة ،

والعلوم ، الذين انتفع الكثير بعلومهم
ومعارفهم . ولكن هذه عادة قديمة ألفها
المصريون من قديم الزمان ، وطالما نبه عليها
كثير من المؤلفين في كتبهم . فلا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكثير من الأضرحة من هذا القبيل ،
وربما كان صاحبه حاكما ظالما كجامع أُلماظ ،
ظن أنه يكفر عنه بناؤه لجامعه ، ويكاد
يكون في كل قرية من قرى الريف أو مدينة
من المدن شيخ أو أكثر من هؤلاء الشيوخ ،
يخلفون به ويتبركون به ويقدمون النذور

له . وأعرف قرية من القرى فيها شيخ اسمه
الشيخ يوسف ، تكون المرأة فقيرة فتفذر له
عشرين بيضة أو ورّة أو فرخة أو ديكاً ،
وقد تكون هي وأولادها في أشد الحاجة
إلى ذلك ، وتقدمه المتولية على الشيخ ؛ وقد
ماتت قريباً وتركت خمسة أفدنة من الأطيان
الجيدة ، ومالا كثيراً ، وكان ابنها قد مات
قبلها فورثها أخوها . وربما أخذت هذه
العادة عن قدماء المصريين ، فقد روى عنهم
شيء من هذا القبيل ثم اصطبغ بعد بالحياة
الإسلامية .

حرف الطاء

طاسة الخضة

يزعمون أن الإنسان إذا خُضَ فرُبما كان من نتائج تلك الخضة مرضه بأمراض عصبية خطيرة ، وبالزهرى مع أنه ثابت طبيا أن مرض الزهرى لا يأتي إلا من الاتصال الجنسي بمرضى من هذا القبيل . ويعتقدون أن طاسة الخضة تزيل كل هذه الأمراض ، وهي طاسة من نحاس مرسوم عليها صور طيور ، أو مكتوب عليها كتابات غير واضحة ، يوضع فيها ماء ثم تعرّض في الليل للندى ، ثم يشربه المريض . ويوجد حول الطاسة نحو أربعين قطعة معدنية رقيقة كالصنيح كذلك . فإذا فقدت واحدة منها زال مفعولها .

الطالع

يعتقد عامة المصريين في تأثير النجوم في الأرض ، من سعادة وشقاء ، وغنى وفقر . ويقسمون السماء اثني عشر قسما ، لكل قسم برج ، وأسماء الاثني عشر برجا هي :

الدلو — وعلاقته بشهر يناير — والحوت
بفبراير — والحمل بمارس — والثور بأبريل —
والجوزاء بمayo — والسرطان بيونيو —
والأسد بيوليو — والسنبلة بأغسطس —
والميزان بسبتمبر — والعقرب بأكتوبر —

والقوس بنوفمبر — والجدي بديسمبر .

وطريقة الاستخدام أن يغمض الطالب عينيه ويضع إصبعه على إحدى خانات منطقة البروج ، وهي صورة مصورة مقسمة إلى خانات ، ثم يفتح عينيه ويتبع الخط الذي فيه النمرة المذكورة ، متجها من اليمين إلى اليسار ، حتى يصل إلى العمود الذي فيه البرج الذي وضع يده عليه ، فيجد عدداً يدل على الصفحة الموجود فيها جواب السؤال المطلوب .

ويعتقدون أن العالم المادى لا توجد فيه الأشياء على طريق المصادفة ، بل بتأثير النجوم ، فلا يقابل قاهرى إسكندرانيا ، أو رجل لرجل بطريق المصادفة ولكن ذلك بتأثير الطوالع وتحقيقاً لغاية خصصتها يد الطبيعة ، وكذلك جميع الحوادث ؛ فالنجوم وسائر السيارات تؤثر في أحداث الأرض . فمثلا الشمس مصدر الحرارة والحياة تهيمن على العواطف النبيلة والمشاعر العالية والوجدانات الحية ... وللقمر تأثير عظيم على الأرض وعلى ساكنيها ، ومفعوله ظاهر في المد والجزر ، فمتى كان القمر هو الكوكب الرئيسى في الطالع أثر في الإنسان وخاصة في مجموعه العصبى وقوة تخيله ، فيجعل من بعض الناس أديبا أو فنانا ، وأحيانا يجعل منه مجنوناً ،

والمرأة مولودين في برج واحد أو في برجين
منسجمين دلّ ذلك على الوقوف وإلا فلا .

ويقولون فلان طالعه سعيد ، وفلان
طالعه غير سعيد . ومن تعبيراتهم أيضاً : « فلان
نجمه عالى أو صاعد » ، علامة على النجاح ،
وفلان طالعه سافل علامة على الفشل ،
ويقولون فلان طالعه طالع السعد ، أى أنه
مبخت ، وفلان كانت وقعت زحل أى شقى ،
لأن زحل من النجوم المشؤومة .

ومن ذلك ما فعل الشيخ عبد الهادى
نجا الأبيارى ، فقد ألف كتاباً فى اسم إسماعيل
باشا سماه « الطالع السعيد » ذكر فيه أنواع
علوم مختلفة ، اشتقاقاً من اسم إسماعيل .

ويكثر فى مصر استشارة أهل الخبرة ،
وخصوصاً عند نية الزواج — زواج رجل
بامرأة أو امرأة برجل ، أو الإقدام على عمل من
هذا القبيل . وأظن أنه لو استحصى جميع
من ولدوا فى يوم واحد ، أو ساعة واحدة ،
لوجد بعضهم شقيماً وبعضهم سعيداً ، ولكن
العقيدة لا يغلبها غالب .

وإذا كان هو المهيمن على زلازل الأرض
والعواصف والبراكين كان أيضاً ذا اتصال
بالحروب الأهلية والأجنبية والنوازل الطبيعية
والمصائب الاجتماعية ، وهكذا كل نجم من
النجوم . وبعبارة أخرى كل برج من الأبراج .
وقد ألفت الكتب الكثيرة فى هذا
الموضوع من عربية وعجمية ، بعضها فيه
تخريف كثير ، وبعضها معتدل .

وهم يعتقدون أيضاً أن كل من ولد فى
برج أو بعارة أخرى فى شهر خاص يقابل
فى حياته حوادث خاصة ، لا كالذى ولد فى
برج آخر أو شهر آخر .

وكثيراً ما تستهوى النساء بمثل ذلك ،
فتجد فى بعض الجرائد والمجلات أن المولود
فى أسبوع كذا من شهر كذا يدل طالعه على
كذا ، ويهتم العوام بذلك كثيراً .

ومن الأغاني الشعبية « حسبت نجمك
لقيت لك وفق ويأى » فإن من حساب
الطالع أن بعض البروج تناسب بعضاً ،
وبعضها لا يناسب بعضاً ، فإذا كان الرجل

الطرحة

وقائمة الأكل عادة شربة ، ثم نوع من اللحم ، ونوع أو أكثر من الخضروات ، ثم الأرز ، ثم الحلوى ، ثم تقدم فناجين القهوة . أما الطبقة الفقيرة فتكتفي بما حضر من غير احتفال ، مشاً أو بيسارة ، أو عدس أو فول نابت ، أو نحو ذلك . والفلاحة عادة تذهب إلى زوجها في الغيط ، وتحضر له شيئاً من هذا فيأكله مع الفجل أو البصل أو نحو ذلك .

الطقطوقة

هي أغنية خفيفة تسود عليها الشخلة في الغناء . مثل « جمالك ربنا يزيد » و « شوى شوى » ، وهي عكس الأدوار المتزنة الرزينة غالباً . وفي العادة في ليلة الفرح تغنى بعض الأدوار ، ثم تغنى بعض الطقاطيق . ويطلقونها مجازاً أحياناً على الفتاة الصغيرة الدلوعة ، أو الحديث الخفيف غير المقيد بقواعد . وأحياناً تطلق أيضاً على الوعاء الصغير الذى تنفض فيه السجائر .

نوع من الشاش مصبوغ بالصبغ الأسود وقد يكون من الحرير ، يلبسها بعض الممدّنات خصوصاً في الأحزان . وأكثر ما يلبسها الفلاحات . وتستخدمها الفلاحة كغطاء للرأس ، وفي تغطية وجهها عن لا تحب أن تراه . وفي كلامهم القسم بتليسه الطرحة ، أى بالقلبة عليه حتى يكون أشبه بالمرأة .

الطعام

للطعام في عرف المصريين نظام قد يخالف الأم الأخرى . وللأغنياء طريقة وللفقراء طريقة أخرى . فمثلاً والدة إسماعيل كانت تجلس في حجرة الأكل في السراى مع من يوجد من البرنيسيات على شلت مغطاة بقماش مزركشة بالقصب ، وتوضع أمامهن صينية من الفضة وأدواتها ، إلا في الدعوات الخاصة فتكون من ذهب . وقد توضع الصينية فوق كرسي عال بعض الشيء . ويقوم بالخدمة جوار يرتدين اللباس الفاتح ، وفي أيدي بعضهن منشآت يُنش بها على الأكل . وفي الطبقة الوسطى كذلك بشكل أرقّ حالاً .

الطَّلَسْم

بأنه ربما كان جو حص لا يناسب العقارب ،
أو أن فيها بعض الحيوانات التي تهاجمها ،
فهربت منها .

الطَّيْب

يحب المصريون الطَّيْب رجالا ونساء .
فيطيبون بدهن الورد وبالعنبر وبالمسك
وبالعطر . وقد يبائع بعض النساء فيه .

وكان لا يتحرَّج الرجل من التطيب ،
وقد يضع شيئا منه في منديله فتفوح رائحته
إذا أخرجها . وقد يقدِّم الطيب للضيوف
كالتهوة .

وفي كثير من البيوت مبخرة ليتبخر
الضيوف بها ، وقيم لرش ماء الورد والعطر
ونحو ذلك .

وهم يحبسون أيضاً الأزهار العطرية ،
ويفضلونها على غيرها ، كالورد والفل والياسمين ،
وتمر الحنّاء ؛ وهم إذا شموا رائحة طيبة قالوا
اللهم صلي على النبي . وكثيراً ما تدخل
المسجد فتشم منها الروائح العطرية ، لأنهم
أمدوا المسجد بها أو أطلقوا فيه البخور .

وتجدهم أيضاً يرسلون أمام الميت في
جنازته طائفة يحملون المباخر ، وقد يحمل بعض
هؤلاء قاتم ماء الورد والعطر ، يرشون بها على
الواقفين في جانبي الطريق .

يعتقدون أنه إذا تليت عزائم سحرية
خاصة على المادة المصنوعة المدة لذلك ،
سببت المراد منها ، كالطلسم الموجود في
الأزهر ؛ يقولون إنه يمنع العاصير من الدخول
في المسجد ، مع أنه مكان مناسب لذلك .
ويزعمون أن بالإسكندرية طلسماً لمنع الحدأة
ولذلك لا توجد في جو الإسكندرية .

ويزعمون أنه يمكن عمل الطلسم لحراسة
الدار والمال بصنع صنم من حجر الكدّان
كامل الخلقه ويده سيف ويتعمد عمله عند
سلطة المريخ في الساعة الأولى أو الثامنة
من يوم الثلاثاء ، ويذبح عند ذلك دجاجة
سوداء ليس فيها إشارة ، ويطل بالدم جميع
الصنم . الخ . الخ . . .

ويظهر أن قدماء المصريين كانوا أيضاً
يصنعون هذه الطلاسم ويعتقدون فيها شهرتهم
في الأعمال السحرية ، ولهذا كانت معجزة
موسى عليه السلام إبطال سحر السحرة
المصريين . وقد روى الجاحظ في كتابه
الحيوان أنه لما زار حص لم يجد فيها عقارب ،
فسأل عن ذلك فقالوا له : إن بها طلسماً يمنعها
من البقاء فيها ، فلم يرض عن ذلك ، وعلاه

حرف الظاء

حرف الظاء معدوم في اللغة العامية ، وكثيرا ما يقلبونه ضادا مثل ضهر ، أو زايا تخينة مثل زابط ، وهو حرف صعب الإخراج من اللسان . ولذلك لم نجد كلمة عامية يصح إثباتها من غير أن تكون قد تقدمت في حرف الضاد أو الزاى التخينة .

حرف العين

عبده وألمظ

عبده وألمظ شخصيتان كبيرتان ملائمتان
مصر بهجة وسروراً ، يدعيان عادة في أيام
الأفراح ، مثل زواج وختان وشفاء من مرض
ونحو ذلك . يدعى عبده للرجال وألمظ للنساء
وكثير من الفنانين يولع بهما فينتقلون من
أقصى القاهرة إلى أقصاها ؛ من المنشية إلى
العباسية ، ومن السيدة زينب إلى الجمالية .
وقد شاهدت حفلة من حفلات عبده
بمناسبة زواج أسرة متوسطة . وتفصيل
ما شاهدت أنه نصب صوان وأنى بكرامى
كثيرة صفت فيه ، وأحضرت دكتان
عاليتان متقابلتان اللاتية جلس عليهما
عبده وصحبه . هذا بالقاون ، وهذا بالعود ،
وهذا بالدف ، وهذا بالناي إلخ . ثم بدأوا
فى الغناء حوالى الساعة العاشرة مساء بعد
أن أكلوا كثيراً وشربوا الخمر كثيراً ،
وبدأوا بتقسيمات قانون وعود إلخ . ثم بدأ
عبده الحامولى يفتى « ياليل » بطبقات مختلفة
ثم بعد أن يغنيها يوقع القانونجى على القانون
بالنغمة التى قال بها ياليل . ثم يبدأ فى غناء
الأدوار مثل دور « الله يصون دولة حسنك
على الدوام » ، وإذا انتهى الدور جلس
للاستراحة فتبودلت النكات .

وقد يستمرون كذلك إلى الفجر أو إلى
طلوع الشمس . وهناك بائعوا لبّ يسمون
المطيباتية ، وظيفتهم أن يقولوا لعبده « الله
يا سيدى » ونحو ذلك . وربما كانت لهم
وظيفة أخرى ، وهى أن يكونوا رسلا بين
الآلاتية والسماعات فى طلب أدوار خاصة
أو رسالات الغرام .
والناس عند كل نغمة يصرخون بقولهم آه—
وألله ، أو يدعون بالبقاء وعدم الحرمان منهم .
أما ألمظ فبغنى بدورها للحرير ، وقد
تزوجت أخيراً بعبده ؛ ففتن مشهور تزوج
بمغنية مشهورة .
وكانت جميلة بعض الشيء ، وتكاد
حواجبا تكون مقرونة ، وهى تغنى أغانى
نسائية مثل « أشكى لمن غيرك حبك ،
أنا العليل وأنت الطبيب ، اسمح وداوينى
بقربك ، واصنع جميل إياك أطيّب » ومثل
« حبيبى هجرنى ، شوفوه لى ياناس ، أترجّاك ،
تعمل معروف ، غرامك علمنى النوح ،
يا حبيب القلب شوف ، مع طيفك أرسلت
الروح ، أترجّاك تعمل معروف » .
ويحكى أن اللورد كرومر لما ترجم له
حبيبى هجرنى شوفوه لى ياناس ، قال : « حتى
الحبيب يترجّى الناس بأنهم يشوفوه له ، ولا
يتحركش هو ! هكذا المصرى » .

فقالوا حتى العجوزة . ومن الغريب أنها
محظوظة . فغلب اسمها على كل من بالحى
من الأعيان والوجهاء ، حتى المسجد الذى
به سُمى مسجد العجوزة .

وكثيراً ما يكون للعجائز شر كثير .
وهن يدخلن البيوت ويؤثرن بحيلهن على
الزوجات ليفضبن على أزواجهن ، وخصوصاً
إذا كانت العجائز حوات .

عدية ياسين

من المعروف أن يس سورة فى القرآن ،
فالناس يعتقدون فيها أنها إذا قرئت مراراً
استوجبت الرحمة للميت ، وأزالت الغم عن
الحى . ويسمّون قراءتها مراراً ، أى نحو
مائة مرة ، بالعدية ، فيجمعون الفقهاء فى
مكان فى البيت أو فى سيدنا الحسين أو فى
السيدة زينب ويكلفونهم قراءة سورة يس
عدّة مرات ، يسمونها العدية ، ويطلبون
منهم أن يهبوها لمن شاءوا من حى أو ميت .
وقد تستخدم أيضاً فى الشر . فيقول
بعضهم لبعض إذا ظلمه : سأقرأ عليك عدية
يس ، ويزعمون أنها مجرّبة فى الخير والشر .
ولما مرضت بعينى ذهب صديق لى إلى سيدنا
الحسين وطلب من بعض الفقهاء أن يقرؤوا
لى عدية يس على ذمة شفاء العين .

وأحياناً تنقّى أظ بعض الطفاطيق مثل
« لازم أهشه ، دا العصفور . تنكش لى
عشه ، دا العصفور . دا ابن الأكبر ...
دا العصفور . ع العشق صابر ... دا العصفور .
طار وعلى ، وعلى طار ، ونزل على بيت
الطار ، وكبش ملبس ودانى ، ولوز مقشّر
وعطاني ، لازم أهشه ... دا العصفور » .

وإذا كان يعمل كل هذا فلم تهشه ؟
وفى أثناء غنائها يكون حولها أيضاً موسيقى
من طبل وغيره ، وأمّاها رقص ونحوه ؛
وفى الحق أنهما ملآ القاهرة بهجة وسروراً ،
وكانا ذوى سرودة . فكثيراً ما حكى عنهما
أنهما تبرعا بمنتجات مجانية للفقراء . وقد
ماتت أظ قبله فبكاها كثيراً . ثم مات
بعدها فبكاها الناس ..

العجائز

اشتهرت العجائز فى مصر بأنهن أهل
دهاء وتجارب ؛ فمن دهاء بعضهن ما يصلن
به بين الرجل والمرأة ، واختراع الحيل المناسبة ؛
وهن مشهورات أيضاً بالوصفات البلدية
أخذنّها عن التجارب وعن قبلهن .

والمصريون يقولون فى أمثالهم : « زى
عجائز الفرخ ، أكل ونقورة » ، النقورة :
الانتقاد . أى أنهن يأكلن وينتقدن .
ولا أدري من العجوز الذى سُمى الحى باسمها ،

العزاء

للمصريين عادات كثيرة في العزاء ؛
من ذلك أن النساء إذا وصلن إلى بيت
الميت يحنّ كثيراً ولظمن كثيراً وخبطن
بالكفوف وقرعن الصدور . وذلك ليظهرن
لأهل الميت شدة حزنهن . ومنهن من يمسكن
بكل يد حجراً ويضربن به صدورهن ،
ومنهن من تلعطن وجوها بشدة ، حتى يجرى
الدم من خدودها .

وقد جرت العادة إذا مات أحد من
مشاهير العلماء أن يؤذن على المآذن في غير
أوقات الأذان ، فيعلم المصريون بموت عظيم
من العظماء ، فيتساءلون عنه ويهرعون إلى
حضور جنازته .

ويوضع الميت في خشبة ويسير المشيعون
وراءه إلى المدفن حتى يوارى في قبره ، ويقام
أهل الميت صواناً كبيراً للرجال يُتلى فيه
القرآن من العصر إلى ما بعد العشاء ، وتجتمع
النساء في بيت الميت ؛ وإذا كان الميت عزيزاً
أحضر أهله الندابات داهنات وجوههن
بالنيلة ، وفي كل يوم جمعة يذهب أهل الميت
إلى مقبرته ومعهم الخوص والفاكهة والفطير

أو « الشريك » وهكذا إلى يوم الأربعاء .

وقد شاهدت فيما مضى شيئاً قد بطل
الآن ، وهو أن يسير أمام الميت جمل أو أكثر
يحمل على جانبه صناديق مملوءة بالفطير
والشريك يسمونها « كفاة » يوزع راكب
الجل ما فيها على طول الطريق . ثم تسير
طائفة من العساكر ، ثم أرباب الطرق
المتخلفة ، ثم غلمان الكفايات . وقد بطلت
أكثر هذه العادات . وعند ختام الفقيه
كل سورة يخرج بعض المشيعين . وإذا ذلك
يقف أقارب الميت يتلقون بأيديهم العزاء
من المعزين ، وهم يقولون : عظم الله أجركم .
فيردون عليهم : غفر الله ذنبكم .

العشبة

اعتاد بعض المصريين ، وخصوصاً
النساء ، أن يستعملوا العشبة دورياً كل عام ،
وهي نبات يُغلى بالماء يزعمون أنه يقوى
الجسم ، وإذا استعملته المرأة امتنعت عن
أنواع من الطعام لا تتفق معها وأكلت
ما يناسبها .

وإذا استعملت العشبة في أيامها عبرت
عن هذا بأنها دخلت في العشبة .

ويداوين العقم أحياناً بالمرور على القتييل ،
ولذلك ترى كثيراً من النساء العقيات يذهبن
إلى المستشفيات إذا علمن وجود قتييل بها
لتخطيته .

العقيق

حجر أحمر داكن يتختمون به ،
ويعتقدون أنه يجلب الخير والسعادة ويبعد
الشقاء . وكانوا من قبل يتختمون به للظرافة .
ولجرته شبهوا به العين المريضة إذا احمر
بياضها احمراراً كثيراً فيقولون : صارت عينه
زى العقيق .

العلاقة بين المسلمين والأقباط

ظلت العلاقة بين المسلمين والأقباط
حسنة في الجملة ، إلا في فترات ساءت فيها
العلاقات لأسباب عرضية ، نكل فيها
المسلمون بالأقباط أو الأقباط بالمسلمين ،
وذلك كما فعل بعض الولاة المسلمين في التنكيل
بالقبط عصبية منهم ، أو كما فعل بعض
الصرافين الأقباط بالفلاحين المسلمين ،
ولكنها على العموم كانت هفوات قليلة ،
ثم تعود الأمور إلى مجراها ؛ إلى أن جاء عهد
الاحتلال الإنجليزي فخرروا في مصر وفي الهند
وغيرهما على سياسة « فرق تسد » ، فحاولوا

عفريت الليل

هو لقب يطلق على واحد من جماعة النوبيين
عهد إليهم بإضاءة الشوارع بعد المغرب . وهم
يلبسون لباساً خاصاً أشبه بلبس السواس ،
وفي يدهم عصا طويلة ركبت عليها حديدة ،
يفتحون بها فانوس النور أو يطفئونه ، فإذا
فتحوه أشعلوه ، وإذا أطفأوه انطفأ . ومن
عادتهم أن يجروا سريعاً في الشوارع ليؤدوا
عملهم في سرعة . ولذلك قالوا : « عفريت
الليل بسبع رجلين » .

العقم

العقم داء يهتم المصريون كثيراً بأمره ؛
والمرأة العقيم لا تحب من زوجها ، ولا ينظر
إليها نظرة الولود . ولذلك يشغل العقم بال
الرجال والنساء على السواء . وتداويه بعض
المعاجز بأدوية مختلفة . وقد يضطر بعض
النساء إلى الذهاب إلى أماكن مختلفة ،
كالغاورى في القاهرة ، أو إلى بعض المقابر
المهجورة ، وقد تلد المرأة بسبب ذلك .
ولكن مع الأسف لتساهلها في عرضها مع
من لا خلاق لهم لا من سِرّ المكان ، وإنما
من سر السكان . وهناك بعض النساء يتداوين
بالأحجبة أو البخور من أجل هذا العقم .

جديد ، فحاول الإنجليز أن يثيروا الأقلية على الأكثرية ، فكان الرد عليهم تعانق الصليب والهلال رمزاً لاتحاد المسلمين والأقباط . وفعلا في تحقيق ذلك أفعالا كثيرة ، سدوا بها هذه الفجوة .

ولما تألف الوفد المصري ، للمطالبة بالاستقلال ، كان من أعضائه مسلمون وأقباط ؛ وارتفع صوت العقلاء يقضون على نزعة التعصب هذه ، ويدعون إلى الألفة والاتحاد منعاً لدخول الحيتلين من منفذ ولو ضيق ، ليوسعوا شقة الخلاف . ومع هذا لم يزل الخلاف تماماً ، بل لا يزال هناك متعصبون من هؤلاء وهؤلاء . حتى ليكاد بعض المصالح يكون وفقاً على طائفة دون أخرى ، كالأقباط في السكك الحديدية ، والمسلمين في قلم قضايا الحكومة ونحو ذلك .

ونرجو أن يرتقى الرأي العام على مر الزمن فيزول هذا التعصب ، ويكون الدين لله . وإذا كان الأمل أن تسود الإنسانية على القومية ، فأولى أن تسود القومية على العنصرية .

إيجاد ثغرة بين المسلمين والأقباط ، وخصوصاً في عهد السير غورست ، فوجد متعصبون من هؤلاء ومتعصبون من هؤلاء ، وكان من نتائج هذا وذلك أن عقد الأقباط مؤتمراً لهم في أسيوط نددوا فيه بالمسلمين ، وشادوا بذكر القبط ومحاسنهم وكفائتهم ، وأجابهم المسلمون بعقد مؤتمر آخر في مصر الجديدة ، برياسة رجل مصر الكبير مصطفى باشا رياض ؛ وكان انعقاد هذا المؤتمر في غرة مايو سنة ١٩١١ ، وسموه المؤتمر المصري ، وخطب فيه كثير من وجهاء المسلمين ، كالشيخ علي يوسف . وكان موضوع خطبته « التعليم في مصر وحظ المسلمين والأقباط منه » ، والشيخ عبدالعزيز جاويش في : « الربا في الإسلام » ، وطلعت حرب قد خطب خطبة دعا فيها إلى إنشاء بنك مصر . وكذلك فعلوا على العموم في الإشادة بالمسلمين وتفضيلهم على الأقباط في العلم والذكاء والكفاية .

ولما ثارت الحرب العالمية أراد بعضهم أن يثير الفتنة بين المسلمين والأقباط من

على كا كا

هو شخصية غريبة تدل على ولوع المصريين بعلاقاتهم الجنسية . فهي شخصية رجل يلبس الحذاء ويلبس في وسطه حزاماً يتبدل منه قطعة على شكل الآلة الجنسية في أضخم أنواعها . وكان هذا المنظر يثير ضحك النساء والرجال على العموم ضحكا بالغا . وكانوا يصنعون منه نماذج من الحلوى في الموالد ، وكان هناك نوع من الحلوى عبارة عن سكر مجفف فيه شربات ، ويسمونه أيضاً شربات . ويدور البائع في الشوارع والحارات ويقول : « العروسة من الشربات ، العريس من الشربات ، الحمة من الشربات ، على كا كا من الشربات » .

على لوز

كان الأطفال في العيد يعقدون السكر ويصبونه في صَوَانٍ صغيرة ويضعون عليه اللوز المتشّر وينادون عليه « على لوز » ، ولا أدري لِمَ سموه على ، إلا أن يكون أثراً من آثار التشيع ، أيام كان التشيع منتشرأ في عهد الفاطمي ؛ ولذلك كثيراً ما تنسب الأشياء لعلى ، كعلى لوز ، وعند المطر يقولون : يافرج على ، وعامل أبو على ،

وأُم على ، وعلى عليه ، وعلى يا على يابقع الزيت ؛ إلى غير ذلك مما لم يحضرني الآن . وقد يستعمله الأطفال جلباً للعيدية ، فأقارب الطفل يأخذون من حلوته هذه قطعة صغيرة تسمى « الملوّق » ويدفعون له عيدته . وكان هناك من يتاجر بها في الأعياد ، فيصنع صوانى كبيرة مملوءة بعلى لوز .

« الشيخ » على يوسف

هو صاحب جريدة المؤيد ، وكانت جريدة إسلامية واسعة الانتشار والنفوذ ، وكان الشيخ على يوسف رجلاً ما كراً ماهراً بليغاً ، مقرّباً من الخديوى عباس . (انظر حادثتان)

العمامة

العمامة في مصر شال خفيف يلف على الطربوش بعد تكويره . وهي أنواع : منها البيضاء ، والسوداء ، والخضراء ، والحمراء ؛ فالبيضاء هي اللبس العادى للمصريين ، والخضراء للأشراف من نسل على ، والسوداء لباس الأقباط والصوفية السعديين ، والحمراء لباس بعض الصوفية من الطريقة البيومية ؛ وكانت العمامة لباس

ومن أقوال الخليليات : « إوعى العمدة توقف
حالك » ، ومن العمام نوع ملفوف لثامحكما
كعمائم الأقباط ويسمونها مقلّة .

العمدة

هو رئيس البلدة أو القرية ، وهو معزز
في قومه وإن كان ذليلاً أمام المعاون والمأمور .
وبعض العمدة يظلم الأهالي كثيراً بفرض
ضرائب مالية عليهم ، وشراء المواد الغذائية ،
كالبط والأوز بأرخص الأثمان ، وأخذهم
النساء بالقوة خادمت في بيوتهم ، واستخدام
الفلاحين وحيواناتهم في زراعتهم وغير ذلك .

والفلاح يُرعب إذا ناداه ، ويحتكم
إليه إذا تعدى عليه أحد . فهو في المسائل
الجزئية يقوم مقام القاضى . ويجرى مجراه
على صورة أصغر شيخ البلد . وأبناء العمدة
والمشايخ يعتزون كثيراً بأبائهم ، فن لم يحترمهم
احتراماً زائداً ضربوه وأهانوه .

ويعنى أولاد العمدة من القرعة . والناس
يسمون كل من كان وجيباً في لبسه ظاهراً
عليه الفلاحة عمدة . فيقولون إوعى يا عمدة ،
واتفضل يا عمدة !

أكثر المصريين ، والمسلمين ، فالغاها
مصطفى كمال إلا على رجال الدين ، وأزهمهم
لبس القبة .

والمصريون باختيارهم غير أن كثيراً
منهم يلبس البدلة والطربوش بدل الجبة
والقفطان ، حتى طلبة الأزهر ودار العلوم .
والسبب في ذلك أن العمامة غير محترمة
في القاهرة الاحترام السكافى . وقد قلت
مرة إن صاحب الطربوش موضع ثقة إلى أن
يأتى بعمل يفقدها ، أما صاحب العمامة فلا
يوثق به إلا أن يأتى بعمل يمنحه الثقة .

وقد كنت فيما مضى ألبس العمامة ،
فلقيت من لبسها أذى كثيراً ، مثل أنى أردت
أن أدخل مع صديق لى مطربش لوكاندة
سميراميس ، فنعت منها لعمتى ، وأجيز
المطربش ، ولما رأى ذلك امتنع أيضاً من
الدخول . ومنها أنى أردت أن أنزل لوكاندة
في الإسكندرية للمبيت ، فقبل لى إنها كلها
مشغولة ، فلما جاء بعدى مطربش وُجدت
الغرفة ، وإذا أردت الركوب في الترام في
الدرجة الأولى قبل لى إنها الدرجة الأولى ،
كان المعمم محرم عليه أن يركبها ، وهكذا من
المصاعب ، حتى اضطرت إلى تغيير لبسى .

عمودا جامع عمرو

هما عمودان في مسجد عمرو بمصر القديمة ، أو بعارة أخرى القسطاط ، يعتقد العامة أن من كان صالحا استطاع أن يمر بينهما ولو سميئاً ، ومن كان فاسقاً لم يستطع ذلك ولو كان نحيفاً .

وقد حدثت منهما مضار بسببها اضطرت الحكومة إلى تسويرها .

عنزة السيدة نفيسة

حدث سنة ١١٧٣ هـ أن خدمة السيدة نفيسة أظهروا عنزاً ، وكبيرهم إذ ذاك الشيخ عبد اللطيف ، وزعموا أن هذه العنز خلصت بعض الأسارى المسلمين من الأسر ، وزعم الناس أن السيدة نفيسة أوصت عليها الشيخ عبد اللطيف من القبر ، وأنها تارة تكون فوق المنارة ، وتارة تطوف بالضريح . الخ . وتسامع الناس بذلك وأقبلوا من كل فجج عليها رجالا ونساء . وقدموا إليها النذور والهدايا . وزعم الشيخ أنها لا تأكل إلا قلب اللوز والفسق ، ولا تشرب إلا ماء الورد والسكر المكرر ، فانهالت عليه هذه الأشياء .

وعمل الناس لها كثيراً من قلائد الذهب وأطواق الذهب ، وصار الأمراء والأعيان يرسلون الشيء الكثير من ذلك . وقتن الناس بها ، وأرسل الأمير عبد الله كتخذة للشيخ يلتمس منه حضوره بالعزيز ليتبرك بها هو وحريره ، فركب الشيخ بغلته والعنز في حجره وأمامه الطبول والبيارق وجموع الناس ؛ فلما وصل إلى البيت دخل بها على الأمير في مجلسه ، ومعه كثير من الأمراء فتبرك بها وأرسلها إلى الحرريم ، وكان قد أمرهم بذبحها وطهيها ، فأعدت مع الأكل ، وجلسوا يأكلون والأمير يسأل الشيخ عن طعم لحمها فيقول لذيد ، والأمراء يتغامزون ويتضحكون ؛ فلما أكلوا وشربوا القهوة طلب الشيخ العنز فأخبر بذبحها فأسقط في يده وبهت ، ووبخه الأمير وبكته ، وأمر أن يعمم الشيخ بجلدتها وأن يذهب به كما جاء بالطبول والزمور . وفي ذلك قال الشاعر :

ومن أعجب الأشياء تيس أراد أن

يضل الوري في حبا منه بالعزيز

فعاجلها من نور الله قلبه

بذبح وأضحى الشيخ من أجلها مخزى

العواطف

يتميز المصريون بحدة عواطفهم في مآثمهم وأفراحهم ، وأنه تتحكم فيهم عواطفهم أكثر مما يحكمهم عقولهم ؛ ففي المآثم يهيجون حزناً ، وقد يلطمون ، وقد يصبغون وجوههم وأيديهم بالنيلة ، ويأتون بالمعددة تهيجهم ، ثم الخروج إلى القرافة والاحتفال الشديد بها ، والمظاهر المتعددة فيها ، ثم نصب الخمر في أيام الخميس ، وفي الأربعاء ، وفي كل موسم وعيد ، مما لا ينتهي . على حين أنك ترى الأوروبي فلا تسكاد تشعر أنه قد مات له ميت .

وفي الأفراح تقام الولائم ويستدعى تحت المغنين والمغنيات ، وتمد الموائد إلى زفة العروس ، وحفلة السبوع والصباحية إلى غير ذلك .

وقد يسبب هذا التعالى في المآثم والأفراح الفقر والبؤس ، ويتحملونها في صبر .

ومن مظاهر شدة العواطف الاسترسال في الضحك ، والاسترسال في البكاء ، والتأوه بصوت عال عند سماع مغن أو مغنية ، والصوات والزغاريد ، حتى لتظهر هذه الحدة في استعمال الشطة في المأكولات ، وفي الإعجاب بالممثلين والممثلات ، وفي التخريب

في المظاهرات وفي الميل إلى الألوان الصارخة في الملابس وغير ذلك .

وأظهر ما يكون ذلك في النساء ، فهن يقدرن كلام الناس فيهن أكثر مما يقدرن الحجة المنطقية ويتأثرن بالخبر السار أو الحزن أكثر مما يتأثر الرجال . وتظهر حدة عواطفهم في الأغاني والأشعار ، فهي مملوءة حزناً وضنى على المجران ، ومرحاً وسروراً للوصال . وربما كان هياج العواطف أكبر سبب للتخريف . فالعواطف إذا هاجت التمسّت كل سبيل للوصول إلى الغرض .

عوج بن عنق

اسم مشهور دأثر على أسنة العوام ، يقولون في وصف من كان طويلاً : « أطول من عوج بن عنق » ، ولهم في وصفه خرافات غريبة ، منها أنه كان يمدّ يده إلى قاع البحر الملح فيأخذ منه السمك الكبير ، ثم يمد يده إلى الشمس فتتنضج السمكة من حرارة الشمس .

وقالوا إنه كان في زمن الطوفان ، فكان يمشى في الماء بجانب سفينة نوح . وقالوا إنه مرض ذات مرة ونام ، فكانت القوافل تمر عليه فيقول لها : إن بلغتم رجلى فانظروا ما الذي يخربشني فيها . وقالوا : إنه كان في

أكله وبهائمته للعمل فيما كلف به ، وطريقتها أن ينادى الخفير في الصباح : « العونة يا فلاحين ، العونة يا بطالين . . » فيخرجون ويوجههم الخفير إلى حيث يعملون . وفي بعض البلاد تفرض العونة على البيوت ، ويقال على البيت الفلاني رجل ، وعلى البيت الفلاني رجلان ، والأسرة التي في البيت حرة في اختيار من يشغل . وأحياناً يستخفى من عليه العونة ، ويخرج من البلد أحياناً في زى امرأة أو يختفي في القرن . . وأكثر ما تكون العونة في بلاد الوسيّة ، أي البلاد التي فيها أراضي الملاك الكبار من تغاتيش وعزب وغيرها . والعونة كانت من أكبر مصائب

الفلاحين ، وتهدهم دائماً بالظلم والقسوة ، وكلما كان الفلاح عديم الملك أو قليل الزرع كان أكثر عرضة للعونة ، وهو دائماً خائف مرتعب أحياناً من حضور ميعاد المال ومن الكشاف ومن الصراف وغير ذلك . ولذلك قال بعضهم :

همّ الفلاحة حيرني

وكل ساعة في نقصان

ما انفك من همّ الوجبة

لما يبجى مال السلطان

(انظر سخرة ، وانظر أيضاً وجبة)

زمن موسى فأراد موسى أن يضربه ، فاضطر أن يرتفع عن الأرض أربعين ذراعاً . وله عصا طولها أربعون ذراعاً أيضاً . وغير ذلك من الأساطير .

وكلمة عوج عبرانية ، معناها طويل العنق ، وقالوا إنه اسم ملك كان جباراً ، أطول من المعتاد ، وقد انهزم في موقعة دموية ، واقتسم بنو إسرائيل ملكه . وقال الشاعر :

لى حبيب قده دونه السمر الرقاق
أعور الدجال يمشى خلف عوج بن عناق
وقد اضطره الشعر إلى أن يحوّر عنق
إلى عناق .

وقد كانت أخبار هذا الرجل من الإسرائيليات التي دخلت في تفسير القرآن .

العونة

العونة السخرة ، كأنهم يتعاونون في عمل الشيء ، كالعونة في المحافظة على الجسور وتطهير الترع ، وكانت هي الأخرى سبباً في ظلم الفلاحين من العمد ومشايخ البلاد ، والفلاح يعمل في هذه العونة أو السخرة من غير أجر ، وأحياناً تكون العونة لمصلحة عامة ، ولكن في مزرعة غنى أو كبير ، فمن عليه العونة يخرج في الصباح ومعه أيضاً

عهد

العهد في اصطلاح الصوفية الميثاق الذي يأخذه الشيخ على المرید ؛ فيقولون للمرید إنه أخذ العهد ، وللشيخ إنه أعطى العهد للمرید . وهو علامة على الدخول في طريقة من الطرق الصوفية كالبيومية ، والسعدية . وبعد العهد يترقى المرید إلى مراتب مختلفة حتى يصير قطباً . وبعد أخذ العهد يأخذ عن الشيخ الأوراد ، ويسير في الحياة وفقاً بأمره به الشيخ . وإذا أخذ عهداً على طريقة عد من العيب أن يأخذ عهداً على طريقة أخرى ؛ كمن كان شافعيّاً لا يصح له أن ينتقل إلى الحنفية وهكذا .

وقد أخذت هذه الطريقة الأحزاب السياسية ، فمن انتسب إلى حزب لا يصح أن ينتسب إلى حزب آخر معه .

العيش

اسم يطلقونه على الخبز وهم يجعلونه كثيراً ، فإذا رأى أحدهم قطعة من الخبز تحاها بجانب الحائط ، ور بما قبلها قبل ذلك ؛ ولا يستحلون أن يدوسوا عليه ، ويكنون عن العيش والملح

بشدة الروابط ، فيقولون أكلت معه عيش وملح ، وإذا لم تنفع الصداقة قالوا « يخونه العيش والملح » .

العين

العين إذا رقت فإنهم يتشاءمون بهذا إذا حصلت من إحدى العينين ، ويتفاءلون إذا حصلت من الأخرى ؛ ومن ذلك الأغنية المشهورة اليوم : « عيني بترف يا حبة عيني » . ويقولون إذا رقت عينه : اللهم اجعله خيراً . ومن ذلك أيضاً خدر الرجل ، فهم يزعمون أن الرجل إذا نملت ، دل ذلك على أن صاحبها سيسير سيراً طويلاً .

وتطلق العين أولاً على الحسد ، فيقولون للمحسود : « أصابته عين » . ويعتقدون أن بعض الناس في عينه قدرة على الحسد تؤذي من أصابته ، ويداوون ذلك بالتعاويذ والبخور والأحجبة . ويقولون في أمثالهم : « عين الحسود فيها عود » . وكلمة العين تستعمل في الغناء كثيراً ، فيقولون يا ليل يا عين . وينوعون نغمتها أنواعاً كثيرة . (انظر حسد وأحجبة وبنخور)

عين الصيرة

هي عين مالحة مرّة بالقرب من الإمام الشافعي ، يعتقد المصريون أن من اغتسل فيها شفي من الأمراض ، ببركة الإمام .
والحقيقة أن العين ذابت فيها بعض مواد كيميائية ، من المواد التي مرّت عليها فجعلتها

صالحة لشفاء بعض الأمراض ، وخصوصاً الجلدية . وخصوصاً أيضاً طينتها التي تركّزت فيها هذه المواد ، فإنهم عادة يأخذون هذه الطينة ويضعونها على العضو الذي أصيب بالآفة فيمتص كثيراً من السوائل الضارة فيبرأ المريض .

حرف الغين

الغابة

تطلق على الجوزة التي يشرب فيها التمايك
أو الحشيش . ومن الأغاني « جوزة من الهند
ومركب عليها غاب » وإذا دخلت قهوة بلدية
وجدت « جوزات صغيرة وكبيرة بغابها »
معلقة في صدر القهوة .

ومن الغاب نوع يسمى (الغاب الأفرنجي) ،
متين يستعمل لوضع جنب الفاكهة
والخضراوات عليها .
وقد يسقف الفلاحون بيوتهم بالغاب
بدلا من عروق الخشب لقرم .

ومنها ما يستعمل في اصطياد السمك
إذا كانت طويلة ، فيركب عليها سفارة
ويصطاد بها . (انظر جوزة وتعميرة) .

غاباني

يقولون شال غاباني ؛ وأصله ياباني ، لأن
أهل مكة يسمون يابان غابان .

الغراب

طائر أسود يتشاءمون منه ومن صوته .
ومن أمثالهم « إيش جاب الغراب لأمه » ،
أى أنه لم يأت لأمه إلا بالشر . وربما كان
موروثاً عندهم من العرب ؛ إذ كانوا يتشاءمون
منه ، ويقولون : أشأم من غراب . ويسمونه
« غراب البين » بدعوى أنه يفرق بين

الحبين . وقد قال الشاعر العاقل :

ما فرق الأحباب بعد الله إلا الإبل
وما غراب البين إلا ناقة أو جمل
ولو كان الشاعر عائشاً في زمننا لعدّ من
مفرقات الأحباب السفينة والواوور والطيارة .

الغربال والمنخل

كان الغربال والمنخل منتشرين أيام
كانوا يخبزون في بيوتهم ، وكان أهل كل
بيت غني أو متوسط يخزنون القمح ، وكلما
احتاجوا غربلوا وطحنوا ونخلوا ، وهكذا .
يأتون بالقمح فينقونه من الطين والزوان ،
ثم يغر بلونه ليخرج منه ما ليس بصالح ، ثم
يرشون عليه قليلا من الماء ، ويرسلونه إلى
وابور الطحين ليطحن . ووابور الطحين شيء
جديد على مصر ، فقد كانوا قبل ذلك
يستخدمون طواحين البيت أو طواحين
الهواء ، تجدها منتشرة في كل مكان . فإذا
طحن أفرز الدقيق الناعم من دقيق السن من
النخالة بواسطة المنخل ، ويأتون بالدقيق
الناعم فينخلونه مبالغة في جودته .

والمنخل عادة أدق مسام من الغربال .
فالغربال لتنقية القمح ، أما المنخل فلتنقية
الدقيق . والمنخل طارة يركب عليها إماسلك
فيسمى منخل سلك ، أو شاشة رقيقة دقيقة ،

أما الكانون في عصرنا فكان إطاراً من حديد ، له قاعدة يوضع فيها الخشب أو الفحم ثم يشعل الخشب أو الفحم بواسطة بعض الورق أو بواسطة قطع صغيرة من خشب سريع الالتهاب يسمى الإشرء ، وكان يدار به أيضاً على البيوت . وبعذلك عمل كانون من نوع آخر ، وهو عبارة عن إطار من حديد وضع حول الإطار طين محروق أدخل في النار حتى احترق ، فكان بذلك قابلاً لأن يوضع فيه ما يحترق . وقد استعمل هذا الكانون عند ما استخدم للطبخ ونحوه بقايا الفحم الحجري المسمى « بفحم الكوك » . وكان العجائز لا يحببن الطبخ عليه ، لأنه يسرع في نضج الطعام . وعندهن أن الطعام إذا طبخ على نار هادئة أو في القرن كان ألد . ثم استغنى عن كل ذلك بوابورات الجاز .

ومن الأمثال الشائعة : « يأممنة للرجال يأممنة العمية في الغربال » يضربونه للدلالة على عدم الثقة بالرجال ، فقد يمكث الرجل مع زوجته ماشاء أن يمكث ، ثم يلوف بغيرها على حد تعبيرهم . وكذلك أيضاً : « الغربال الجديد له شدة » . يعنون لذة الأشياء الجديدة (كالجزمة والبدلة) .

فيسمى منخل حرير . ويسمى السلك أو الشاشة بمسامير دقيقة .

أما الغربال فيعمل من طارة أكبر ، ويركب عليه خيوط تعمل من الغراء في الأغلب . وإذا ارتنخى الغربال من الرطوبة أو نحوها مرر على نار هادئة أو شمس حامية فيشتد . ومن كثرة استعمالها كان هناك حتى يسمى المغربلين ، وحتى آخر يسمى المناخلية . وكثيراً ما يدور البائعون في الحارات ينادون على الغربال بقولهم : « يا طالبة الغربال يا عاوزه الغربال » وعلى المنخل بقولهم : « المنخل الحرير العمولة » ، ومعنى العمولة أنه مصنوع صنفاً جميلاً . ويشبهون الرجل الذي لا يحفظ السر أو المرأة كذلك بالغربال ، فيقولون : زى الغربال ، ما يحفظش سر . وهو مثل عربي قديم . قال الخطيب : أغربالاً إذا استودعت سرّاً

وكانونا على المتحدثينا ومعنى الكانون هذا الذي نطبخ عليه ، فقد وصفها بأنها إذا تحدثت كانت ثقيلة على المتحدثين ، لأن الكانون عندهم كان عبارة عن حجرتين ، والحجر الثالث هو الجبل ، ولذلك سموه ثالثة الأثافي ، فالكانون بذلك الوضع أثقل من الجبل .

الغريبة

هي نوع من الكعك يصنع من دقيق
وسمن وسكر ، ويكثر فيه السمن . ويقدم
عادة في المواسم والأعياد . وتتفنن الطبقة العليا
فيها فتضع في وسطها لوزة مقشورة . وللشيخ
حمزة فتح الله حكاية مع الغريبة عند ما أخذها
معه في السفر إلى مؤتمر المستشرقين ، فقد وضع
عليها جمر كبير لأن الأوربيين لا يعرفونها
ثم تفتتت من كثرة النقل والحركة . فأتلقت
ما في صندوقه من جيب وقفاطين ؛ وأخيراً
اضطر إلى أن يشحنها إلى مصر مرة أخرى
بواسطة شركة كوك .

وقد حكى قصته عبد الله باشا فكرى
في رسالته في المؤتمر .

الغزال

يكثر هذا النوع من الحيوان على حدود
الصحراء المصرية ، وقد يما تغزل فيه العرب ،
وخصوصاً في عينه ورشاقته ، وأكثرها من
القول في شعرهم في هذا . وهو يتغذى بالأعشاب
الصغيرة التي تنبت في الصحراء ؛ وقد برع
العرب البدو في مطاردته واصطياده بالبندقية
أو بالصقر أو الكلب . وبعض الأغنياء
يتخذون صغار الغزلان الوحشية في بيوتهم

للتجميل فلا تلبث أن تستأنس ، وأعرف
صديقاً لي كان عنده غزالة كانت تأنس به .
ومن غريب الأمر أنها كانت تألف الدخان ،
فإذا أشعل أحد سيجارة جاءت بجانبه تشم
رائحته ، وأحياناً يطعمها بعض السجائر فتأكله
في لهفة .

ومن أمثالهم « القرد في عين أمه غزال » ،
يقصدون أن شكل القرد القبيح جميل في عين
أمه . أى أن الأم ترى ابنها جميلاً مهما قبح .
ومن غريب الأمر أنهم يسمون الجن والجنون
غزالة . فيقولون : « طلعت عليه الغزالة »
أى جن . وفلان عليه غزالة ، أى يعتريه
أحياناً جنون .

الغول

حيوان خيالي ، وإذا كان مع الإنسان
سلاح وضربه به ، فإنه يقتله ، فإذا ضربه
ثانية يمينا ؛ ولذلك إذا كان الضارب عارفاً
لا يثنى الضرب .

وعيون الغول مشقوقة بالطول ، إذا
حدقت في إنسان خرج منها الشرر . وهو
ميراث من القدماء ؛ يقول الشاعر :

والغول بين يدي يخفى تارة

ويعود يظهر مثل ضوء المشعل
بنواظر زرق ووجه أسود
وأظافر يشبهن حد المنجل

بسبب الغيرة . وهم يعتقدون أن المرأة أو الفتاة إذا قشرت بصلاً فدمعت عينها دل ذلك على شدة غيبتها . وليست الغيرة مقصورة على المرأة ، بل قد يغار الرجل من زميله إذا اشترك معه في عمله .

فالصائغ يغار من الصائغ ، والحداد من الحداد ، والكاتب من الكاتب ، والعالم من العالم ، وهكذا . بل قد تغار المرأة من أختها ، خصوصاً إذا سعدت أخت وشقيت الأخرى ، فإن الغيرة تستولى على الشقية ؛ بل إن أكبر سبب في غضب الحماة على زوجة ابنها الغيرة ، لأنها تغار على ابنها يستولى عليه قلب غير قلبها .

ويسمى العامة أنثى الغول (سلعوة) .
والعامة في كلامهم يشبهون من يأكل كثيراً بالغول . فيقولون — إنه — يأكل زى الغول .

الغيرة

الغيرة عند المصريين قوية ، وخصوصاً في الصعابدة ، فهم يتمللملون إذا سمعوا أن امرأتهم أو أختهم أو بنتهم تهتك أو يغازلها أحد . ويجن الصعيدي إذا سمع مثل ذلك . وكثيراً ما يؤول الأمر إلى قتل من اتهمت بذلك . وقد قلت كثيراً مع المدنية .

وفي الصحف كل يوم أخبار عن القتل

حرف الفاء

الفار

مقام في شارع درب الحصر لولى اسمه سيدى إبراهيم الفار ، وكان له مولد من جنس خاص . ذلك أن العامة تزعم أن من رزق ولداً وأراد أن يعيش ، يحضر به في مولد الشيخ الفار ، ويركبه مع الخليفة « شيخ المقام » ، ويجعل ركوبه عادة مستمرة كل سنة لأجل أن يعيش الولد . ولذلك يبعث كثير من الناس أولادهم إلى هناك . فيركب الخليفة وحوله كثير من الأولاد وعلى أبدانهم الثياب الملونة ، ويلبسون طرايطير من الورق بعضها أصفر ، وبعضها أحمر ، وبعضها أزرق . وتزدحم الطرق ، ويسير مع الخليفة أرباب الأشاير والطبول والزمور ، وبعض الأطفال يركب حماراً ، وبعضهم حصاناً ، وبعضهم يمشى على قدميه . وتسير أيضاً معه أرباب الصنایع من حدادين ونجارين ، الخ . كل يركب عربة تمثل عليها أنواع الصناعات . وقد شهدت هذا المنظر في صغرى ، فكان منظرًا عجيباً ، ويكثر الناس للتفرج على ذلك سيما النساء ، ويكون اليوم يوماً مشهوداً .

والفار هو الحيوان المعروف ؛ ومنه فار البيت ، وفار الغيط . ويحكون قصصاً

للحوار بين فار البيت وفار الغيط ، مفزاهما أن الحرية مع الفقر خير من عدما مع الغنى . وفار الغيط أبيض سمين ، حتى أن بعض الفلاحين يأكله . ويعتقدون أن البيت إذا كان فيه فيران كان فيه البركة ، ودلت الفيران على كثرة الخير ، وهذا طبيعى لأن الفار لا يألف البيت إلا إذا كانت فيه الخيرات . ويحضر في الذهن كثيراً القط مع الفار ، فيقولون « القط والفار » ولهم في ذلك قصة مطبوعة . ويحكون قصة تدل على أن ما بالطبع لا يتخلف « اللى فيهش ما يخلهش » مؤداها أن رجلاً علم قططه إمساك الشمع بين يديه حينما يأكل ، فلما ظهر فار رمت القطط الشموع وجرت وراء الفار . ويحكون أيضاً أن رجلاً دعا الله أن يقلب قطته جارية حسناء ، فاستجاب الله دعاه . وكانت تجلس بجانبه تأكل أآخر الأكل فلما رأت فأراً تركت أكلها وجرت وراءه ، فقال الرجل : « اللى فيهش ما يخلهش » ، ودعا الله أن يعيدها قطه فكانت كما كانت . ومن أمثالهم : « غاب القط ، إلعب يا فار » ، يقولونه في الناس غاب من يخوفهم فجروا على هواهم .

فتح الكتاب

يقوم بهذه الحرفة في الغالب المغاربة والسودانيون ، فيضعون كتاباً تحت إبطهم ويمرون في الشوارع والحارات ينادون « نفتح الكتاب » ؛ فإذا جاء إليهم أحد نادوه ففتح الكتاب حينما انفق ، وقرأ منه ما يدل على تنبؤ بالمستقبل بناء على توهمه في وجهه ، كأن يقول له : « يظهر عليك أنك زعلان من قلة الدراهم وعدم الشغل ، لكن الكتاب يقول إن الضيق سينفرج والغمة ستزول ، وأنه سيأتيك مال كثير » ونحو ذلك . وكما كان الكتاب مخطوطاً وقديماً كان الناس فيه أكثر اعتقاداً . وهو من قبيل الاستخارة وضرب الودع وضرب الرمل .

(انظر هذه المواد)

الفتوة

الفتوة لعبت دوراً هاماً في حياة الجاهليين والمسلمين ؛ وأجل ما فيها المعنى الإنساني الذي نلحظه .

ولقد تمت الفتوة في ظل الإسلام ، وكان منها الكرم والنجدة والضيافة ؛ وجاء الصوفية فاستحسنوا ما فيها من إثارة فزادوا فيه حتى العطف على الحيوان ، فملسوا الفتوة

وتعمقوا في تطبيقها ، وأخذ مؤرخو التصوف يزيدون في كتبهم فصلاً عن الفتوة ، ثم انتقلت الفتوة بالحروب الصليبية إلى نوعين : نوع من الفروسية بديع يظهر فيه الاحترام للمرأة ، وربما نظروا إلى جمالها على أنه تقديس لها وإعزاز لشأنها ؛ ونوع ثان عماده الكرم من إيواء الضيوف و بناء مستشفيات وإنشاء الزوايا والوقف على الفقراء والمساكين إلى غير ذلك .

وعلى الجملة فقد كان في الفتوة معنى إنساني جميل ، ولكن مع الأسف طغت المدينة الحديثة التي لا تعرف كرمًا ولا سماحة على عوامل الكرم والسماحة إلا في القليل النادر . والفتوة في عصرنا انتقلت من اسم معنى إلى اسم ذات ، فالفتوة شاب يلبس جلباباً ويتعمم بلاسة .

وقد يرأس شتبان حية في محاربة الحية الآخر ، فيتواعد الطائفتان على الخروج إلى جبل الجيوشى مثلاً ويتحاربون بالحجارة والعصى طويلاً ؛ ومن غلب منهم توعد بالقلبة في يوم آخر . ولا تخرج الزفة من حى إلا إذا حماها فتوة الحى خوفاً من تعدى فتوات حى آخر عليها . والفتوة عادة تكون له امرأة عشيقة يحميها ، فلا يجسر أحد أن يتعرض لها ؛ ولهم لغة خاصة مثل التلامود ، والجبا .

وَنحو ذلك . وقد رأينا أن الشيخ حسن الكفراوي لما اضْطهد بعد قتل صديقه الشيخ صامودا لجأ إلى فتوة الحسينية وتزوج بينته ليحتفى به فخاه ..

الفراسة

يعتمد المصريون كثيراً في أعمالهم على الفراسة ، فهم ينظرون إلى بعض الوجوه ، فيقولون هذا الوجه سمح يستبشرون به ، وهذا الوجه عبوس يتشاءمون منه .

ولهم في ذلك ملكة عجيبة ، فمثلاً يستدلون من الخجل وتورّد الخدود على أن صاحبه لطيف الخلاق ، لطيف الشعور . وبروز الوجنة ، وهو ما يسمونه كرسى الخلد ، يستدلون منه على شدة الطبع والدفاع عن النفس والأهل . والأنف الأشم دليل العظمة وعلو الهمة والإقدام ؛ وهذا بعكس الأنف الأفتس . والشفة الغليظة البارزة الحمراء ، دليل على السخاء وكبر النفس ، وأحياناً تكون دليلاً على حدة الشهوة الجنسية ، والشفة الرقيقة دليل على الاستعداد للحب الشديد والذوبان فيه .

وقد كان لي كُتبي جاء إليه رجل يطلب

كتاباً فقال له : ليس عندي . ولحت الكتاب أمامه على مكتبه ، فقلت له : كيف تقول ذلك ؟ فقال إني أعرفه من فراستي فيه ، فاستنكرت ذلك عليه . وقام يجرى ونادى الرجل وما زال يساومه ، وأخيراً مضى ولم يشتر ، فالتفت إليّ وقال : هل صدقت ؟

ولبعض الناس مقدرة عجيبة على صدق الفراسة ، فيتفرس في رجل أنه كريم أو بخيل ، شجاع أو جبان . وربما كان تنبؤ كثير من العرافين مبنيًا على صدق الفراسة .

فرجية

هي جبة واسعة طويلة الأكام ، وهذه الأكام غير مشقوقة ، وهي عادة من لباس رجال الدين ، وربما نسبت إلى السلطان فرج أحد سلاطين المماليك . يلبسها العلماء عادة في الحفلات الرسمية كالحمل ، وقد تحلّى بسلوك من الذهب ترَّكَّب على يديها وظهرها . ويشترك أيضاً رجال الدين الأقباط في لبسها سوداء هي والعمامة .

الفرح

الفرح يطلق على معنيين : فرح بمعنى السرور ، وهو يؤثر في الشخص أثراً كبيراً حتى قد ينقلب إلى بكاء ؛ وفي ذلك المعنى تقول الشاعرة :

غلب السرور على حتى أنه

من فرط ما قد سرني أبكاني

وقد يبلغ فيه حد التأثير لدرجة الإغماء .

حكى لي شيخ أن رجلاً صاحب أوريبا جاء مصر ، ورغب الأوربي في تعلم العربية فعلمه ، وتلازما مدة طويلة ثم سافر الأوربي إلى بلاده ، وفي ذات يوم بعد عشرين سنة جاء رجل من بنك السكر يدى ليونيه يسأل عن الشيخ ^(١) فدلوه عليه ، فأحضره هذا السائل إلى البنك ، وأدخله على المدير وسأله عن اسمه وصنفته فأخبره ، فقال له المدير : « أتعرف فلاناً ؟ » فقال : « نعم ، إنه كان صاحباً لي منذ عشرين سنة » . قال المدير إنه قد أوصى لك بألف جنيه . فدُهِش الشيخ وامتلاً سروراً وفرحاً ، فلما عدّ له المدير مائة جنيه قال له الشيخ : دعها إلى الغد ، ثم حضر ثاني يوم فلما عدّ المدير إلى خمسمائة قال له الشيخ : دعها إلى غد ؛ فلما حضر في الغد واستلمها

(١) الشيخ هو الشيخ إبراهيم الدسوقي ، والمتبرع هو مستر لين الإنجليزي .

وأراد أن يخرج قال له المدير : فستر لي هذه الحركات ، قال له إني عشت طول عمري لم أقبض أكثر من خمسة جنيهات ، فلما عدت لي في أول مرة مائة كاد يغمى عليّ ، فاستمهلتيك ، وهكذا .

وقال لي صديق آخر إنا كنا نعرف رجلاً فقيراً يعيش من كسب امرأته ، وهي تشتغل غسلية في البيوت ، وقد مات قريب له وورث نحو الستمائة جنيه ، ففصل عشر بدل له والبدلة عبارة عن جبة وقفطان ، ولباس وصديري وقميص ، ورمي ثوبه المهمل وأخذ يدعو أصحابه وقيموه الأفراح في غناء وخر وحشيش ، ثم دعا أصحابه وذهب إلى المحطة يزعم أنه سيحج ، وليس الوقت وقت حج ، وبعد غياب شهر أرسل إليهم تلغرافاً بأنه حج وعاد فاستقبلوه على المحطة بالزفة ، وأقاموا الأفراح والليالي الملاح ، حتى نفذت نفوده ، وتخلّى عنه أصحابه ، وعاد إلى ثيابه المهلهلة . وهذا من تأثير الفرح .

وتطلق بالمعنى الثاني على النصب التي تنصب لإقامة الزواج ونحوها ، فتدوم أكثر من ليلة ، بعضها للمعنين وبعضها للتمثيل ، الخ ٠٠٠ ويسمون ليلة الزفاف الليلة الكبيرة . ومن أقوالهم : « جت الحزينة نفرح ملقيتش في القلب مطرح »

فزورة

هي بمعنى اللغز ، وهي باب ظريف من أبواب السمر كالحواذيت ، فعند ما يسمرون يتبادلون هذه الفوازير ، وذلك مثل فزورة الكتابة : « قد السمسة ، وتجيب الخيل ملجمة » وألغازهم في البيضة بقولهم : « طبق رخام عليه زعفران حلف ما يتا كل إلا بالكلام » ، وهو رمز لبياض البيضة وصفارها ، وأنها لا تؤكل إلا بالملح . وعلى هذا القياس .

فسقية

حوض ينشأ في الحديقة ، أو في الميادين العامة ، أو في ساحة الدار . وربما كانوا ينشئونها في الأصل على شكل فسقية ، ويسمونها الفسقية ، فحرفها العامة إلى فسقية وإن كانت فيما بعد قد تكون مدورة .

الفسيح

هو سمك يؤخذ ويصف راقات بعضه على بعض ، ويوضع على كل صفت مقدار كبير من الملح ، وخيره ما كان من نوع سمك البورى ، ثم يضعون من فوقه حجراً فينزل منه ماؤه ، ثم يضم ويصلحه الملح . ونوع آخر يسمونه الطوبار ، وهو مشهور

وقولهم « فرحة ماتمت » ، يقال للخير لم يستكمل ، كقول الشاعر :
ما أقبح الخير تؤتاه فتحرمه
قد كنت أحسب أنى قد ملأت يدي
وقولهم « كل نومه وتمطيته ، أحسن من فرح طيطه » يقال عند ما يراد الانصراف عن الشيء والالتذاذ بالكسل .

الفروة

إذا كان الخروف طويل الشعر اعتنوا به عند ذبحه ، فسلخوه ودبغوا جلده المسلوخ ، واستخرجوا من ذلك فروة يطول شعرها أو يقصر حيثما انفق . فإذا دُبغت اتخذوها فراشاً يجلس عليه المترفون . وكان الأغنياء من المجاورين يجلسون عليها بدل الحصير .

والآن يتخذها بعض الأغنياء تحت أرجلهم في السيارات . وكنا ونحن في الكتاب نسمع فيها لغة رمزية ، فيقول الأب لسيّدنا إذا عمل الولد عملاً لا يرضى أباه : نفّض له الفروة . أى اضربه علقمة .
ويسمى العامة التمر المعروف بـ « بلوط شاه » أبو فروة .

الكثير ، ولذلك كان في الشتاء أسهل منه في الصيف . ومن أمثالهم أيضاً « يعمل من الفسيخ شربات » يقال للماهر يستخرج الشيء من ضده . وقد يهدّد أحدهم آخر بقوله : « أفتسخك » .

الفقى

ينطقونها بالهمزة وكسر الفاء ، وقد كان الفقى في عهدنا يقوم بأعمال كثيرة ؛ فهو يقرأ كل يوم صباحاً جزءاً من القرآن في البيوت ، ثم قام بدورهم هذا « الراديو » ، وهم يدعون أيضاً لقراءة جزء من القرآن على القبور ، وهم يعلمون أيضاً الأطفال القراءة والكتابة في الكتاتيب ، وهم لا يحسنون شيئاً إلا حفظ القرآن . وكثيراً ما يكونون من العميان . وهم يدعون للقراءة عادة بالليل على الميت حتى يدفن ، وإلى قراءة عديّة يس والخيمة ونحو ذلك من الشئون الدينية ، ومنهم من يحترف أيضاً كتابة الأحجبة والتعاويد السحرية ، ومنهم من شدا شيئاً من الفقه فيكون (ماذوناً) يعقد عقد الزواج ويحرق ودقة الطلاق .

ويقولون لمن تزمت وتشدد وكان ثقيل الروح : « فقى » و « بلاش فقهنة » .

جداً عند أهل الأرياف ؛ وكثيراً ما تجد الفلاح وهو ماش في الطريق بيده اليسرى فسيخة ، وبيده اليمنى الرغيف ، يقطع من هذا قطعة ومن ذلك قطعة . وتحببه النساء كثيراً . ونساء المدن يصلحنه بوضع زيت وخل ، أو زيت وليمون عليه . وهو يشحن إلى القاهرة في المراكب ؛ واشتهر في القاهرة الفسيخ النبراوى ، نسبة إلى نبروه قرب شربين . ومن أمثالهم إذا رأوا رجلاً يسلم على آخر فسلم عليه في ازدراء واحتقار « سلم عليه كسلام الماوردى على بياع الفسيخ » . وهو يؤكل كثيراً في يوم شم النسيم ، وقد اعتاد المصريون أكله في ذلك اليوم ، ولذلك يستعد بائعو الفسيخ لهذا اليوم استعداداً كبيراً . وخبر ما يؤكل أن يؤكل معه البصل الأخضر . وكما يؤكل الفسيخ في شم النسيم يؤكل السمك البكلاه في العيد الصغير . والسمك البكلاه هذا عبارة عن نوع من السمك الكبير شريح وجفف .

ومن الفسيخ نوع يوضع في مش ويخزن في بلاص مدة طويلة . وقد اشتهرت به أسيوط وما حولها ، ولكن يسمونه (الملوحة) لا (الفسيخ) . وهو مؤذ في الصيف على الخصوص ، لأنه يحوج آكله إلى شرب الماء

الفكاهة

اشتهر المصريون بالفكاهة الحلوة والنوادر المضحكة ، وخصوصاً أهل القاهرة وأهل رشيد . ولم طابع خاص في نكتهم ، وهذا الطابع يعتمد على الألفاظ واللعب بها والتورية أكثر من الذكاء .

مثال ذلك أن الشيخ على الليثي كان إمام الخديوي ، وكان شاعره ومضحكه ، وكانت له حجرة في القصر خاصة به ، فداعبه رجل يسمى أحمد خيرى باشا مهردار ، أى حامل الخاتم لإسماعيل باشا ، بأن كتب على باب حجرة الشيخ على الليثي : « إنما نطعمكم لوجه الله » ، فأدرك مغزاهما الشيخ على الليثي فقال فيه هذا الزجل :

كان لى طاحونة جوّ الدار

تدور وتطحن ليل ونهار

دوّرت فيها التور عصى

علقت فيها المهر دار

وقد كان محمد بك عثمان جلال زجالا

كبيراً ملأ الناس بالفكاهات اللطيفة في عصره ، مثل قوله لرياض باشا :

الخير عم الناس وفاض

ما حدّ إلا واستعفى

إلا أنا يا سيدى رياض

وقعت من قعر القفة

وكتقول بعض الظرفاء :

كل شيء في مصر يوجد

إلا قهوة سى خليل

الكيوف فيها نضيفة

والحشيش مالهوش مثيل

وكانت قهوة خليل هذه بشبرا يقصدها

ذوو الكيوف ومنهم بعض الذوات .

وقد اشتهر جماعة من القاهريين بالنكت

حتى لقد هممت أن أضع فيهم كتابا مسلسلا

لهم ، ذاكرأ لهم أشهر نكتهم ، من أولهم

ابن دانيال وهو صاحب كتاب « خيال

الظل » وقد ترجمنا له . ويليه ابن سودون ،

وله كتاب مطبوع على الحجر مملوء بالنكت

اللطيفة ، اسمه « زهة النفوس ومضحك

العبوس » . ثم الشيخ الشربيني مؤلف

كتاب « هنّ القحوف ، في شرح أبي شادوف »

ثم الشيخ حسن الآلاتى مؤلف كتاب

« مضحك العبوس » . وقد أخذ الاسم من

ابن سودون . وقد كانت له قهوة في حى السيدة

سكينة سماها (المضحكخانة) ، يقصدها الناس

من كل فج . ثم توفيق صاحب « حمارة منيتى » .

ثم أحمد فؤاد صاحب « الصاعقة » . ثم

المحدثون المعاصرون فما أجدرهم بالتاريخ .

وفكاهات المصريين أنواع ، منها التندر

الكشافة . كأنهم خلقوا من طينة البهائم .
كما قال الشاعر :

لا تصحب الفلاح لو أنه

ناخجة أرباحها صاعدة

ثيرانهم قد أخبرت عنهم

بأنهم من طينة واحدة

فهم ملازمون للمحراث ، دائرون

حول الزرع ، غاطسون في الجلّة والطين ،

غير مكترئين بالصلاة والدين . لا يعرف

الواحد منهم غير الساقية والفارقة ، وشيل

الطين والجلّة ، والعياط والغارة ، والطلبة

والزمارة . إذا أقاموا أفرح ، لا تكون إلا

بالعياط والصياح . وشاهدنا كثيراً من

أفراحهم ، وما يقع فيها من عدم نجاحهم .

إن حصل منهم الكرم بالاضطرار :

يكون العـدس والبـيسار

ووردم عند الأسحار

النفـسـكـر في الغنم والأبقار

وتسبيحهم في الظلام هات النبوت والخزام

وحط العلف هات الكلف

قال الشاعر :

أهل الفلاحة لا تكرمهم أبداً

فإن إكرامهم في عقبه ندم

يبدوا الصياح بلا ضرب ولا ألم

سود الوجوه إذا لم يظلموا ظلموا

على الفلاحين ، والسخرية بالفحو ، وقد اشتهر
بها الشيخ الشريبي ، ومنها المفارقات وقد

اشتهر بها الشيخ حسن الآلاني ، وهكذا . .

وقد كان في القاهرة شابان أرادا أن

يتضاحكا على أدياء عصرهما بتلقيب كل

منهم لقباً خاصاً مضحكاً . فسميا الساعاتي

الأديب « ديك الجن » لأنه كان دقيق

الرقبة . ولقبا أديبا ذا حلية مُدببة بـابن

مـسـكـانس ، مع أن الأصل ضم الميم ، وسميا

الشيخ إبراهيم الدسوقي وكان ضخماً على

الصوت في الضحك « مهبأراً الديلمي » ولقبا

أديبا كان ينطق بالصاد نطقاً عجيباً فيه صفير ،

فقالا إنه خير من نطق بالصاد . وأخيراً سمي

أحدهما الآخر « الشاب الظريف » .

(انظر ذوق)

الفلاح

الفلاح هو ذلك الرجل من أهل

الريف ، يفلح الأرض ويزرعها . ويقول

صاحب « هزّ الفحوف ، في شرح قصيدة

أبي شادوف » : « إن أهل الريف طبعهم

كثيف ، وأخلاقهم رذيلة ، وذواتهم هبيلة ،

ونساؤهم مزعجات . وذلك من كثرة معاشرتهم

للبهائم ، وملازمتهم لشيل الطين ، وعدم

اختلاطهم بأهل اللطافة ، وامتزاجهم بأهل

فمنار

منار فيه مصباح لهداية المراكب عند دخولها الميناء ، وربما أخذوها عن الإيطالية ، لأنها عندهم فانور .

الفل

زهرا أبيض طيب الرائحة ، يحبه المصريون كثيراً ، ويشبهون به المرأة البيضاء فيقولون : بيضاء وزى الفل . والرجل العاى يغازل المرأة بقوله : « يا فل يا فل » . ومن أقوالهم المشهورة : « يا فل يا فل يا غايظ الكل » . ومن أغانيهم الحديثة « آدى الورد وآدى الفل » . ويتخذ منه دهن عطرى . وأحياناً يتجملون به فيصنعه البائعون على شكل عقد تتجمل به المرأة ويزاحه فى ذلك الياسمين . وإذا كان الخبز أبيض نادوا عليه بأنه « أبيض زى الفل » ، ويرمزون به للصفاء فى الحب .

فنجان القهوة

يدعون أن ما بقى من القهوة فى الفنجان بعد شرب ما فيه يدل على المستقبل ، فتمعن من تقرأ الفنجان فى الفنجان ، ثم تخبر الطالب بأشياء فى المستقبل ، كأن تقول إنك ستسافر وستنال خيراً فى سفرك . وهكذا .

لهم أسماء كأسماء العفاريث : كبرغوت وزعيط ، ومعيط والعفش . ومن عاداتهم أن يسموا بالاسم الذى ينطق عند ولادة الولد ، فإذا سمعوا يا أممش سموه عموش ، وإذا سمعوا هات الزبل سموه زبيلة ، وسموا أيضاً أبو ريالة وأبو زعيزع وأبو قدح وأبو حشيشة وأبو كنون ، وسموا بربور .

ومن أسماء نسائهم : (زعرة) و (برة) و (بروة) ، ويكونون بأمر جعيص ، وأم دواهى ، وأم بعيص . وترى أولادهم غارقين فى الجلّة ، ينامون فى المدود ، ويشربون من المترد ، عمره فى دناسة ، وأمه فى نجاسة . وإذا درج فى الحارة لا يعرف غير الطبلّة والزمارة ، لعبه حول العجّلة ، وأكله بجوار الجلّة » . إلى آخر ما قال... وقد تغير كل ذلك الحال . وربما يكون متحاملاً عليهم لأن كتابه كله من هذا القبيل . وقد يكون غرضه نبيلاً بأن أراد أن يصف بؤس الفلاح وفقره ، والظلم الواقع عليه فى أسلوب فسكه ، كمن يتحامل عليهم . ولم يكن فى زمنه من يصف سوء معاملتهم فى صراحة ؛ والحق أن عيشتهم بائسة . ولم يستطيعوا أن يعيشوا ما يعيشون إلا لأنهم ألفوا هذه العيشة واعتادوها من صغرم . ولو اعتادوا أول الأمر عيشة فيها شيء من السعادة لما استظاغوا أن يمحوها هذه الحياة .

القول

من أكثر الأطعمة المصرية ، وهو يقوم عند الفقراء مقام اللحم ، ومع ذلك يشارك فيه الأغنياء الفقراء ، وهم يتفننون فيه وفي صنعه تفنناً كبيراً على أشكال مختلفة : أشهرها القول المدمس وطريقة صنعه : أن يوضع القول الناشف في « قدرة » ويوضع معه الماء بمقدار مناسب ، وذلك بعد أن ينقى من الحصى ، ويترك على نار هادئة طول الليل تقريباً ، ثم يأخذه البقالون ليبيعوا منه بقرش أو نصف قرش .

ومن يشتريه يضع عليه الزيت والليمون أو المسلى أو الزبدة . وأحياناً توضع عليه القشطة . والمترفون يقشرونه قبل أن يأكلوه ، وهو الفطور المعتاد لأهل مصر تقريباً مع اللبن ، والإقبال عليه في الشتاء وفي رمضان أكثر ؛ ومن أمثالهم « هو كالقول البارد البائت من غير ملح ولا سمن » وقد قالوا فيه مواويل ظريفة منها :

قالوا تحب المدمس

قلت بالزيت حار

والعيش لايبض تحبه

قلت والكشكار

قالوا تحب المطبق

قلت بالقنطار

قالوا اش تقول في الحضارى

قلت عقلى طـار

فرد عليه الآخر يقول :

قالوا تحب المدمس

قلت بالمسلى

والبيض مشوى تحبه

قلت والقلى

وقد شرحها بعض القوم شرحاً صوفياً ولا داعى للإطالة .

ويستعملون من القول الطعمية ،

وطريقة صنعها أن يبل القول طول الليل ،

ثم يدق في مدق معروف ، ثم تضاف عليه

التحاييش ، وهي عادة بقدونس ونعناع ناشف

وبصل وثوم . وقد يضيفون الكرات أيضاً

بعد خروطه ، ويعجنون ذلك كله عجناً جيداً

ويدقونه ، ثم يقطعونه قطعاً ويقولونها في

الزيت . والأغنياء منهم يحشونها لحماً مفروماً ،

ويقولونها في السمن . ومن القول أيضاً تصنع

البصارة ، وطريقة صنعها نقع القول كما في

الطعمية ، ثم وضعه على النار في قليل من

الماء ، بعد إضافة ملوخية ناشفة وقليل من

النعناع والثوم ، فإذا نضجت غرفت في

أطباق ، ثم قلى بصل مخروط في السمن حتى

عليه ، أي لا تكن نذير سوء . ومن أنواعه
القول المقيبلى يباع مع الترمس ، والفسول
الحراتى وهو فول أخضر .

فى المشمش

كلمة يستعملونها فى الشئ لا يتوقع
حصوله ، فإذا قال رجل سأفعل كذا ، قال
له الآخر إذا اعتقد أنه لا يمكنه : ذلك
« فى المشمش » ، أو « الكلام ده فى
المشمش » . وأصلها على ما يقولون أن جحا
كان يأكل عنباً ، وكان يأكل كل أربعة
حبات على مرة واحدة ، فقيل له كل واحدة
واحدة ، فقال الكلام ده فى المشمش ، أى
أن حبة المشمش كبيرة يمكن أكل واحدة
واحدة ، أما العنب فصغير ، لا يمكن أكل
واحدة وحدها ؛ فصارت مثلاً .

يجف ، ثم يوضع قليل من هذا البصل على
وجه طبق البصارة . والشبان المصريون
المترفون لا يعرفونها . وقد رأى بعض أولادى
طبقاً منها فسألتهم عنها ، فقالوا : « كشك
أخضر » ومن أنواع الفول : الفول النابت
وطريقة صنعه أن ينقع الفول حتى ينبت ،
ثم يؤخذ ويسلق ، ثم يوضع على سرقته قليل
من الملح ، وبعضهم يقشره ويطحخه فى
القوطة ويسمونها فولية ، وبعضهم يضع عليه
السلق بعد أن يحمر فى السمن ويجفف
ويدهك . فترى من هذا كثرة استعمال
المصريين للفول . . . ومن أمثالهم : « كل
فولة مسوسة لها كيال أعور » دلالة على أن
الشئ وإن قبج له من يطلبه . وإذا أرادوا
أن يعبروا عن حيلة انكشفت قال الواحد
منهم : « فهمت الفولة » ويقولون « لا نفول

حرف القاف

قافية

القافية في لسان عوام المصريين نوع من المزاح ، يقول أحدهم كلمة فيرد عليه الآخر بكلمة تثير الضحك . ولكل حرفه من الحرف قافية ؛ فقافية للمزينين ، وللجزارين ، ولكل شيء ، ولذلك يحترسون عند الكلام الجدل فيقولون بلا قافية ، يريد أنه لا يمزح بل يحدّ ؛ فمثلا يقولون : رحته له وجدته واقف بلا قافية ، وأعد بلا قافية ، ونام بلا قافية ؛ ومن أمثلة ذلك قول أحدهم في « قافية النحو » : كيسك ! فيقول الآخر مثلا : اشمعي ! فيقول الأول : ممنوع من الصرف .

القمّل في راسك ! اشمعي ! ساكن .
راسك ! اشمعي ! مبنية على الكسر . اللي
على راسك ! اشمعي ! جزمة . شنبك مضاف !
اشمعي ! وشنب التيس مضاف إليه .
المرض عليك ! اشمعي ! ظاهر . انت
في الجهل ! اشمعي ! مركب ...

ومن أمثلة قافية الخلاقة : انت في النصب !
اشمعي ! أوسطى ! شربك في المش ! على
القائم .

انت بين أصحابك ! إيدك خفيفة . تقول
للبيطار صلح لي ... يفلوك بمقاط .

عيشتك ... على الناشف ... في عينك ...
دودة . الأكلانة في ودنك ... لازقة .

ومن القافية في لعب الضمنة : أحظ اصباغى
في عينك ... تقول بوّظ . زر طر بوشك ..
دو بارة . أصلك ... دبش . عيونك ...
شيش يش ...

ومن قافية البلاد : لما يصحوك من النوم
يقولوك : أبو طور أبو طور . إيدك في
الخطف ... منصوره . الحكيم يطلع من
بطنك ... زقازيق . بيتكم ... كفر كلاب .
المزيرة تبقى لك ... جدّه . أحبّ أضربك
بالمداس ... نوبة . قسمتك كل يوم والثاني ...
في طرة . أصلكم ... حرامية . بالمنشار في
في رقبتهك ... نشرت .

ومن قافية الساعة : الخيرات عن بيتكم ...
ممسوحة . اللي في جسمك ... أفرنجي .
ساكن في دقنك ... جوز عقارب . عيشتك ...
ما فيهاش تقديم . صنعتك مع العجبر ...
رقاص . يرسلوك إلى طره ... في ظرف
ساعة . العفريت يشوفك يقول ... ياي .

ومن قافية الكفايت : الفشر عندك ...
كترّ كترّ . أنت في وسط الناس ... بتلقط .
هدومك ... خطفتها العرسة . الجزم اللي
على راسك ... عتاقى .

ومن قافية الهندسة : خاطرك دائماً ...

قبارة

يطلق المصريون هذه الكلمة على النقد المصنوع من النحاس ، وأصل كلمة قبرص في اليونانية النحاس . وسميت به جزيرة قبرص ، لأن النحاس يوجد بها بكثرة .

قبة بلا شيخ

أحياناً توجد قباب تبني للفن . وقد جرت العادة أن تبني القبة إيداناً بأن تحتها ضريحاً ، فإذا بنيت القبة وليس تحتها ضريح ، قالوا قبة بلا شيخ ؛ وتضرب للشئ له مظهر وليس له مخبر .

القُبلة

ويسمونها «البوسة» وهي على أشكال :
قُبلة الرجل لزوجته ، أو الرجل لحبيبتة ؛ وقُبلة عطف كقُبلة الرجل لابنه أو بنته . وقُبلة احترام كقُبلة الرجل ليد أبيه أو أمه ، أو الأخ الصغير للأخ الكبير ، أو الشاب لرجل مسن . وقُبلة الرجل الذليل يقبل رجل العظيم ، وقُبلة الذيل ويسمونه « الأتك » ، ويفعلها الرجل الوضعيع أو المرأة الوضيعة لتقبيل أتك العظيم أو العظيمة . وقُبلة مع

مفكسر . اللهم على راسك ... محيط . أكثر نومك ... في الزاوية . أنت والحمار ... متساويان .

ومن قافية الجنينة : أصلك ... طرح .
انت في الوساخة ... مرعزع .

وهكذا في كل باب من أبواب الحياة .

ومن أنواع القافية قافية تدور حول كلمة الأبعد . ومن أمثلة ذلك :

عمر الأبعد ... فص ملح وداب . الأبعد بين الناس ... كالة عدد . يجوع الابن يقولوه ... موت يا حمار عقبال ما يجملك العليق . وبين السؤال والجواب يقول المستول اشمعني .

عمر الأبعد ... شال الحمام حط الحمام . الأبعد في النعش ... الجنازة حارة والميت كلب . الأبعد ... يجيب بلوته لحد بيته . الحرامي في بيت الأبعد ... جا نقبه على شونة . الأبعد يصبحوه أولاده ويقولوه صباح القرود . الأبعد وكلاب الحارة ... شحات يكره شحات . عمر الأبعد ... هف طلع النهار . وش الأبعد والسوق ... في كساد . وهكذا ... ويراد بالأبعد المخاطب نفسه .

بلفظ يدل على البصق « تفو » من غير بصق عند أهل الإسكندرية ، على الخصوص .
بعض الأحياء الوطنية في القاهرة يستعملون التشخير دلالة على الاستهزاء إذا أتى الآخر بعمل غريب ؛ وأكثر من يفعل ذلك النساء عند السباب . وقد حاربت المدينة التقبيل في أوقات الوباء لأنه مجلبة للعدوى ومنعت تقبيل الصغير ليد الكبير للاحترام وجعلته مقصوراً على قبلة الغرام ، فليس صغير السن اليوم يقبّل يد الكبير ، ولا الإبن الأب .

ونعمة من الله إذا احترم الولد أباه من غير تقبيل يد .

القر

ينطقه العامة بالهمزة ، ويعنون به الحسد بالكلام . فإذا مرض المريض وكان في نعمة من ناحية ما ، قالوا قرّ عليك الناس . وإذا أصيب أي إنسان ذو نعمة بشيء ، قالوا من قرّ الناس ، يعنون أن الناس حسدوه بكلامهم ، فقالوا : « ما شاء الله عليهم دول في نعمة » ، ومثل ذلك . وعلاجه عندهم البخور .

تذلل . يقولون : باس الرّجل وتقدم ، وباس الرّجل وتأخر . وقبلة ليد الإنسان ظاهراً وباطناً ، يفعلها الرّجل أو المرأة إذا نالته نعمة كبيرة غير منتظرة على يديه . وقبلة شفوية يرسلها الرجل لحبيبتة عن بعد كأنها رسالة . واعتاد النساء أكثر من الرجال تقبيل بعضهن بعضاً عند المقابلة ، قبلة في الخلد الأيمن وقبلة في الخلد الأيسر .

وأكثر من القبلة الأخذ بالحضن ، فيحضن الرجل الآخر إذا قدم من سفر أو غاب عنه مدة طويلة ، ثم يثنى بالقبلة ؛ وقد منعت هذه العادة أيام الكوليرا خوفاً من العدوى .

واعتاد الناس في الأرياف أن يقبّلوا بالقططة ، أما في القاهرة فيقبّلون بالشفقين .
و ضد القبلة البصق ، فيتظاهر الرجل بالبصق ، لارتكاب الآخر عملاً دنيئاً يستأهل عليه الاحتقار .

ويفعله الرجال إذا تسابوا ، وقد لا يبصق أحدهما على الآخر ولكن يبصق في الأرض . وفي العادة يكون البصق مجرد نفثة برذاذ خفيف من النعم . وقد يستغنى عنها

قراءة المولد

هناك قصص كثيرة وأشعار كثيرة ، وضعت في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، فيتغنى بها الفقهاء في الأفراح وفي مولد النبي وفي بعض المناسبات . ويقولون في الإعلان عنها إنهم سيقروا قصة المولد النبوي .

وإذا رزق بعض الفقهاء بصوت حسن تغنى بها هو وجماعته فالرئيس يقرأ المولد ومن حين لآخر يرتل أتباعه بعض الصلوات وهكذا حتى تنتهي السيرة . وبعض هذه السير ألف لأجل ذلك على أساليب فنية تناسب الغناء والصوت الجميل من التزام للسجع أو المحسنات البديعية .

واشتهر بعض الفقهاء بذلك كما اشتهر أيضاً من هذه السيرة النبوية سيرة ألفها البرزنجي يقرؤها الموالية غالباً وقد التزم فيها اليباء والماء في الفقرة الأولى كالبهية والعلية والألف والماء في الفقرة الثانية كسناء وعلاه .

قراجوز

هي لعبة كانت منتشرة في مصر قبل انتشار السينما ، وهو عبارة عن شاشة كشاشة السينما ، ورائها لمبة تشعل بالجاز (الكبروسين) لتضيء الشاشة إضاءة معتدلة ثم من وراء الشاشة أيضاً أشخاص على هيئة

رجال أو نساء أو أطفال مصنوعة من الجلد أو الورق المقوى . يتحكم فيها بواسطة الحبال التي تشد هذه التصاوير المدككة في قطعة من القماش رجل خلف الستار . وتكون في فمه زمارة ينطق بها أو يغنى بها ويتلاعب بصوتها .

فأحياناً يظهر في صوت امرأة وأحياناً في صوت رجل ، وأحياناً في صوت طفل وكلما أراد إظهار صورة شدّها لتظهر أمام الجمهور . والقراجوز عادة يمثل قصة إما من الحياة الواقعة كقصة غرام أو رمزاً لحادثة وقعت واشتغل بها الرأي العام أو نحو ذلك . وهي عادة تكون مصحوبة بضرب من الموسيقى البلدية البدائية .

وشخصية قراجوز محبوبة جداً عند المصريين وخصوصاً الأطفال فهي أشبه ما تكون (بميكى ماوس) وقد كانت لعبة القراجوز معروفة عند الأتراك منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، أخذوها من الفرس أو الصين عن طريق المغول وتشبه قصصها قصص المحدثين وأكثر ما تقام في ليالي رمضان وفي الأعياد . ويسمى قراجوز أحياناً وهو علم تركي بخيال الظل ، وقد استغل الصوفية هذه اللعبة في تصويرهم للحياة الدنيا فيقول أحدهم

القراداتى

تشاهد فى شوارع القاهرة وحرارتها كثيراً من القروء مربوطة بسلسلة فى يد رجل يسمى القراداتى ويده عصا ، وهو يلعب القروء ألعاباً عليها لها . وهى تحسن ذلك فتلعب اللعبة التى يريدونها مستنتجة ذلك من حركات الرجل وكلامه . فىقول لها مثلاً قلى العجوز إذا عجمت أو السكران إذا تمايل . وقد يكون مع القرد حمار صغير يشاركه اللعب فأحياناً ينط عليه فى حركات بهلوانية وأحياناً يلعبان معا ألعاباً محفوظة . وقد يكون مع القراداتى فى الغالب دف يطبل به ليجمع عليه الناس ويعين على ألعاب القردة والحمير .

وكثيراً ما تجدهم فى المنزهات والأماكن العامة .

ومن كلماتهم المشهورة (إحنا حنقرّد ؟!)
تقال ردّاً على من يهزل فى كلامه فىطلب منه الجدى ، أو عند ما يكلف الرجل أو المرأة بعمل سخيف .

« إنها خيال كخيال الظل » ظل زائل . وإن الناس فى الدنيا كاللاعبين وراء الستار ، والوجود الحقيقى لله وحده ، كما استغلوا أيضاً لهذه التشبيهات دودة القز « لا تزال تنسج على نفسها حتى تموت » .

وقد قلت هذه اللعبة بغزو السينما والتمثيل لها وأصبحت فى عداد التاريخ والناس يضرّبونها مثلاً لمن يتحرك حركات كثيرة بهلوانية من غير فائدة .

فىقولون « هو كالقراجوز » وكثيراً ما يمثل فى الرواية رجل وامرأة ، أو رجلان يدور بينهما الحوار على أشكال متنوعة . وأغلب ما تكون أن تؤلف من شخصيتين إحداهما تمثل الرجل المثقف الأرسقراطى والثانية تمثل الجاهل الشعبى . والأخير هو الذى يجتذب قلوب النظارة فى الغالب وتكون هى شخصية قراجوز . ولما انتقلت اللعبة من الترك إلى مصر تأثرت بالبيئة المصرية فكانت ترمز إلى أحداث مصرية هى من نسج الخيال المصرى المنتزع من البيئة .

القرع

ميكروب يصيب الشعر فينحله . ويصير الجلد أبيض من غير شعر وهو ميكروب يعدى ، وقد يصيب جزءاً من الرأس ، وقد يصيب الرأس كله . ولم يكن لنا داع لذكره كسائر الأمراض ، غير أنه يداوونه أحيانا بأدوية قاسية ، فقد يلطخون الرأس الأقرع بالزفت مضافا عليه بعض الأدوية ، ويغطون ذلك بطاقة ، ويربطونها ثم يتركون الزفت أسبوعا ثم يخضعون الطاقية بزفتها يشدونها شداً فيجد الأقرع من ذلك ألماً شديداً ويكررون هذه العملية مراراً وقد تنجح أو لا تنجح .

وهم لا يستبشرون بالأقرع إذا اصطبجوا به ويلقبونه بـ (أبوزنة) فيقولون (يا أقرع يا بوزنة) وإذا لم يستحسنوا نكتة قالوا (قرعة) .

ومن أمثالهم (قرعا وتباهى بشعر بنت أختها) يضربونه لمن يتباهى بما ليس له .
ومن أمثالهم أيضا (يعاود الأقرع يفوت على بياع الطواق) يقوله الرجل لا يحتاج إليه في وقت فينذرُ بأنه سيحتاج إليه في وقتٍ ما .

ويقسمون الأصوات إلى قسمين :

صوت حنين وصوت لاحتية فيه ويقولون إنه أقرع . ومن أغنياتهم (بنت اختي قرعا خدها الديب وطلع يرعى) .
والآن وقد تقدم الطب يمكن الاستشفاء منه بمرهم البنسلين أو السلفانا مما يخفف على الأقرع عذابه .

القرافة

هى مدافن الموتى وتعمر عادة فى مواسم خاصة كالخمس الأول من رجب وأيام الأعياد وفى العادة تعمر أيضا صباح يوم الجمعة فيستدعى الفقهاء للقراءة ، ويفرق الفطير والشريك والفاكهة على روح الفقيد .

وكان الناس عادة يبيتون فيها ، وكانت تحدث فظائع من هذا المييت ولذلك منعته الحكومة المصرية ، والعادة أن تكون بعيدة عن البيوت .

ومما يُنسب إليها من كبار فقهاء الشافعية المصريين (الشيخ القراني) صاحب كتاب (المفارقات) فى الفقه . واشتهرت فى القاهرة بجملة قرافات منها قرافة (المجاورين) و(العفيفي) وقرافة (الإمام الشافعي) وقرافة (السيدة نفيسة) وترى فيها مشاهد القبور لطبقات الشعب أرسقراطية وديموقراطية ، وحيشانا فخمة وحيشانا متوسطة .

القرعة أو التجنيد أو الجهادية

يخاف المصريون كثيراً من الجندية ،
ولذلك لا يتأخر عن دفع البدل كل من قدر
عليه . وقد يشوه بعضهم نفسه بقطع إصبعه
أو نحو ذلك للهرب من الجندية ؛ والسبب في
ذلك في الأغلب سوء معاملة المجندين وكنتم
حريتهم ، وأخذهم بالنظام الشديد الذي لم
يتمودوه . وكان قديماً كلما طلب مجندون من
القرية يعمد شيخ البلد إلى طريق سهل يجلب له
المال . وهو أنه يجند أولاد الأغنياء ، فيتفقون
مع شيخ البلد أن يفك أولادهم بأجر ويقيد
بدلاً منهم أولاد فقراء . وللخوف من الجندية
كنت قديماً ترى شباباً صحيح الجسم ، بل
ترى أكثرهم أسنانه مهشمة ، أو أصابعه
مقطوعة ، بعينه إصابة أوعى ، حتى لا يجند .
هذا مع أن المصريين قد توالدوا إما من عرب
فاتحين أو من أقباط أسلموا أو وافدين .
والإسلام نفسه يحث على الجهاد ويحبب إليه .
وقد اعتادوا أن يعفوا من القرعة من يحفظ
القرآن ، وأن يعفوا عرب البادية . وربما كان
من أسباب الرغبة في الأزهر الإعفاء من
القرعة ، لأنه يحفظ القرآن . ويسمى المال
الذي يعطى للإعفاء من القرعة (البدلية) ،
ولانتشار مرض البلهارسيا والإنكلستوما بين

الفلاحين ، قلّ الصالحون من الشبان المصريين
للجندية بالنسبة لغيرهم من الأوربيين .

وللمصريين أغان مؤثرة ، إما من الشبان
في البكاء على زوجاتهم ، أو من الشابات
للبيكاء على أزواجهن . ويوم يقبل الشاب في
الجندية يكثر الصريخ من أهله كأنه مات .
وتستعمل كلمة (القرعة) بمعنى آخر ،
وهي أنهم إذا احتار الرجل أو المرأة في عمل
يعمله أو لا يعمل ، كان مما يحل الأزمة
« القرعة » بواسطة ورقتين يكتب في إحداها
« نعم » وفي الأخرى « لا » ثم يطبقهما
ويأخذ إحداها ؛ أو يفتح مصحف حينما
اتفق ، وتقرأ الآية التي يقع عليها النظر ،
ثم يستنج منها الرضا عن العمل أو عدمه .
أو بحبات السبحة ، خبة نعم وحبّة لا .
ويقولون لمن اختير للعمل : وقعت عليه
القرعة .

القرفة

يقولون للعمل إذا سار سيرا حسنا سهلا
« إن قرفته خفيفة » ، وإذا سار سيرا ثقيلًا
عسيرا إن قرفته ثقيلة . وهو تعبير غريب
لا أدري سببه .

ولعلمهم كانوا في حفلات الذكر يوزعون
القرفة على الذاكرين . فقد يجدونها خفيفة ،

أن الجن اختطفته ؛ واستولى هذا الوهم مرة على بعض الرجال ، فكان يعتقد أن الجن تريد أن تخطفه ، فينتقل من بيت إلى بيت ، ومن حجرة إلى حجرة ، حتى لا يعرفوا مكانه ويضع على فراشه لحافاً على شكل رجل نائم زاعماً أنه يخدع الجن .

القسم

يسمون الحلف قسماً . ومعظم الأقسام عند المصريين القسم بالله وأحياناً يقولون « والله » بعقد الماء ، أى دون خطفها ؛ ويحلفون بالمشايخ ، وحياة السيدة زينب ، وحياة السيد البدوى ، وحياة الشيخ فى نومه . ويحلفون بالآباء : وحياة أبوى ، وبالشرف فيقولون : وحياة شرفك ؛ ويحلفون بالميت العزيز أو الابن العزيز فيقولون : وحياة العزيز الغالى . ويجرى على أسنة الساقطين الإكثار من الحلف بالطلاق فيقولون : على الطلاق ما فعلت كذا ، وبعضهم يقول : على الحلال ، والآخر : على الحرام ، ويقال أيضاً « وإيمان المسلمين مجمع الطلاق والعقاق » ويحلفون بالنبي فيقولون : وحياة النبي . وأحياناً يشددون فى ذلك فيقولون « وحياة النبي اللى وضعت إيدى على شباكاه » . ومع ذلك التأكيد بالقسم فقد يكذبون ،

وقد يحدونها ثقيلة . فيقولون إن القرفة ثقيلة أو خفيفة . وهو تعبير مشهور ؛ كما يقال « إن الشاى خفيف أو ثقيل » .

ولما كانت القرفة بطبعها لاذعة كانت القرفة الخفيفة خيراً من الثقيلة . ثم نقلوا التعبير إلى الحجاز ، فقالوا للشىء اللطيف الخفيف الروح قرفته خفيفة ، وللشىء الثقيل الروح قرفته ثقيلة ؛ والله أعلم . ويكثر المصريون من شرب القرفة بدل الشاى وشبيه بها « الدارسينى » .

القرينة

يعتقد عوام الشعب أن كل إنسان يولد له قرينة ، إما ذكر أو أنثى . ولذلك يقولون لمن ترحلق على الأرض « اسم الله عليك وعلى أختك » . وكذلك « وقعت على أحسن منك » . وكثير من النساء يعتقدن أن أولادهن أحياناً يبذلن بولد آخر من أولاد الجن . وقد يكون نتيجة ذلك نفورهن من أولادهن ، وأحياناً يزداد نفورهن إلى حد الفرار ، وأحياناً يشتد نفورهن فيذهبن بالولد إلى مقبرة من المقابر فيضعنه فيها وهو حى ، ثم يذهبن فى الصباح للكشف عليه ، وقد يجذنه ميتاً فيعتقدن أن الجن أماتت ابنها وقد يجذنه أكله الذئب أو نحوه فيعتقدن

طيبة ، وقسمته وحشة . وجاء في أغانيهم
« ليه قسمتي كده وياك » وفي الغالب تلازمها
كلمة أخرى فيقولون « قسمة ونصيب » .
وكثيراً ما تكون موضع الاعتذار فيقولون :
« آهي دي القسمة ، وما لكش فيها
قسمة . . . الخ » .

قصب

يطلقونه على عيدان قصب السكر
يستخرجون منه العسل الأسود ، يأكلونه
بالخبز ويضعونه على الطحينة ، فيتكوّن منه
عسل وطحينة ؛ ويأكلونه أيضاً بالخبز ،
وبوضعه على الطحينة وتقليبهما على النار
يكون منهما ما يسمى الخلاوة الطحينيّة ، وهي
كثيرة الاستعمال إداما كالجبن .

والشئ الواضح عند المصريين في قصب
السكر مصّه بعد تقشيريه ؛ فكثيراً ما يمصّونه
وهم سائرون في الشوارع ، أو جالسون على
نهر أو ترعة . ويستعملون مصاصة القصب
والعسل الأسود في عمل السيرتو . ومصاصة
القصب من أسباب قذارة الشوارع بعد
تنظيفها . ولكن من منافها تجامية الأسنان
وتقوية اللثة .

ومن القصب استخدمت مصانع كثيرة
في مصر لصنع السكر بعد تنقية القصب ،
ومن أجل ذلك اشتهرت مصر بالسكر .

كالذي يقول الشاعر :

وأكذب ما يكون أبو المثنى

إذا آلى يميناً بالطلاق

وكان لي صديق رحمه الله اعتاد الحلف

كثيراً ، فكان يقول : (والله العظيم ثلاثاً)

ثم يسكت قليلاً ليتذكر ما يريد أن يحلف
عليه .

ومن أمثالهم « قالوا للحرامي احلف ،
قال جالك الفرج » أي أن الحلف أمر
سهل لا يكلفه شيئاً .

وإذا أكدوا على أحد قالوا « حلفتك

تروح » إلى آخره . ومن غريب استعمالهم

للقسم خصوصاً في الحب قولهم : « أمانة تعمل

كذا » أي والله ، و « أمانة ياليل » و « أمانة

يارايح يثمه ، تبوس لي الحب من فمه » .

القسمة

القِسْمَة في كلامهم بمعنى القدر ، فإذا

أصيب أحد في مال أو ولد أو زرع أو تجارة

قالوا قِسْمَة . وإذا رزق أحد بنات فقط

أو بنين فقط أو بنين وبنات قالوا قِسْمَة .

وشاعت هذه الكلمة حتى نقلت إلى اللغات

الأجنبية فاتخذوها فرقاً بين الشرق والغرب

فالشرقي يبني حياته على القسمة والغربي يبني

حياته على العلم والعمل . ويقولون قسمته

يدخنون الشبك أو الجوزة وهم يبتهجون به ويفرحون بقصصه . وصاحب القهوة يمنح القصاص قليلاً من المال ، ولكن ما يأخذه من السامعين أكثر . وهؤلاء القصاص يسمون الشعراء . وبعضهم يتلو قصة أبي زيد الهلالي وقد يسمون أبو زيدة . وهي عشرة أجزاء أو أكثر من الحجم المعتدل ، وتشتمل على نثر وشعر .

وبعض الشعر فيها قد نسخ فلم يصبح موزوناً ، والشاعر قد يقرأ مما يحفظه أو في كتاب . وقد كان في حارتنا شاعر يدعى الشيخ أحمد يأتي ومعه كتاب ملفوف فيقرأ فيه ، وأحياناً يقرأ بعضهم قصصاً أخرى كقصة سيف بن ذي يزل ، والدمية ؛ وفي البيوت يقرأون ألف ليلة وليلة ... وهكذا . والفرق بينها وبين الحواديت أن الحواديت قصص شعبية ، والقصص قصص كلاسيكية . ويقولون « قص عليه القصة من طقطق لسلام عليكم » أي من أولها إلى آخرها . وطقطق حكاية دق الباب عند الدخول . وسلام عليكم كناية عن التحية عند الانصراف (أنظر حواديت وشاعر) .

وقد يتخذون عصير القصب مشروباً لذيذاً ، يصفونه لتقوية الجسم كعصير العنب . والجزء الأعلى من عود القصب يسمى زعزوعة ، وقد تسب به المرأة لأنها نحيفة ، لأن المثل الأعلى عندهم أن تكون سمينة .

وتستعمل كلمة « القصب » أيضاً في الأسلاك الذهبية أو المطلية بالذهب ، وتكسى بها البدل أو الفرجيات . فكان لحافظ إبراهيم رحمه الله نكتة : وهي أن بدلته لم تحلّ بالقصب ولكن بالزعزيع . وتستعمل كلمة « قصبه » في السب ، خصوصاً عند النساء ، يقلن « جاتك قصبه » ، ويقولون كذلك « قصبه الرّجل » ، دلالة على الجزء الأسفل من الساق . ويستعملون تعبير « مصّ القصب » كناية عن المصمصة لحزن ، فيقولون « قعدوا يمصّوا قصب » .

القصص

هي خير تسلية للمصريين ، ومن القاصين نوع يغشى القهاوى ويجلس على المقاعد العالية ، ويحيط به السامعون ، بينما

القضاء والقدر

يغالى المصريون في الاعتقاد بالقضاء والقدر . بل قد يهملون العمل اعتماداً على القدر بل قد يتكون الدودة في زرع القطن والحشرات تأكل الزرع ، لأن ما قدره الله يكون ... ولهم حكايات كثيرة في القدر . وهو ركن كبير من أركان كتاب ألف ليلة وليلة . ومن أقوالهم المشهورة « ما قدر يكون ، ووقت القدر يعنى البصر » . فهم أقرب إلى الجبرية ، ومن ذلك انتشر بينهم الكسل . ونسب المستشرقون إلى هذه العقيدة خمول الشرقيين ؛ لأنها تحملهم على الاتكال والرضا بما يأتي به الدهر . ومن الغريب أن هذه العقيدة لا تمنعهم من العمل إذا جدّ الجدّ ، كأن شبت نار في البيت أو هدم بيت على أصحابه أو سال ماء الفيضان ، لأنه إذ ذاك تجلّى فيهم غريزة حب الذات وحب النوع .

القفش

في الأصل استعملت في المادة ، فقالوا : قفشه ، بمعنى أمسكه بعد صعوبة ، ثم استعمل في المعنى بمعنى عثر منه على خطأ منطقي ، أو غلظة في كلامه أو نحو ذلك ، وسموا الواحدة قفشة ، وقالوا : قفش له جامد ، أى قفشة قوية .

قمر الدين

هو عبارة عن الشمس يحنف ويكسب ويعمل لغافات لغافات . وهذا ينقع ويشرب أو ينقع ويطحخ . وهو كثير الاستعمال في رمضان ، وخصوصاً إذا جاء رمضان في الصيف . وبعد نفعه أو طبعه يضاف إليه العسل الأسود أو السكر ، وهو من لوازم رمضان كالكنافة ، وكثير من الناس يفترون عليه في رمضان .

ولعلّ تسميته بقمر الدين جاءت من أنه يهل على الناس في رمضان وهو شهر الدين . وتعجبنى نكتة ظريفة من الشيخ طاهر الجزائري أنه رأى فتاة جميلة تجلس تحت شجرة فقال لها هل تأكلين قمر الدين يا قمر الدنيا .

ققم سليمان

يزعمون أن سليمان عليه السلام لما كان يستخدم الجن كان بعضهم يعصيه فيسجنه في ققم من نحاس ، ويلحمه بالنحاس المذاب ، ويدفنه في باطن الأرض ، فإذا فتحه أحد خرج منه الجنى نامى الجسم ، أو خرج على شكل دخان يرتفع ، وقد يؤذى فاتح الققم وقد لا يؤذيه ؛ ولذلك إذا عثر بعضهم على مثل هذا الققم لم يقرب منه . ومثل ذلك

لكثرة أخشابها ، وطليها بالحص ونحوه —
أما في الريف فتطلى بالطين النى والجلّة ،
وهما لا يالفهما البق .

واشتهرت البقة بكثرة الولادة فيقولون
في المرأة الولود : « زى البقة تولد مائة ،
وتقول يا قلة الذرية » . وقد صنعوا أحجبة
لمنع البق من سكنى البيوت .

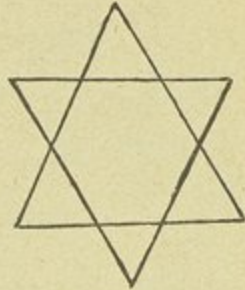
قنديل

كان الناس يستعملون للإنارة بالليل
القناديل من الزجاج ، يملأونها ماء وعلى الماء
قيراط أو قيراطان من الزيت ، ثم يضعون
فتيلاً يشعلونه فيمتص الزيت . وإذا أريد
زيادة الإضاءة أشعلوا أكثر من قنديل .
وهناك أدوات منزلية أو مسجدية يوضع فيها
قناديل كثيرة . توجد نماذج منها في دار
الآثار العربية . وسماوا من ذلك قنديل ،
ومحمد قنديل ، وعلى قنديل .

وقد قلت هذه القناديل الآن للإضاءة
بالكهرباء أو الكلبات .

ويشبهون به الرجل الوضي فيقولون :
فلان قنديل الحمة ، ولكن يستعملون القندلة
بمعنى سبي ، فيقولون بختمه مقنديل ، وسأقنديلها
عليك ، أى سأثيرها عليك حرباً شعواء ،
وعيشته مقندلة ، أى بأسة ؛ وكان الظن أن
يكون غير ذلك .

خاتم سليمان وهو عبارة عن مثلثين أحدهما
مقلوب على هذا الشكل :



ويستعمل لقضاء الحوائج ...

القمل والبرغوث والبعوض والبق

هى من الحشرات الدنيئة ، وهى كثيرة
في الفلاحين ، وقلت في المدن . والفلاحون
يعتقدون أن القمل يتولد من عرق الجسم ،
وكثيراً ما يرى الناظر القمل يسبح على ثياب
الفلاح . وهم يشبهونه أحياناً إذا كثرت على
ثوب « بالنخالة المبدورة » ، ولا يكون كذلك
إلا بعد أن ينتشر على الجسم ويمتص الدم ،
يقول الشاعر :

بعوض وبرغوث وبق لزمّني

حسبني دمي خمرأ فطاب لها الخمر

فيرقص برغوث لزم بعوضة

وبقهم يصغى ليسمعه الزمر

ويسمون بذور القمل « الصبيان » .

والبق أكثر في المدن منه في الريف ،

قياس الأثر

من فمه ، ويقتم ثم يقبض على الأثر بيديه

تاركا بينهما مسافة ثم يقيسها بإصبعه ثم يعيد

هذه المسافة فإذا وجد أن المسافة أقل دل

على قرب الشفاء ، وإذا وجد أن المسافة

أبعد قال إنه يلزمه كتابة حجاب .

يقوم بهذا العمل في الغالب بعض

الفقهاء في الأرياف ، فإذا مرض واحد منهم

أرسل للفقير أثره ملفوفاً فيه شيء من النقود .

فحينما يصل إليه يعزم واضعاً (الأثر) قريباً

حرف الكاف

الكارو

عربة يجرها حمار أو حصان ، وهي عبارة عن ألواح من الخشب سميت ووضع لها عجالتان أو أربع ، وأكثر ما يركبها النساء في المآتم والأفراح ؛ وكثيراً ما تغنن عليها ويرقصن ؛ وقد تستعمل في نقل العفش ، فتوضع على العربة عارضة خشبية تتحمل كثيراً منه .

وقد اشتهر أصحابها بكثرة المماكسة وعدم الرضا بأى أجر ، كما اشتهروا بالقدرة على حمل الأثقال على أكتافهم .

الكاشف

الكاشف حاكم الإقليم ، والجمع كشاف ، وهو كالمدير في عصرنا ، ومن ذلك لقب بعض العائلات بالكاشف ، وأغلب ما يكون من الأتراك في الزمان الماضي ، وأحياناً يتحرك من بلد إلى بلد ، ومن قرية إلى قرية ، وعادة إذا نزل تقدمت الطبول لإعلان

الناس بحضوره ، فإذا حضر انزعج الفلاحون لأنه يستدعى مشايخ البلد ويسألهم عن حال أهلها ، وهل فيهم متمرّد أو لص ، فينزل بهم العقوبة ، ويحضر الصراف ويسأله عن تحصيل الإيجار ، فمن لم يدفع أحضره أمامه وهدده بالدفع أو الضرب أو القتل ،

ولذلك يكون دخوله للبلد نذيراً بالشر . فمن الفلاحين والفلاحات من يقترض بالربا أو يبيع الحلى أو بقرته أو جاموسه لتسديد ما عليه ، فإذا لم يستطع ذلك هرب من البلد وترك أطيانه وأقاربه . ومن ناحية أخرى كان عليه أن يشارك في تجهيز الطعام للكاشف وحاشيته ، فهذا عليه خروف ، وهذا عليه وزة ، وهذا عليه أن يقدم الفطير ، للكاشف ، ونحو ذلك ، وتسمى هذه بالوجبة . وكان هذا الكاشف في العادة جباراً قاسياً لا تأخذه رحمة ولا شفقة ، ينهب هو وجنوده ، وطالما قاسى الفلاحون من ظلمه ، وتعوذوا بالأحجبة لمنع عدوانه ، ولا يقر قلبهم إلا إذا رحل من بلدهم . وكان عليهم وجبات كثيرة وجبة للكشاف ووجبة للمنزّم ، ووجبة للصراف ... الخ (انظر كلمة وجبة)

كافى مانى

أحياناً يستعملونها كناية عن الكلام وهما كلمتان قبظيتان ، فسكافى السمن ، والثانية العسل ، فهى فى الأصل خلط السمن بالعسل ، ثم استعمل فى خلط صحيح الكلام بفاسده ، ثم استعمل كناية عن الكلام مطلقاً ، أو كناية عما لا يعرف من الكلام فيقولون : قال كافى مانى ، أى كلاماً لا يعرفه .

كَبَّة

هي دمل كبير مستدير يطلع في الجسم فيسمونه طلوعاً أو خراجاً أو دملاً كبيراً . واعتادوا أن يشتموا بها فيقولون : جاءتته كَبَّة ، أو جاءتتها كَبَّة .

وأحياناً لا يلفظون بهذا ، وإنما يشيرون في وجه من يستبونه بأصابع الكف مكورة .

الكَبَّة

لعبة كان يلعبها الأطفال وخصوصاً البنات ، فيأتون بخمس حجرات مستديرة ، يضعون أربعة منها على شكل مربع ، ويقذف الحجر الخامس إلى أعلا ، ويجهد قبل نزوله أن يجمع الحجرات الأربعة المربعة ما أمكنه . فإذا لم يمكنه فتلاثة أحجار أو اثنان .

الكتاب

الكتاب هو أول معهد لتعليم الأطفال وكان في كل حي أو أكثر . وهي عبارة عن غرفة فسيحة بعض الشيء فرشت بالحصير ، وكثيراً ما يكون الحصير بالياً ، يجتمع فيها الأطفال ، والحجرة مكونة من هذا الحصير ،

ومن صندوق توضع فيه الألواح ، ومن زير مغطى بخشب ، علق بكوز مربوط بحبل ؛ فمن أراد أن يشرب أخذ الكوز وغمسه في الماء ، ومكون أيضاً من معلم يسمى « فقي » تحريفاً لكلمة « فقيه » ، ومن مساعد له يسمى « العريف » ؛ والفقي عادة لا يعرف شيئاً إلا حفظ القرآن الكريم ، ويكتب كتابة عاجزة ، وكثيراً ما يكون أعمى ويسمى « سيِّدنا » ، ويده عصا طويلة من جريد النخل يستطيع أن يصيب بها أبعده ولد عنه ، فإذا وجد طفلاً لا يتحرك ضربه بالعصا وقال له اهتز . ومن أساس الكتاب « الفلقة » وهي عصا غليظة مصممة في الغالب قد خُرقت خرقين ، ركب فيهما سير من الجلد . فإذا أراد « الفقي » ضرب ولد استعان بالعريف على إدخال رجله في الفلقة ، ثم لواها على رجله ، ثم أمسك بعصا يضرب بها الرجلين المشدودتين . وقد تشق رجل الطفل ويسيل منها الدم . وكان في العادة يأخذ الفقي من كل طفل قرشاً ويحضر الطفل من بيته رغيفاً ، والفقي يجمع هذه القروش ويشتري بها عند الظهر « فول نابت » أو « مخلل » بمرقته في ماجورين ، ويلتف الأطفال حولها ويتغدون ، وهم يلغوصون بأيديهم فيها . وكثيراً وقد يكون أحدهم مريضاً فيعدي

الكتا كيت

في أوائل الصيف وأوائل الشتاء كثيراً ما نرى في القاهرة منادين وعلى رأسهم أقفاص ملامى بالكتا كيت ينادون (ياملاح الملاح) ويظهر أن الكتكوت كلمة مصرية قديمة ، ولذلك لا يسمى في الشام مثلاً كتكوتة وإنما « وصواص » أخذنا من صوته .

والطبقة المتوسطة والفقيرة تشتري الكتا كيت وتربها في المنازل وتصبر عليها إلى أن يؤذن الديك ويصير الكتكوت فرخة فينثذذبجونها ويسمونها « برابر » والفلاحون يربونها للبيع في الأسواق .

وفي أمثالهم : « الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح » ، وتنتشر في مصر عملية التفريخ لإخراج الكتا كيت من البيض ثم بيعها حسب ما ذكرنا . وقد يكون عن الطفل الصغير بالكتكوت .

الأصحاء ، وكثيراً ما كانت هذه الكتا كيت في أمكنة غير صحيحة ، كالأ يكون فيها نور كاف أو شمس كافية أو تكون بجانب مصراحيض المسجد . وكانت هذه الكتا كيت هي المدرسة الأولى لكل أطفال الشعب غنيهم وفقيرهم ، وذلك قبل أن تنشأ رياض الأطفال . والفقى عادة يستمع للأولاد (الماضى) وأغلب ما يكون ذلك في يوم الخميس ، وأحياناً يقرئهم شيئاً جديداً وبعض الأغنياء يستغنون عن الكتا كيت بمدرس خصوصى يأتي للأطفال في بيوتهم . أما البنات فعلمتا يتعلمن القراءة والكتابة في الكتاب ، وقد كان فاشياً أن تعليم البنات من المصيبات ، ولذلك كان يقوم مقام الكتاب المعلمات ، والمعلمة هي آنسة أو سيدة تقبل في بيتها تلميذات تعلمن الخياطة من أولها إلى آخرها . فتبدأ بالأشياء السهلة إلى الأشياء المركبة . وقل من البنات من كنن يتعلمن القراءة والكتابة . ومن أمثالهم المشهورة « لما شاب ودوه الكتاب » أى أنهم تركوا تعليمه حين الطفولة حيث يلزم أن يذهب إلى الكتاب ، ثم بدأوا يعلمونه عند ما شاب ، أى بعد فوات الأوان .

الكحل

هو هباب اللبان العطري المحروق ،
ويصنع أيضاً من هباب قشر اللوز ويستعمل
الكحل لعلاج العين وأكثر من ذلك
للزينة . أما للعلاج فقط فيستعمل مسحوق
الرصاص المضاف إليه المنزوت وعرق الذهب
وسكر النبات ومسحوق الذهب البندقى .
وتكحل العين بمردود صغير من الخشب
أو العاج أو الفضة أو الزجاج ، دقيق الطرف
كليل الجذّ بيلّ أولابماء الورد ، ثم يغمس
في المسحوق ويمرّر بين الجفنين . والوعاء
الزجاجي ، أو البللورى الذى يوضع فيه
الكحل يسمى المكحلة ، وهى من بقايا قدماء
المصريين . وقد عثر فى المقابر القديمة على
المساكل ومرادوها . وهو إذا أضيف إلى
جمال العيون المصرية زادها جمالا .
ومن أمثالهم : « جمال الكحل تفنيها
المراد » . أى أن الشيء الكثير لا بد أن
يفنى مع استمرار الأخذ منه ولو قليلا .

الكرسى

هو ذلك الأداة الخشبية المعروفة ، وهو
أشكال وألوان ، فالكرسى العادى الذى
يجلس عليه الناس وهو معروف عند الأمم
المتختلفة ، ولكن الذى يهمننا هنا ما كان

للمصريين عادة ، مثل كرسى الولادة ، وهو
كرسى يحضر لبيت الالدة قبيل وضعها ،
تحضره لها الالدة ، وهى امرأة من أعمالها
التوليد ، كما أن من أعمالها أيضاً ختان
البنات . وهو كرسى مخروق من الوسط
تجلس عليه المرأة عند الولادة ، لتتلقى منه
الالدة الطفل عند نزوله ، وتستعين المرأة به
عند الطلق فيمسكه من جناحيه . ومن مثل
هذه الكراسى أيضاً كرسى العروس ، وهو
كرسى كان يحضر مع الجهاز ، ويوضع
بجانب السرير ، وهو ذو سلم يطلع عليه
العريس ليصل إلى السرير ، كأنه بلغ من
الكسل أنه لا يستطيع الصعود على السرير
من غير معونة . وكذلك كرسى المطبخ
وهو كرسى صغير ليس عالياً تجلس عليه
المرأة عند طبخها وليس له سنادة يستند عليها
إنما هو مجرد مقعد ، وكان فى القديم كرسى
يسمى كرسى العشا ، وهو مرتفع نحو نصف
متر ، توضع عليه الصينية وقت الأكل ،
والآكلون يلتفون حوله ، إما على حصير
أو بساط أو شلت و بعض الناس يعتنون به
فيطعمونه بالصدف .

وأخيراً يسمون عظمة الوجه البارزة

كرسى الخلد .

الكشك

الكشك طعام يصنع من البرّ واللبن ، وهو أصناف ؛ بعضهم يأخذ القمح ويغسله غسلًا جيدًا ، ثم ينقعه في الماء ، ثم يوضع على النار حتى يلين ويغلي الحب ، ثم يجفف في الشمس ، ثم يدش ويوضع في إناء ويصب عليه اللبن ومش الحصير ، ويحرك ثم يترك أيامًا ، ثم يحرك ويوضع عليه اللبن مرة أخرى ، وهكذا حتى يتخمر وتفوح له رائحة الحموضة ، ويكون له طعم لذيذ ، ثم يزداد من اللبن لتخفيف حموضته ، ثم يقرص أقراصًا صغيرة ويوضع في الشمس إلى أن يجف ، فيؤخذ ويخزن لوقت الطبخ ؛ وهذا خير أنواع الكشك . وإذا أرادوا أن يطبخوه وضعوا عليه سمناً وعملوه على اللحم الضاني السمين ، أو على الفراخ ، أو على الطيور ، ونحو ذلك . ومنه أنواع أخرى كأن يتساهلوا في غسله وتصفيته ولا يتحروا مش الحصير ، بل مشاً وضيعاً يسمونه مش قريش ... الخ . ويقال للرجل العزيز عند أهله هو عندهم « فرخة بكشك » ، لأن الفرخة إذا طبخ عليها كشك من الصنف الجيد كانت لذيذة . وقد اعتاد المصريون أن يطبخوا الكشك بالفراخ في يوم أسبوع الطفل ،

ثم يوزعوه أطباقاً أطباقاً على الأعرزة وأهل الحارة ، ولا يفعلوا ذلك في غير الكشك ؛ ومن أصناف الحلوى نوع يقال له كشك الفقراء ، وهو نوع حلو لذيذ يشبه طعمه المهلبية . ويظهر أنه محرف عن كشكول الفقراء ؛ والكشكول هو الوعاء الذي يجمع فيه الفقير أصناف الطعام المختلفة ، لأن هذا النوع يصنع من أنواع مختلفة .

الكفار

يسمى عند المصريين من اعتنق ديناً غير الإسلام كافرًا ، والجمع كفّار ، سواء كانوا نصارى أو يهودا أو وثنيين . وإذا مات الكافر قالوا عنه « هلك » ، وإذا رأوا جنازته لا يترحمون عليه . وإذا ذكر اسمه كذلك . وإذا كتبوا عنه لا يقولون غفر الله له ، ولا اللهم ارحمه . وإذا مرت عليهم جنازة مسلم وقفوا وقالوا لا إله إلا الله ، إنا لله وإنا إليه راجعون . وإذا مرت عليهم جنازة كافر لم يقفوا ولم يترحموا . ولا يسمح لنصراني أو يهودي أن يدخل المسجد ، ولا أن يحمل المصحف ، ولا أن يدخل مكة أو المدينة ، ولذلك كان من أراد منهم أن يفعل ذلك ادعى الإسلام وتزيّن بزى المسلمين . والآن يسمعون للسائح (٢٢)

كساء من الصوف ، ومثل « برشت » يقال
بيض برشت ، أى ناضج نصف نضج .
أصلها ميم برشت أى مسلى مسلوق ، فاقصروا
على النصف الثانى من الكلمة ؛ ومثل
« برشام » وهى بمعنى ملء الفم الخ . .
« وبنزاهير » وأصلها « بادزهير » ، وباد
بمعنى مهلك ، وزهير بمعنى سم ، أى قاطع
السم . ومثل « بهريز » يقال شربة بهريز ،
وهى بمعنى حمية . ومثل « إشكر خبر »
وأصله « أشكار » بمعنى واضح ، أو ظاهر .
فهو بمعنى خبر واضح .

ومن بقايا الحكم العربى كلمات كثيرة
يطول إذكراها . ومن بقايا الحكم التركى
والشركسى كلمات كثيرة مثل « بوريك »
فإنها تركية بمعنى فطير ، ومثل « برضه » فإنها
كلمة تركية بمعنى هو كذا ، أصلها برضل .
ومثل « برش » كلمة تركية بمعنى الحصير .
ومثل « بنش » العباءة التى يتحلى بها
العلماء ، فإنها تركية بمعنى معطف أو عباءة .
ومثل « ترللى » يقولون عقله « ترللى » أى
مزعزع ، من ترل التركى بمعنى تززع . ومثل
« جزمة » ، فإنها فى التركية بكسر الجيم .
ومثل « جوقة » بمعنى أغلبية أو كثرة
و « أبعادية » بمعنى محل أو مزرعة .

النصرانى أن يدخل المساجد الأثرية ليتفرج
عليها بتصريح من وزارة الأوقاف .
ويسمون بقعة فى القاهرة بقنطرة
الذى كفر .

وأصلها رجل كبير من رجال الحملة
الفرنسية كان اسمه « كفر للى » فحرفوه إلى
اللى كفر ، وكان يسكن قرب قنطرة هناك .
فبدلاً من أن يسموها قنطرة كفر للى قالوا
« قنطرة اللى كفر » .

الكلمات الدخيلة

توالت على الأمم المصرية حكومات مختلفة
من أمم مختلفة ، وقد هضمت مصر
بعض عاداتها وتقاليدها ، كما هضمت بعض
كلماتها فاستخدمتها فى لغتها ، ولذلك كان
لل كلمات تاريخ طويل كتاريخ الأمم . فن
بقايا قدماء المصريين « حلوم » للجبنة ، وبتاو
لنوع من الخبز ، وكتكوت وبلح أمهات وكثير
من أسماء البلاد ... ومن بقايا الحكم اليونانى
« فانوس » ، فإن معناه فى اليونانية « المصباح
الكبير » ، وكلمة « إبليز » للطين الشديد
اللزوجة ، و « أرغول » ، وأخذوا من
الفارسية كلمات كثيرة مثل « روشن » تطلق
على فتحة السقف ، وهى فى الفارسية بمعنى
ضياء أو لمعان ، ومثل « جوخ » فإنها بمعنى

الفرن قلبت على الوجه الآخر حتى يحمر أيضا ، ويكون بجانب ذلك سكر معقود قد أعد وترك حتى يبرد ثم يوضع السكر عليها . وإذا أريد إتقانها أيضا وضع عليها ماء ورد . وتتشرب الكنافة كل ذلك وتكون حلوة لذيدة . وهي والفول المدمس من لوازم رمضان والعزائم .

وأكثر الأدباء المصريين من ذكرها والنعني بلذاتها فقال قائلهم :
إليك اشتياقي يا كنافه زائد .. الخ .

واشتهر في مصر بعض الحال بإتقان صنع الكنافة من الدقيق النقي ، ومن هؤلاء السيد على الكنفاني بجوار بوابة المتولى .

الكنايات

لهم كنايات لطيفة في أسماء بعض الأشياء ، فمثلا يسمون نوعا من حبوب الحلاوى الصغيرة « براغيث الست » ، ونوعا من الحلاوى المنفوشة « غزل البنات » ، ونوعا من الحلاوى المصنوعة من الدقيق بالسمن والسكر على شكل خاص « سدّ الحنك » ، ونوعا من الفطير الصغير الذى يشبه المينبو الصغير « كعب الغزال » ، كما يسمون بعض أنواع المعجين المقلّى فى الزيت « لقمة القاضى » ، وأصله لقمة قادن ، أى لقمة العجوز . ويسمون

هذا إلى ألفاظ كثيرة من أصل إيطالى أو فرنسى أو إنجليزى ، فاللغة العامية حليط من كل ذلك . وكان للمصريين ذوق فى اختيار ما يناسبهم من الكلمات وإدخالها فى لغاتهم ، ثم هضموها كما هضموا الفاتحين .

كنافة

نوع من الحلاوى اشتهرت به مصر والشام ، فكان من طعامهما الخاص كالقول المدمس ، وطريقة صنعها أن يذاب الدقيق فى الماء حتى يكون للسائل قوام ، ثم توضع الصينية الكبيرة على النار ، ويوضع هذا السائل فى كوز مخرق ، ويمسك الكوز من رقبتة ليسيل هذا السائل من الخروق على الصينية المحماة ، ويترك بعض الوقت حتى يجف بعض الجفاف ، ثم يلم ويباع فى الشوارع أو فى الأسواق باسم الكنافة . وإذا أريد تحميرها وضع قليل من السمن فى صينية محماة حتى يسيح ، ثم توضع عليها الكنافة ، وإذا أريد التأنق فيها وضع فى وسط راقات الكنافة بعض البندق المدقوق ، واللوز المدقوق ، والسكر المدقوق ، ثم وضعت الراقات الأخرى ، إلى أن تمتلىء الصينية ، ويوضع من فوق قليل من السمن على وجهها ، وتترك على نار هادئة حتى تنضج ؛ فإذا لم تكن أدخلت فى

بور سعيد من الهند . وذهب فيما بعد إلى
دمياط وهو يحمل جراثيم المرض ، وبذلت
الحكومة مجهوداً كبيراً في مقاومته والوقاية
منها . وجاءت بعثات كبيرة صحية من أوروبا
للمساعدة ، وكان أكثر الأحياء ضرراً منها
حيّ الخليفة وبولاق ، فقد ذهبت الأرواح
منهما بالألوف لازدحامهما وقذارتهما ؛ وكان
بعض المصريين يعالجون الكوليرا بأشياء
خرافية إلى أن انتهت . وشاهدت مرة من
يطاع على سلم مزدوج في الشارع ومعه مقص
يقص به الهواء ، يزعم أنه يقص الميكروبات .

الكيمياء

يقصدون بها تحويل المعادن إلى ذهب ،
ومن قديم والناس مولعون بها ، ويفقدون
كثيراً من أموالهم فيها . والحق يقال إن ذلك
كان سبباً في التعرف على مواد كياوية
صحيحة ، وقد اتخذت وسيلة للتكسب بها ،
وكان ابن مسكويه مولعاً بها . وقد ألفت
كتب كثيرة فيها غموض ورموز وأشياء
صعبة الفهم . وكم غش الدجالون الأثرياء حتى
أضاعوا نقودهم فيها ثم افتقروا ؛ يدخلون في
أذهان الأغنياء أنهم يستطيعون بالعزائم والسحر
والمواد الكياوية أن يحولوا النحاس إلى
ذهب فيجمعوا نحاسهم ونحاس جيرانهم

الذي يضيء الفوانيس بالليل « عفريت
الليل » ونوعاً من النمل الكبير الفارسي
« حرامى الحلة » ، ونوعاً من ثمر اللبغ دقن
الباشا ونوعاً من المشمش المفرد « قرالدين »
ونوعاً من حيوانات البحر « السيد قشطة »
ونوعاً من الطيور يشبه منقاره المراكب
« أبو مراكب » .

كما لهم تعبيرات خاصة مثل « وشه يقطع
الخميرة من البيت » ومثل « ليمونة في بلد قرفانة »
وقولهم في الذرة اللينة « غرض الأهم » .
ويقولون مثلاً « سلم عليه سلام المارودي على
بياع الفسيخ » و « الحيطان لها ودان »
ويكونون عن الفنجان الفاضى بالملآن ، كأنهم
كرهوا تسميته بالفاضى وينادون الأسود
ببيايض .

ويقولون « نادى عليه بالصوت الحياتى »
وماشية تتعوج كأنها علامة الاستفهام . وأمثال
ذلك كثيرة سيأتى في باب التعابير .

الكوليرا

أصبحت مصرع الأسف بوباء الكوليرا
مراراً . وقد حدثت مرة سنة ١٨٨٣ ،
ظهرت أولاً في دمياط وانتشرت منها في سائر
القطر . وقد ظهر أنها وافدة من الهند عن
طريق أحد وقادى السفن التي وصلت

ويستدرجهم المعزّون في الصرف عليها ،
فينفقون الأموال الطائلة ، ويجهدون أن
يكون هذا العمل فوق السطوح أو في غرفة
خاصة ، ثم يصبحون فلا يجدونهم ، لأنهم
يفرون قبل أن يفتضح أمرهم . وكان لرجل
أعرفه بواب يظهر على ملامحه أنه من بيت
عظيم ، فاستفسرت عن ذلك فعلمت أنه كان
غنياً وذهب ماله في هذا الباب حتى اضطر
أن يكون بواباً وأوهم سيده أنه توصل إلى
قلب النحاس ذهباً إلا خطوة صغيرة يحتاج
فيها إلى نحو عشرة جنيهات فأعطاها له ، رغم
تنبيهي عليه بعدم الدفع ، وما زال يدفع ويدفع

حتى افتقر هو أيضاً . وهكذا من أنواع
الحوادث .
ومن الغريب أن هذا الوضع مقلوب ذلك
أنهم يرغبون في شيء عسير كتحويل النحاس
إلى ذهب ، وهذا هو نهاية الكيمياء لا بدؤها
فكان يجب أن يتبحروا أولاً في علم الكيمياء
ثم تكون هذه غايتهم ، وكالتنجيم فقد كان
يجب أن يتبحروا في علم النجوم ، ثم تكون
غايتهم بحث أثر النجوم في العالم الأرضي .
ومن أمثالهم « الشحاته كيميا » أى أن
الشحاته قد تدرّ على صاحبها الذهب
كالكيمياء .

حرف اللام

اللاسة

لغافة من حرير يلونها الفتوات من أبناء
البلد على الطاقية كالعمامة . فتكون علامة
على الفتوة والشطارة .

ولكن لا يلبسونها في العادة على
جلابية زرقاء ، بل على جلابية بيضاء
أو جلابية من القليل ، أو غزلية .

اللبان الذكر

هو لبان معروف يميزونه عن اللبان
فقط ، وهو المسمى بالآدن ، واللبان الذكر
إذا أحرق انبعثت منه رائحة طيبة . وهم عادة
يعتنون بإحراقه عند كتابة الأحجية ، وعند
بعض الدعوات ، ويعتقدون أنه يساعد
الأحجية على تحقيق المطالب ، ولذلك يوصى
به المشايخ دائماً هو والمستكى ، والمستكى أيضاً
ذات رائحة طيبة ، وهم عادة يمضغون اللبان
أو اللادن مضغاً طويلاً . ولبعض النساء دلع
في المضع حتى تسمع من مضعها طقطقة .
ويستعملون اللبان أيضاً منقوعاً في الماء
طول الليل لقطع البلغم ومداواة الكحة .
ويقول العامة للمرأة لا تكتم مرراً ، إنها
بلبانة . وكثيراً ما ترى نساء في الشارع
وأمامهن صينية أو طبق كبير من الخوص ،
ملوء باللادن .

اللهجة العامية

للمصريين لهجة عامية خاصة ، ولهجة
القاهريين تخالف لهجة الصعيد ، وهما
يخالقان لهجة الشراقة والبحاروة ؛ وعلى
العموم ربما كانت لغة القاهريين أوضح
وأرق من لغة البلاد الأخرى كالشام والعراق .
وبعض البلاد المصرية ينطق القاف
جيا ، والقاهريون ينطقونها همزة ، ولكل
بلد اصطلاحات خاصة في بعض الاستعمالات .

ولنسق مثلاً للغة العامية أخذاً من مجلة
الأستاذ لعبد الله نديم ، فقد كان يكتب أحياناً
باللغة الفصحى ، وأحياناً باللغة العامية ، وهذا
حوار بين ألف وباء :

« (أ) انت بس رايح مصر جاي من
مصر ! ما سمعتش لنا شيء على اللي زى
حلاتنا .

(ب) اللي زى حلاتك رايح أسمع
عليه إيه ؟ إنت راجل فلاح في غيطك ،
وتقضى عمرك وانت سارح في الغيط رايح
البيت ، جى من البيت زى حصان الطّاحون
يقضى عمره ما بين الدورة ودار الدواب .

(أ) هو أنا ناكر أنى فلاح ! ما أنا
فلاح بن فلاح ، يعني انت اللي ابن جندي
ما انت فلاح زى .

والضعيف والقوى ، تلاقى الحمار من دول
إذا كان له قضية حتى عند واحد باشا تجيبه
الحكمة قدامها من غير مايمسى ولا يخالف ،
وانت بتقول إنه الأرض أرضك ومعاك بيها
حجة ، دى كلها أمور تثبت لك الدنيا مش
بسّ الفدانين ، انت تروح ترفع قضية فى
الحكمة ولا تسأل إن كان عضمة خشنة
واللا ناعمة والحكمة تحكم لك غضب عن
عنيه . انت توكل واحد أبكاتو وتوكل
على الله .

(١) بسّ خايف يروح يترجى القضاة
الذوات ويعملوا خاطر لبعض تقوم تروح على
المصاريف .

(ب) إوعى تصدق ! دلوقت جنس
تانى ، والقضاة بياخدوا ماهيات كفاية
وماتسيش الحق .

(١) بأه ماخذش كام نص ، أبرطل
بيهم القضاة عاشان يخلصوا لى دعوتى .

(ب) إوعى تعملها يا مشوم لاحسن
تروح فى شربة ميه ، هو يقدر واحد دلوقت
يبرطل قاضى ، الدنيا دلوقت ماشية على سنجة
عشرة ، اوعى حدّ يضحك عليك وياخذ
فلوسك ، ويقول لك أنا قلت للقاضى ، أنا
عملت ، أنا سويت ، ما فيش كلام زى ده

(ب) أنا مش مقصودى أعيرك ،
دنا فلاح ابن فلاح ، ولكن باقلك انت
راجل فلاح يعنى ما حدش عارفك يحكى فى
حقك حاجة فى مصر .

(١) بأسالك عن كده قصدى أقول
إذا كان واحد زى فى مصر له حكاية يعرف
يخلصها .

(ب) إن كنت رايح مصر علشان
تعطر لبنتك ولا تفصل لابنك اللى رايح
تطاهره ، كل شىء تلاقيه هناك ، وان كنت
رايح تقضى حاجة للفيط زى ساقية ولا محراث
ولا قصبية برضه تلاقى ، بسّ ركك على
الفلوس .

(١) دنا ما بديش كده ، قصدى إذا
كان واحد زى حالاقى له فدانين طين
وبقالهم سنين وأيام ومعاه بيهم حجة ولا
بتقسيم ميرى ويبدفح ما لهم وجاه واحد كبير
شوبه ، يعنى عضمة خشنة وقال له الفدانين
دول بتوعى وبدّه ياخدم غضب ، اكنه
كبير المقام ، يعنى إذا رفعت عليه قضية
أكسبها .

(ب) يا مغفل ، الناس دلوقت مش زى
زمان ، دلوقت فيه مجالس وقوانين وقضاة
وحكهم زى بعضه فى الكبير والصغير

الأخيرة وأخذت كثيراً من اللغة الفصحى ،
فتسمع العامي مثلاً يقول : « فهمت دا
بالقريحة » . والفضل في ذلك للمجلات
والإذاعات التي لا تهتم باستعمال اللغة
الفصحى .

وبقدر ما ارتقت اللغة العامية نزلت
اللغة الفصحى لتقابها في منتصف الطريق .
وكان من أسباب ضعف التعليم وعدم انتشار
الثقافة أن للمصريين لغتين متميزتين :
الفصحى والعامية ، وبينهما خلاف كثير .
ولو كان لهم لغة واحدة أو لغتان متقاربتان
لقلل ذلك من العوائق أو أزالها .

ومما يؤسف له أن أدباءنا لا ينتجون
إلا باللغة الفصحى ، أما العوام فليس لهم أديب
ولا يحدون ما يتفنون به إلا شيئاً قليلاً تافهاً
فقل أن يحدثهم أحد في الراديو بلغتهم . وقل
أن يكتب لهم كتاب بلغتهم ، وفي ذلك
خسارة كبرى . وقد اقترحت من أجل ذلك
أن يكون للأدباء في بعض الأحيان لغة شعبية
ساكنة أو آخر الكلمات ، متحررة من
الإعراب الذي هو أكبر عقبة للعوام .
ولكن اللغة قلما تصنع . والزمن كفيل بحل
هذه المشكلات .

دلوقت ، روح اعمل عليه قضية ولا تبالي ،
ور بنا ياخذ بيدك ويقضى حاجتك » .

ولهذه اللغة العامية بلاغة كاللغة
الفصحى . ولهم فيها تعبيرات ساحرة ولهم
الشعر الجميل . مثل :

تزوجت البطالة بالتواني
فأولدها غلاماً وغلامةً
فأما الإبن . لقبه بفقر
وأما البنت سمّاها ندامةً
كأن لهم الأزجال اللطيفة والمواويل
الرشيقة . وميزاتها أنها تحيا كل يوم في البيت
والشارع ، والروايات التمثيلية ، ويكسبها
ذلك حيوية ومرونة أكثر من اللغة
الفصحى .

والممتع لكلام العوام يرى فيه
التشبيهات الجميلة والعبارات القوية مثل : الله
يجازى أوامك ، ما فعل يا بعيد . ومثل .
يا عطارين دلوني الصبر فين أراضيه ، ولو
طلببتوا عيوني خدوها بس ألقيه . ومثل
قولهم في السباب « يا عملة جديدة » . ومثل
قولهم في الغناء : « البحر يضحك لي وأنا نازلة
أدلع أملا القل » ولو عدنا ذلك لطال بنا
القول فلنكتف بهذا القدر .

وقد ترقّت اللغة العامية في الأزمنة

اللوازم

لك هذا العمل على شرط أن تعمل لى ذلك العمل .

وفى الأوساط المتعلمة خصوصاً بين الشبان المتعلمين يستعملون كلمة « صهين » ، وهى تساوى كلمة معلش فى استعمالها ومواضعها . ومن لوازمهم أيضاً « وانا مالى » يقولونها للتخلص من مسئولية العمل .

ولو قدر لمصر زعيم نجح فى إبطالهم هذه الأمور الثلاثة : البقشيش ، ومعلش ، وانا مالى ، لم يكن إصلاحه بالقليل .

اللوع

كلمة تستعمل فى اللسان الشعبى كثيراً ، وتستعمل فى معان مختلفة : أحياناً بمعنى كثرة المران والتجربة ، وتحنيك الزمان ، فيقال لوعه الزمان أى حنكه ، وضغط عليه ، حتى كثرت تجاربه وأصبح يفهم الأمور فهماً دقيقاً ، وأحياناً بمعنى الرجل الذى لا يسير سيراً على خط مستقيم ، ولكنه ينحرف فى سيره ، فيقولون : فلان ملوع ، ولا تنلوعش على ، بمعنى لا تسر معى سيراً معوجاً . وقد تستعمل بمعنى الإيلام ، والإيقاع فى الحزن والغنا ، ومن ذلك قولهم : الحب لوعنى ، أى أضنانى . ويكثر استعمالها بهذا المعنى فى الأغاني الغزلية .

من لوازم المصريين التى تلفت النظر كلمة معلش ! يقولونها فى مواضع لطيفة ، كقولهم إذا أصيبوا بالمصيبة : معلش ! استسلاماً للقدر واستحساناً على الصبر . وكذلك يقولونها إذا أصيبوا بكارثة مالية لعدم الحزن على ما فات والأمل فيما هوآت ، ونحو ذلك ، ثم يقولونها فى مواضع سخيفة إذا ظلمهم ظالم من الحكام ، فبدلاً من أن يطالبوا بتحقيق العدل قالوا : « معلش » .

ويقولونها أيضاً يتعللون بها عن الكسل وعدم السعى على الرزق فإذا جاءت دودة القطن وأتلفته قالوا : معلش ! بدل السعى فى تنقيته من الدود وهكذا .

ومن لوازمهم « البقشيش » ، فكل شىء ولو كان تافهاً صغيراً يطلبون عليه بقشيشاً ، فإذا لم يقوله بالستهم قالوه بنظراتهم وإشاراتهم . وربما لا تكون هناك كلمات ولا نظرات ، ولكن العرف يدل عليه . وهناك طبقة أرستقراطية لا تعف عن البقشيش ، ولكن بشكل طريف ، وذلك بتبادل المصالح ، فيقضى لصاحبك مصلحة ليقضى لك مصلحة نظيرها .

وقد يجرؤ على القول فيقول : سأعمل

الليالي المشهورة

من عادة المصريين الاحتفاء ببعض الليالي، كليلة القدر وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان، فيحتفلون بها ويعتقدون أنه في هذه الليلة تظهر للمسعدين طاقة من نور في السماء. وحينئذ يجب أن يسرعوا في الدعوة، مع أنه قد يكون هذا النور ناشئاً من تماس أسلاك كهربائية أو نحو ذلك فيظنون أنه نور ليلة القدر. ومن الليالي المشهورة أيضاً ليلة نصف شعبان، فيجتمعون في صلاة المغرب في المساجد أو في البيوت فيقرأون الدعاء، وهو: اللهم يا ذا المن ولا يُمنّ عليه الخ... ثم يدعون بما يشتهون. ومنهم من يعتقد أنه إذا قرأ هذا الدعاء أمن من الموت في عامه وأمن من الشقاء.

ومن الليالي المشهورة ليلة السابع والعشرين من رجب، وهي ليلة الإسراء والمعراج؛ وليلة الثاني عشر من ربيع الأول، وهي ليلة المولد النبوي؛ وليلة أول السنة الهجرية إلى غير ذلك. وفي ليلة المولد هذه تقام حفلات الذكر في ساحة من ساحات البلد، وتصنع الحلوى من السكر على شكل عروس أو جمل أو حصان، وألعاب مختلفة تناسب الأطفال من ذكور وإناث.

ومن الليالي المشهورة أيضاً ليلة الحنة وليلة الدخلة الخ...

ليلة الحنة

هي الليلة التي تسبق عادة الزواج، فبعد الحمام تكون الحناء، وللحمام أهمية كبرى، وخصوصاً عند الفلاحات، لأن الفلاحات يحرمن على الفتاة منذ بلوغها العاشرة تقريباً أن تستحم أو تزين، لأن هذا يعدّ في نظرهم عهراً. ولذلك لا يأتي ميعاد الحمام والحناء إلا وقد تراكت عليها الأوساخ. ولذلك ينظفنها في الحمام بحجر الخفاف أو الشقافة. ويستعملن على ذلك بالماء الساخن، والمكث فيه مدة طويلة.

أما في الحضرة الحناء أقل أهمية لنظافتها، وعدم تفيدهن بقيود الفلاحات. وهن يتحنين مع صواحبهن بالحناء، فيحنين أيديهن وأرجلهن بالحناء المدقوقة المعجونة ويربطنها إلى الصباح، فتكون حمراء. وقد يتشخلعن فيها ويضعن فتلاً في الأيدي حتى تظهر كأنها منقوشة.

ليلة الدخلة

هي الليلة التي يبني فيها العريس بالعروس وقد سبق شرحها عند الكلام على الزواج فارجع إليه .

وتزيد هنا أنه كان شائعاً عند الفلاحين أن يتصل الرجل بزوجته في ليلة الدخلة ، لاطمئنان أهلها على سلوكها . ودليل ذلك أنهم يعلنون عن سابق طهارتها ببقاء بكارتها إلى اليوم ، فيخرج أبوها بشاشة ملوثة ، ويصبح هو وأهلها : « بيضت الشاشة يا عروسة » ، ويعني النساء أيضاً :

شرفت أهلك يا عروسة

عليت راس أبوك يا عروسة
حلق في ودانك يا عروسة
أى أنها تستحق ذلك .

وفي الأوساط الوسطى والفنية تلعب البلانة دوراً هاماً في تحميمها ، وبعد الحمام في تزيينها ثم ما يتصل بذلك ، وقد تكون البلانة لعروسين أو ثلاث ، وقد تقتصر على بنت واحدة إذا كانت من الأغنياء .

وجرت عادة في قرى الأرياف أن يجتمع النساء على الباب ساعة التقاء الرجل بالمرأة ، ويصفقن ويغنين ويهللن ، حتى ينتهي الأمر فإذا تأخر عنهن الخبير غنيتين : « مرسالك غاب يا ورده » .

فإذا علمن انتهاء الموقف زغرذت ، ويكون معهن رجل ببندقيته فيطلقها في الفضاء إيذاناً بالانتهاء .

الليمون الصغير

يسمى بنزاهير . وهي كلمة فارسية أصلها باد زهير ، ومعناها ضد السم ؛ وهو ثمرة مفيدة غنية بفيتامينات حرف « ا » كادل عليها التحليل الحديث .

وهم يتخذونه على أشكال ، فيعصرونه أحياناً على ماء مذاب فيه السكر فيكون مشروباً لذيذاً ، ثم هم يعصرونه على كثير من الماء كولات كالبامية والفاصوليا والبادنجان والبقول المدمس بالزيت . وأحياناً يخلطونه للأكل منه لقصد فتح الشهية .

وكثير من الفلاحين يأكلونه مع الخبز إداماً كالشّ

ومن أمثالهم « ليمونة في بلد قرفانة » وذلك لأن الليمون موصوف لدفع القرف .

فإذا كانت البلد كلها قرفانة كان الناس يتسابقون على الليمونة . وأحياناً يستعملونها لتشبيه الوجه الأصفر . فيقولون : وجهه أصفر كالليمونة . وكذلك إذا رأوا ثياباً صفراء أو شيئاً أصفر قالوا : إنه أصفر كالليمونة .

حرف الميم

المارد

هو شر أنواع الغفاريات ، ويعتقدون أنه يستطيع أن يطول إلى ما لا نهاية ، ويقصر إلى ما لا نهاية ، وأحياناً يتمدد في الطريق بالليل ، فإذا قرأ أحد عليه شيئاً من القرآن الكريم قتله . وعند مجيء الأرنأووط في مصر في عهد محمد علي باشا عرفوا خوف المصريين فكانوا يلبسون الثياب البيض ويلفون عصيهم بشاش أبيض ويظهرون بالليل ويدخلون الحوارى بحجة أنهم سرده ، وقد يرفعون عصيهم ، فيظن أنهم طوال ، وهم بذلك يخيفون أهل الحارة ويقضون منهم أوطارهم . وما أكثر ما يخيف المصريين ، من المارد هذا ، والمزيرة ، وهي عفرينة تظهر على شكل امرأة تلبس لباساً أبيض ، وأبورجل مسلوخة ، وأم الشعور ، والأسباد ، والقرينة ، الخ ... ومن شدة خوفهم تعلقوا بالجن وطلبوا منهم المعونة .

المأكولات الخاصة

اعتاد المصريون أن يأكلوا في العيد الصغير السمك الجفف ، ويسمى بالبكلاه ، بتفخيم اللام ، والكمك المنثور عليه السكر والغريبة . وفي العيد الكبير ذبح الضحية والأكل من بعضها ، والتصديق ببعضها ،

وفي شتم النسيم الفسيخ والبصل الأخضر . وفي رمضان يروج الإفطار على الفول المدمس ، وتكون الحلوى كنافه وقطائف وقر الدين مطبوخاً أو منقوعاً .

واعتادوا في العيد الصغير والكبير تقديم الشيكولاتة والملبس للضيوف ، وأكل الرقاق في الصينية باللحم المفروم ومرق الضحية — وعند دعوة الفقهاء لقراءة ختمة أو عديّة يس أو نحو ذلك تؤكل الفتة من خبز عليه المرقة ، ثم طابق من أرز ، ثم اللحم المسلوق . ثم اعتادوا أخيراً لغلبة المدنية الحديثة أن الماز إذا احتاج إلى أكل يمرّ على دكان أعد لذلك يأكل منه السندويتشات بالجن والزبد تارة ، وأخرى بالسكبد ، وثالثة باللحم الخ . وقد يمرّون على دكاكين خاصة بالحلوى والقطاثر ، وما يسمى بالبسطة . وفي الصيف يكثر من أكل الثلجات كالدندمة والجرائنا .

وفي الشتاء يشربون القرفة أو الكاكاو أو السحلب ، وغير ذلك من الأشياء المدفئة . وفي الطريق ترى كثيراً من المأكولات الخفيفة ، كاللبلية في الصباح ، والتمس واللب في المساء . وقد ترى الطبقة الفقيرة تمص قصب السكر ، وترعى القشر في الشوارع ، أو البرتقال كذلك . وتجدهم على القهاوى

ومن اتصل به في النفس أيضا . فقد يموت في
حادثة شنيعة ، أو يمرض مرضا كبيرا ، أو
يصاب بعاهة أو نحو ذلك . وأعرف رجلا
كان موظفا كبيرا في الحكومة ، وكان
مرتشيا ، وحصل له من ذلك مال كثير ، فمات
هو بالحمل ، وداست إحدى أبنائه سيارة ،
ومات آخر بمرض ، وخرب البيت من أجل
ذلك ؛ فقال الناس : إن سبب ذلك كله المال
الحرام .

وإذا فقد مال رجل ثم وجده ، قالوا مال
حلال ؛ لأنهم يعتقدون أن المال الحرام
لا يوجد ثانيا . والمتشددون في السلوك يحرصون
أشد الحرص على أن لا يكسبوا قرشا حراما ،
ولا يدخل في جيبهم قرش حرام ، لأنهم
يعتقدون أنهم إذا كسبوا قرشا حراما وقرشا
حلالا ذهب الحرام بالحلال .

المبخراتى

كثيراً ماترى في شوارع القاهرة رجلا
يحمل مبخرة فيها نار متقدة ، وبجانبه كيس
معلق في كتفه ، فيه بخور ذو رائحة عطرية ،
فيأخذ منه ويضع في المبخرة ، ويمر على
الدكاكين يبخرها ، فيمنحونه بعض المال ،
أو بعارة أخرى ما فيه القسمة .

يا كلون السميطة والبيض ، أو السميطة
بالمح ، أو الطعمية تستحضر من دكاكين
جانبية .

والفلاحون يعتقدون بكيزان الذرة
وأكلها مشوية . ومن حين لآخر يذهب
بعض المصريين إلى محلات خاصة لأكل
النيقة أو الكباب .

المال الحرام

يعتقدون أن المال الحرام وهو ما اكتسب
من باب حرام ، كالسرقة والارتشاء والقيادة
ونحو ذلك ، ليس فيه بركة ، وأنه عرضة
للزوال السريع ، وأن المال الحلال وهو
ما اكتسب من باب حلال تحمل فيه البركة ،
فينعم به صاحبه ، وخصوصا ما اكتسبه
الرجل من عرق جبينه . وربما كانت العلة
العلمية لذلك أن المال إذا كسبه الرجل بجده
واجتهاده حرص عليه ، وذكر ما لقيه من
التعب في اكتسابه وصرفه بحساب . وعلى
العكس من ذلك المال الحرام ؛ إذ يأتي من
غير تعب ، فيسهل على الرجل أن يصرفه
حيثما اتفق . ولذلك إذا رأوا مالا مبدداً قالوا
لا غرابة ! فإن أصله حرام .

ويعتقدون أن المال الحرام قد لا يضر
صاحبه في المال فقط ، بل قد يضر صاحبه

أنها تجعل المتعوقة تلد ، فطلبت طشتا كبيراً نظيفاً ووضعت فيه ماء ، ثم وضعت فيه بعض الحلى ، ثم قرأت تعزيمات مختلفة ، وأخيراً أخرجت من جيبها أداة في حجم الجرس الصغير ووضعتها وطلبت من المتعوقة ريالاً ووضعت على هذه الأداة ، وبعد قليل طار الريال إلى السقف ، وتضاحك الحاضرون والحاضرات واختفى الريال . وقد فهمت الآن أن هذه الأداة كان مركباً فيها زمبلك مضغوط لحَم بشيء يذوب في الماء بعد مدة ، فلما ذاب انفك الزمبلك فطار الريال . والمهم في المسألة أن المتعوقة لم تحمل ، والريال قد ضاع عليها .

المجاملة

هم يجاملون كثيراً فيظهرون من الصداقة والإجلال ما قد يضمرون معه الكره والاحتقار .

وقد يقابلون أعداءهم بالحضن والتقبيل مما لا يكون إلا بين الأصدقاء ، بينما هم يضمرون البغض والازدراء .

وحدثني أحدهم قال : حضر رجل ديني معمم كان مكروها لموقف معين له في السياسة المصرية ومجاهرته بذلك ، قال وكنت في ماتم مزدحم بالناس ، فما أهل هذا الرجل الكبير حتى وقف الناس كلهم على الجانبين إجلالاً له ،

ومنهم من يجعل لهم راتباً شهرياً صغيراً وعند التبخير يكثر من الدعوات والصلاة على النبي . وكثيراً ما يلبس المبخراتية عمامة حمراء .
(انظر بخور)

المترد

هو إناء من فخار أحمر أو أصفر ، وهو أشهر أواني الفلاحين ، يحملون فيه اللبن ، ويضعون فيه الطبيخ . ويساويه في الشهرة (الطاجن) فهم يضعونه في الفرن ينضجون فيه اللحم أو السمك أو الطير أو الأرز أو نحو ذلك بوضعه في الفرن . وإذا امتلأ المترد قالوا : إنه (مترد مطنبر) ، خصوصاً بعد أن ينضج ما فيه وينتفخ . وهو يختلف عن الطاجن بضيق رقبته .

المتعوقة

هي المرأة التي تلد ويموت أطفالها . ويعالجونها بأن تحضر المعجوز الزوج وزوجته وتوقف أحدهما أمام الآخر ، ثم تحضر دجاجة سوداء ليس بها أى إشارة ، وتذبحها وتخرج أحشائها وتنتف ريشها ، وتوصل خيطاً بين إبهامى الزوج والزوجة ، وتضم كل هذه الأشياء إلى خلاص المرأة ، وتدفن الجميع في عتبة القاعة . وقد شاهدت وأنا صغير امرأة تزعم

الجلادون والخدم ، وكثيرا ما يستوقف خادما
مًا حاملا ما كولات فيسأله عن ثمنها ووزنها ،
فإذا تبين له أن البائع استعمل موازين
أو مكاييل مفسوشة ، أو طفف الكيل
والميزان ، أو زاد على سعر السوق ، أنزل بالبائع
العقوبة في الحال ، وهي الضرب أو الجلد ؛
أو بما شاء المحتسب من العقوبات ، كحرمة
أنف النقاش ، وتعليقه في أنفه كعكة بطول
الشبر وعرض الإصبع . وأحيانا يجرس في
الأسواق مع العقوبة . وقد قابل محتسب مرة
بائع بطيخ على جبل فسأله : بكم البطيخة ؟
وكان معروفا عنه أنه يكتر قطع الآذان ،
فقال له السئول : هذه أذني فاقطعها ؛ قال
له : أنت مجنون أو لم تسمع ؟ قال : بل
سمعت ، ولكن إذا قلت بعشرة قطعت
أذني ، وإذا قلت بخمسة قطعت أذني ،
فاقطعها بالاختصار . ومرة قابل المحتسب
رجلا يبيع قللا من سمود مدعيا أنها من قنا ،
فأمر بكسرها ، وكان الذي جرت منه هذه
الأحداث في - عهد محمد علي - كرديا يسمى
مصطفى كاشف ، وقد أمر مرة أن يحتمى
حصانه في الحمام ، فاستغرب صاحبه من
هذا الأمر ، واعتذر بأن أرض الحمام ناعمة
فربما زلقت رجل الحصان ؛ فأمر أتباعه أن
يطرحوه على الأرض ويضربوه حتى يأمرهم

ومنهم من انحنى على يده فقبلها ، وقد كانوا
يلعنونه منذ عهد قريب .

وعلى العموم فهم تنقصهم الصراحة ،
وأشعارهم في الجملة والمدارة كثيرة . ومن
مجاملاتهم الكثرة الإلحاح على الضيف
والإكثار من الأصناف ، وكثرة ألفاظ
الترحيب ، وكثرة الألقاب في الخطابات ،
والمقابلة بالحضن والقبل ، وكثرة الهدايا في
الأفراح ... الخ .

المحتسب

وظيفة المحتسب كانت وظيفة كبرى في
الدولة إلى عهد قريب . كان يختار صاحبها
من جمع بين العلم والوجاهة ؛ ووظيفته مراقبة
الأسواق ، ومراعاة الأسعار والمصالح العامة .
فن طفف في الكيل والميزان عاقبه ، ومن
رفع السعر عاقبه ؛ وربما كان هذا المحتسب
شديدا فيعاقب أشد عقوبة ، فمثلا كان
بعضهم إذا ضبط بائع كفاقة يبيع بثمان أغلى
مما حدّد له ، وضعه على الصينية حتى يحترق ،
ومن باع قمحا أو ذرة بأكثر من ثمنها عوقب
عقوبة شديدة ، وله الحق في أن يمنع طبيبا
لا يحسن العلاج ، أو محترفا لا يتقن حرفته ،
أو قاضيا ليس أهلا ؛ وهو يجوس خلال
الأسواق يتقدمه عامل يحمل ميزانا ويتبعه

لعمل إلا أن يكون له غرض شخصي من وراءه ، ومن لا رجاء له ، أو بعبارة أخرى من لا محسوبة له أهمل شأنه سنين .

ويحتاج الأمر إلى تعويد قوى على أن المحسوبة لا فائدة فيها ، وأن العدل يجري مجراه ، سواء كان لصاحبه محسوبة أو ليس له . والاعتماد على هذا المنظر يقطع الرجاء ، بدليل أن الناس لما ألقوا أن الامتحان في الابتدائية والبيكالوريا لا رجاء فيه ، فقد يرهب ابن الوزير عدلا ، وينجح ابن الحاجب عدلا ، امتنع رجاؤهم في هذا الباب ؛ فن لنا في أن تكون كل المصالح شأن الامتحان . ومن الغريب أن عدم المحسوبة بقدر ما يبطل العمل أشهراً وسنين تعطيه المحسوبة سرعة البرق في لحظة .

أعرف مرة أن طلبت لي ترقية إلى الدرجة الثالثة فلم أوص أحداً ، ثم مكثت ستة أشهر دون أن أسأل عليها ، فلما قلقت وسألت عن الأوراق قيل لي إن الدوسيه فقد ، فحكيت الحكاية لكبير فأمر بإعداد دوسيه جديد ، وفي ربيع ساعة كان قد مر على الموظفين المختصين ، لأن فلاناً أمر ، وفي ربيع ساعة أخرى صدق عليه . ومن غريب الأمر في هذا الحادث أن

بالكف عنه ، فلم يأمرهم حتى مات . وقد ألفت هذه الوظيفة من قريب ، ولكنها ربت في قلوب المصريين الرعب .

محسوبة

هي نسبة تركية إلى محسوب ، أخذاً من قوله « محسوب عليه » ، وجعل المصدر للدلالة على إنهاء الشيء من رجل لرجل محسوب عليه . وهذه المحسوبة إما للرشوة ، وإما لانتساب الرجل إلى الآخر بسبب ما ، كالتذلل له أو قضاء مصلحة له ، أو طمع عامل في الخدمة في أن يقضى له خدمة أخرى ، أو اقرباة أو نسب وهكذا .

وكل أمة فيها محسوبة لدرجة ما ، ولكن ليست محسوبة سافرة كأن يُخطى الأول من الامتحان مثلاً لأخذ من ترتيبه الخمسون ، أو تفضيل غير الكفاء على الكفاء . واتصف المصريون بكثرة هذه المحسوبة حتى اعتقد الناس أن ليس يعمل عمل إلا بها ، فالورق يبقى عند الموظف نأماً تتراكم عليه الأتربة أو منسيا في درج الموظف إلى أن تأتي محسوبة فيمر مرّ البرق . ولذا شاع بين المصريين : إذا أردت أن تقضى عمالك فأبحث عن كبير يرجو لك . وسبب ذلك أن الموظف المصري غالباً كان لا يتحرك

المكتوب عليها « ممنوع البصق » لا تمنع البصق . ولكثرة فشو هذه العادة في مصر قالوا « يا بخت من كان النقيب خاله » . وقالوا « ابن الوز عوام » ، وقالوا « اللي له ظهر ما ينضربش على بطنه » وهكذا من كثير من الأمثال التي تدل على تغفل هذه العادة في نفوسهم ، وحتى سرت هذه العادة إلى الأولياء وأصحاب الأضرحة الأموات ، فقالوا « المحسوب منسوب ولو كان معيوب » ، تملقاً للمشايخ كأنهم أحياء يرزقون . وتقول لرجل إنى قدمت طلباً في وظيفة كذا ، فيقال لك : ألك واسطة كبيرة ؟ فإن قلت لا ، قال لا ! وبلغ من الجرأة أن تلصق على الطلب بطاقة من أوصى عليه أو انقصب إليه للنظر في ترجيح من أوصى عليه عند البت في الأمر . وكان من مساوى نظام الحكم عندنا أن كل وزارة تأتى يكون لها لون من المحسوبين عليها ، وفي نظير ذلك يكون لها خصوم ، فإذا زالت وزارة اختفى المحسوبون عليها ، وظهر المحسوبون على الوزارة الجديدة ، وهكذا دواليك ؛ وفي كل هذا خسارة على الأمة . هذا عدا أن أناساً قويت عندهم حاسة الشم ، فإذا أدركوا أن وزارة ذات لون خاص ستأتى أسرعوا فانتسبوا إليها وتظاهروا أنهم

كان لى صديق رقى معى فى قرار واحد ، وكانت ترقيته استثنائية ، وترقى قانونية ، فأما هو فكان محسوباً لوزير كبير بيده سلطة ، فاتم القرار حتى أرسل إلى المالية فوراً وصدق عليه فى الحال ، وخرج القرار فإذا مجلس الوزراء يوافق عليه فى ساعة . وأما أنا الذى مطلبه قانونى فكانت قصته ما ذكرت . وألعت ما فى الأمر اعتياد الناس هذا واعتيادهم أن أمراً لا يتم إلا بالرجاء . ولذلك تجدد حجرة الموظف الكبير تمتلئ كل يوم وتفرغ ، ثم تمتلئ وتفرغ ، حتى يعوقه ذلك عن عمله . ومن أسوأ ما فى ذلك أن من يقبل الرجاء ويعين على الظلم ، أحب إلى الناس ممن لا يقبله ، بل إن أحب الناس إلى الناس هو رجل يركب سيارته صباحاً فيمر على المصالح المختلفة لقضاء الحاجات المختلفة ، وكلما نجح فى ذلك كان أقرب إلى قلوب الناس ، مع أن نجاحه قد يكون ظلماً ، وقد يكون على حساب آخرين مظلومين ليس لهم رجاء ، وهكذا ... وكان لى صديق — رحمه الله — رئيس مصلحة كتب على بابها « لا محسوبة ولا رجاء » !

ومع ذلك لم تنفع شيئاً ، فقد بقيت المحسوبة وبقى الرجاء ، كما أن اللافتة

يرأسها العمدة وشيخ البلد ، وشيخ البلد هو المكلف بتحصيل الضرائب وأموال الجباية . ونظم البوليس والشرطة ، واهتم كثيراً بالجيش وتقويته ؛ وعلى أساس هذا الجيش أسست المدارس وأوفدت البعثات وعلمت الحرف المختلفة ؛ ثم غير النظام المالى للبلد ، فكانت أكثر الأطنان في ملكه ، وكلف المتزمين أن يشتتوا ملكيتهم ، فلما لم يفعلوا جردم عنها ووضع لهم مقداراً من المال محددًا يتقاضونه كل سنة ، أو كل شهر ، واستعان بالمصريين في أعماله ، بعد أن كان لا يتولاها الأتراك . وهذه الطريقة في الملكية لقيت تحييداً وانتقاداً ، وأكثر التحييد كان من جانب الفرنسيين ، لأنهم كانوا أنصاره ، وأظهر النقاد كانوا من الإنجليز لأنهم كانوا يكرهون تقرب الفرنسيين وحظوتهم ؛ يمثل ذلك ما كتبه كلوت بك الطيب الفرنسى عن محمد على ، فكل كتابه مديح ؛ و«لين» الإنجليزى ، فسكتابه مسممة بالنقد ، فقد قال إن كثيراً من أعماله قابلة للنقد .

وأيًا ما كان فلا يختلف اثنان في أنه أخرج مصر من الحكم العثمانى وجعلها مستقلة بذاتها . وهذا الاستقلال ألزمها الاعتماد على نفسها في المصانع والجيش والإدارة ، ثم نقلها نقلة جديدة لما جره هذا النظام من تغيير في

من رجالها . وقد كان هذا من مضار انقسام الأمة إلى أحزاب . فالجزية لا تنجح مع شعب كهذا . وكثيراً ما نسمع في الأمم الأخرى عن استقالة وزير أو رئيس مصلحة لأنه طلب منه أن يفعل شيئاً لا يتفق مع العدالة ولا يصلح هذه الحال إلا توالى وزارات مختلفة تلتزم العدل ، وتفهم الفاس أن المحسوبة لا تقدم ولا تؤخر ، وتبرهن لهم على عدلها ، لأن العدل وحده هو الحكم فيمن يصلح ومن لا يصلح ، وتقيم البراهين على ذلك من نفسها بتقوير الناس أن رجلاً خيراً من رجل لسكافية لا لوساطة ، وأنه يتحرى المصلحة العامة لا الخاصة .

محمد على باشا

نذكره أيضاً لأنه بدء مرحلة في تاريخ مصر ؛ فقد غير النظم التي كانت تأسست في العهد العثمانى وغير نظامها وحكومتها ، فغير تقسيمات القطر المصرى وبدل بها تقسيمات إدارية أخرى ، تكفل للسلطة حصر الموارد ، وقسمها إلى سبع مديريات ، كل مديرية عليها مدير ؛ اثنتان في الوجه البحرى ، وواحدة في القاهرة ، وأربع في الصعيد ؛ وقسم كل مديرية إلى مراكز ، وكل مركز يرأسه مأمور ، والمركز يشمل جملة قرى ، وكل قرية

شرار يبيها ، ومن استطاع ذلك كان له الفخر
حقى كأنه قبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم .
والمحمل لا يحوى شيئاً إلا مصحفين صغيرين
داخل صندوقين من الفضة المذهبة معلقين
في القمة ؛ ويحمل المحمل على جمل ضخمة ،
يتمتع أيضاً بما يتمتع به المحمل ، من تبرك به ،
وإعفائه من العمل بقية السنة ويسمى جمل
الحامل . وقد قامت ضجة حول المحمل بسبب
أن الملكة السعودية وهابية ، وهي لا تؤمن
بالمحمل ولا بالأضرحة والقباب ، وقامت
أزمة شديدة من أجل ذلك بين السعوديين
ومصر ، وحل الأمر أخيراً بأن يحتفظ بشكل
سفره ، ولكن لا يدخل الحجاز على ما أظن .

وهو قديم في القاهرة من عهد شجرة
الدر . ويحتفل به في بعض شوارع القاهرة ،
ثم يحتفل به في ميدان القلعة ، ويحضر هذا
الاحتفال من ينوب عن الملك والحكومة
وأمر الحج وبعثته وبعض العلماء والكبراء ،
وقد اعتادوا في هذا الاحتفال أن يقبل
الأمير مقود الجمل . ويحتفل به مرتين في العام :
مرة عند طلوع الناس إلى الحج ، ومرة عند
عودتهم منه ؛ وهو يشير في الجماهير عواطف
قوية شديدة نحو الحج .
وفي الاحتفال تضرب المدافع ، وتغنى
أغاني الحجاج . . . إلخ .

العادات المصرية والتقاليد ، ثم أفادها باعترازه
بالنفس لما كسرت الجيش العثماني .

وقد أخذ عليه الشيخ محمد عبده في مقال
له أنه أقعد المصريين شجاعتهم .

ولا يزال تقديره التام وتقدير أعماله في
ذمة التاريخ ، كالعين إذا قربت من المبنى
الضخم لم تستطع تقويمه .

وقد كان الجبرتي المؤرخ رحمه الله جريئاً
إذ نقده في كتابه في بعض تصرفاته . ولكن
والحق يقال إن نظرات الجبرتي كانت جزئية ،
ولم يستطع النظرة الكلية والتقدير الشامل .
وعلى كل حال فقد كان صفحة جديدة في
تاريخ مصر ، فيها الحسن وفيها الردى .

المحمل

إطار مربع من الخشب ، هرمي القمة ،
له ستر من الديباج الأحمر ، وعليه زخارف
وكتابة مطرزة تطريزاً فاخراً بالذهب على
أرضية من الحرير الأخضر أو الأحمر ، وله
قائم أربعة من الفضة المطلية بالذهب ،
وينتهى هذا الكساء بشراريب تعلوها
كرات فضية يتفرع منها سلوك دقيقة .
والمحمل مصلحة حكومية لإعداد كل
هذه المواد الختام وصنعها بالقاهرة يشرف
عليها موظف كبير . والناس يتبركون عادة
بالمحمل ويتمسحون بالكسوة ، ويقبلون

ويلغوصون في المواجير . وقد يكون أحدهم
مريضاً فيعدي الآخريين .

وللمرحوم محمد (بك) جلال قصة أولها
كان فيه واحد يباع طرشى ؛ يخبثها بقوله :
« الليفمش ما يخلهش » .

المداراة

والمصريون يتقنونها ولهم في ذلك
الحكاية المشهورة « أنا خادم الباذنجان ولأ
خدّام عندك » ! فيروون أن سيّداً سأل
طاهيه : ماذا تطبخ لنا اليوم ؟ قال له
أمرك ! قال له ماذا تقول في الباذنجان ؟ قال
له ما شاء الله ! حلولذيذ الطعم ، وظل يمدح
فيه زمناً طويلاً . ثم قال له سيده : ولكنك حارّ
يعطش ، فأخذ الطاهي يذمه أيضاً . قال له
السيد : إنك كنت تمدحه . فقال : الطاهي
أنا للباذنجان أم لك ؟ وقد نظمها شوقي بك
في شعره . ومن أمثالهم المشهورة « إن دخلت
بلد أهله يعبدون العجل حشّ وأديله » وقالوا
أيضاً : « أرقص للقرد في دولته » .

وقال شاعرهم :

ودارهم ما دمت في دارهم

وحبهم ما دمت في حبهم

وأحسن العشرة مع بعضهم

يعينك البعض على كلهم

منخ الحمار

يصفونه دواء لبعض الأمراض الروماتزمية
ويتعب المريض في إحضاره . ويزعمون أنه
يُشفى من المرض بسببه .

المخللاتي

المخللاتي من يصنع المخلل ، ويسمونه
أيضاً الطرشجي ، ويكاد يكون في كل حيّ
من أحياء القاهرة دكان أو معمل للطرشى
هذا ، مما لم أر له مثيلاً في البلاد الأخرى .
وهم يخللون فيه اللفت والخيار والجزر والبصل
وهو أكثرها لأنه أرخصها .

والناس يذهبون بسلاطينهم أو مواجيرهم
الصغيرة ليشتروا منه بقرش أو بنصف قرش ،
فيضع في القاع اللفت لأنه أكثر ، ثم قليلاً
من الأصناف الأخرى . ثم يضع عليه مرقاً
مخللاً لوّن بلون أحمر يسمى الدقة .

والفقراء يعيشون كثيراً على الأكل
منه . وكان في مدنتنا في الكتّاب يأخذ
سيّدنا من كل ولد نصف قرش ، وفي الظهر
يرسل ماجورين صغيرين ، يملأ أحدهما طرشياً
بمرقه ، ويملأ الآخر فولاً نابتاً بمرقه أيضاً .
ويلتف الأولاد حولهما فيأكلون من خبزهم

ويطلق أيضاً طلقة واحدة عند ظهر كل يوم .
وإذ كان أغلب ما يستعمل في الأفراح
قلده الأطفال في إطلاقهم البارود مصغراً
في الأعياد والمواسم . المسلمون في أعيادهم ،
والأقباط في أعيادهم .

المرأة

المرأة المصرية مشهورة من القدم
بخصائص ، وحتى الأجانب الذين زاروا مصر
لفت نظرهم خفة روحها ، وجمال عينيها
المسليتين ، وحسن قوامها ، ولطافة تقاطيعها ،
وجمال مشيتها ، وظهور أنوثتها . وقد ذكرهن
هيرودوت أبو التاريخ في كتابه ، فوصفهن
وصفاً غريباً إذ قال : إن النساء في مصر
يخرجن إلى الأسواق ويتعاطين التجارة ،
والرجال يقيمون في البيوت ويشغلون
في النسيج ، ورجال مصر يحملون الأحمال
على رؤوسهم ، والنساء على ظهورهن ، وأولاد
الرجل الذكور إذا لم يشاؤوا أن يقوموا
بمعاش آباءهم لا يجبرون ، أما الإناث فإذا
امتنعن يجبرن .

وقد اكتشفت أخيراً وثيقة من وثائق
قدماء المصريين فيها أن الرجل يتعهد أن يمهر
زوجته عند تمام الزواج بمبلغ معين ينقدها إياه
لتشتري به ثيابها ، ويؤكد أن يدفع المبلغ

ولهم حكايات كثيرة على أن من لم يجار
الناس حاق به الهلاك . فيقولون مثلاً إن
سلطاناً وقع اختياره على رجل فقير ، فلما
استوزر أغلظ للناس ونسى فقره ، فاغتاز
زملاؤه ، فلما ذهب لصلاة الجمعة مع السلطان
وضعوا تحت سجاده صليباً ثم أعلنوا أمره
فقتل وهكذا . وربما كان من أسباب كثرة
ما يقع عليهم من ظلم الحكام والعسف بهم
وكذبهم كثرة مداراتهم ، وقلة صراحتهم ،
وعدم تمللهم .

وقد رأى الجاحظ حمراً يحمل عليه حمل
ثقيل فقال : « لو هاج هذا ما حمل عليه »
(انظر مجاملة)

المدفع

ليس يهمننا إلا أنه يستعمل عادة عند
المصريين في مواقف خاصة . فيطلق عند
الإفطار في رمضان ، وعند السحور وعند
الإمسك .

ويطلق في أوقات الأذان في الأعياد :
صباحاً ، وظهراً ، وعصرأ ، ومغربأ ، وعشاء .
يطلق في كل مرة إحدى وعشرين طلقة ،
وكذلك في بعض المناسبات كعيد الدستور
ونحوه . هذا في الأفراح . وقد يطلق في الأحران
كإعلان موت أحد من البيت المالك سابقاً .

(٢) المرأة ضلع أقصر ، ولسان أطول

(٣) جو يخطبونها تدلت ، راحوا

تركوها تدلت .

(٤) لو محبة العرس تدوم ، كانت

القيامة ما بتقوم .

(٥) قال لها يامرہ اطبخي طيب ، قالت

يا راجل كتر إدام ... إلخ ...

والمرأة المصرية ككل نساء العالم في

طباعهن مما يمتزن به عن الرجل ، وما يمتاز به

الرجل عنهن . وقد قتل ذلك الموضوع بحثا

علماء الفسيولوجيا وعلماء النفس والاجتماع ،

ووصلوا من ذلك إلى نتائج مختلفة .

وعلى العموم ربما كان محل اتفاق أن

عواطف المرأة أرفف ، وعقل الرجال أقوى ،

إلى آخر ما قالوا .

وتحكي حكايات في المجالس الخاصة

يفرط فيها القائلون في حوادث الغرام ، ونحو

ذلك مما لا تخلو منه أمة من الأمم ؛ وهم يرون

أن هذه الحوادث حين الحجاب كانت أكثر

مما هي بعد السفور . والسبب في ذلك أن

المرأة في القديم كانت في الطبقة الوسطى

والعليا فارغة ليس لديها ما يشغل زمنها ،

إذ عندها في البيت خادمت وخادمون

يقضون كل حوائج البيت ، وليس لديها علم

في السنة الأولى . ويقعد بأن يجعل أكبر

أبنائها منه وارثا لكل ممتلكاته ، وأن

يدفع لها غرامة إذا تزوج عليها غيرها .

ومن العوائد التي كانت مرعية قديما أن

يتزوج الرجل المرأة سنة زواجا مبدئيا ، فإذا

وافقت مشربه ثبتت زواجها وسلم لها كل ماله

وإذا لم توافق مشربه ردها إلى أهلها بعد

دفع تعويض . ثم إذا هو ثبتت زواجها صار

كأنه رقيق لها ، فلا يخالف لها أمرا ولا

يتصرف تصرفا إلا بإذنها ، وإنما يجب عليها

شيء واحد هو أن تعوله في حياته ، وتقوم

بنفقة مآتمه وتحنيطه في مماته . ولشدة سلطانها

كان الرجل ينسب إليها فيقال إنه زوج فلانة

وينسب أولادها إليها فيقال فلان بن فلانة

ومن أجل ذلك قال ديورودوس « إن الرجال

كانوا عبيدا للنساء » ويقول هيروdot: إن

المرأة كانت تبيع وتشتري أيضا كالرجل ،

والرجل يبيع ويغزل والمرأة . ويظهر أن

التاريخ يعيد نفسه ، فنحن في مصر الآن

سائرون في هذا الطريق .

وقد جرت على السنة الشعب المصري

أمثال تدل على نظرة الرجل للمرأة منها :

(١) هنيك يامن عاش بلاهم ، وخلص

من بلاهم .

وتزين الفلاحات بالوشم ، ويسمونه الدَّق ؛ وقد مرّت المرأة الأوربية بهذا الدور ، ثم اقتصرت أخيراً في الزينة ، وهذا ما نحن سائرون إليه .

وأجمل النساء المصريات من كانت من أصل شركسي ، وكثيراً ما كانت تتألف منهن الحظيَّات في القصور ودور الأغنياء . وجالهن من بياض بشرتهن وحسن تقاطيعهن الزاهية وقلما يباريهن فيه أي جنس غيره . هذا إلى عنائتهن بالملابس وتزويقها ، واختيارها من الألوان ، وتحليتها بالجواهر واختراع كل حين بدعاً يسمى موضة ، وإكثارهن من الكلام الناعم وترقيق الصوت والخلاعة في المشية والحديث ونحو ذلك . وعنائتهن بتفصيل أنوابهن حتى يبدين زينتهن .

وربما كان هذا كله سبب كثرة الأحاديث عنهن واتهامهن بأكثر مما تهتم به المرأة في البلاد الأخرى ، وقد يكون ذلك حقيقة إذا نظرنا إلى ما يسود الرجال من كيوف ، فليس لذلك كله قصد إلا النساء . وقد اشتهرت المرأة المصرية بأن كيدها عظيم ، وأن كيدها يغلب كيد الرجال ؛ وكن قبل الحركات الأخيرة يعشن فيما يسمى الحريم جاهلات غير متعلّقات ، بين الخادِمات والأغوات ، مع ما يبذل الرجال من تزويق الحريم وتجميله .

حتى تقرأ الكتب وتحسن قراءتها . وهي في المجالس تسمع من زوارها الأحاديث الفارغة وأحاديث الغرام ، فتتصرف بكليتها إلى ذلك فلما كثرت تعلمها قلّ زللها . ومن قديم قال أبو العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجدّة

مفسدة للمرء أي مفسدة

وليس الذنب ذنب النساء وحدهن بل يشاركن الرجال في ذلك .

وقد كنت في استانبول في سنة ١٩٢٨

فقال لي رجل تركي متقف : إن سمعة مصر عندنا ، ولأموأخذة ، تملخص في ثلاث كلمات : شهوت ، وغفلة ، وثروت ، وإلى الآن تتدفق في أوروبا كل صيف أموال المصريين الوافرة على القمار والنساء ، مما لا يرى مثيله بين السامحين . وتميزت المرأة المصرية بتبرجها وبهرجتها بما تسي به عقول الرجال من ترقيق الحواجب واستعمال الكحل في إناء صغير من الفضة أو البلور ، يسمنونه المكحلة يدخلن فيه عند الاستعمال عوداً كذلك من الفضة أو البلور يسمى المرود . ومن الأمثلة العامية المشهورة « جبال الكحل تفنيها المرود » وهذا الكحل يجعل الأجفان سوداء براقّة ، وهن يصبغن أظفارهن باللون الأحمر غالباً ، وكان في القديم بلون بالحفاء .

في لزومياته في استهتارهن ودعوتهن إلى لزوم بيوتهن .

وقد بُنى نظام الحياة الاجتماعية على فصل الرجال عن النساء ، في المسكن ، وفي التعليم وفي الركوب ، ونحو ذلك .

فسبب هذا انحطاطا للمرأة ، كما سبب انحلالا في الأخلاق والعادات .

ثم تغير هذا كله فانتصت الفتاة بالفتى في التعلم ، وأصبح المسكن معدا للأزواج والزوجات على السواء من غير حريم . ولا بأس للمرأة أن تركب في الترام مع الرجال . وهكذا ... فهذه العوامل قربت في الأخلاق بين الجنسين ، وفي التعليم بين الصنفين ، وأزالت كثيراً من الفروق . ولما وجدت المرأة نفسها متعلمة ، اعتزت بنفسها ورأيها ، وأبت أن يسود عليها الرجل ، وطالبت بالمساواة في كل شيء ، حتى تكون منتخبة ومنتخبة ، وستنال ذلك قريباً أو بعيداً .

وتمتاز المرأة المتعلمة بتقليلها للزينة والتبرج ، كما كانت أختها من قبل ، وملء وقتها بالقراءة والمطالعة والفنون الجميلة من رسم وتصوير وموسيقى ، وميل إلى قلة الأولاد حتى يكون لها وقت من الفراغ ، وتربية الأولاد على أساس علمي لاخرافي ، ومطالبتها بالسلطة المنزلية ، وكثير منهن بلغ الغاية في ذلك ،

وفي الأزمان الماضية كان المحارب المهزوم إذا التجأ إلى الحريم أصبح آمناً حتى في عهد المماليك . ولكن ينتقلن قبل السيارات على حمير ، وكن يقبلن هذه المعيشة عن رضا واختيار ، وكل متعتن في الغالب داخل بيوتهن ، فلما تسربت إليهن أخبار النساء في أوروبا وسيطرتن ، وخضوع الرجال لهن ، وحسن معاملتهن ، نار النساء المصريات على أوضاعهن .

وكان نابليون يحكى في مصر حكاية غريبة ، وهي أن أحد كبار الفرنسيين واسمه « منو » ، وتسمى بعبد الله بعد إسلامه ، تزوج امرأة من رشيد وعاملها معاملة السيدات الفرنسيات ، فكان يقبل يدها ويمشى وراءها إلى غرفة الطعام ، ويجلسها أوفى مجلس ، وإذا وقعت الفوطة من على رجلها ، ناو لها لها . فلما روت الزوجة هذه المعاملة وأمثالها على النساء في أحد حمامات رشيد ملن إلى تغيير أحوالهن وتعهدن أن يحمأن أزواجهن على مثل هذه المعاملة .

وقد تسربت أخبار هذه الحادثة من رشيد إلى سائر القطر . هذا عدا ما تنقله السامحات المصريات من أوروبا إلى مصر . ومن قديم حمل الرجال كثيراً على النساء حتى إن أبا العلاء المعرى أكثر القول

المستوقد

في كل حيّ تقريباً مستوقد تأتي إليه طائفة الزبالين بالزباله يرمونها فيه . وهؤلاء الزبالون عادة من أهل الواحات الخارجة أو الداخلة . وهم يوقدون هذه الزباله ، ويستخدمونها في أغراض شتى ، فيحمون بها الحمام الذي يكون بجوارها عادة ، وينضجون فيه قدر الفول المدمس التي يأتي بها باعة الفول في أول المساء ويستهونها في الصباح الباكر . وما تبقى من رماد هذه النار كان يستعمل في البناء : يخلطونه مع الجير والرمل ، ويسمونه « القَصْرْمِل » ، وهو أسود اللون بسبب احتراقه ؛ ويشبهون عادة الرجل القذر المغبر فيقولون : زىّ الخارج من المستوقد .

المسحراتي

رجل يمسك بيده اليسرى طبله ، وييده اليمنى سيرا من الجلد أو خشبة يطبل عليها في رمضان وقت السحور . ويعنى لذلك أغاني مناسبة بنغمات خاصة ، ويكون لأغانيه سحر خاص ، لأنه يعنى ويطبل في وقت خشعت فيه الأصوات ، وقلّت الحركات . ويفعل كذلك طول شهر رمضان ، ثم يمر على البيوت في العيد يتقاضى أجره .

فأخضعن الرجال لإرادتهن كما كان الحال في عهد هيردوت ، بل بدان في مزاحمة الرجال في العمل . فأصبح منهن المحاميات والطيبات ، بل والمهندسات والتاجرات والموظفات في الحكومة . وعلى الجملة فهن يسرن إلى غايتهن بخطوات واسعة .

المراباة

شاع بين المصريين التعامل بالربا مع حرمة في دينهم ، ومن الغريب أنهم يستبيحون أخذ المال بالربا ولا يستبيحون إعطاء المال بالربا ، ولذلك كان أكثر المرابين أرواما أو أرمنًا ، وكانوا فيما مضى يتغالون في الأرباح إلى أن قيدها القانون بتسعة في المائة ومع ذلك فللمرابين وسائل ماكرة في الحصول على أرباح أكثر من ذلك . وينتشر الأروام في بلاد الفلاحين ويتهزون فرص الحاجة إلى المال ويمدّونهم به ، فإذا لم يدفع المدين الفائدة تضاعفت هذه الفائدة المطلوبة . أضف إلى ذلك ما يستتبع هذا من مغالطة في الحساب ، ومن أساليب خداعة لا يستطيع أن يفهمها الفلاح البسيط .

وفي القاهرة نوع من النساء المرابيات تعطين الجنيه بفائدة قرشين أو ثلاثة في الشهر وتدعّين أنهن يعملن ذلك خدمة للمحتاجات وكم أفلست بيوت من جرّاء هذا الربا .

يتولد منه ، وهو اعتقاد خاطيء ، فقد أثبت العلم أن الحى لا يتولد إلا من الحى .
ومن الأمثال المشهورة عند ما يرون أسرة دب إليها الفساد ، وتعادى بعضهم مع بعض أن يقولوا : « زى دود المش منه فيه » . وأكثر ما يخرزونه الفلاحون بلايص المش .

وكثيراً ما يحدث أن لا يتبقى للفلاح غير المش بعد أن يدفع ما عليه من مال وواجبات .

وهم يعتقدون أن المش مع البصل يطرد الجرب . ومن أمثالم « زى المش ، كل ساعة فى الوش » .

المشروبات

أكثر المصريين المسلمين لا يشربون الخمر لنهى الإسلام عنها ، ويكتفون بشرب الماء على الأكل ، ولكن لهم مشروبات أخرى ؛ من ذلك قهوة البن . وطريقتهم فى ذلك أن يجلبوا البن من اليمن أو البرازيل أو نحوها ، ثم يحمصوه ، ثم يطحنوه ، ثم يغلو الماء فى التينكة « الكنكة » ، ثم ينزلوها من على النار ويضعوا فيها قليلاً من البن المطحون ، ثم يعيدوها إلى النار وينتظروا حتى تبدأ فى الفوران . وهى منتشرة فى مصر ، وقل أن

ومما يلاحظ غرابة هذه النسبة . وهى نسبة قد يستعملها المصريون ، كالمكباتى والعجلاتى والمبخراتى ، وكان القياس أن يقال المسخر فقط . والنسبة فى اللسان العامى على أشكال مختلفة ، إحداها هذه ، وأخرى مأخوذة من اللسان التركى ، وهى إضافة جى على الآخر ، فيقولون جزمبجى وخردجى وعربجى ، وهناك النسبة العربية كليثى ودمشقى ، وهناك زيادة الواو والياء بعد الألف مثل طنطاوى ومعداوى وعبد اللاوى . ومنها النون والياء بعد الألف مثل معجبانى ، للرجل المعجب بنفسه ، وكنفانى .

المش

هو الطعام الأساسى للفلاحين ؛ فأكثر ما تحمله المرأة الفلاحية إلى زوجها فى الغيط هو المش القديم فيه جبن قريش ومعه خبز كثير « بتاوى » ، فياً كله مع البصل الأخضر أو السكرات ، ويشرب الماء القدر من القناة ، وربما لا يذوق الفلاح اللحم طول السنة من العيد الكبير إلى العيد الكبير والمش أنواع : خيره ما يسمى « مش الحصير » ، وهو يؤكل فى المدن أيضاً بعد أن يضاف عليه قليل من الزيت والليمون ، وكثيراً ما يصاب بالدود ؛ وهم يعتقدون أن الدود

فيها القهوة بجانب المشروبات الأخرى .
فتقدم فيها القهوة في فنجان بطبق حسب
الطلب ، ومعها كوب من الماء على صينية
من المعدن . والمتقى عادة محل لمقابلة من يراد
مقابلته لحديث أو قضاء عمل أو لقضاء وقت
في زرد أو شطرنج أو كلام فارغ . ومن
مشروباتهم الشاي ، والقرفة ، والزنجبيل
واليانسون والمغات .

وإذ كانت البلاد حارة والماء قليلا
يصعب الحصول عليه ، وجدت دكا كين
الشربتية تبيع الخروب والتمر هندي
والليمون الخ ... ويوجد باعة متجولون في
الشوارع يبيعون العرقسوس والليمون في
جرة لها بزبوز أو بطرمان له بزبوز كذلك .
ويشبهون الدم الخفيف بالشربات فيقولون
« دمه زى الشربات » .

وقد رأيت أهل الواحات الخارجة
يستعملون الحلبة المدقوقة شرابا لذيذا باردا
يدفع العطش . ومن الأشربة التي كانت
مستعملة نبيذ البلح أو الزبيب أو التين .
وكان أمام باب سيدنا الحسين في القاهرة
محل كبير لبيع هذه الأنبذة ، وفي الأيام الأخيرة
وجد في مصر والإسكندرية دكا كين لبيع
المشروبات سموها « جنة الفواكه » ، فهي

مخلو أحد من مشربها . وهي تقدم في الصباح
عند الفطور ، وللضيف عند زيارته لأي بيت
في أي وقت ، وهي تقدم في فناجين صغيرة
تأتي عادة من اليابان أو الصين أو يوغوسلافيا ؛
ولكل فنجان طبقه الصغير ؛ وبعض النساء
لا يتكفين من القهوة إلا إذا عملنها بأيديهن
على نار من الفحم الهادىء . وبلى هذه الطريقة
ما يسمى بالقهوة الفرنسية ، وهي عادة تصنع
من البن الجريش ، ويستعملها بعض المدينين .

وعندما اخترعت قهوة البن اختلف فيها
علماء الدين : أمي محرمة أو محللة وألفت
الكتب في تحريمها وتحليلها ، مثل « كتاب
الصفوة في حل القهوة » ، ثم انجلى هذا
الخلاف على إجماع على حلها .

وبعض النساء من المصريات يتخذن
فنجان القهوة وسيلة لمعرفة الغيب عن الرجل
أو المرأة ؛ فإذا شرب من يريد معرفة مستقبله
كفا فنجاناه في الطبق وصبر قليلا ، ومن
العادة إذا كفيء هكذا أن تتبين فيه خطوط
وتعريجات تقرأ فيها المتنبئة أو المتنبئ بالمستقبل
حسبا يرى أو ترى .

وبعض الناس يستعملها « سادة »
أو بسكر قليل أو كثير .

وهناك في مصر قهاوى كثيرة تقدم

المصارع

هو رجل كان يلبس لباساً من الجلد ونصفه الأعلى عريان، ويده زخمة، ويسمى مصارعا، يضرب بها على رجله أحيانا. وكان يمشى في الزفات بدعوى أنه يحرسها من الخصوم؛ وهي مأخوذة من المصارعة، فقد كانت أشكالا وألوانا. فمصارعة باللكميتية، وهي الضرب بجمع اليد على قوانين خاصة، والمصارعة بالنبايت. وقد تكون المصارعة مصارعة فرد لفرد، وقد تكون مصارعة جماعة لجماعة، كمصارعة الفتوات في الجبل. وعامة المصريين ينطقونها بالسين.

المصايف والمشاتي

اعتاد المصريون خصوصا أهل القاهرة أن يتغلبوا على الجوِّ بالمصايف والمشاتي، فيصيفون في الإسكندرية، أو رأس البر عند دمياط، أو بور سعيد، ويشتون في الأقصر أو أسوان أو حلوان.

وكثير من الذوات وأولادهم يفضلون التصييف في أوروبا، كسويسرا وشمال إيطاليا

تبيع عصير البرتقال وعصير القصب في الشتاء، وعصير الأناناس والخرشوف وحَب العزير والمأنجو والعنب في الصيف. وفيها قسم لبيع مزيج اللبن بالقهوة أو الكاكاو، وغير ذلك. وكلها تدار بالكهرباء على آخر طرز. وكثيراً ما كنت ترى في القاهرة يباعي العرقسوس والخروب والليمون، وهم عادة يضعون في أيديهم بعض أطباق نحاسية، وبعضهم يستطيع أن يوقع عليها نغمات موسيقية جميلة، فيلفتون إليهم الأنظار.

وفي العصور الحديثة انتشرت مصانع الغازوزة والكاكولا والبيبسي كولا، ثم قامت قيامة الناس على الاثنين الأخيرين بحجة أن فيهما مادة من عصارة معدة الخنزير، فقلت رغبة الناس فيهما رغم ما استخرجته هذه الشركات من فتاوى دينية وطبية. وحبذا لو ألقت شركات مُصرية لبيع المشروبات المصرية، كالليمون والبرتقال والخروب والعرقسوس، وليس ينقصهم للنجاح في ذلك إلا رأس المال والنظافة.

مائة ألف نسخة مثلاً أو أكثر فلا تلبث أن تذهب . وهم يحافظون على خط المصحف ، وهو الخط العثماني ، نسبة إلى عثمان بن عفان ، فيكتبون الصلاة والزكاة بالواو ، ورحمة الله بالتاء المفتوحة أحياناً والمربوطة أحياناً ؛ ومن أجل ذلك لا يحسن قراءته إلا من كان يحفظه من قبل . وقد اشتهر الأتراك بحسن الخط في المصحف . وإذا أراد بعض المصريين تأكيد القسم أحضروا المصحف واستحلفوا الذي يراد تحليفه بقوله وحياتك يا دى المصحف ، أو وحياة المصحف ده والآلا أعدم عيني وهكذا .

وشغف بعض الفنانين بجمع المصاحف الخطية والمطبوعة . وأعرف منهم من أنفق كل ثروته في ذلك ، كالآخرين الذين ينفقون أموالهم في جمع السجاجيد العجمية .

المصرية

للشخصية المصرية خصائص ظاهرة بسبب أنها تداول عليها أم كثيرة من يونان ورومان وفرنس وعرب وماليك وشرا كسة وأتراك وفرنسيس وإنجليز وطلبيان ومع ذلك هضمتم أكثر مما هضموها .

نعم قد أخذوا بعض عوائد وكلمات واستعمالات ، ولكن ما أثرت هي فيهم

وهناك ينفقون النفقات الطائلة ، حتى عرف المصريون هناك بالسرف في الترف والشهوة ، وعدم المبالاة بالمال ، واللعب على موائد القمار . ومن أجل ذلك لا تعجبهم المصايف المصرية ولا الشرقية ، لأنها أقل حظاً من الملاهي وأدعى إلى التحرر من القيود التي تتطلبها معرفة الشخص .

المصحف

كثير من الناس يتبركون بحمل مصحف صغير الحجم على صدورهم . وقد يوضع في علبة صغيرة ذهبية ، ويعلق في سلسلة ذهبية أيضاً . وكثير يضعونه تحت رؤوسهم إذا ناموا لينع عنهم الأذى .

وقد بالغوا في العناية بنظفه وتحليته بالذهب وما إلى ذلك ، واختيار الورق الذي يطبع عليه . وإليه ينسبون عدم الأذى والضرر ، فإذا هبّ حريق في البيت فأطفئ ، أو فشل سارق في سرقة شيء ، نسب ذلك كله إلى وجود المصحف في البيت . وقد لا يكون الرجل متديناً فلا يؤدي الصلاة ولا الصوم ، ومع ذلك يحرص كل الحرص على اقتناء المصحف . وهو كثير الانتشار بين المسلمين ، يعتقدون فيه الاعتقادات الكثيرة هو والبخاري . ومن حين لآخر تطبع دار الكتب

أكثر، وربما كان أقل الأمم تأثراً الإنجليز، لأنهم أبوا أن يندمجوا في المصريين وترفعوا عن مخالطتهم والزواج منهم، إلا في القليل النادر. وكان لرجولتهم سحنة خاصة فلهم شخصية معنوية خاصة، ربما كان من أصعب الأشياء وصفها، فهي شخصية ذكية فنية، تدرك الجمال وتتذوقه، ذات عواطف حادة يؤثر فيها الكلام الناعم — شهوانية تستعين كثيراً بالعقاير التي تثير الشهوة وتكثر من الكلام في وسائلها — تحب الأرض وتحب الالتصاق بها وتكره السفر من بلد إلى بلد آخر. صبورة على تحمل المشاق، حتى كاد صبرها أن ينقلب رذيلة، فهي قل أن تشور لظلم يلحقها ولا لسكارثة تنزل بها ففعلت بها الأمم المحتلة الأفاعيل الشنيعة، ومع ذلك تحمات وارتقتب الفرج، ولكن مع صبرها وحلمها، إذا تارت حطمت كل ما أمامها من دون إدراك للعواقب، وقبل أن تشور تفرج عن نفسها بنسكة لاذعة أو أغنية لامعة أو مثل تستعمله — يغلب عليهم الكرم أكثر مما تغلب عليهم الشجاعة — وهم سر يعو النسيان للحوادث، فمن عاملهم معاملة سيئة ثم أعقب ذلك بحسنة نسوا السيئات بجانب الحسنة، كالحاكم التركي قد يغلو في الظلم ثم يتبع ذلك ببناء مسجد أو حجة يحجها أو سبيل ينشئه أو

مصحف يحمله أو نحو ذلك فيغفرون له إساءته. يغلب عليهم السرور حتى كان من الغريب أن أكثر الناس شقاء أكثرهم مرحاً وغناء، كأن الطبيعة تعوضهم بذلك عن يؤسهم — وهم كثيراً ما يندعون بالمظاهر ويميلون إلى الكسل حتى لتجد الرجل ليس عنده قوت يومه ثم لا يتحرك لكسب الرزق، وإذا كسب مالا انقطع لينفقه في سخاء، ولم يحسب حساب المستقبل وقال إصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب — يتجلى ذلك كله في الأمثال الدائرة على ألسنتهم، والأقوال الشائعة التي ينطق بها مجازهم، كما يتجلى ذلك بمقارنتهم بغيرهم من الأمم.

المعجون

المعجون والمنزول بمعنى واحد. وهو منتشر بين الطبقات وخصوصاً طبقة الفقير. وهو مما يضرها ضرراً بليغاً. والقصد الأكبر منه تخدير الأعصاب عند الاتصال الجنسي؛ وهو مزيج من بعض العقاقير يضاف إليه بعض من الحشيش، ويعجن جيداً. ولذلك يسمى المعجون.

ويسمون الرجل الذي يبيعه «تخفجى» ويسمى المعجون نفسه «تخفة»، وكلمة من

يستحضر الجان ، وكان المضيف مضطراً إلى مباشرة أطيانه ، فكان يتركه في البيت ويذهب إلى عمله ، وهو يدعى أنه يستحضر الجان ، فاتصل بنسائه ، وما زال على ذلك الحال وهو يتعاطى المنزل إلى أن صار لا يفيق منه ، فوقع في إغماء شديد واضطر من معه لإحضار الطبيب ، فلما أفاق هرب .

وقال آخر: كنت أعرف شاباً متعلماً من ذوى الشهادات العالية ، ثم وظف في الحكومة ، وورث عن أبيه بعض المال ، وانهمك في المعجون حتى كان يسكن في ماخور من المواخير ، واختلط عقله أخيراً ، فكان يتكلم كلاماً رفيعاً ، ولكن سرعان ما ينتقل من موضوع إلى موضوع . ثم يطيل الصمت ثم يرفع رأسه ويلتفت يميناً وشمالاً ويقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وكثيراً ما كانت تنهمر الدموع من عينيه إذا أفاق .

وقال ثالث : كنت أعرف رجلاً تجاوز الخامسة والثلاثين ، كاتب حسابات في إحدى المديریات ، وكان أديباً لطيفاً ، لا يأخذ عليه من جالسه أقل شيء . ثم وقع في المعجون فأصيب في عقله ، فكان إذا رأى من بعيد مطر بشاً هرب منه خوفاً من أن يعرفه .

ضحيا كثيرة بسبب الحشيش الداخلى فيه ، وبسبب تهيج ما يضاف إليه من بهارات للأعصاب . وقد يضيفون إليه شيئاً من العنبر لتحسين رائحته ولتنشيط الدورة الدموية .

وأعرف شاباً من أولاد الأغنياء كان ذكياً مؤدباً في سن الثلاثين ، ورث أموالاً طائلة ، وكان متزوجاً ، فلما حصل على هذا الإرث احتاط به جمع من الشباب الفاسد ، فتزوج بأخرى ، وبعد أسابيع قليلة تزوج بثالثة ، ثم رابعة ، وسقط في هذه العادة الرديئة ، ويجمع هؤلاء الأربع كل ليلة ويتلاعبون ويرقصون ويعنون ويفعلون الأفاعيل الشائنة ، لأنه في حالة الذهول .

وأخيراً ضعف عقله ، وانحطت قوته ، حتى صار لا يقوى على المشى ، وإذا تحرك للضرورة أسندوه إلى أن يعود إلى فراشه ، ولا يقوى على وضع اللقمة في فمه ، واستمر على هذه العادة الرديئة حتى مات .

وكنا في مجلس فأتت هذه السيرة فقال الآخر : كنت أعرف رجلاً أفغانياً ادعى أنه يستحضر الجان ، وكان يتاجر في بعض السلع فاشترى حماراً ووضع عليه خرجاً ، وكان ينتقل في الأرياف حتى وصل أمره إلى المنصورة ، ونزل ضيفاً على رجل وادعى أنه

مرة تثير شجون بعض من يسمهن كلامها .
وهن في الفصاحة يشبهن الأدبائية في فصاحتهم .
ويقابلهن في ذلك العوالم في الأفراح يثرن
السرور . ولكل نغمت . ويشجع العوالم
الرقص والضرب على الدربكة ؛ ويشجع
المعدّات اللطم والضرب بالدف والنيلة .
وقد قلت هذه العادة حتى كادت تفي .

معلّش

يكثرون عادة من استعمالها عند نزول
كارثة في ولد أو مال إعلانا بالرضا بالقضاء
والقدر . فإذا مات ابنه قال « معلّش » ،
وإذا تلف زرعه قال « معلّش » ، وهكذا ...
وقد يتضحك الفريج على مصر فيقولون :
بلاد معلّش .

المغاوري

هو شيخ في جبل الجيوشي ، يعتقد
النساء أن من زارته وكانت عقيماً ولدت ،
ولعله حدث ذلك مرة أو أكثر بسبب وجود
رجال من سيئ الأخلاق ، انتهزوا هذه
الفرصة واتصلوا بالمرأة . وكان العيب من
زوجها فحملت . فأشاع هؤلاء الرجال والنساء
هذا الخبر ؛ الرجال لإيرواء شهواتهم ، والنساء
لستر موقفهن . والله أعلم .

وقال رابع : جاء رجل كردى إلى مصر
وأقام بها وتزوج ، ثم ماتت زوجته فورث
بعض الشيء من قريب له ، ثم وقع في هذا
المعجون ، وأخيراً أشعل النار في نفسه ...
وهكذا ، من ضحايا ...

وهم يسمون المعجون أحياناً « لسان
العصفور » و « البلبل » و « حلاوة سسمية »
و « خلطة عنبرية » و « حجر الذخيرة » الخ .
وهو منتشر في مصر انتشار الحشيش
لأنه نوع منه حتى اضطرت الحكومة أخيراً
إلى تشديد العقوبة عليه .

المعدّة

هي امرأة تدعى للعناء بنعمة حزينة في
مجمع النساء في المآثم ، وهي تستفسر أولاً
عن الميت ومن هو ، وعلى أى حال كان ،
وما فضائله ومزايه ؛ وتصوغ من كل ذلك
كلاماً في تعديدها يثير كوامن النفوس ، ولها
لسان فصيح وقدرة تامة على الإبكاء ،
وبعضهن يصحبن معهن الدف ، فيثرن بذلك
دوافع اللطم على الوجه ، خصوصاً في الأوساط
الدنيا . وبعضهن يستعملن في هذا أيضاً النيلة
يصبغن بها وجوههن ، ولها طرائق في التعديد .
فتشعب حديثها إلى نواح كثيرة ، مرة على
الغرقى ومرة على الحرقى ومرة على القتلى ،
ومرة على الموتى بأنواع مختلفة ، وفي كل

المغسل

كان في جوار بيتنا قريباً من ميدان
المنشية مكان معد لغسيل القتلى والمشنوقين .
وكانت تُحضر إليه القتلى ملوثين بدمائهم .
وكان النساء يهجمن على هذا المغسل إذا علمن
بقتيل ، فتغمسن بعض الثياب في دماهم ،
يدعين أن ذلك يجبل من لم تجبل .

المفارقات

هي نوع من أشهر أنواع الفكاهات
المصرية ، ويعنون بها الجمع بين شيء
ونقيضه ، أو ما يبعد عنه ويخالفه . . . ذلك
مثل قولهم : « البردان يقلع عريان » . وفي
هذا الباب طرف مليحة كثيرة . وقد أكثر
منها الشيخ حسن الآلاتي في كتابه « مضحك
العبوس » ؛ من ذلك قوله : « روح خذ لك
مكان في خان جعفر ، بيع جلة ونيفة وكذب
أخضر » ، وخان جعفر هذا سوق مشهورة
في طنطا ، يباع فيها الحرير والجوخ والأصواف
القيمة . ومثل قوله : « قال لها وحياة جمالك
واقبتانك ، قصدى في الهوى أفلع سنانك »
والمفارقة في قوله « قصدى أفلع سنانك » .
ومن ذلك أن رجلاً فلاحاً من أهالي
الشرقية كان ذكياً وكان خفيف الروح

ذهب إلى خان جعفر هذا ووقف على
دكان من دكاكينه المشهورة بالأجواخ
والأصواف والحرير وأخذ يقلب النظر فيها ،
ودعا صاحب الدكان وقال له تفضل يا عمدة !
فلم يأبه به ، ومكث ينظر طويلاً ، ثم أتجه
إلى دكان آخر ينظر إليه ، فقام صاحب
الدكان وشده من يده ليعرض عليه ما عنده ،
وقال له : والله العظيم ما عندي لا يوجد عند
غيري وقدم له سيجارة كبيرة ثم فنجاناً من
القهوة ، ثم سيجارة أخرى ، ثم قال له : ماذا
تطلب ؟ قال له الفلاح : لا أظن أن طلبي
يوجد عندك ! قال التاجر : أريد جوخ
امبريال من أحسن الأصناف ؟ قال الفلاح :
لا . قال التاجر : كشمير صوف معتبر ؟
قال : لا . قال : شاهي أو قطني من أحسن
صنف ؟ قال : لا . قال التاجر : عصب
حرير أو أثواب كرشة أحسن ملبس ؟
قال : لا . قال : إذا ما هو مرادك ؟ قال
الفلاح : إنني أريد طواجن بخار لقلبي
السمك . فاصفر وجه التاجر وقال : يا فلاح
يا حمار ! أفى دكان الحرير والجوخ تسأل عن
الطواجن الكبار ؟

وقام من عنده بعد ما شرب القهوة
والسجائر .

وتعجبني قصيدة في هذا لصنيع الدلاء

كل الرجال على العموم مذكر
أما النساء فكلهن نساء
والميم غير الجيم جاء مصحفاً
وإذا كتبت الحاء فهي الحاء
إن المدام لدى التعاطى مسكر
وبشر به قد جُتت العقلاء
مالى أرى الثقلاء تكره دائماً

لا شك عندي أنهم ثقلاء
وإذا سئلت عن الثقيل فقل لهم
الناس عندي كلهم ثقلاء

المفتقة

وتسمى «حلاوة مفتقة» ، وهي سوداء
اللون ، يفطر بها بعض الناس ، ويصفونها
للفحيفة حتى تسمن . وتصنع من جملة مواد
يبلغ عددها على قولهن نحو أربعين صنفاً ،
أكثرها من الثمار الزيتية ، وهي عسيرة الهضم .
وأبين ما فيها العسل الأسود والزيت ،
ويضعون في داخلها بندقا مقشرا ، وقديرشون
عليها سمسا . ويزعم بعض الناس أن بعض
النساء مبالغة في السمن يصفن عليها بعض
الخفافس .

عارض بها مقصورة ابن دريد يقول فيها :
من لم يرد أن تنتقب نعاله
يحملها في كفه إذا مشى
من دخلت في عينه مسلة
فأسأله من ساعته عن العمى

الح . . .

وهناك قصيدة أخرى في هذا المعنى :
الأرض أرض والسماء سماء
والماء ماء والهواء هواء
والبحر بحر والجبال رواسخ
والنور نور والظلام عماء
والحرّ ضد البرد قولٌ صادق
والصيف صيف والشتاء شتاء
والمسك عطر والجمال محب
وجميع أشياء الورى أشياء
والمرّة مرّة والحلاوة حلوة
والنار قيل بأنها حمراء
والمشى صعب والركوب نزاهة
والنوم فيه راحة وعناء
والماء قيل بأنه يروى الصدى
والخبز واللحم السمين غذاء
ويقال إن الناس تنطق مثلنا
أما الخراف فقولها مأماء

المقاطعة

فللسماع فنّ كفنّ الكلام ، فيتركون المتحدث في حديثه إلى أن يتمه ، ثم لهم الحق في أن يردوا عليه إلى أن يتموا ردهم .

المقويات

أولع المصريون من قديم بالمقويات على أشكال مختلفة ، من منزل ومعجون ، وكذلك الشرقيون . وتقرأ القاموس المحيط للفيروزبادي ، فلا تكاد ترى صفحة من صفحاته خالية من دواء أو نبات ، ينص على أنه يقوى الرجل كأنه اختصاصي في هذا الموضوع . وأخيراً زعم الفرنج أنهم اكتشفوا أشياء تفعل فعل هذه الأشياء الشرقية ووردوها إلى الشرق ، كخصا الثعلب وغيره . (انظر معجون ومنزول) .

مقياس الروضة

كان مقياساً قديماً من قبل الإسلام ، فلما اختلّ بناؤه بنى سليمان بن عبد الملك الأموي العمود الموجود الآن للمقياس ، بدليل الكتابة التي عليه . وقد اختلّ مراراً ثم أعيد ترميمه ، وقد اعتنى المصريون من قديم بهذا المقياس ، لأن النيل عندهم هورب ثروتهم والعامل لخيرهم ، ولولاه لكانت مصر صحراء قاحلة .

إذا قال الرجل سأفعل كذا ، قالوا : بلاش مقاطعة ، أي لا تسبق الزمان ، فلعل المقدر يعاكسك ، وقل إن شاء الله .

ويحكون أن رجلاً كان عنده جرة كبيرة مملوءة لبنا ومعلقة في السقف ، فنام في سريريه ونظر إلى الجرة فتمنى الأمانى أن يبيع اللبن ويشتري بثمنه بيضا ، ثم إذا كثر البيض باعه واشترى نعجة ، والنعجة تلده له شياها كثيرة ، فيسرح بها ، وإذا خالفتها إحداها ضربها بعصاه هكذا ، وحرك عصاه فأصابت الجرة فكسرت وذهب سدى ما فيها من لبن .

يحكونها للدلالة على أن الأمانى قد لا تتحقق ، ويسمون هذه مقاطعة ، وأن المقاطعة قد تنعكس على صاحبها ، بل إنها كثيراً ما تدعو القدر إلى معاكسته .

وتستعمل كلمة المقاطعة أيضاً في أن يقاطع الإنسان الآخر ، أثناء كلامه ، فلا ينتظره حتى يتم كلامه . واشتهر المصريون بذلك أيضاً ، فلا يكاد يبدأ الحديث حديثه حتى يقاطعه سامعوه . ولذلك يسرع المتحدث في حديثه شاعراً بالخشية من أن يقاطعه أحد . وهم في حاجة إلى أن يتعلموا فنّ السماع ،

الضرائب . والاحتفال به قديم ، وكان بالغاً حدّ العظمة . وإلى اليوم تزين مركب تسوّى العقبة ، ويكون فيها الموسيقيون وغيرهم . وكان الموكل بالمقياس يطلق عليه اسم قاضى المقياس ، وهو الذى يقيس كل يوم زيادة النيل أو نقصه . ويخبر بذلك الحكومة وينادى بذلك فى المدينة ، ويقيد فى دفتر مخصوص . ولهذا كان شيخ المقياس يعرف فيضان النيل يوماً فيوماً من ابتدائه إلى انتهائه . وفى عهد إسماعيل باشا نظم مقياس جزيرة أسوان ، وأمر العامل عليه أن يخبر مصر كل يوم بواسطة التلغرافات ترسل إلى مصر .

والمصريون أيضاً يسمون بلوغ النيل فيضانه ، والاحتفال به جبر الخليج ، لأن خليج القاهرة كان يمد بالماء فى هذا العيد . والمنادون وأولادهم يسرون فى شوارع القاهرة يوم عيد جبر الخليج وبأيديهم الجريد عليها الرايات من البفتة الملونة : الأخضر والأحمر والأبيض ، ويقولون : البحر زاد غرق البلاد ! ويرد عليهم آخرون يقولون : عوفاً الله ! يامالة الألف فى الله . وأصل عوفاً الله : أو فى الله ، أى أو فى الله النيل .

وبعد تحرير المحضر بوفاء النيل تطلق الصواريخ وتعزف الموسيقى . الخ .. ويكون يوماً مشهوداً . ويبدأ الجو بعده بالتلطف .

وقد أنشأوا المقياس ورتبوا عليه تحصيل الضرائب ، لأنه إذا لم يرتفع أو علا كثيراً فترقى الأرض لم يكن من العدل تحصيل الضرائب كالمعتاد ، والزيادة المعول عليها هى ما بين ستة عشر ذراعاً وأربعة وعشرين .

وجعل هذا المقياس فى الروضة بحيث يدخل الماء إلى حجرة لا يفعل فيها الهواء فتقطع الأمواج ويمكن مقياس النيل مقياساً صحيحاً .

وقد عين للمقياس محمد على باشا رجلاً اسمه الشيخ على ، ولقب بالمنادى ، لأنه ينادى هو وأتباعه على النيل كل يوم ، وجعل له مرتباً . ولما مات عين مكانه ابنه وأمر المهندسين بالكشف على المقياس كل عام ، وإجراء ما يلزم له من التطهير والتعمير .

وأقيمت مقاييس أخرى فى أعلى الصعيد ليستدل منها على ما سيكون الحال فى مصر ، حتى إذا كان النيل فى أعلاه ، اتخذت الاحتياطات الكافية لاتقاء العرق ؛ وعمل مقياس فى الخرطوم ، ومقياس فى مدينة أسوان ، ومقياس فى القناطر الخيرية .

وقد جرت العادة بأن النيل متى بلغ ستة عشر ذراعاً احتفل بوفائه ، وسمى اليوم يوم وفاء النيل ؛ وكتب سجل يثبت أن النيل بلغ حدّاً يجوز معه للوالى أن يحصل

المكتبة

كانت المكتبات كثيرة في المساجد ، ولكن خدمتها لم يعتنوا بها ، فكانت تسرق أو تباع ، وأكثرها كتب توحيد أوفقه أو تفسير ، ويقتنى بعض الأغنياء في بيوتهم مكتبات حسنة ، حتى ولو لم يقرؤوا فيها ؛ وأكثر الكتب يوضع في غلاف مجلد . وكثيراً ما تكون الملازم مفكوكة ، حتى يمكن أكثر من واحد استعارة ملازم منها .

وكتب الكتب عادة يستعمل الورق المتين ويسطره على مسطرة هي قطعة من الورق المقوى ، يشدّ عليها بعرض الورق وطوله خيوطاً ملصقة بالغراء ، فيجعل المسطرة تحت الورقة ويضغط على كل خيط بخفة ، فتؤثر في الورق المراد الكتابة عليه ، وقد جمع هذه الكتب كلها الموجودة في المساجد على باشا مبارك وجعلها في بناء في درب الجمائز حفظاً لها من الضياع ، ثم بنى لها مكان خاص في باب الخلق .

وبدأت مكتبة باب الخلق هذه تنشئ
مكتبات صغيرة في أحياء مختلفة في القاهرة
والإسكندرية . وهناك مكتبات لا بأس بها

في الأرياف ، ككتبة دمياط وسوهاج وأسيوط ، وهناك مكتبة لا بأس بها أيضاً في الإسكندرية ؛ وهذه المكتبات صورة من عقلية المصريين ، ففيها الكتب القيمة النافعة ، وفيها كتب التدجيل ، وكتب الكيمياء واليازرجه ، ونحو ذلك . والمصريون يطلبونها أكثر من الكتب الجديدة وقد يستعبرونها . وبعض الأفراد مولع باقتناء الكتب ، فهم ينشئون في بيوتهم مكاتب خاصة ، كشمس باشا وطلعت باشا ولكن مع الأسف قلّ الراغبون فيها اليوم .

الملاهي

أولع المصريون بالملاهي كغيرهم من الأمم . وكانت لهم في القديم أنواع من الملاهي البدائية مثل : القراجوز ، أو خيال الظل ، وابن رابية ، والرقص ، ولعب البرجاس ونحو ذلك . ثم لما تقدم الزمن تغيرت هذه الألعاب بسبب الاقتباس من المدنية الغربية ، فحلت السينما والتمثيل محل القراجوز ، وحل الرقص الفرنسي محل الرقص البلدي ، وأصبح عندنا ملاهي متنوعة على شكل مصغر من الملاهي الأوروبية .

الملاية

كانت المرأة خصوصا من الطبقات الوسطى والدنيا تلبس الملاية . وقد تتخذها وسيلة من وسائل العياقة ، إذ تشدها على جسمها حتى تظهر تقاطيعه .

وقال الآن استعمالها بسبب السفور . وفرش الملاية يستعملونه كناية عن الردح وكثرة السباب . فيقولون : فرشت له الملاية .

ملة

يقولون ملة كان يوم ! وملة كانت عشوة ! أى ياله من يوم ! وياله من عشوة ! ويستعملون الملة بمعنى مذهب أو دين ، ففى سبابهم أيضا سب الملة ، أى الدين .

الملح

هو المادة المعروفة ، والذي يهمننا منه أنه يستعمل فى البخور كثيرا ، كما يستعمل فى دفع أثر العين ، فيرشونه على من تراد وقايتيه من العين ؛ ويقولون فى ذلك : « ملحة فى عين اللى ما يصل على النبى » .

ومن قديم يستعمل فى توثيق الروابط بين شخصين أو جماعة ، فيقال : أكل معه عيش وملح ، ويخونه العيش والملح . ومن استعمالهم أيضا قولهم مثلا : « فص ملح وداب » يقولونه لمن تغيب نجاة ولم يعرف مقره !

الملق

يكثر فيهم الملق ، وخصوصا ملق المرؤوس للرؤساء ، وملق الفقراء للأغنياء ؛ يدل على ذلك أمثال المشهورة مثل « إذا دخلت بلد يعبد العجل حش واديله » وكقولهم : « عاز الغنى شفقة ، كسر الفقير زيره ! » وأمثال ذلك كثيرة . وهم معذورون فى ذلك ، لأن ما سر عليهم فى عهد طويلة من الظلم والاستبداد ، خصوصا فى عهد الأتراك ، علمهم الملق والإفراط فى المديح غير المصقول ولذلك قلما تجرد مرءوسا يقول الحق لرئيسه ، أو يتوقف عن تنفيذ أمر وجه إليه مهما اعتقد أنه خطأ ؛ وهو أشكال وألوان ، يظهر ذلك فى خطاباتهم وجميع تصرفاتهم .

فى الخطابات من ألفاظ الملق وأساليبه ما ليس له حصر ، ومن أعمالهم فى مخاطبة الرؤساء وإظهار علامات التعظيم الذى قد يصل إلى تقبيل الأرجل ما ترى منه الكثير

الملوخية

من طعام مصر المألوف . فلوخية أهل الحضرة يأخذونها ويحرقونها بالخرطة خرطا جيدا ، ويطبخونها باللحم الضانى أو الفراخ أو الوز ، ويستبشرون بالملوخية فى أول طلوعها ، لأنها خضراء ، وهم يستبشرون عادة

الماليك

حكمت مصر بالماليك مدة طويلة ،
وحكهم هو جزء من حكم الأتراك وقبلة ،
فلما فتحها السلطان سليم سنة ١٥١٧ أيقن
أنه لا يمكنه حكمها مباشرة بعدها ، فتركها
للماليك . وعهد إلى ديوان أعضاؤه من كبار
الماليك ومن رؤساء فرقهم وطوائفهم
وزعمائهم أن يديروا البلد ، وكان لهم الحق
في فرض الضرائب وجبايتها . يأخذون منها
الحصة ويرسلون منها الباقي إلى خزانة الدولة
العثمانية ، وقد اعتادوا الترف والنعيم ،
فأخذوا للراحة وإن لم يفقدوا صوتهم .
وغلوا في سلطانهم حتى كانت سلطة السلطان
في الإستانة سلطة اسمية ، بل في سنة ١٧٦٦
رفع على بك ، أحد بكوات الماليك ، لواء
العصيان على الدولة وضرب النقود باسمه ،
ودحر الجيش العثماني ، وباعه شريف مكة
سلطاناً على مصر .

وكثيراً ما نقصوا ما يرسلونه إلى الدولة
العثمانية معتذرين باعتذارات كثيرة ، كأنفاقها
في مصالح الدولة ، فما كان يسع السلطان إلا
قبول عذرهم . وقد أورثوا الشعب صفات
كثيرة ، بعضها حسن وبعضها رديء ،
فقدم الأغنياء في الترف والنعيم وحب الفخفة

باللون الأخضر ، ويقولون دائماً اللهم اجعلها
علينا سنة خضراء . ومن ذلك أنهم إذا
أرادوا أن يسكنوا بيتاً جديداً جعلوا معهم
سلفاً أخضر .

وهناك نوع آخر من الطبخ ويسمونه
ملوخية بوراني ، نسبة إلى بوران بنت الحسن
زوج المأمون ، وطريقتها أن يخرطوا الملوخية
ثم يحمروها بالسمن حتى تجف ثم يدقوها
فتكون لذيذة جداً

ومن غرائب ما يروون في أمر الملوخية
هذه أنها تكون على يد النساء الذمما يطبخها
الطباخون . وينسبون ذلك إلى العادة المتبعة
وهي أن المرأة بعد أن تطبخ الملوخية تضع لها
التقلية ، وهي ثوم محمر بالسمن ، فإذا أرادت
أن تضعه عليها فلا بد من أن تشهق ، وربما
كانت هذه الشهقة هي السر في لذتها .

وكان لنا أستاذ يعلنا الرياضة أغرم
بالملوخية حتى كان يطبخها كل يوم ، فإذا
حضر من عمله سأل زوجته : طبختم اليوم
ملوخية وأى شيء آخر ، كأن الملوخية شيء
لا بد منه . ومن أغانيهم :

أبو قردان زرع فدان

ملوخية وباذنجان

وهو قول سمعته ولم أفهم معناه .

طويل لا محل له الآن . وقد ذكرنا في ثنايا الكتاب أمثالا تدل على ماقيه المصريون من المماليك .

المندل

شاهدت مرة مندلا لإظهار سارق شيئاً .
فأتى صاحب المندل بطفل في نحو السابعة أو الثامنة واختاره بواسطة رسم كفه ، فهم يعتقدون أنهم إذا كان رسم كفهم يقرأ ٧١ و ١٧ ، كان الأطفال أقرب إلى نجاح المندل .
وبعد أن أحضر صاحب المندل الطفل صب في يده البيني نقطة من زيت مع إطلاق البخور . ثم سأل الطفل هل ترى مكانا مرشوشاً وكرامى مصفوفة ؟ ولا يزال بالطفل حتى يقول رأيت . ثم يسأله هل ترى في هذا المكان أحدا ؟ فيقول بعد طويل وقت :
نعم رأيت . ويسأله عن صفة هذا الرجل وما يلبسه فيقول أرى رجلا أو امرأة صفته كذا ، ثم يطبقون هذه الأوصاف على شخص يعرفونه فيكون هو اللص . وهو نوع من الإيحاء .

وروى الأستاذ لين الإنجليزي الذي كان في القاهرة منذ حوالي مائة عام أن ساحراً أحضر غلاما وأجلسه على كرسي وأمر خادمه الإنجليزي أن يحضر نجمة .

واعتيادهم بعض العادات التركية حسنها ورديتها ، كتمليدهم في النظافة والنظام ، وأحياناً كانوا يقلدونهم في الفطرسية والاستبداد إذا ولوا أمراً من الأمور ، ونظر الأغنياء إلى الفقراء نظرة احتقار وازدراء . ومن أسوأ ما ورثوا عنهم الإسلام السطحي والإيمان بالخرافات والأوهام ، فالتركي عادة يرتكب للظالم ويعتقد أنه يكفرها ببناء مسجد أو سبيل أو إقامة صلاة ونحو ذلك . فيحترم القرآن إذا قرئ فلا يضع رجلا على رجل في مجلسه ، ولا يدخن ، ولكن لا يدخل جوهر الإيمان في قلبه ؛ وربما كان للمماليك أثر كبير في أن المصريين يعبدون الله عبادة ظاهرية ، فلا يصل فيها الإيمان إلى قلوب أكثرهم . وكثير من عادات المماليك دخلت على المصريين في أكلهم وشرابهم ، واختلاف طبقاتهم ، بل أثروا كذلك في موسيقاهم وألعابهم وأمثالهم ، وربما أيضاً في جمال المصريين ، فقد كان بعض المماليك يتزوجون من مصريات ، وبعض المصريين يتزوجون من مماليك . والمماليك في الحقيقة أجمل ، ولذلك إذا وصفوا أحداً بالجمال يقولون إنه جميل كالمملوك . واستقصاء هذا الباب أعنى ما أثر المماليك في المصريين يحتاج إلى بحث

السلطان ، فأخبره الصبي أنهم أحضروها ،
وهي خيمة كبيرة خضراء وقد نصبوها .
فقال الساحر للصبي : مر الجنود بالحضور
ونصب معسكرهم حول الخيمة . فقال الصبي
قد حضروا واصطفوا . فقال الساحر للصبي :
مرهم أن يحضروا ثوراً . فقال الصبي قد
أحضروه . فقال له : مرهم بذبحه وتقطيعه
ووضع لحمه في أوعية وطهيه ، ثم قال قل
للجنود يأكلون ...

قال الأستاذ لين : إن الساحر سألتني
إذا كنت أرغب في أن يرى الصبي شخصاً
غائباً أو متوفى ، فذكرت اللورد نيلسون ، ولم
يكن الطفل قد سمع به ، لأنه قد نطق اسمه
بصعوبة كبيرة . فقال الرجل للصبي أحضر هذا
الرجل فقال الصبي أرى رجلاً يلبس ملابس
أوربية زرقاء وهو قد فقد ذراعه اليسرى ،
وكان لورد نيلسون من عاداته أن يعلق
كفّه الخالي إلى صدره . وكان قد فقد
ذراعه اليمنى لا اليسرى ؛ فسألت الساحر
فقال : إن الصورة تنعكس في المرآة فاليمينى
تظهر يسرى وبالعكس . وقد استغرب لين
من ذلك . ولم يكن مخرفاً . وكان يستدعى
الصبي والساحر كلما أراد أن يظهر الإنجليز
على مجيئة .

فلما أحضرها وضع فيها لباناً وكسبرة ثم
أمسك يد الصبي اليمنى ورسم على راحته
مربعاً سحرياً ، ثم صبّ في وسطه قليلاً من
الخبر وطلب من الصبي أن ينفظر فيه ويخبره
إذا كان يمكنه رؤية وجهه معكوساً فيه .
فأجاب الصبي أن نعم ، فأمر الساحر الصبي
بأن يظل يحدق النظر وأن لا يرفع رأسه .
وأخذ الساحر ورقاً مكتوباً عليه أدعية
وألقاها في الجمره على الخبر والبخور حتى
امتألت الغرفة بالدخان وأخذ الساحر يدمدم
دمدمه لم تفهم ، ثم سأله : هل يرى شيئاً في
الخبر ؟ فأجابه بالنفي ، ولكنه لم يلبث أن
ارتعش وخاف وقال أرى رجلاً يكنس
الأرض . قال الساحر أخبرنى بعد أن يذهبى
من الكذس ، ثم سأله الساحر الصبي :
هل تعرف البيرق ؟ فقال نعم . فسأله هل
أحضر الجن بيرقاً ؟ قال : نعم . فقال الساحر :
على أى لون هو ؟ قال : أحمر . فقال له اطلب
بيرقاً آخر . فقال إنهم أحضروا بيرقاً آخر .
قال : اطلب بيارق . قال الصبي : إنهم
أحضروا بيارق أخرى : أبيض وأخضر
وأسود وأحمر وأزرق ، حتى صارت سبعة .
ثم وضع الساحر في الجمره لباناً وكسبرة مرة
أخرى . وقال للصبي قل لهم يحضروا خيمة

وقد اشتهرت منظره العمدة بأنها محكمة
للمتخصصين وحالة المشاكل التي تعرض لهم
أثناء النهار وسمر لذيذ في الليل وغير ذلك .

الموالد

الموالد عند المصريين ذكرى ميلاد
الوليّ ، وأشهرها مولد النبي صلى الله عليه
وسلم ، وقد كان يقام له حفلات عظيمة ،
فيجتمع رجال الطرق الصوفية ، وكان
الاجتماع في باب الخلق ، وكل طائفة بأشارها .
وعند تكاملها تسير في موكب كبير ، كل
موكب ينشد نشيده الخاص على نغماته الخاصة
مع دق الدفوف وقرع ما يسمى البازة ، وهي
آلة نحاسية ، حتى يصلوا أخيراً إلى مشيخة
الصوفية في بيت البكري ، فتقرأ الفاتحة
والصلوات ، ويعلن السيد البكري افتتاح
المولد . وفي مساء ذلك اليوم يدعى الأمراء
والعلماء في ساحة المولد ، ويأتي طوائف
الصوفية وأمام كل طائفة فانوس أو أكثر
كبير غطى بالقماش الأبيض بدل الزجاج .
وبعد الصلوات تقام مجالس الذكر ، وتعتري
بعض النذكريين جذبات وإغماءات ، فيرش
على وجوههم الماء ، ويتصاعد من أفواههم
رغاء كرزاء الإبل . وبعض أهل هذه الطرق
يدخلون النار في أفواههم أو الجمرات فلا

المنسج

المنسج إطار كان يقضى النساء فيه أكثر
أوقات فراغهن في المنزل ، فهن يشتغلن عليه
بالإبرة أو بطرزن مناديل أو طرحا بالحرير
المذهب . والفقيرات وحتى الأوساط ، كن
يتاجرن في هذه العملية فيعطين عملهن لدلالة
تبيعه في السوق أو في حريم آخر . وكثيراً
ما تجتمع بعض الشابات على المنسج يقضين
أوقانهن للتسلية ويتحدثن أثناء ذلك حديثاً
ظريفاً .

المنظرة

ينطقونها عادة بالضاد ، وهي في أغلب
بيوت الأوساط والأغنياء . وقد كانت هذه
المنظر موضع المسامرات في الليل وتلاقى الرجال .
فكان بكل حارة بيوت ، ولكل بيت
منظرة يستقبل فيها الزائرون . وبعض البيوت
له مناظر بهيجة تجذب إليها الناس للطف
صاحبها وكثرة أصحابها . فأحياناً تقضى لياليها
في السير ، وأحياناً في قراءة القرآن ، وأحياناً
في سماع الموسيقى والغناء ، بل وأحياناً يتواعدون
على أن يحضر كل واحد ما عنده من العشاء
في بيته ويتعشوا جميعاً من كل ما يحضر .
وكم كانت هذه المناظر معهداً لتخريج سمار
والآتية ومغتنين وغير ذلك .

وكان الناس يروحون عليهم بمراوح إذا تحرك الموكب من شدة الحر . ومن الغريب أن لا تحدث من ذلك أضرار كثيرة كالذي كان ينتظر ، وبعد صلاة العشاء يشرف الصوان الخديوي والكبراء فيسمعون المولد ، ثم توزع الحلوى وشراب الليمون . ويزدحم الناس في هذه الليلة ازدحاما كبيرا ، ويهيص بعض الشبان في هذا الازدحام ، وكثيرا ما تحدث أفاعيل ومراسلات بين راكبات العربات وراكبها مما يجعل الليلة فتنه . وقد أبطل الخديوي توفيق عادة « الدوسة » هذه لما ينشأ عنها من أضرار .

الموسيقى والغناء

للموسيقى والغناء عند المصريين مقام كبير وشغف عظيم . يظهر ذلك في كثير من عاداتهم . فترى الباعة فيهم يغنون على بضائعهم ، حتى حب العزيز تقام له زفة كزفة العروس . والدين دخل فيه الغناء ؛ فالأذان يقال في غناء ، والذكر يُغنى له ، والقرآن يُغنى به . وكثيرا ما كان يمر بحارتنا رجل يُغنى بقصائد نبوية وهكذا . ولكل نوع من أنواع الحياة الاجتماعية غناء خاص ؛ فغناء في الأفراح ، وغناء المعدادات في المآتم ، وغناء المسحراتية في رمضان ، وغناء الليالي المولد ، وهكذا ...

تضرم ، وربما يكون ذلك بسبب دهن حلوقهم بمادة خاصة تعدم أثر النيران .

ومنهم من كان يقذف قطعة من الحديد على الحائط ثم يتلقاها على رأسه فيسيل دمه دون مبالاة .

وبعد ذلك تنصب الصواوين ، في كل صيوان من يقرأ القرآن أو يقرأ السيرة النبوية أو يقيم حفلة ذِكر .

ومن أشهر ذلك حفلة « الدوسة » ففي يوم (١١) ربيع الأول يجتمع أرباب الطرق بميدان باب الخلق على نظام خاص ، ويسير الموكب بأهم شوارع المدينة ، ومنهم كثيرون من المشعوذين ، بعضهم يأكل الزجاج ، وبعضهم يأكل الثعابين ، وبعضهم يضرب شدة بدبوس ذي رأس غليظ في عنف وقسوة ، ومنهم من كان يضع حد السيف في بطنه ثم ينام فوقه . ويأتي الشيخ فيبيل يده بريقه ثم يمسح على بطن المرید حتى لا يتأذى من حد السيف . وعندما تصل هذه المواكب إلى ساحة المولد ينبطح الكثيرون على وجوههم في صف كبير فيمر فوقهم شيخ السادة السعدية بحصانه يقوده اثنان من أتباعه ويعتقدون أنهم سينالون من ذلك بركة كبيرة .

ولهم أغان خاصة بهم ، وكبائى حب العزيز ،
وكالسقاين . وقد يتوارثون الأغاني من عصر
إلى عصر ، مثل أغنية « الحنّيا حنّيا قطر
الندى » فيظن بعضهم أنها ميراث من العهد
الطولوى ، أيام زفت قطر الندى بنت خارويه
إلى الخليفة العباسى ؛ والمغنون من طبقات
شتى ، ويختلف منبع غنائهم ، فبعضهم من طبقة
راقية مثقفة ، وبعضهم من طبقة شعبية . مثال
الأول ما حكى من أن مفتياً للديار المصرية
وضع أغنية « الله يديم دولة حسنك » ،
ومثال الثانى « سميع سواقى بتنى لم طفولى نار » .
وأكثر المغنيين والمغنيات يظهرن
« شيطانى » من غير تعليم ولا مدرسة ، إنما
مُنحوا حسن الصوت الطبيعى فاتجها بعد
ذلك إلى التعلم ، وهى هبة يهبها الله من يشاء ،
لا نستطيع أن نعلماها . فقد كانت من مشاهير
المغنيات السيدة ساكنة ، وكانت تشتغل
فاعلة تحمل المونة فى القوالب ، تُغنى للفعلة ، ثم
اكتشف حسن صوتها بالمصادفة . وفى حفلات
الغناء يكون عادة رجل مخصوص يسمى
« مطيباتى » ، من وظيفته تطيب خاطر
المغنى أو المغنية بإظهار علامات الإعجاب ؛
وقد يحترف المطيباتى حرفة بيع اللب ، وقد
يكون سافلا فيكون صلة الغرام بين الرجال
والمغنيات .

لكنهم كانوا مع ذلك ينظرون إلى
المغنى نظرة فيها شيء من الاحتقار ، إلا فى
الأيام الأخيرة . وكانوا يسمون الموسيقى
مزّيكاى والمغنى آلاى .

ومن المؤكد أن الموسيقى المصرية مأخوذة
من عدة نواح من موسيقى قداماء المصريين ،
كالذى يظهر فى موسيقى الكنائس ، ومن
الفرس ومن الترك . وهى تختلف فى المقام عن
الموسيقى الإفريقية .

والموسيقى المصرية تناسب ذوق
المصريين وأذانهم ، ولا يستسيغون الموسيقى
الأجنبية ، مع أنها قد تكون أرقى ، كما أنه
لا يستسيغ الفريج الموسيقى العربية .

والغناء موضوعه الحب غالباً والمصريون
أميل إلى النغمات الحزينة لما تواتر عليهم من
ظلم الحكام واستبدادهم ، وهم لا يسمعون
الغناء فى صمت وسكون كما يفعل الأوربيون
ولكنهم يهيمون ويهللون ، ويعتقدون أن
فى ذلك تشجيعاً للمغنى والمغنية ؛ من مثل
قولهم : الله الله! كان يا عينى ! ونحو ذلك ..
وإذا أتم قارئ القرآن قراءته بالغناء
قالوا له : أحسنت . ومنهم من اعتماد أن
يغنى غناء خاصاً للتعاون على الصنعة كالفعلة ،
وأرباب المهن الصغيرة ؛ كأن الغناء يسليهم
عن متاعبهم ، كالحذاء للجمل وكالمراكية ؛

للاعتذار عن خضوعه للرئيس ، وأنه مضطر لتحمل مشاق الوظيفة ، للحصول على العيش الذى هو الخبز .

والموظفين عادات رديئة ، منها التزامهم بالخطط المرسومة حتى كأنهم آلة صماء ، ومنها انتظار الموظف آخر الشهر لقبض المرتب ، فلا يسعى فى جاب رزق آخر ؛ ومن سوء هذه العادة الأخيرة أن الموظف إذا رفت من وظيفته أو أحيل إلى المعاش لا يجد نفسه صالحاً لأى عمل حر آخر .

وقد قال البوصيرى صاحب البردة قصيدة لطيفة فى المستخدمين ، وتكاد تكون حالتهم كحالة الموظفين اليوم وهى :

يا أيها المولى الوزير الذى

أيامه طائفة أمره

ومن له منزلة فى العسلا

تكل عن أوصافها الفكره

إليك نشكو حالنا إننا

حاشاك من قوم أولى عسره

فى رقة نحن ولكن لنا

عائلة فى غاية الكثره

قد أقبل العيد ما عندهم

قمح ولا خبز ولا فطره (١)

(١) الفطرة فى لسان المصريين : النقل ، من خروب وبلح وبنديق ولوز وجوز ، ويستخدمونها فى رمضان والعيدن .

أما الآلات الموسيقية فهى كثيرة بسيطة ومركبة ، فالبسيطة كالمزمار والطبل البلدى والرق والقرزان ، والكاسات والصاجات . والمركبة كالنأى والعود والقانون . ومن آلاتهم الجديرة بالذكر الزبابة ، وهى عبارة عن كمنجة ينقصها التجويف ، ويستخرجون منها نغمات شجية .

والمغنيات فى مصر تسمين « العوالم » وهى تسمية غريبة ، ولهن أغان خاصة ، وخصوصاً عند زفة العروس وزفة العريس .

وقد يأخذن أجراً صغيراً فى مقابل النقطة الكثيرة التى مرزكرها فى موضعها . وقد أدخلت الموسيقى الغربية فى الجيش المصرى مع الموسيقى العربية ، ولذلك يلقى الجيش فى الحفلات والميادين أدواراً من الموسيقى الشرقية وأدواراً من الموسيقى الغربية . ثم ارتفع حديثاً شأن المغنين والمغنيات حتى لم يعد يستنكر أن يجلس العظيم فى مجلس مغنٍ كبير أو مغنية كبيرة . وقدروا الغناء كفن جميل .

الموظفون

ويسمون أيضاً المستخدمين ، وكان يسمى العوام الواحد منهم « ابن عيشه » ، أى أنه خاضع للوظيفة التى عليها قوام معاشه . ويكثر من ذكر هذه الكلمة

فارجهمو إن عابنوا كعكة

في كف طفل أو رأوا تمره

تشخص أبصارهم نحوها

بشهقة تتبعها زفره

كم قائل يا أبتا منهم

قطعت عنا الخير في كره

ما صرت تأتينا بفلس ولا

بدرهم ورق ولا نقره

وأنت في خدمة قوم فهل

تخدمهم يا أبتى صخره

ويوم زارت أمهم أختها

والأخت في الفيرة كالضره

قالت لها كيف تكون النسا

كذا مع الأزواج يا عمره

قومي اطلبي حقتك منه بلا

تخلف منك ولا فتره

وإن تأبى فخذي ذقنه

ثم اتفيتها شعرة شعره

فقلت لها ما هكذا عادتي

فإن زوجي عنده ضجره

أخاف إن كلبه كلمة

طلقني . قالت لها بعره

وهوت قدرى في نفسها

فجاءت الزوجة مُجتره

فقالتني فتمددتها

فاستقبلت رأسي بأجره

وحق من حالته هذه

أن ينظر المولى له أمره

فهم من عهد البوصيري وقبله طلاب

علاوات .

مولد السيد

يقام في طنطا كل عام مولد كبير ،

يجمع فيه حلقات الذكر ، وأهل الدعارة

والخلاعة ، والطبل والزمر ، وتجار المأكولات ،

وعلى الأخص الحمص والحلاوة وحب العزيز .

وقد اشتهرت حلاوة السيد اشتهاراً كبيراً ،

حتى يسمع المار في طنطا أو عليها « حلاوة

السيد ، حلاوة السيد ! » وأصل مولد السيد

أن أتباعه كانوا كثيرين متفرقين في البلاد ،

فاستدعى مرة خليفته عبد العال أتباعه ،

وأوثق الروابط بينهم ، وقالوا له هذه عادة

لا تنقطع إن شاء الله . وفي الميعاد حضروا

وظلوا يحضرون ، واستمرت العادة إلى يومنا .

وحدث أن أحد المشايخ المنتمين إلى السيد

حضر هو وتلاميذه وجماعته وأقام الأذكار ،

وتعاهدوا على العودة في الميعاد ، فكان من

ذلك المولد الصغير ؛ وأما الأول فالمولد الكبير .

وكان من أحد أتباعه شيخ يقال له الشيخ

ويرش بعضهم على بعض الماء ؛ وكان في العهد الفاطمي يركب فيه أمير يسمى أمير النيروز ومعه جمع كثير . واستمر على ذلك حتى أبطله السلطان برقوق . وكان للأقباط في شهر توت عيد الصليب ، وهو في السابع عشر منه . يقولون إن المسيح صلب فيه .

وقد منع من إقامته الخليفة الفاطمي العزيز بالله . وكان قدماء المصريين أيضاً يعملون في سادس « بابه » عيداً يزعمون أن إيزيس حملت فيه بولدها ، يشيرون بذلك إلى وضع بذور الزرع في الأرض بعد نزول ماء النيل . وفي الثامن والعشرين من « بابه » عيد يسمونه عيد الشمس كانوا يرمزون إلى أن إيزيس تبحث عن جثة أوزيريس .. وكانوا في بعض الاحتفالات يظهرن الحزن والكدر لنقص النيل وغلبة الرياح الجنوبية الخ الخ ... وكان عيد الميلاد ، وليلة الغطاس ، وغير ذلك ، فيظهر أن الأقباط أخذوها من قدماء المصريين ، وأخذها المسلمون من الأقباط وصبغوها بالصبغة الإسلامية ، كمولد النبي ، ومولد السيد ، ومولد الحسين ، والسيدة زينب الخ ...

والحسكام تشجع هذه الموالد لترويجها للحركة التجارية ومسايرتها للعواطف الشعبية .

الرجبي ، حضر هو وأتباعه ومعهم مقدار كبير من الشاش المصبوغ بالأخضر ، لتجديد عمامة السيد . وفكروا العمامة القديمة ووضعوا عمامة خضراء جديدة ، فسمى المولد : المولد الرجبي . وكانت مدينة طنطا مدينة صغيرة فنصبوا المولد خارجها حيث يقام الآن ؛ وقد حددوا ميعاد المولد بعادات البلاد الزراعية من النيل وانتار الأرض للرئى ، وخلو الفلاحين من المواسم الزراعية ، وكثرة المال في جيوبهم بعد الزرع ونحو ذلك ؛ ولذلك يحدد المولد بالتاريخ القبطى لأنه أثبت ، والحكومة تحدد الموعد رعاية لذلك . وهو في العادة يكون في أوائل شهر مسرى ، والمولد الصغير في أوائل شهر برمودة ، والمولد الرجبي قبل المولد الصغير بنحو مائة يوم . ويرحل إليه الناس من كل فج .

وهذا المولد وغيره من الموالد كان مستعملاً نظيره عند قدماء المصريين حسب ديانتهم ، ذكر ذلك هيرودوت المؤرخ . فكانوا يقيمون مولداً في تلّ بسطة في مديرية الشرقية ، وصال حجر في الغربية ، وهليوبوليس ، وهي المسماة الآن عين شمس . وكانت هذه الأعياد مرتبطة بأوقات الزراعة ، وهي في العادة ترمز إلى أشياء هامة ؛ وسار على ذلك قدماء المصريين فاحتفلوا بأول السنة القبطية ، وهو المسمى بعيد النيروز ، فيشعلون فيه النيران ،

المولوية

حضرت مرة ذكراً للمولوية في تكيّة بالقاهرة في شارع المظفر ، وكانت تكيّة نظيفة ذات حديقة نظيفة ، واجتمع المولوية بعد صلاة الجمعة واستداروا على شكل حلقة كبيرة ، وقد لبسوا لبدة طويلة على رؤوسهم ، وتحزّموا في أوساطهم على سراويل واسعة ، وهم يتقنون الضرب على الناي ، ويستخرجون منه أصواتاً جميلة ؛ وقد بدأوا بذكر الله ، ويحنون في كل مرة رؤوسهم ، وبدأ درويش منهم يدور على حركات الناي وسط الحلقة ويتحرك برجليه ويده ممدودتان ، ثم أسرع في حركات رجليه فانتشرت سراويله على شكل شمسية . وظلّ يدور نحو عشر دقائق ثم انحنى أمام شيخه الجالس داخل الحلقة منصحباً إلى الدراويش الذين يذكرون ، ثم تحلقوا ووضع كل رجل يديه على كتفي الآخر وأخذوا في الذكر بسرعة شديدة ، ثم استراحوا ، وبعد ربع ساعة قاموا للذكر ثانية ، واستمروا على هذه الحال نحو ساعة أو ساعة ونصف . فكان منظراً عجيباً يمتع السمع بنايه ، والنظر بسراويله المفردة ، والحركات العجيبة .

الميرى

أصلها أميرى ، مثل ميرالاي ، أى أميرالاي ، ومرجوشى ، أى أمير الجيوش . والميرى هو الحكومة ، والرغبة في التوظف في الحكومة رغبة شديدة ، حتى من أمثالهم الشائنة « إن فانك الميرى تمرغ في ترابه » . ولعل السبب في ذلك أن الوظيفة الحكومية هيئة مضمونة الأجر ، ومن أسباب ذلك أيضاً عدم مغامرة المصريين في المشاريع التجارية ورغبتهم في وضع أموالهم في البنوك أو شراء الأطنان والعقارات ؛ ولذلك كان أكثر الشركات المؤسسة للأعمال الحرة أجنبية . وهذه الشركات لم تكن ترغب في تخدم المصريين ؛ ومن الأسباب أيضاً إجلال المصريين للموظف الحكومى وتفضيلهم له على الموظف الحر . أضف إلى ذلك أن أصحاب الأعمال الحرة يتطلبون عملاً يوازي الأجر الذى يتقاضاه ، وليس كذلك في الحكومة .

ومع أنه قد كثرت الأعمال الحرة في هذه الأيام ونال أصحابها من الأرباح ما لا يحلم به موظفو الحكومة ، فلا يزال الإقبال على الوظيفة أكثر فإذا أعلنت الحكومة عن عمل خال عندها تقدم لها مئات يطلبون هذا العمل .

زيت لقنديلين أو ثلاثة	١٢٥
شمع	١٠٠
صابون	٥٠
المجموع	٢٥٠

هذا عدا الملابس والطواري . وهو يدل
دلالة واضحة على تغير المعيشة وتغير الأسعار .
وإذا قورنت هذه الميزانية بميزانية بيت
متوسط اليوم وجدناها مثلا كالآتي :

أجرة مسكن في السنة بواقع ١٥ جنيها في الشهر	١٨٠
لحم وخضار وما يتبعهما على الأقل	٢١٦
مسلى	٣٦
ماء في السنة	١٨
كهرباء	١٠
كسوة للزوج وزوجته والأولاد على الأقل	٩٦
دخان	٣٦
خدم	٥٠
مصاريف نثرية للطواري	٥٠
كدواء وطبيب	

وإذ كانت الحكومة تربط الماهية
بالشهادة دون نوع العمل ، فقد كثر الإقبال
على التعليم الجامعي كثرة منقطعة النظير لا تجد
مثلا في الأمم الأخرى .

ميزانية البيت

عثرت على ميزانية بيت لعام ، وضعت
ليبت متوسط الحال ، من نحو مائة عام ،
فكانت كالآتي :

قرش	
٤٠٠	قمح في السنة
٥٠	طحن القمح
٤٠	خبزه
٥٥٠	لحم كل يوم رطل ونصف
١٨٥	خضروات نصف قرش في اليوم
١٠٠	رز
٣٣٥	قنطار سمن في العام
١٨٥	بن
٢٠	تنباك جبلي لصاحب البيت
١٠٠	قنطار سكر
١٠٠	ماء
٧٥	خشب للوقود سبعة أحمال
١٠٠	فحم حطب

اعتادوا عند أخذ الماء منها للشرب أن يرشحوها باللوز المتشور لأنه يمتص العكازة ،	بن بواقع رطل بـ ٣٠ قرشاً	٣
ومن أجل صعوبة الماء على هذا النحو	كل شهر	
استعملت الآبار وبنيت الأسبلة في الشوارع	مواصلات	٢٤
ووجد نظام السقائين ، ووجد باعة الماء في الطريق ، وغير ذلك .	السينما والتمثيل بواقع ٢٠٠ قرشاً	٢٤
وكانت فكرة مدّ المياه إلى البيوت سهلة لو فكروا ، فلما سهل الماء في البيوت	كل شهر	
استغنى عن الآبار وعن الأسبلة وعن السقائين ، إذ لم تعد حاجة إليهم .	لبن بواقع كيلو في اليوم بسعر ٧ قروش	٢٤
	خبز بواقع ١٠ أرغفة بـ ٥ قروش كل يوم	١٨
	المجموع	٧٨٥

وبالضرورة كان من نتيجة ذلك قلة الأمراض التي تنشأ من الميكروبات بالميضة والآبار وغيرها .

وهذا يدلنا على أن الأنظمة تتغير بتغير الأسس التي تعتمد عليها ، كالحجير كادت تبطل بوجود الترام ، وعربات الخيل كادت تبطل بالسيارات ، وهكذا . . .

الميضة

كان في كل مسجد تقريباً ميضة ، وهي حوض من الماء مربع تقريباً ، أو شبه مربع ، يملأ بالماء من حين لآخر ، ويتوضأ منه . وكان بجانبه في الغالب بئر تملأ الميضة منه ، والذي يتولى هذا يسمى الملاء .

وهذه تقريباً ميزانية الموظف المتوسط الحال ، أى أن نسبة الجنيه الآن إلى نسبة الجنيه فيما مضى تساوى ١ إلى ٣٠ وهى نسبة غير معقولة .

المياه

كان نظام المياه في القاهرة شاقاً عسيراً ، فعند فم الخليج سَوَاق تحمل الماء من البحر إلى حوض من الماء تجرى منه قنوات على عقود بنيت من الحجر ، وتذهب إلى القلعة لتستقي منه ، ومنها تنزل إلى القاهرة ؛ وقد يملأ بعض الأغنياء الصهاريج التي في البيوت من مياه الخليج أو من مياه الأمطار .

وإذ كانت مياه الفيضان مملوءة بالطمى

المسجد ، يتسرب منها بعض الميكروبات إلى البئر ، ومنها إلى الميضة ، فيزيد بذلك الضرر ، ولذلك تتصاعد روائح كريهة من المراحيض على المصلين وعلى أولاد الكتّاب الذين يكونون عادة بجوار هذه المراحيض .

الميمعة

هي مزيج من عقاقير مختلفة ، تجهز وتباع في الأيام العشرة الأولى من المحرم ، ينادون عليها : يا بركة عاشوراء المباركة ! يا شهر يا مبارك ! يا ميمعة مباركة ! . والمنادى يحمل على رأسه طبلية عليها عقاقير مختلفة ، تتوسطها مادة قائمة حرام ، تحيط بها أكوام من الملح الملون بالأزرق والسكرم الأصفر ؛ فإذا دعى المنادى للرقيا ، قال تعويذة معروفة : بخرت اللحاف من وجع الأكتاف ؛ بخرت كذا ، من كذا ، الخ . . .

وكثيراً ما نشأ عنها الضرر الكبير ، لأن بعض المتبوضئين يكون مصاباً بمرض معدٍ في عينه أو جسمه ، فينتقل منه المرض إلى الصحيح الذي يتوضأ بعده .

ولأجل هذا دعا المصلحون للاستغناء عنها بالحنفيات . ولكن مع الأسف كان مما أخذ على الشيخ محمد عبده أنه أبطل ميضة الأزهر ، واستعاض عنها بالحنفيات ، فقالوا إنه أذهب البركة .

وما زالت الحنفيات تهاجم الميضة حتى هزمتها ، لأن الحنفيات أصح وأنظف .

وقد حدثت لي حادثة سيئة في الميضة ، ذلك أني أردت أن أتوضأ فترحلت رجلي وانكفأت في الميضة ، ولم يكن أحد يتوضأ معي ، وكدت أغرق لولا أن سمعني أبي ، فالتفت ليري ما ذا حدث فرآني فأتقذني . وكم للميضة من ضحايا . ومما يزيد الميضة ضرراً الملاية لها من بئر قريبة القاع من مراحيض

حرف النون

نبين زين

طائفة من النساء تدور في الحارات والشوارع والمصايف تنادى: «نبين زين» ويحملن على رؤسهن في الغالب قفة أو منديلا فيه ودع، وتفرد الودع وتدعى أنها تشوف البخت وتبين زين! وبعضهن يصدقن بعض الأحيان؛ إما بسبب أن لها قدرة على الكشف بطريق يشبه التنويم المغناطيسى، وإما أن تكون عندها قوة الفراسة، وإما بكلامها كلاما عاما ينطبق على كل حال. وأكثرهن يكذب ولا يقول حقا، وهى طائفة لا تزال كبيرة في مصر، وخصوصا في القاهرة.

وأحيانا يحترف الرجال هذه الحرفة فيدعون أنهم متصلون بالأولياء أو بالجن، وأنهم يتلقون أخبار المستقبل عنهم، ومن غريب الأمر أن بعض الباشوات الكبار يسمح لهم بالدخول في بيته، ويفرد لهم غرفة يقيمون فيها، ويسمح لهم بالاتصال بالخدم وسيدات البيت، اعتمادا على أنهم من أولياء الله. وقد روى الجبرتي أن امرأة كانت تدخل بيوت الذوات وتبيت فيها الليالى ذوات العدد، وتدعى العلم بالمغيبات، وصادف أن كانت في بيت أحد الباشوات وماتت،

فلما جاءوا يغسلونها ظهر أنها رجل، فافتضح الذوات الذين كانوا يبيتونها في البيت، وكانت حادثة شنيعة.

وبعد ذلك كانت حادثة الشيخ بلال اليمنى واتصالة ببعض الأغنياء وإعداد حجرة خاصة له، وتزويجه له بنته، وافتضح أمره بعد ذلك، فظهر أنه فاسق عريبد ليس له من الولاية شيء. وكثير من أمثال ذلك من الأحداث.

النِّدَا

يولع المصريون بتحسين سلهم التي يبيعونها، ولهم في ذلك التحسين أساليب مختلفة، فقد ينادون عليها بأصواتهم الجميلة. وأحيانا يعلنون عنها بنسبتها إلى ولي. فالترمس للشيخ الإمباني والخص للمليجي. وأحيانا بنسبة الشفاء إليه، كما ينادون على الموز أو الحلبة «الشفاء من الله يا موز» «والشفاء من الله يا حلبة!» وأحيانا باستخدام البلاغة مثل «زى بيض اليمامة يا عنب» و«نواك لوز يا بلح».

والغريب أن الأشياء التي جدت في مصر لم تحسن بشيء من هذه التحسينات، كأن الجدد قصروا عن القدامى، فهم لا ينادون على المانجو، والجوافة إلا بأسمائهما من غير تحلية.

النذور

اعتماد كثير من المصريين تقديم النذور إلى المشايخ الكبار ، كالسيد البدوي ، وسيدنا الحسين . ولما رأَت وزارة الأوقاف ، أن هذه النذور تذهب إلى جيوب بعض الموظفين جعلت بجانب الشيخ صندوقاً توضع فيه النذور ، وحرمت على الخدمة أخذ شيء منه ، وهي كل ثلاثة أشهر تفتحه بمحضر رسمي ، وتوزعه بنسبة معروفة عندها على الخدم : هذا لشيخ المسجد ، وهذا لمؤذنه ، وهذا لكتّانه . والمصريون وخصوصاً الفلاحين يفوقون غيرهم في هذا . وقد يحرم البعض أولاده من أكل شيء يتطلعون إليه من أجل أنه منذور للسيد البدوي . فهذا ينذر عجلاً ، وهذا ينذر بقرة ، وهذا ينذر شاة ، وهذا ينذر عشرة جنهات ذهباً أو ورقاً ، ونحو ذلك .

وهم عادة ينذرون هذا النذر معلقاً ، كأن يقولوا « إذا شفى ابني المريض من المرض فللسيد البدوي خروف ، وإذا قضيت لي حاجة فللسيد البدوي عشرة جنهات » ثم هم يوفون بنذورهم على الأكثر خوفاً من السيد البدوي

أن ينتقم منهم إذا لم يفوا وتذهب هذه النذور عادة ممن يستحقونها إلى من لم يستحقوها . وبعض من يأخذ هذه النذور رباً ثروات كبيرة . وقد قرأت اليوم في الصحف إعلاناً عن تأجير مائة فدّان تجمعت عند صاحبها من أموال النذور . وحبذا لو عقل المصريون فتركوا هذه النذور وأبطلوا هذه العادة ؛ وهناك من وجوه الخير ما هو أبرّ من هذه العادة وأنفع ، كبناء مستشفيات وملجأ للأطفال والأيتام وغير ذلك .

نسن السكين

كثيراً ما نرى في المدن الكبيرة في مصر رجلاً يحمل حجر مسنّ ركب على عجلة ولف على العجلة سير ، فإذا ضغط برجله على السير دار الحجر . والرجل ينادى عادة نسن السكين ! نسن المقص ! والناس ينادون عليه ليستن لهم السكين أو المقص على هذا الحجر . فإذا فرغ من ذلك أخرج حجراً آخر أخضر وصّب عليه بعض الزيت وأتم الشحذ عليه بيده . وفي الأمثال القديمة « حجر المسن يشحذ ولا يقطع »

النشل

يكثر في مصر النشل ، وهو أخذ المال أو المحافظ خلسة . وقد احترف قوم ذلك من رجال ونساء وصبيان ، ويسمون النشالين . ومما يؤسف له أن مصر قد اشتهرت بذلك عند السائحين ، ووضعت المراكب التي تحملهم إعلانا كتب فيه ما مضمونه « احترس من النشالين » ! وهي سبة فظيعة .

وربما لم تكن مصر أسوأ حالا من بعض البلاد المتعدنة .

ولهم في ذلك طرق مختلفة ، ومهارة بمتازة ، حتى ليستطيع مهرة النشالين أن ينشلوا من غير أن يحس المنشول . بل قد ينشلون ضباطا للباحث . فإذا لم يستطيعوا أخذ الشيء شقوا الجيوب أو فتحوا شنط النساء وأخذوا ما فيها . ثم لهم حيل والأعيب ، خصوصا على من تفرسوا فيه أنه فلاح مغل أو غريب الدار . وبعضهم يسرّح الأطفال بعد أن يعلمهم طرق النشل . وكثيراً ما يكون لهم شيخ يسمونه ما نشلوه ، وهو يعطيهم القليل منه ، ويستلب منهم الكثير . وكثيراً ما تنضم إلى رذيلة النشل رذائل أخرى خفية تتضح عند اكتشاف النشالين .

النشوق

ويسمى أيضا السعوط ، هو نوع من ورق الدخان يدق ويضاف عليه قليل من النطرون فيما أظن ؛ وبعد أن يسحق يشتم في الأنف فيهبجه ويسيل الخاط منه .

ومتعاطوه كثيراً ما يحملون معهم منديلا أحر كبيراً للنف . وكانت توجد دكاكين في أكثر الأحياء لبيعه ، وكان استعماله منتشرا خصوصا بين علماء الأزهر ومن اتصل بهم ، لأنهم أجازوا استعماله في المسجد دون استعمال الدخان ، وكانوا عادة يشترونه في قرطاس ويضعون منه في علبة خشبية صغيرة ، وقبل أن يتنشقوا يضرّبون ضربات خفيفة على رأس العلبة لينزل منه ما قد يكون علق به . ولتهبجه أنف المتعاطى يزيد عطاسه خصوصا من لم يعتده . وقد قلّ كثيرا بقدر ما انتشرت السجائر وتدخينها ، وشم الكوكايين وأمثاله .

النظافة

مما يؤسف له أن النظافة لم تنل من المصريين العناية الكافية ، وربما كان الجو عاملًا في ذلك . وقد رُتبت الأمم الشرقية في النظافة فكان الأتراك أولا ، ثم اللبنانيون والسوريون ، ثم المصريون ، ثم الإيرانيون ،

نظام الطبقات

الطبقات في الأمم تنشأ تبعاً للتاريخ ،
ولما كان تاريخ مصر ذا أحداث خاصة
نشأت الطبقات فيها نشأة خاصة .

وقد كثرت الفتحون وتتابعوا من يونان
ورومان وعرب ، وترك وفرنساويين وإنجليز
الخ ... فنشأ عن ذلك أن الفتحين كانوا هم
الطبقة الأرستقراطية دائماً . وأقل منهم
كثيراً الطبقة الفقيرة من فلاحين وعمال
وصناع ، ويكونون أعظم الشعب ، وبين
هؤلاء وهؤلاء طبقة وسطى . ورغم أن
الإسلام سوى بين الطبقات فإن النظام
الاجتماعي فارق بينها . وقد اعتادت الطبقة
الفقيرة احترام الطبقة العالية والذل والخضوع
الشديد لها .

وأظهر الطبقات طبقة الأمراء ، وكان
العلماء طبقة ممتازة يصغى إلى أوامرها العامة
والأمراء معاً ، وكثيراً ما تدخلوا في الحركات
السياسية لهذا السبب ، ولكن ضعف
شأنهم على توالي الأيام ، ولم يعد لهم تأثير
كبير لا على الشعب ولا على الأمراء . وبلى
هؤلاء وهؤلاء كبار الملاك والتجار ، وهم
أثرياء ثروة متوسطة . وفي الزمن الأخير كثرت
عدد وسلاطنتهم . وبلى هؤلاء جميعاً طبقة

ثم الهنود . وكانت ما كولاتهم تعرض في
الطريق للذباب والغبار . وقل من الفلاحين
من يلبس حذاء . وهم يأكلون الفجل
والكرات بعد غسله بماء قذر في الترع ،
ويشربون ماء النيل من غير تقطير ؛ وهكذا
من مظاهر عدم نظافتهم . ولعلمهم يسرون
إلى الأمام سريعاً في سبيل النظافة . وقد تمر
على الأطفال والفقراء فيجزم أن وجوههم
لم تغسل بالماء منذ أيام ، وأن ملابسهم
لم تغسل منذ أن لبسوها .

وتدخل بيت الوجيه وخصوصاً في القرى
فتجد أثاثاً فخاً وموائد فخمة لكنها تنقصها
النظافة .

وقد امتازت بيوت الأتراك في القاهرة ،
والحق يقال ، بالنظافة التامة لما تعودوه في
بلادهم . والحارات البلدية في القاهرة من أدل
الأشياء على القذارة خصوصاً في أيام المطر ،
فوحل وماء قذر ورائحة عفنة ونحو ذلك .

وقد يصادفك وأنت مارت طشت ماء
من الغسيل أتى عليك ! والفقراء عادة
لا يتورعون من رمي مصاصات القصب في
الشارع وقشر البرتقال وقشر الموز وقشر البطيخ ،
فيكون الشارع قذراً مهما كنهه السكناسون .

نعل الجلشنى

الجلشنى مسجد فى القاهرة عند مسجد المؤيد ، وهناك نعل صغير يزعم الناس أنه نعل الشيخ الجلشنى ، والناس يعتقدون فى هذا النعل ويتبركون به ، ويشربون من مائه غرقا من بثره ، وله يوم مخصوص فى الأسبوع هو يوم الأربعاء ، يزار فيه الجلشنى ويتبرك بنعله

النقطة

يطلقها المصريون على أول نقطة ترد من الأمطار إلى مصر ، وتكون عادة فى ١١ بؤونة ، وهم يستبشرون بها وينسبون إليها تنقية الهواء ، ومنع الأمراض ، وخصوصا الطاعون . وقد اعتادوا أن يضعوا فى تلك الليلة قطعة من الطين الجنف يقيسون به الفيضان ، فإن ابتلت بالماء دل ذلك على أن الخير سيكون عظيما ، وهم يعتقدون أنه فى هذه الليلة إذا وضعت عجينة اختمرت لاعتدال الجو ، والمصريون يحتفلون بليلتها . ويسمونها ليلة النقطة .

وللنقطة معنى آخر وهو المال الذى يمنح للعروس أو للعالم ليلة الدخلة ، وكانت العادة أن يوضع منديل فى حجر العروس والمعازيم ينفخن العروسة من المال كل على قدره .

العمال والصناع ، وهم ينقسمون إلى طوائف ، كل طائفة منهم لها نقابتها يفضون مشاكلهم ويرعون أوامرهم بأنفسهم . وآخر طبقة هى طبقة الفلاحين ، وهم أكثر عدداً من قبلهم وأسوأ حالا وأكثر بؤسا وأشد تعرضاً للظلم . ولما جاءت الحروب الكبرى الأخيرة زلزلت هذه الطبقات وجعلت عاليها سافلها وسافلها عاليها ، وأفهمت الطبقات الفقيرة حقوقها ، وعلمتهم الإضراب لنيل حقوقهم . وكان العمال فى ذلك أسرع من الفلاحين وأقدر ، لأنهم متكثرون وتكثلمهم يجعل قيمة لإضرابهم ، ويعلم بعضهم بعضاً المطالبة بحقوقهم . أما الفلاحون فيتفرقون ، وتفرقهم يضعف من شأنهم ؛ على أننا سمعنا فى الأيام الأخيرة حركة جديدة قاموا بها يطالبون بالعدل ورفع الظلم ؛ ولا يعلم إلا الله منتهاها . وكان من أهم أغراض الثورة الأخيرة فى مصر إزالة الفروق بين الطبقات بتحديد الملكية وإلغاء الرتب والنياشين ، ونحو ذلك .

النوميون

هم سكان النوبة وهم سمر الألوان ،
لونهم أشبه ما يكون بلون الحبش . وقد
اشتهروا بالأمانة والنظافة والصلاحية للخدمة ،
ولذلك تراهم يملأون البيوت للخدمة ، كما
يملأون الفنادق والقهوات . ولا يفتي عنهم
البيض ، وكثيراً ما يتزوجون ويتكون
زوجاتهم في بلادهم ، ويأتون إلى مصر
ويقيمون فيها سنوات ثم يعودون إلى بلادهم
للإقامة فيها على الدوام أو بعض أشهر .

وفي الأيام الأخيرة اعتاد بعضهم الوقوف
في الشوارع حيث تقف السيارات ، فإذا
خرج صاحب السيارة أو سواقه نصحه بأن
يسير إلى الوراء قليلاً أو كثيراً ليكنه السير
إلى الأمام في نظير قرش أو نصف قرش .
ولهم لباس خاص ، وهو القفطان الأبيض
أو الجلباب وعليه أو عليها حزام أحمر .

وقد يشاركهم بعض السودانيين في
أعمالهم ؛ وهم أسود منهم لونا ، ولكنهم
لا يكثرون كثرتهم ، وهم بحكم أنهم أقلية
يرتبطون فيما بينهم ارتباطاً كبيراً ، حتى أن
بعض القهاوى يكون كل جلاسها منهم ،
لأن صاحب القهوة ومقدمها منهم .

ويسمون ذلك كله نقطة . وكذلك عند زفة
العريس تقف الزفة على بعض الأماكن ،
وينادى بعض الخاصة : شوبش شوبش !
فينقط من يشاء .

وكذلك تنقط العوالم بعد الزفة . وأحياناً
يرسل الأصدقاء بعضهم إلى بعض هدايا
للمناسبات ، كزواج بنتهم ، أو ظهور ابنهم
أو ابنتهم ، أو عودتهم من الحج ، أو نحو
ذلك ، وتسمى نقطة . وتكون هذه النقطة
كدين على المهدي له ، يؤديها عندما تحدث
مثل هذه المناسبات للمهدي .

التمس

هو حيوان منتشر في مصر ، ويمكن
استئناسه ، فإذا استؤنس أفاد صاحبه بإبادته
للفئران ، ولكنه يؤذيه من جهة أخرى
بأكله للحيوانات الأخرى كالذجاج .
ومعروف عنه أنه يبئد التماسيح الصغيرة ،
ويفحص عن بيضه في الرمل . ويبالغون في
ذلك فيقولون إنه إذا فتح التماسح فم دخل
التمس في فيه فقتله . وفي القوانين المصرية
القديمة نصوص صريحة توجب حمايته وتوصي
به ، لأنه يأكل الفئران والحيوانات الضارة .
والمصريون يطلقون على الشاب الماكر
الماهر الذي يصل إلى غرضه بأساليب ناعمة
« تمس » .

نماذج

نسوق تحت هذه الكلمة بعض نماذج من الأحداث والأشخاص تعتبر نماذج للناس في مصر ، وما كان يجري فيها ، مأخوذة من تاريخ الجبرتي - قال في ترجمة « إيواظ بك » : إن أصل اسمه « عوض » حرّفت باعوجاج اللسان التركي إلى « إيواظ » فإن اللغة التركية ليس فيها الضاد ، فأبدلت وحرّفت حتى صار فيها « إيواظ » ، وهو شركسي الجنس قاسمي ، أى أنه يتخذ الشارة القاسمية ، تولى الإمارة عوضاً عن سيده مراد بك . وقد تلقى مرسوماً بالركوب إلى الصعيد للتغلب على العربان وإجلالهم عن البلاد ، لأنّ الملتزمين والفلاحين يتظلمون منهم ، فجمع « إيواظ بك » نحو ألف جندي وخرج إليهم بموكب عظيم ، ثم طلب الإمداد فأجيب إلى طلبه ؛ فخارب العربان وانتصر عليهم ، ففروا إلى الوجه البحري عن طريق الجبل ، بعد أن نكل بهم تنكيلاً كبيراً ، وقتل بعضهم ونهب جمالهم .

وفي وقعة من الوقعات أخذ منهم ألفاً وسبعمائة رجل بأحمالها . وعاد « إيواظ بك » ودخل القاهرة في موكب عظيم وخلعت عليه الخلع .

ولما عاد إلى مصر وجد بعضهم تترسوا في جامع السلطان حسن ، فخار بهم وانتصر عليهم بعد أمور وحروب يطول شرحها . وحدث أن بعضهم أحرقوا بيت أمير وما لاصقه من البيوت والخوانيت والرّباع ، فركب إيواظ « بك » وأمامه القواس بمزراق ، فاشتبك المزراق في الباب فانكسر ، فبتطير إيواظ بك من ذلك وطلب مزراقاً آخر . وفعلاً انهزم « إيواظ بك » وكانت فتنة كبيرة يقول فيها الشيخ حسن حجازي قصيدة مطلعها :

أيها الشخص لا يكن منك معتب

إن إيذاء خلق ربك معتب

ومنها :

وعلينا مدافع نصبوها

في أعالي الأبراج ترمى بمهلب

وبيوتنا عديدة حرقوها

مع نهب الأموال من غير موجب

وأحاطوا بنا وقد منعونا

استقاء من نيلنا أو مصوب

فمطشنا وماء ملح شربنا

ورمونا بكل ما كان يرب

مدة مستطيلة ثم باءوا

بعقاب لم يبق منهم معقب

والذي ذكرته هنا^(١) مجمل

لو بسطناه ضاق تعبير معرب
ويستفاد من هذا الجزء أشياء كثيرة منها :
(أولاً) كثرة فساد العربان وتأديبهم
بالتقتل والتشريد .

(ثانياً) كثرة المظالم على الناس بشق
أنواعها .

(ثالثاً) تحريف الأتراك لكلمات
عربية إلى نطق غريب تركي ، كتعريفهم
عوض إلى « إيواظ » .

رابعا : احتمال الأهالي الظلم وصبرهم عليه
خامساً : ضعف الشعر ، ومع ذلك
عنايته بتسجيل الحوادث إلى غير ذلك .

النموذج الثاني : شيخ العرب همام بن
يوسف كان غنياً كبيراً ، ملجأً للفقراء
والأمرء ، ومحط رجال الفضلاء والكبراء .
تنزل بجرمه قوافل الأسفار ، إذازات بساحته
الوفود والضيوفان ، تلقاهم الخدم وأنزلهم في
أما كن معدة لأمثالهم ، وأحضروا لهم
ما يحتاجون إليه ، من سكر وشمع غسل
وأوان ، ثم يحضرون لهم مرتب الطعام في الغداء
والعشاء ، والطور ، وفي الصباح تحضر
المربات والحلوى ، سواء كانوا يعرفونهم

(١) هنا من غير مد الألف للوزن .

أو لا يعرفونهم ، وإن أقاموا على ذلك شهوراً
لا يختل نظامهم . وكان ينعم بالجواري والعبيد
والسكر والغلل والتمر والسمن والعسل .
وكان الفراشون والخدم يهيئون الفطور من
طلوع الفجر إلى ضحوة النهار ، ثم يشرعون
في أمر الغداء من الضحى إلى قرب العصر ،
ثم يبتدون في أمر العشاء . وعنده من
الجواري والسرائر والماليك والعبيد الشيء
الكثير . وكانت أملاكه واسعة ، فله في
زراعة القصب وحدها نحو اثني عشر ألف
شونة ، وكانت شون غلاله لا تمد ، تكتل
أنلالا . وعنده من الأجناد والقواسم الشيء
الكثير ، فيقضى الأقباط والمحاسبون عنده
زمناً طويلاً ليلاً ونهاراً ، لمحاسبته وبيان ما له
وما عليه . وإذا جلس مجلساً عاماً وضع بجانبه
فنجانا فيه قطن وماء ورد ، فإذا قرب منه
الأجلاف وتحادثوا معه وانصرفوا ، مسح
بتلك القطنة عينيه وشمها بأنفه حذراً من
رأحتهم . وكانت له صلوات بالعلماء والأمرء
كالسيد مرتضى الزبيدي وغيره .

وهذا منظر آخر يصور لنا السكرم
العربي مع الغنى العريض والجاه الواسع ،
كما يصور لنا نوعاً جديداً من الحياة التي
يحياها هؤلاء الأغنياء المترفون من الأعراب .
ونموذج ثالث يمثل لنا حياة العلماء في

ذلك العصر : كالشيخ حسن الكفراوي ، فهو عالم من علماء الأزهر ، وُلد ببليدة كفر

الشيخ ، ومن ذلك سُمي الكفراوي . وقرأ القرآن ، وحفظ المتون بالحلة الكبرى ، ثم

حضر إلى مصر وحضر على شيوخ الوقت ، ومهر في الفقه والمقول ، وتصدّر ودرّس

وأفتى ، وتداخل في القضايا والدعاوى ، وفصل في الخصومات بين المتنازعين ، وأقبل

الناس عليه بالمدايا ، وتجمّل بالملابس وركوب البغال ، وأحدق به الأتباع . ووفدت عليه

الناس ، ثم تزوج بنت جزار بالحسينية ، وسكن بها ، واحتاط به أهل الناحية ، وصار

له بهم نجدة على من يخالفه أو يعانده ولو من الحكام . وتردّد على الأمير محمد « بك »

أبو الذهب قبل استقلاله بالإمارة . فأحبه محمد « بك » وحضر مجالس دروسه في شهر رمضان بالمشهد الحسيني .

فلما استبد محمد « بك » بالأمر لم يزل يراعى صحبته ، ويقبل شفاعته في المهمات ،

ويدخل عليه من غير استئذان في أي وقت أراد ، فزادت شهرته . ولما بنى محمد « بك »

جامعه عين الشيخ حسن رئيساً له . واجتمع المترجم له بالشيخ صادومه المشعوذ ، وكان يدعى

أن شعوذته من باب الولاية والكرامات ، إلى أن اتضح أمره ووافاه الأجل والحمام بعد

أن تمرّض شهوراً وتعلل ، ولم يكن مثلاً للعلماء الزاهدين . رحمه الله .

يستنتج من هذا :

١ — أن بعض العلماء كان واسطة بين العامة والأمر .

٢ — بعض العلماء يؤيد المشعوذ في شعوذتهم .

٣ — استنجاد العلماء أحياناً بالشارع ورؤساء الحرف والصناعات ليحتموا بهم عند اللزوم .

ونموذج من الأمراء في عهد المماليك للأمير عبد الرحمن كتحفة :

كان لما مات سيده لم يأخذ شيئاً من المال الموجود . فغضب وخرج من وجاقهم إلى

وجاق آخر ، فلما مات واطع يده على أمواله انتقل الأمر إلى زوج أم عبد الرحمن ،

فاستدعاه وسلّم له التركة بأجمعها ، وكان شيئاً يجلب عن الوصف . فرجع عبد الرحمن إلى

وجاق الانكشارية ، وعلا أمره من حينئذ . ثم تولى الإمارة فأبطل خامير حارة اليهود ،

وأنشأ كثيراً من الأسبلة والسكتاتيب ، وزاد في الجامع الأزهر مقدار النصف ،

وبنى له فيه مقبرة . وعلى العموم أنشأ عمارات كثيرة في

هذه نماذج من تركي وشيخ عرب
وعالم وأمير . وهي تمثل أصناف الناس من
الطبقة الوسطى والعليا ، ولا يختلف عنهم
أمثالهم إلا قليلا . فقد يزيدون في بعض
الصفات وقد ينقصون . ويمكن أن نتصور
الشعب المصري من هذه النماذج على قدر
الإمكان ، إلا أفراداً شذوا في باب الخير
أو باب الشر ، فمنهم من زهد في الدنيا ،
ومن الحكام من عدل ، ومن العلماء من
تورع أو تصوف ، ولكن عددهم قليل ،
والعبرة بالغالب .

النيل

تعد مصر بحق هبة من هبات النيل ،
وقد سمي النيل نيلا من اسم نيلوس ، أحد
الفراعنة القدماء ، لما قام به نحو النيل من
جلائل الأعمال . وقد بهر النيل أبصار
اليونان فقرر بعضهم أن الماء أصل الكائنات
وأسسوا مدينة أطلقوا عليها اسمه ، وشادوا
هيكلًا فخماً كان النيل في هذا الهيكل ممثلاً
في صورة شيخ تحته مرمر أسود ، رمزاً إلى
بلاد الحبشة ، وكل رأسه بالسنابل ، واستند
إلى تمثال أبي الهول ، وجعل عند قدمه تمساح
وفرس بحر ، حيث يصب النيل ، وأحيط
بصورة تمثل الستة عشر طفلاً ، ترمز

كل حي . وكان إذا جاء رمضان اجتمع
الفقراء على باب بيته فأخرج لهم اللحم والفت ،
وأعطى كل رجل سحوره ، ثم اشتد ساعد
على بك الأمير عدوه ، فأخرجه من مصر
وأبعده إلى الحجاز . ولما رجع من الحجاز
رجع ممرضاً فلم يلبث إلا قليلا ومات ،
وخرجوا بجنائزه في مشهد حافل حضره
العلماء والأمراء والتجار ومؤذون المساجد ،
وأولاد الكتائب التي أنشأها ، ودفن بمدفنه
في الأزهر . وكان كثير قبول الرشوة . صادر
الأغنياء على أموالهم ، واقتدى به في ذلك
غيره ، حتى صارت الرشوة سنة مقررة .
وكذلك كان يصلح على تركات الأغنياء
التي لها وارث .

ومن أكبر سيئاته إثارته العدا بين
الأمراء وتسليطه بعضهم على بعض . ولذلك
تنفسوا الصعداء لما أخرج من القاهرة .

نستنتج من ذلك :

أن الأمراء كانوا يظلمون ويتصدقون
ويبنون الأسبلة والمساجد ظنا منهم أن هذه
تغفر لهم سيئاتهم ، كما تدلنا هذه السيرة على
ما كان في تلك الأزمان من جور وفساد ،
وسلب ونهب . وما أكثر ما احتمال
المصريون !

أوضاعهم اللطيفة إلى ما كسبوه من نعمة فيضان النيل . واشتهرت شلالات النيل شهرة عظيمة من أكبرها شلال أسوان ، ويسمى خريير الماء منها من مسافة بعيدة . وقد كان الشلال جبلا كان يعترض النيل ، فتمكن من قطعه في عدة مواضع حتى يمر الماء منه ، خصوصاً في أيام الفيضان . ويتكون مجرى النيل من ماء وطمي ، ويختلف عرضه وعمقه بحسب الأماكن ، كما يختلف ضفتا النيل ، صغراً ، وكما يختلف في أيام الفيضان ، وأيام التحاريق ؛ ويمر النيل وترعه بجميع مدن القطر المصري وقراه ، وتقوم على قراه القصور والعزب . والنيل كثيره من الأنهار تزداد مياهه سنوياً عقب الانقلاب الصيفي . وحدّه بالفيضان ستة عشر ذراعاً إلا في سنوات نادرة ، ويبدأ الفيضان في جهة الحبشة في أبريل ومايو ويؤنيه على أثر نزول الأمطار الغزيرة ، ثم تمرّ المياه في الخرطوم في أوائل أبريل ، ولا تظهر في القاهرة إلا في النصف الأخير من يونيو ؛ أعني أن المياه تصل إلى القاهرة في نحو ثلاثة أشهر .

وسبب هذا البطء أن المياه الأولى للفيضان تذهب في الطريق قبل وصولها إلى مصر العليا ، وينصرف بعضها إلى جهات

مختلفة كثيرة ويرشح بعضها ، والزيادة في النيل لا تأتي مطردة منتظمة ، بل قد تختلف زيادته في بعض السنين ، وقد تجيء متأخرة ، وفي أواخر سبتمبر أو أوائل أكتوبر تبلغ الحد الأعلى من ارتفاعها ، ثم تهبط بالتدريج حتى تكون التحاريق في مارس وأبريل ومايو . وليس الفيضان كما يظن بعض الناس الأجانب سيحان النيل على الأرض فيغمرها كالطوفان وإنما هو عبارة عن امتلاء مجرى النيل وترعه وارتفاع الماء فيهما ، وإذا بلغ النيل حداً مناسباً لرى الأراضي ، وذلك يحدث في النصف الأخير من غسطس ، احتفل في القاهرة بفتح الخليج الذي كان يخترقها من جانب إلى جانب ، فيضيئون الأنوار ، ويطلقون الأسهم النارية بأشكال مختلفة ، وتعزف الموسيقى ، ويعنى الغنون ، وتسير في النيل زوارق مزينة بالأعلام . وقد كان شائعاً أن المصريين يرمون فتاة جميلة في النيل محلاة بالزهور ؛ وقد أبطلها عمر بن الخطاب ، ثم ظهر أنها خرافة كاذبة ، وأنهم إنما يرمون هيكلا من الطين على شكل فتاة . وكثير من مياه النيل يضيع سدى في البحر الأبيض المتوسط من فرعى دمياط ورشيد . وللنيل في القاهرة مقياس في الروضة قديم تجاه مصر العتيقة ، وهو عبارة عن

استعداده . وقد كان هذا العمل رائجاً في مصر ثم كاد يندثر مع المدنية .

وكثير من ماء النيل يذهب رشحاً في باطن الأرض ، بسبب ضغط مائه على ضفتيه وتخلل أجزاء الأرض .

وفي الأرض عروق يجرى فيها الماء كأنها قنوات ، ويأخذها المصريون بواسطة الآبار الارتوازية أو السواقي العميقة . وفي العادة يحمّر ماء النيل في أيام الفيضان ، ويخضّر في أيام التجاريق . ومن الغريب عزوف الرجال عن شرب الماء المقطر أو المرشح ، أو بعبارة أخرى من الطلعات ، لأنهم يعتقدون أن ماء النيل أبعث للقوة .

عمود من المرمر الأبيض ، قائم وسط بحيرة تتصل بالنيل ، والعمود ذو ثمانية أوجه ، مقسم ستة عشر قسماً ، كل قسم منها ذراع ، فإذا ارتفع النيل ارتفع ماء البحيرة فأمكن قياسه . وقبيل الاحتفال يمرّ المنادون على أبواب البيوت ويفنون أغنيات مختلفة منها :
البحر زاد! غرق البلاد! .. والأطفال
حولهم يجيبونهم في كل نداء بقولهم : عوفاً لله!
بإمالة الألف إلى اليمين . وربما كان أصلها
أوفى الله ، أى أوفى الله النيل ؛ فإذا انتهى
الاحتفال بالخليج صرّ المنادى وأطفاله على
البيوت يوزعون بعض البلح والليمون الحلو
والبرتقال الحادق ، يرجون بذلك المسكافاة
بقرشين أو خمسة أو عشرة . كلٌّ على حسب

حرف الهاء

هرجلة

معناها الفوضى . والمرجلة كثيرة في مصر . ومعناها عدم النظام . تجدها عند حضورك سينما أو تمثيلا ، وتجدها في المجتمعات وفي الأفراح ، وخصوصا عند حضور أولاد البلد أو تلاميذ المدارس . وتجدها في الرجال والنساء ، وفي التلاميذ حين يضربون ؛ فقسم يريد الإضراب ، وقسم لا يريد ، وقسم يهتف لهذا ، وقسم يهتف لذلك . ولم يتعلموا بعد المظاهرات الصامتة . فإذا تظاهروا كسروا الترام وفوانيس الشوارع ودكوا كين التجار .

وتجد الفوضى في المصالح أيضا ؛ فورق هنا وورق هناك ، وورق يضع بين الموظفين . وهرجلة أخرى في الملابس ، فهي متعددة الأشكال : عمة وطربوش ، ولبدة وطاقية ، وجلبية وجبة وقفطان ، وجاكتة وبنطلون ، إلى آخر أنواع الهرجلة .

حتى يحسبهم الإفرنجي إذا نظر إلى الشوارع المصرية لأول مرة أنهم كرنبال . وفوضى في مجالس الفناء ؛ ففي كل نعمة آه وآهات ! وحديث بصوت عال مع الجار ، ونحو ذلك .

الهزل

يسمى الهزل ، ويسمى المزاح ، ولم في ذلك أعاجيب ذكرنا بعضها عند الكلام على النكتة والفكاهة فارجع إليهما .

هزيمة الجيوشى

هى نوع من العزائم المشهورة ، وصفتها أن يكتب الختام الآتى : —
في كاغد أخضر بماء ورد وزعفران
ويبخر بلبان الذكر والمستكا ، على أن يكون الطالع هو الميزان والساعة للشمس ، ويجعل تحت الذى يريد منازلة أعدائه ، ويستعمله أيضا قائد الجيوش فإنه يتغلب على أعدائه ، وهذه صورته :

سيهزم	الجمع	ويولون	الدبر
الجمع	٥٥	٥٥	ويولون
ويولون	٥٥	الجمع	الجمع
الدبر	ويولون	الجمع	سيهزم

ويستعمل أيضا في قضاء الحوائج وعند الدخول على العظماء .

هشك

إذا لاعب الأب أو الأم طفلها الصغير
فأمسكاه بين أيديهما ورفعاه إلى فوق يقال
لهذه العملية « تهشكة »

الهلال

هو القمر أول ما يبدو ، وللمصريين
عقيدة كبيرة فيه ، فإن رؤيته تؤثر في الشهر
كله . فإذا رآه أحد هلالاً وابتهل إلى الله
وقال : « اللهم اجعله شهراً مباركاً علينا وعلى
من يتصل بنا » وعندهم عقيدة فيه مربوطة
بوجوه الناس ، فمنها وجوه خيرة ، ومنها
وجوه شريرة ، فإذا فتح الإنسان عينه أول
ما يرى الهلال على وجه سعيد كان الشهر كله
ذا حوادث سعيدة ، وإن فتح عينيه على وجه

نحس كان الشهر كله بؤساً . ولذلك يكف
بعض الناس عن رؤية أى أحد ، ويتعمد
بعده أن يفتح عينيه على المرأة ليرى فيها وجهه
كأن وجهه أسعد مخلوق .

وبهذه المناسبة إذا حصل خسوف للقمر
أو كسوف للشمس دق الأطفال والنساء على
الصفيح والنحاس يصيحون صيحات مختلفة ،
لاعتقادهم بأن الجن خفت القمر أو الشمس ،
وهم بهذا الدق والدعاء إذ يدعون : يا لطيف
يا لطيف ! يظنون أنهم يبعثون الجن عن
القمر أو الشمس !

هنومة

يطلق على المرأة الجميلة الحسنة التقاطيع
« هنومة » ، ويسمون نوعاً من السمك أيضاً
« هنومة » ، فلعلهم شبهوا المرأة الصبوح بها .

حرف الواو .

الواو

ومعه بعض الأفراد ، وعلى أهل القرية أن يؤكلوا للمتزين ومن معهم خرفانا ووزا ونحو ذلك ، وتسمى هذه وجبة .

وأحيانا يكون المتزيم قبطياً فيأتى هو أيضاً من الظلم والعسف مع المسلمين ما يشفى غليله وهو يدخل القرية عادة في موكب عظيم من الخدم والحشم ، ويركب عادة فرساً مسرّجة لها ركاب مطلى بالذهب ، وللكاب حديدتان خارجتان ، فإذا أرسل إلى الفلاح الذى عليه الإيجار حضر يرتعد من الخوف ، ويقف بجانب فرسه وهو راكب ، ويسبه ويغلظه القول ويقول له :

«لابد ن تحضر ماعليك الآن وإلا أضربك بهاتين الحديدتين فيجرحه أو يميته» . وتوزع عادة الوجبة على الفلاحين بحسب غنمهم وفقيرهم ، فهذا عليه خروف ، وهذا عليه وزّة وهذا عليه فطير ، وهكذا . والفلاحون يرتعدون منهم ، وقد يحرمون أنفسهم طول السنة ويضنون بالشاة أو الوزّة على أولادهم ليقدموها وجبة للمتزيم . وأحيانا تحوّل الوجبة إلى مال يزداد على الإيجار ويدفع معه . ويروون فى تاريخ مصر حادثاً غريباً ، وهو أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كان السلطان فى زمنه قد ولّى صرّافاً قبطياً على إقليم يقبض ماله ، فاتفق أنه ذهب إلى قرية

حرف الواو فى اللغة العامية يساوى عند الإفرنج O ، وهو واو خفيفة وواو ثقيلة . والنوعان يظهران فى كلمة بوسة ودلّوعة ، مع أنه فى اللغة الفصحى ليس هناك إلا النوع الثانى ، كيلقبون ويقروّون .

واوا

يقولها الطفل إذا أحس بوجع ، وقد يسمى موضع الوجع نفسه « واوا » ؛ ويظهر أن أصلها قبطية قديمة .

الوجبة

هى اسم للمرّة من الشىء تعمل فى وقت معين ، فيقال وجبة الطعام ، أى الأكلة التى تؤكل فى وقت معين دورى ، ووجبة العمل أى العمل المفروض على شخص يعمل فى وقت معين ، كوجبة الخفير أو التلفراخى ، وكان الفلاحون يطلقونها على المتزيم عند ذهابه لتحصيل المال من القرية . وذلك أن الأراضى الحكومية كانت تؤجرها الحكومة للمتزين وهم الذين رسا عليهم المزاد ، وهم يؤجرونها لصغار الفلاحين بأجور مرتفعة ، ثم يذهب هؤلاء المتزيمون للقرية من حين لآخر ليأخذوا الإيجار . والمتزيم فى العادة يذهب

والذي ألبأ السلاطين إلى تعيين الأقباط
مهارتهم في الحساب ، ولذلك قال قائلهم :

لعن النصارى واليهود جميعهم

نالوا بمكر منهم الآملا

جعلوا أطباء حسابا لكي

يتقاسموا الأرواح والأموالا

ولذلك كان من الفتاوى في ذلك الوقت

هل يصح الخضوع للنصارى واليهود إذا ولّوا

على المسلمين ؟ وكان الجواب :

إن خدمة المسلم للكافر حرام ، وكذلك

الخضوع له والتذلل بين يديه ، ما لم يخف

منه ضرر أو أذية ، بأن يكون حاكماً

أو متولياً أمراً كالصرافين في ديار الفلاحين .

وظلّ الصرافون من هذه الفئة إلى عهد

قريب . وكثيراً ما ترك الفلاحون أراضيهم

وأملاهم من الإيجار والوجبات .

وَحْوَى وَحْوَى

هي أغنية منتشرة في رمضان بين

الصبيان ، يجتمع الأطفال بعد التطور وبأيديهم

فوانيس صغيرة مضاءة بالشمع ، زجاجها

ملون بألوان مختلفة ، من أحمر وأخضر وأزرق

وأصفر ، وينشد منشدهم : وحوى وحوى !

فيجيب الآخرون بإباحة ! ثم يستمر المنشد

« بنت السلطان ، لابسه قفطان ، بالأحمر ،

ابن دقيق العيد ، فأحضر الصراف فلاحا

وطالبه بما عليه ، فقال له الفلاح أمهلني بقية

هذا اليوم ؛ فلم يقبل ، وأراد أن يضربه

بالحديدتين ليقتله . ويسمونهما « السفايت »

واحدتهما « سفوت » ، وربما حرّفت التاء

إلى الدال . فوّلّى الفلاح هاربا ، فتبعه القبطي

وما زال الفلاح يجرى حتى رمى نفسه بين

يدي الشيخ . وكان الشيخ يحرق قمينا من

الجير ، وهي صنعة الشيخ في ابتداء أمره ،

فقال له الشيخ أمهله بقية النهار ، فلم يقبل ،

وأغلظ له في القول ؛ فقام إليه الشيخ غاضباً

وأمسكه وانكأ على ظهره حتى قفصه وألقاه

في تنور القمين فاحترق . وبلغ الأمر السلطان

فغضب غضباً شديداً واستحضر الشيخ وقال

له : ما حملك على حرق القبطي ؟ قال له

ما حملك أنت على تولية النصارى على المسلمين

وأذيتهم ؟ فزاد الغضب بالسلطان وأراد أن

يبطش به .. قالوا فأشار الشيخ إلى الكرسي

الذي يجلس عليه السلطان فتحرك ، وانكب

السلطان على الأرض مغشياً عليه ، ثم أفاق

السلطان فقال له : اعف عنّي أيها الشيخ !

قال له : أنا لا أريد شيئاً إلا أن لا تؤمر

النصارى ولا اليهود على المسلمين وإلا

هلكت . وخرج الشيخ من عنده على غاية

من الكرامة والتبجيل ، وذهب إلى قريته .

بالأخضر ، بالأصفر » وينشد الأطفال وراء كل كلمة « إيّاحة » ، ولا أدري معناها هل هي كلمة مصرية قديمة ، أو هل هي مشتقة من حوى يحوى ، أى عمل كما يعمل الحواة ، بدليل قولهم : لولا فلان ما جينا ، ولا تعبنا رجلينا ، ولا حويينا ولا جينا ...

ورده

يقولها الحوذون للمساة بمعنى احتس أو خذ بالك . وهي مأخوذة مع التحريف من أصل إيطالى Gardez أى ترقب وانتبه أو من البرتغالية Garda أى الرقيب والمنبه .

الوقاية

يعتقدون أن للعين تأثيراً كبيراً فيمن تقع عليه . فيتقونها بالرقي تارة وبالأحجبة مرة أخرى . ويعللون كل الأمراض بالعين وبالحدس ، ويسمونها أحياناً « نفس » حتى الحمى . ولعلاج ذلك تأتى العجوز فتوقد ناراً ترمى عليها قطعاً من الشب والفسوخ أو الجاوى ، فتى ذاب تبخرت مائيته ، فيأخذ

ولادة الذكور

قالوا إن الرجل إذا أراد أن تلد امرأته الذكور فليضع يده اليمنى على سرتها وهي نائمة ، ويمسح على السرة وهي فى ابتداء حملها ويقول ثلاث مرات وهو يديم المسح بيده : اللهم إن كنت خلقت خلقاً فى بطن زوجتى هذه فكونه ذكراً وأنا أسميه محمداً . رب لا تدزنى فرداً وأنت خير الوارثين . فبشّرناه بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ، وبشّروه بغلام علم .

حرف الياء

يارمز

كانت في القاهرة طائفة يسمون «يارمز» لا أعرف اشتقاقها ، وكان من أوصافها أنهم يلبسون جلباباً أزرق ، ويتحزمون عليه ، ويرفعونه حتى يكون له منهم عب ، ويلبسون طربوشاً من غير عمامة ، وله زرز أزرق ، ويحركون رقبتهم حركة متتالية حتى يدور الزر بسرعة ، ويصفع كل منهم وجه الآخر ، فتكون لعبة يتصاحك عليها .

وقد يحملون طبله تحت إبطهم يطبلون عليها وفقاً لحركات الزر . وهم أشبه ما يكونون بطائفة الأدبائية التي ذكرناها .

يا فرج

يمشى في القاهرة رجل يلبس جلباباً أبيض ، ويضع عصاً مستعرضة على كتفيه وينادى : يا فرج ! فمن سمعه فهم منه أنه يخرج الثعابين من مكانها ، فإذا نودي عليه أدخل مظان الثعابين وعزّم تعزيمات فيخرج الثعابين من مكانه . ولا أدري هل يخرج الثعابين لشيء يحمله هذا الرجل يشتميه الثعابين أو غير ذلك .

على كل حال هذا هو ما شاهدته . ومن وظائفه أيضاً أنه ينزل الدود من أنف

الأطفال بما يدعيه من العزائم . وكثيراً ما يكون ذلك من وضع دود في كفه ينزل من أنف الطفل بحركة سريعة منه .

اليانصيب

هي كلمة ينادى بها على أوراق «اللوترية» سموها كذلك لأنها تكون من مئات الآلاف ، ثم يربحها عدد محدود من غير سبب معروف . وقد يكون رابحها أبعد الناس عن استحقاقها ، ومحرومها أكثر استحقاقاً لها ، فيربحها الغني المفرط في الغنى ، ويخسرها الفقير الممغن في الفقر ، فكان ربحها أو خسارتها مبنيان فقط على البخت ، أو بعبارة أخرى النصيب ، ولذلك نادوا عليها يا نصيب . وانتشرت هذه الكلمة عند الإفرنج بأن المصريين أكثر الناس اعتقاداً في القضاء والقدر والبخت والنصيب ، كما أخذوا منهم كلمة «قسمة» . وهي تساوي «قدر» .

اليفط

أولع المصريون باليفط ، كتبت بخط جميل ووضع عليها لوح من الزجاج ، ثم صنع لها إطار من خشب ، فيتجدد في القاعات : بسم الله الرحمن الرحيم . وإنك لعلی خلق عظيم . وتجدها في الدكاكين ، وخصوصاً :

ذلك النوادر اللطيفة الكثيرة عنهم؛ فإذا رأوا من المسامحة من يبخل ويدقق في الحساب قالوا له أنت يهودى ، وهم لأنهم أقلية أكثر ما يكون تعاوناً بعضهم مع بعض وامتاز بعض نساءهم بالجمال ، وهم حيث ما كانوا يحترفون التجارة ويسيطرون على المال . حتى إنهم في أمريكا وعددهم فعلا لا يتجاوز الستة ملايين ظهروا على سكانها وهم نحو أربع مائة مليون .

ولهم نظر نفاذ في نوع العمل الذى يسيطرون به على الأمة التى يسكنون فيها ، من طب وأعمال بنوك واستيلاء على الصحافة وتدریس ونحو ذلك .

ولهم مهارة فى نشر الآراء والتعاليم التى تزلزل العقائد وترج الإيمان . وفى حرب فلسطين حاربوا الأمم الإسلامية بغاية ما وصل إليه العلم والسياسة من الأساليب الحديثة ، يحاربون بها التقاليد القديمة .

إن الله هو الرزاق العظيم . ورب يستر ولا تعسر . ووضع على رأس القضاة : العدل أساس الملك ، تذكيراً لتحقيق العدل . وكثير يستغنون بها عن صور المناظر الطبيعية أو صور الفنانين .

اليمنى واليسرى

يعتقدون البركة فى البدء باليمنى سواء كانت يداً أو رجلاً ، فيلبسون النعل اليمنى قبل النعل اليسار ، والسك اليمنى قبل السك اليسار ، ويعتقدون أن يدخلوا البيت والمسجد بالرجل اليمنى ، وعلى العموم يتيمنون باليمنى ويتشائمون من اليسرى .

اليهود

فى مصر طائفة كبيرة من اليهود ، امتازوا بالمحافظة على جنسهم ، والانطواء على أنفسهم ، كما هو شأنهم فى كل بلاد العالم ، ولهم حارة فى القاهرة تسمى حارة اليهود ، لا يسكنها غيرهم . وقد عرفوا ببياض بشرتهم وزرقة عيونهم . وامتازت وجوههم بسحنة خاصة يعرفها من اختلط بهم . ولهم شهرة واسعة فى الأعمال التجارية وصياغة الخلى .

وعرفهم المصريون بالبخل ، ولهم فى

يوم الجمعة

يعتقدون أنه يوم مبارك، وتستحب فيه الأعمال، ولكن فيه ساعة نحس لا يعرف متى هي. وهو يوم راحة للمسلمين تغلق فيه أكثر الدكاكين ويستراح فيه من أعمال الأسبوع؛ ويزاحمه في ذلك يوم الأحد لأنه عند النصارى كيوم الجمعة. ومن كان يعمل عند النصارى اضطر بحكم الضرورة أن لا يعمل يوم الأحد.

وهناك يوم جمعة يقال له الجمعة اليتيمة،

ذلك أنه كان في زمن الفاطميين أربعة مساجد: الأنور، والأزهر، والأقر، ومسجد عمرو بن العاص في مصر العتيقة، فكان الخليفة يصلي كل جمعة في مسجد من هذه المساجد، ويجعل آخرها في مسجد عمرو، فيسمونها الجمعة اليتيمة، أي الجمعة التي لا جمعة بعدها في رمضان. ولا تزال هذه العادة جارية إلى اليوم مع تعدد المساجد وكثرتها. وذلك كقولهم «أربعاء لا يعود» وهو الأربعاء الذي قبل شم النسيم..

التعايير المصرية

(حرف الألف)

المغنى استيحساناً له ، وهى بالمدّ . ويقولها المريض وهو يتأوه ، ويمدها على حسب مرضه . ويقولها بالخطف من رأى منظرأ غريباً ، خصوصاً إذا كان مرعباً ، وتقال أيضاً بالمدّ بمعنى نعم . ومثلها فى هذه الاستعمالات ما عدا معنى نعم لفظ الجلالة « الله » .

آهين

هى تشية آه . فإذا زاد الوجد على العاشق ، فبدل أن يقول آه يقول آهين . وأحياناً يجمعونها على آهات .

آه يا وعدى

أى ما أكثر ما ألقاه منك .

آبات أعلم فى المتبلم ، يصبح نامى

تقال للشخص الذى ينسى ما يذكره له ، ولا يتعلم مما يجرى أمامه . والمتبلم تطلق على الأبله والساهى ، وخصوصاً من يتعاطى المنزول .

آبات مهنى والحسن مسنى

يقولون : إن فأراً فى الصحراء كان مع

إلى شمر

تقال لمن يغضب من أى كلمة ولو تافهة ، فيقولون : يغضب من إلى شمر .

آدى آخرتها

تقال للنتيجة تعقب العمل السيء .

آدى زمان البدينجان^(١)

يعتقدون أنه فى زمان البدينجان يكثر الجنون .

آدى الزير وآدى غطاء

يعنى أنهما مقياسبان . أى إن البرهان حاضر ، فإذا قلت إن الغطاء ليس على قدر الزير ، أو الزير ليس على قدر الغطاء ، فهذا هو الزير ، وهذا هو غطاء ، يحكمان بيننا .

آدى اللى صار وآدى اللى كان

أى هذا ما حدث .

آه

تستعمل فى اللغة العامية استعمالات كثيرة ، قصيرة ومدودة ، فيقولها من يسمع
(١) البدينجان هو اللفة الشعبية للبازنجان .

أَجْرَنَهُ

أصلها من أجل أنه .

أَعَزَّهُ

أصلها : أعزُّ أنه ، ثم استعملت بمعنى
أفرض .

أحلق شنبِي لو حصل ده .

حَلَقَ الشنب كناية عن أن يكون
امرأة لا شنب لها ، أى إذا حصل هذا فأنا
امرأة لا رجل .

أخليك تمشى عَ العجين ما اتلخبطوش
أى لأؤدبَنَّك أدباً يجعلك تمشى مستقيماً .

إِدَّالَهُ سَلَوْتُ

أى رفضه بالرجل ، واشتقوا منه فصلاً
فقالوا سَلَّتْ له

إِدَّالَهُ قَلَمٌ بِعِزْمٍ مَا فِيهِ

القلم : الصفع ، أى صفعه بكل قوته .

إذا حضرت الملائكة ذهبت الشياطين

أى إن حضر رجال الخير ، ذهب
رجال الشر .

فقره حُرّاً ، فأضافه فأر القرية ، فلما أمسك
ندم على ما فعل ، وقال : إنه كان خيراً أن
أبيت فقيراً متهنئاً ، ولو اقتصرت على
لحس مسئياً .

أَبَّ لَهُ

إذا رُئِيَ ولد يفعل فعلاً جيداً أو رديئاً ،
وقد ورثه عن أبيه إذ كان معروفاً به : قالوا
أَبَّ له . وقريب منه قولهم : هو ابن مين ؟؟

أَبُو لِسَانِ زِفْرٍ

أى هجاء شريـر كثير السب .

إِبعِدَ عن الشر وغيَّ له ، قال وقئله

أى ابعِدَ عن الشر وغيَّ له ، حتى
يبعد ، قال ولا تكتمف بذلك ، بل اجعل
بينك وبينه قناة .

أَنَارِي

يقولونه للرجل يأتى بما ينتظر منه . فمثلاً
إذا ظهر غنى رجل قالوا فيه أنارِيه بيضـيع
كثير ، بمعنى لأنك غنى تنفق المال الكثير .
وتقال أيضاً للشئء يتعجب منه فيعرف سببه
يقول الرجل للضيف أنارِي الدنيا نورِت ،
أى كنت لا أعرف سبباً لهذا النور ، ثم ظهر
السبب . ويضيفون إليه الضمير أحياناً
فيقولون : أنارِيه وأنارينا .

أَرْدَفَانَةٌ

يستعملونها في المائدة الكثيرة الأكل
المشوشة .

أروح فين وآجى أمنين

يقولها الرجل عندما يبحر ، وتسد أمامه
المسالك .

اسم النبي حارسك

تقال لدفع العين . وتقال أيضا لمن
أشرف على مكروه .

استنجلينا

كلمة دخلت في اللغة العامية حديثا
بمعنى الجنون يقولون فلان استنجلينا أى
بعقله خبل .

أصبح حاله عدم

أى صار يائسا ، فعدم كل شىء
وخصوصا الصحة .

أطلق مُنادى

إذا ضاع شىء وأجروا بعض أشخاص
مخصصين للنداء يقولون : أطلق عليه منادى .

إكفى على الخبر ماجور

أى احفظ هذا السر ولا تَدْعُهُ .

أكل في المسمط لسان

المسمط محل بيع حوائج الخروف ونحوه
من لسان وفشّه وكوارع ورأس .

إكته

يستعملونها كثيرا بمعنى لأن ،
فيقولون : إكته أبوه غنى بضيع كثير ،
واكته أبوه غنى جايب له عريية . وأحيانا
يستعملونها مفردة ، ويستغنون عما بعدها .
فيقولون إذا رأوا أحدا يفعل شيئا في إعجاب
ودلال : اكته .

إلا

تستعمل للاستثناء ، وهو العادة المألوفة ،
ولسكن الغريب أنها تستعمل بمعنى « بهذه
المناسبة » ، يقولون « إلا » فلان سافر ؟؟
و « إلا فلان تزوج ؟؟ » أى بهذه المناسبة
هل سافر فلان ، وهل تزوج ... ؟ ويظهر
أن أصلها في هذا المعنى : هَلَا .

السطة

كلمة إيطالية معناها (مستعد ، متهيئ)

أنا بَدِّي

أى بوَدِّي ، أى أحب كذا ، فأنا بَدِّي
أزوج ، أى بوَدِّي أزوج .

أنا فى حالى وانت فى حالك

أى أنا فى شأنى وأنت فى شأنك ، ومثلها
روح فى حالك ، ومثله رَاحَ أَلأقيها منين
واللا امنين ، أى لا أدرى من أى جهة تاتى
المصائب ، من هنا أو من هنا .

إنت ممروع ليه ؟

أى متكبر متعنطر ليه .

إنت اللى فيهم

أى الشخص البارز الذى يعتمد عليه
من بين أصحابه .

إن شاء الله

تعبير يكثر على ألسنة المصريين ، فهم
إذا وعدوا بعمل شىء شفعوه غالباً بقولهم :
إن شاء الله ، اعتماداً على قوله تعالى :
« ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن
يشاء الله » وهو يعتذر إذا لم يفعل الشىء ،
بأن الله لم يشأ ، وقد علق الأمر على المشيئة ،

يقولون (جأى ألسطة) أى على آخر استعداد
فى الزينة .

ألفاظ الملق والنفاق

هى كثيرة فى اللغة الشعبية ، مثل :
رب البيت ، وسعادتك ، وعزتك ،
وخادمك المطيع ، وعبدكم ، ومحسوبكم ،
يرفع هذا إلى عتبة بابكم ، ويقبل الأرض
بين أيديكم ، ويستجدى من نعمكم ، ويدعو
لكم بطول العمر والبقاء الخ الخ من مثات
الكلمات . وكان من نعم العهد الجديد إلغاء
الرتب والنياشين وما يقبها من ألقاب ،
ولكن أنى هذا ؛ والنفوس مرنت على
هذا سنين وسنين . فلا بد من جيل جديد
يمرّن من جديد على خطاب المساواة .

أما غريبة

تستعمل أما هنا بمعنى هذه أو تلك
وكذلك تأكيد الغرابة . وتستعمل أما بهذه
المعانى فى مواضع كثيرة ، فيقولون : أما حاجة
كويّسة ، وأما حاجة وحشة ، وهكذا .

أنا أحبّه حبّ يفوق الوصف

أى لا يوصف لشدته .

وقريب منها : إنهو بمعنى أيها ، فيقول
أحدم « إنهو الأحسن من دول » أي
أيهم الأحسن من هؤلاء .

إهِيْ مِهِيْ

إهي حكاية صوت المرأة الخليعة عند
الضحك ، مهيء لإتباع إهي .

أهل السماح الملاح

تكثر هذه الكلمة في صفة الأجواد
الخيرين . ومن الظريف مما يحكى أن أحد
المغنين كان يعنى :

أهل السماح الملاح فين أراضيهم

فأجابه محمد البابلي : محجوز عليهم في
البنك العقارى .

أى لوجودهم وسماحتهم ، خربت بيوتهم .

الأوْلَه آه والثانية آه والثالثة آه

قولة مشهورة في الأغاني ، يقولون
فيها : الأوْلَه آه ، والثانية آه ، والثالثة آه ،
ثم يعودون إلى الأوْلَه آه ، ويزيدون عليها
كلمة ، وهكذا إلى الثالثة . ثم يعودون إلى
الأوْلَه ، ويزيدون على الكلمة الثانية كلمة
ثالثة ، وهكذا إلى الثالثة . وهى طريقة
مشهورة عند المصريين .

وهى كما ترى لا تقال إلا لشيء ، ينوى عمله
في المستقبل . ولذلك يستسخفون جحا عند
ما سئل أين حمارك ؟ فقال : ضاع إن شاء
الله ، لأنه تعبير عن الماضى .

ويعبرون بها أيضاً عند الأمل فى
الشيء ، فيقولون : سأغتنى إن شاء الله ،
وستتزوجين زواجا حسناً إن شاء الله وهكذا .

إن عامت قرقشت ، وإن غرقت قرقشت
أى إنهم لا يهمهم ما يحدث ، فإن لديهم
من الرزق وهدوء البال ، ما يجعلهم يضرَبون
صفحا عن كل ما يحدث . وهو دليل على
الأناية البحتة .

إن كان اللى بيتكلم مجنون ،

خلى السامع يبقى عاقل

أى لا يصح أن يجارى السامع المتكلم
فى كل ما يقول ، فإن تكلم أحد بالكلام
الفارغ ، فلا يصح للسامع أن يجاريه .

أَنَّهُ

تستعمل بمعنى أنا ، فيستخفون الوقف
على الهاء الساكنة بدلا من الألف .

إيه بسّ ذنبي

يقولها الرجل أو المرأة عند وقوع عقوبة
عليه بذنب لا يعلمه .

إيه ياخذ الريح من البلاط

أى إذا حدثت كارثة لشخص فقير ،
فماذا تأخذ الكارثة منه .

أيوه

هى كلمة كثيرة على لسان المصريين ،
بمعنى نعم . وتساءل أحدهم : هل فعلت كذا ،
أو هل ستفعل كذا ، فيقول : أيوه ، أى نعم .
ولعلها اختصار من أى والله ، بدليل أن
بعضهم ينطق بها كاملة ، فيقول : أى والله .

أول ما نبدي نصلي ع النبي

يقولها القاصون في أول قصصهم .

أونطة

كلمة إيطالية بمعنى (حيلة) . « أفنتّا » .
يقولون (دا شغل أونطة) و (بلاش أونطة)
و (سينا أونطة هاتوا فلوسنا) و (فلان
أونطجى) أى صاحب حيل وخدع .

إيده خفيفة

تقال للص الماهر .

(حرف الباء)

بركة اللى جات منك واللا جاتش منّا

أى أحمد الله على أن هذا الأمر الذى
أريده ، قد أتى منك ولم يأت منى .

بُرِّيَه منك بَرِّيَه

تقال للتأفف من شخص ، وربما كانت
للاستغائة . وكثيراً ما تصحب بِمَسْكَ
الملابس ، كأنه يريد أن يمزقها .

بَسَّ

يقولون بس بمعنى فقط . وبالكسر
زجر للقط . ومن هذه المادة بسبسة . وهى
كلمة تستعملها العامة للكلام الخفى غير المفهوم
يقولون لمن فعل ذلك : بلاش بسبسة ،
أو ماتبسبش . وفى اللغة بثث ، يقال فلان
يبثث المتاع ، أى يقلبه ويحركه . ومن
الغريب أن بس لزجر القط ، وبسبس
لمؤانسته . ويستعملون بس استعمالاً غريباً
يصعب ترجمته مثل قولهم فى إحدى الأغنيات
يا عطاءً — ارين دلونى

عالصبر فين أراضيه

الباب اللى ييجى منه الريح ،

سدّه واستريح

أى الناحية التى يأتى منها الشر ،

سدّها واسترح .

باطه والنجم

أى لا يملك شيئاً .

باين مش ناوى يجيبها البرّ

أى لا يريد أن يسكت

بِحْمَلَة دُول

وأحياناً بناقص دول . أى أن هؤلاء

لا يؤبه بهم ولا يلتفت إليهم .

بِخْتِكَ يا أبو بَخِيْتْ

أى سيعمل هذا العمل لك ، وأنت

وبختك ، فإن كانت النتيجة حسنة فهى لك

وإن كانت سيئة فهى عليك .

بِخْتَه نادى

أى طيب .

بَلَكِي

كلمة تركيز بمعنى (ربما أو لعل) يقولون
(بلكي يكون كده) أى (ربما).

بِلاش هَتَك

ومثله بلاش هتايك ، ومثله بلاش
جرسة وهتيكة ، أى لاتعمل ما يسبب
الفضيحة .

بِلِّها واشرب مِيَّها

يقولونها فى الورقة أو الوثيقة لا يريد
الرجل أن يتقيد بها .

بنى آدم طيرٌ ، ما هو طيرٌ

تقال للرجل ينتقل فى أماكن مختلفة
بسرعة . فكأنه طائر يطير ، وما هو طير .
أصله : ياله من طير .

بولوتيسكا

كلمة فرنسية ، بمعنى : (مصانعة ،
مدارة ، سياسة) . فيقولون : « أخذوا فى
بولوتيسكا » و « عمل عليه بولوتيسكا » .

بيا كل سَفَلَقَة

أى من غير أن يدفع ما يقابل أكله .

ولو طلبتو عـيونى

خدوها بَسَّ أَلأقيـه

بصلة المحب خروف

أى القليل من المحب كالكثير من غيره .
بَصَّ له عاوز يفصل منه بدله
أى نظر إليه نظراً دقيقاً ، حتى لكأنه
يريد أن يفصل منه بدلة ، كالخياط .

بطلّوا ده واسمّوا ده

تقال عند العجب .

البطيخة قرعة

تقال للبطيخة التى باطنها أبيض للدلالة
على ردايتها .

بقه بينقط شَهْد

بقه بمعنى فـه ، أى أن فـه يخرج منه
كلام حلو لطيف ، أشبه بالشهد .

بلاش أَفَش

ويقولون أفشله ، أى نقد وأخذ عليه
مأخذ .

(انظر القفش)

البلاش كتر منه

أى الشىء الذى لاتدفع فيه ثمناً أكثر منه .

يَضُوهَا

الضمير يرجع إلى سراية المجاذيب .
وأحياناً يقولون : روح على السراية الصفرة .
وكلاهما معناه الطعن في عقليته وأنه يستحق
سراية المجاذيب .

يقول من الهوى دُبْنَا
أى أنه يكاد يتلف .

يَيْلَمُ سِبَارِصِ
أى أعقاب السجائر .

يَيْدِنَا مَشَّ عَنخَلَصِ
أى يظهر أننا سنستمر .

يَيْنِي وَيَيْنُهُ مَا بَيْنَ الْقَطِّ وَالْفَارِ
أى عداة شديد .

يَيْنِي وَيَيْنُهُ مَا صَنَعَ الْحَدَادِ
أى بينهما عداة يبلغ حد السيف ، لأن
الذى يصنعه الحداد هو السيف .

يَتَكَلَّمُ بِاللَّوْنِ دِي

أى يتكلم بكلام لا يفهم .

الييت ما فيهش ديّار ، ولا نافخ نار
أى ليس به أحد .

يِيحْسِنُ لِّلَّهِ فِي لِّلَّهِ

أى لوجه الله ، من غير رجاء فى شىء
دنيوى .

يَيْسُوقُ الدَّلَالَ

أى يتدلل . ومثله : يتقل عليه .

يَيْشَكُّوْا فِي حَالِهِ

أى أنه يحتضر .

يِيضْحَكُ عَ الْفَاضِي

أى على ما لا يضحك منه .

(حرف التاء)

فأخذ زوجته وأمها وأختها إلى بيته « مع
الجهاز » . قالت الأم : وفرشنا وفرشنا ، وبعد
مدة طويلة جاءتنا امرأة شركسية عجوز ،
ونظرت إلى العروس وأختها وإلى نظرة
استغراب كأنها لم تر طول حياتها مثل هذا
المنظر . ثم تركتنا وخرجت ثم عادت هذه
العجوز ومعها ابنتها ، ووقفنا بلا سلام ولا
تحية ، ودعت العجوز ابنتها إلى أن تنظر إلى
الزوجة وأقاربها كأنهن شيء عجيب ثم
خرجتا . وعند الظهر جاءتنا جارية سوداء
وفي يدها صينية وعليها طعام وخبز فوضعتها
على المائدة وانصرفت ، وكذلك فعلت
وقت العشاء .

وظل هذا الحال طويلا ، فلم تطق
الزوجة ولا أمها هذه المعيشة ، وخرجتا
وعرفنا من الزوج أن ليس أحد في البيت
يتكلم العربية .

تفضل الحاجة تقول نيني نيني لما يجي
الخايب يشتريني

تقال عند الشيء السيء يبقى لا يباع ،
حتى يأتي خائب فيشتريه . . .

محطه على الجرح يبرد

تستعمل في الرجل حسن الخلق ، حسن
المعاملة ، لطيف الحديث ، فيقولون دا فلان
زى المرهم ، تحطه على الجرح يبرد .

تشارك بدوى ، مين يحاسب لك

تشارك جندي ، مين يرطن لك

وهو مثل لطيف يستدل منه على ما كان
عند البدو من سوء فهم ، ومن قلة معرفة .
فإذا عاملته لم تقدر على محاسبته لغباءته .

كما أن التركي لا يعرف العربية ، فإذا

عاملته تعبت في إفهامه ، واحتجت إلى ترجمان
يرطن بينك وبينه . وهو يدل على اعتزاز
الأتراك بلغتهم وترفعهم عن تعلم اللغة العربية
أو كما يقولون اللغة المصرية ، لأنهم ينظرون
إلى المصريين نظر احتقار .

حكى لى صاحب تركى قال : تزوج

شاب تركى من فتاة مصرية سنة ١٩١٠
أو ١٩١١ ، ودخل عليها في بيت أبيها
المصرى ، ثم أخبر أهله ورجاهم في الانتقال
هو وزوجته إليهم فرضوا بعد مدة طويلة .
وأخيراً أفردت له أمه جناحا من البيت .

تَوَرَّيْنِي حَتَاوِيك

ومثله تَوَرَّيْنِي وَحَايِدِك ، أَى الْأَعْيَب
الَّتِي تَأْتِي بِهَا وَتَضْحَكُ بِهَا عَلَى النَّاسِ .

(حرف التاء)

ثوب مكشكش

أَى ثِنِيَتْ بَعْضُ أَجْزَائِهِ عَلَى بَعْضٍ .

تَفْضُفْضُ بِمَا فِي ضَمِيرِهِ

ومثله فَضْفُضُ ، أَى أَنَّهُ عَبَّرَ عَمَّا فِي

ضَمِيرِهِ .

تَمَلَّأَ بِنُورِهِ

أَى تَمَتَّعَ بِهِ وَبِمَنْظَرِهِ .

(حرف الجيم)

جُحَا أُولَى بِلْحَم تُوْرُهُ

أى أنه أولى باستغلال ماله من غيره ،
ولو كانوا أولاده أو أقاربه .

اَجْرَى الْعَبِّ

أى أنه لا يستحق أن يهتم به .

جَرَى لِعَقْلِكَ إِيْهِ

أى ماذا أصابك ؟

جِزَاكَ يَا قَلْبَ : تَسْتَاهِلُ

كَلَامِ النَّاسِ وَتَعْذِيْبِكَ

تَظُنُّ الْحُبَّ بِالسَّاهِلِ

وَتَمْشِي لِي عَلَى كَيْفِكَ

في هذا جملة تعبيرات شعبية ، فأولها
جِزَاكَ ، أى كما تقول جزاءً وفاقاً ، وتساهاً :
أى تستحق ، وهى عربية الأصل وكانت بالهمز
وسهلت . وتظن الشيء بالساهل ، أى تظنه
سهلاً ليناً ، مع أنه ليس كذلك ، وتمشى على
كيفك ، أى تبعاً لهواك .

جِسْمُهُ مَعْفُورَةٌ

أى عليه عفريت .

جَاتْ عَلَى الْبَهْلَى

أى سافرة متزينة .

جَاتْ عَلَى الطَّبْطَابِ

أى جاء الشيء حسب المأمول .

جَا عَلَى مَلَاوِشُهُ

أى بسرعة .

جَاهُ الْحَزِينِ يَفْرَحُ ، مَا لِقَاشِ فِي

الْقَلْبِ مَطْرَحِ

أى من كتب عليه الحزن والشقاء ،
لا يستطيع أن يفرح ، فإذا جاء الفرح إلى
قلبه ، لم يجد مكاناً .

جَاهُ يَكْحَلُّهَا عَمَّاها

تقال لمن يريد أن يصلح شيئاً فأفسده .

جِبَّتِكَ يَا عَبْدَ الْمَعِينِ تَعْنِي

لِقَيْتِكَ يَا عَبْدَ الْمَعِينِ تَعْنَانِ

تقال لمن أتى ليستعان به فظهر أنه ليس
أهلاً للاستعانة به ، بل هو جدير بأن يعان .
وتسميته هنا بعبد المعين تسمية لطيفة لأنه
أتى به ليعين ، فخير اسم له هو عبد المعين .
كتسميتهم حسناً عند نداء الجميل .

به ، فيقول على راسي حاضر .

جوّزوا مشكاح لريّمه

قال ، ما على الاتنين قيمه

جوّزوا أي زوّجوا ، تقال لموافقة الشيء

للشيء من غير أن يكون لها قيمة تذكر

جيبه أضيّف زى الكفّ

أي أنه ليس فيه شيء .

الجمان يحلم أنه في سوق العيش

أي أن أحلام الرجل أو المرأة صورة

لحال اراء في اليقظة .

جميلكم على رأيني

الجميل : الصنيع ، وعلى راسي بمعنى أنه

تأقّى بترحيب ، ويستعملون أيضا على راسي

عند ما يطلب من أحد شيء فيرتحب ويعدّ

(حرف الحاء)

حِـتَة

تستعمل في معنيين متناقضين اعتماداً
في التفرقة بينهما على النعمة والقرآن .
فيستعملونها في معنى الشيء الصغير ، فيقولون :
ما عندوش إلا حتة ولد ، أو حتة بنت ،
أو حتة عزبة كحيانه ، ويقولون في ضدها
دى حتة ولد عليه الكلام ، وعنده حتة
عزبة ما فيش كده ...

حدّ يبقى في إيده القلم
ويكتب نفسه شقيّ

أى من قدر على نفع نفسه فلينفعها .

الحدق يفهم

الحدق ، معناها الحدق .

حدّيله علقه سخنه

أى شديدة . ومن هذا القبيل : دول

يستاهلوا النار ، أى العذاب الشديد .

حرام تنسونى بالمرّة

استعمال مصرى ، تعبيرها العربى :

يحرم عليكم أن تنسونى دائماً .

حِبْلَه وشايله ولد

أى أنها مصابة بكثرة الأولاد . وتقال
مجازاً في كثرة المصائب .

حِبّه غطّى على الكلّ

أى أن حبه فاق كل حبّ . ومن
أغانيم :

حُبّك يا سيدى غطّى على الكل

ارحم فـؤادى كان ذلّ

والنبي ترحم .

حبيبي خفه مقطقط

خفة ، أى خفيف الروح . ومقطقط ،

صغير الأعضاء جميلها . ومن هذا القبيل

يقولون « البيت ده محدق » أى صغير على

قدر الحاجة . وعكسه مبهوّق ، أى كبير

بلا معنى .

حبيّتك خالص

تستعمل خالص بمعنى كثير ، فأحبيته

خالص ، وكرهته خالص ، ومش يبشوف

خالص ، أى أبداً ، وتعبت خالص أى كثير

حَمَامِ بِلَامِيَّة

يستعملون بلا بمعنى من غير . كقولهم :
« يعطى الخلق لى بلا اودان » .

حَمَامَةٌ بِيضَةٌ بَفَرْدِ جَنَاحٍ

بفرد جناح ، أى بجناح واحد . ويقولون
للأعور بفردة كريمة .

حَوَالِيهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ

أى كثر حوله الكلام السيء .

حَوْشُوا الْمَهْوَى عَنْ فَوَادِي

لَا الْمَهْوَى يَجْرَحُ

هو تعبير عامى مشهور ، وأحياناً
يستعملون فى موضعها كلمة لأحسن فيقولون :
حوش الهوى لاحسن الهوى يجرح . ومثله
قولهم فى أغنية :

يا عمى يا بو الحسن

حوش الحسَنُ عَنَّا

لاحسن جمال الحسَنُ

قَرَبَ يَجْنَتَا

حِيلَةُ أُمِّهِ

أى واحد أمه ، ولذلك تكون كثيرة
الحنان عليه .

حَسَنَةٌ وَأَنَا سَيِّدُكَ

حسنة ، أى صدقة . يقولونها للرجل إذا
استجدى شيئاً وتكبر فى استجدائه ، مع أن
موقف الاستجداء موقف الذل .

الْحَسَنُ خِيَّ الْحَسِينِ

معنى خيِّ أخو . يقال للشخصين
يتشابهان .

حُطَّ فِي بَطْنِكَ بِطَيْخَةٍ صَيْفِي

أى لا تسأل ولا تهتم .

حَطَّهْ يَا بَطَّةَ

يقولها الأطفال فى بعض ألعابهم .

حَظَّرَ فَظَّرَ حَقُّوْلَكَ إِيْهِ

أى احذر على ماذا أريد أن أقول .

الْحَقُّ لَهُ نَاسٌ بِالْعَيْنِيَّةِ

أى للحق ناس مخصوصون يعملون
على وقفه ويدافعون عنه .

حمارتك المرجة تغنيك عن سؤال اللثيم

حَمْرَقَ

بمعنى نه غلط . وهى بمعنى (زورغ) .

(حرف الخاء)

خَلاهَا خَلًّا

وخلّاها مَسْخَةً وهي كذلك بمعنى
تصرف فيها تصرفاً سيئاً .

خَلاهَا رُطْرِيْتٌ

ومثلها خلاها سداح مداح ، ومثلها
خلاها بطن حمار . أى تصرف فيها تصرفاً
سيئاً حتى ملأها فساداً .

خَلِيْكٌ فِي بَرٍّ خَلِيصٌ

كلمة يستعملونها إذا نصحووا أحداً بعدم
المغامرة ، بالترام برّ السلامة .

خَلِيْكٌ فِي حَالِكٍ

هي كلمة يستعملونها للأمر بالانتقاة
إلى نفسك ، وعدم التدخل في أمور الغير ،
وهو مبسداً رديء في غاية الخطورة ، لأن
معناه عدم الاهتمام بالمجتمع ، صلح أم فسد .
وهذا ضد الوطنية .

خَلِيْكٌ مَعَ اللَّهِ

يقال للرجل يطلب منه أن يلجأ إلى الله
عند الشدائد ، ومثله خَلِيْكٌ عَلَى اللَّهِ . أى
اتكل عليه في أمورك .

الخالق الناطق هو

أى يشبهه شهاباً تاماً .

خَايِبٌ وَنَايِبٌ

الظاهر أن نايب إتباع لخايب للدلالة
على شيء جديد ، بل هو لتمام أكيد الخيابة .

خَبِطَتَيْنِ فِي الرَّاسِ تَوْجِعٌ

أى قد يتحمل الرأس خبطة ، أما
خبطتان فلا .

خَدَنِي فِي دَوَكَةٍ

أى قابله بهولة .

خُدُّهُ عَلَى هَوَاهُ

أى سايسه . ومثله خده على قد عقله .

خُشٌّ لِي قَافِيَةٌ

أى سابقني في أن أقول شيئاً وترد عليّ
بما يناسبه .

خَطَفْتُ رِجْلِي وَجِبْتِ الشَّيْءَ الْفُلَانِي

أى أسرعت وأتيت به .

خَفَّفَ لَهُ الشَّرْعَ شَوِيَّةً

الشَّرْعَ أَى اللِّجَامَ . أى طوّل باللك عليه .

(حرف الدال)

دا رجل هَفِيَّة

أى خفيف الوزن لا يؤبه له .

دا زىّ القرف

أى يُقَرِّف النفس ، ويحركها للقيء .

دا سَعْر دَاير

بمعنى أنه منتشر يكاد يكون وباء .

دا شارب وموَنِّ

أى متكيف من شربه .

دا شغل بكش

أى شغل نصب ، واشتقوا منه فعلا ،
فقالوا بكش عليه ، وقالوا داشغل تَصَلِّقَة ،
أى غير معتنى به ، واشتقوا منه فعلا فقالوا
تصلق فى الشغل .

دا شمعة منوَرَة

أى أنه عيم الخير ، كأنه شمعة مضيئة .

دا شىء بارد

أى ثقيل سمج .

دا بكّاش

أى نصّاب .

دا ييلعب بالبيضة والحجر

أى أنه ماهر ، حتى أنه ليكنه اللعب
بالبيضة والحجر من غير أن تكسر البيضة .

دا جاب السَّبْع من دِيْلُه

أى ظلّ يَحْتال على الرجل القويّ

حتى طواه .

دا جباله طويلة

أى أنه لا يسرع فى عمله ، ومثله :

ما يَسِيْحَش دم .

دا خِيْبَة تَيْلَة

أى نكبة كبيرة .

دا خُمُّ نوم

أى ينام كثيراً .

دَا رَأْسُه مصفحة

أى قليل النوم .

دا مَحْسِتِكَ شَوِيَّة

أى مريض قليلا ، وأكثر ما يكون ذلك فى من اعتراه برد أوز كام .

دا مش على

أى أنه لا يجوز على هذا اللعب .

دا مش مَسْعَرْنِي

أى لا يقوِّمْنِي تقويما حسنا .

دا مش وش كده

أى لا يُظَنُّ به هذا الشيء .

دا مِعْجَبَانِي

أى تِيَاه مِعْجَب بِنَفْسِه .

دا من عَشْمِي

يقولها الرجل إذا تصرف تصرفاً غير مذوق .

دا مِيَّه من تحت تَبْن

أى أنه خَدَاع ، كأنه ماء وضع عليه تبْن فيظن أنه يَبْس .

دا يا كل زِيَّ الفول

وينام زِيَّ القليل

والمعنى واضح .

دا شِيء كان على الكَيْفِ

أى يوافق المزاج .

دا طول الليل يَلَالِي

أى طول الليل يتضور من الألم .

دا عزَّ الحبايب

ومثله دا صديق الروح بالروح .

دا كان زمان

أى هذا أمر كان فى القديم ، وقد تغيرت الحال .

دا كان لى فين وأنا فين

أى ما هذا الشيء الذى أتى ، ولم يكن منظوراً . ومثله ما كانش ع البال .

دا كله كوم ودا كوم

أى هذا الشيء الكثير يساوى هذا الكوم القليل .

دا لسانه ما يدخلش فى حنكه

أى كثير الثرثرة . ومثله دا لسانه طويل .

دا مات وشبَّع موت

أى مات من زمن طويل .

الدنيا بخير

تقال عند لمعان خير في وسط شر كبير .

الدُّنْيَا زَهْرَ زَهْتٍ لَهُ

أى زهت له وضحكت .

الدُّنْيَا مَاشِيَةٌ بِالْمِنْدَارِ

أى حاملها مشقلب .

الدنيا مِش سايعاه

يقال للرجل يتباهى ويفتخر ويتعاضم .

دود المِش مَنَّهُ فِيهِ

كانوا يعتقدون أن دودة المش تتكوّن منه وتكون فيه . ثم أثبت العلم أن الدودة لا تتكوّن من المش ، ولكن تتكون من ذباب أو نحوه ، ثم تتكاثر . وهم يقولون ذلك للشيء يكون شرّه منه ، كأن يكون فساد العائلة من أحد أفرادها .

دَوَّرَتْ عَلَيْهِ فِي سَلَقَطٍ

فِي مَلَقَطٍ مَا لِقَيْتُوش

أى بحث عنه في كل مكان فلم

يجده .

دخيلك والنبي

أى حلفتيك بالنبي . وأحياناً يقولون :

دَخَيْلِكَ إِنْ لَمْ تَعْمَلْ كَذَا . أَى أَسْتَحْلِفُكَ أَنْ تَعْمَلَهُ .

دلوقت عِرِفْ أَنْ اللَّهُ حَقٌّ

أى اعترف بما لم يعترف به .

دماغه مش منظوم

تقال في وصف رجل مختلّ العقل .

دِمَاغُهُ وَرَمِتْ

أى أنه من ألم الكلام له دارت دماغه حتى كأنها وارمة .

دمّه شربات

يصفون الدم أوصافاً كثيرة . فيقولون :
دمه خفيف ، ودمه ثقيل ، ودمه شربات ،
أى لطيف . ودمه زى السم ، ودمه ياباى ،
أى ثقيل . ويقولون أيضاً في هذا :
ما ينبلعش من الزور ، كناية عن الثقيل .
ودمه يطرّش . وفي المدح : دمه زى ريش
النعام .

دى مرأة ممحونة

أى أنها متهتكة خليعة .

دى نَغْنَعَةُ

أى شىء كثير .

الديون عليه اتللت

أى تكاثرت .

دور عليه من تحت الأرض

أى ابحت عنه فى كل مكان حتى

تحضره .

دى حاجة جنان

أى جميلة جداً ، لدرجة أن من رآها

يكاد يجن .

(حرف الراء)

رأسه راس منسّر

المنسر جماعة اللصوص ، وهم دائماً متيقظون شديدو المراقبة لما يجرى حولهم ، يقال للشخص إذا كان متيقظاً سريع الانتباه قليل النوم .

ربنا ياخده

أى يميته . ومن الحكايات المشهورة أن أميراً طلب من وزيره أن يحضر له قريباً لله ، أى من أقربائه . فلم يستطع الوزير ، وذهب إلى قهوة الحشاشين ، وهو منكود حزين ، فسأله أحدهم : لماذا أنت حزين ، قال : إن الملك طلب منى أن أحضر له قريباً لله ، فلم أستطع ، فقال الحشاش : خذنى إليه ، قال الوزير : أتعرف العاقبة ؟ قال نعم ، بسّ خذنى إليه ، فذهب به إلى الملك ، فقال له : أتعرف قريباً لله ؟ فقال : أنا ، قال : كيف ذلك ؟ قال : كان فيه راجل له بنتين ، ربنا خد واحدة ، وأنا أتجاوزت الثانية ، كأنه بذلك صار عديلاً لله . وهكذا تروى عن الحشاشين مثل هذه الحكايات فى حل المشاكل العويصة .

الراجل زى الحمامة ، إذا ريّشت طارت تقولها المرأة للمرأة تحنها على تفكير زوجها ، وتحميله المسؤوليات الكثيرة ، وتخليفه الأولاد الكثيرة ، خوفاً من أن الزوج يستريح ويقتنى ، فيتزوج غيرها .

راخ سبعة اسباني

أى ذهب هباء .

راحت السكره وجات الفكرة

يقولونها إذا ذهب وقت اللهو ، وجاء وقت الحساب .

راخ فى شربة مية

أى ذهب بأفنه الأسباب . ومثله قولهم : غرق فى شربة مية .

راخ له لون وجاله لون ثانى

أى كليته كلاماً شديداً فاحراً وجهه ، فذهب لونه الطبيعى ، وجاءت حمرة الخجل .

راخ يجيب عاليه واطيه

أى سيجعله رأساً على عقب .

ما يستعمل في النداء على الجيز . ويقولون :
« الرك في هذه المسألة على فلان » ، أى أن
فلاناً فيها ذو أهمية كبرى فهو الذى يستطيع
أن ينجحها أو يفشلها . . ولا نعرف أصلها
اللغوى . ويقولون : « حطيت ركي عليه »
أى وضعت كل أمنيقي فيه . و « فلان عليه
الرك » أى واقعة عليه المسئولية !!

رَكِبَهَا مِيت عَفْرِيْت
أى غضبى .

رمضان عشرات عشرات

عشرة مَرَق ، وعشرة حلق ، وعشرة
خلق . أى أنهم يعتقدون فى العشرة الأولى
بالأكل ، وفى العشرة الثانية بعمل الكحك ،
وفى العشرة الثالثة بتحضير ثياب العيد .

روح بأه لخالك
أى أى شئ لك عندى .

رَيْقُهُ نَشْفُ
أى أنه ألح فى الطلب ولم ينجح .

رَبَّنَا يَقْصِرْ لَيْلَتَهُ بِالْعَافِيَةِ
أى من العادة أن المرض يطيل الليل ،
فالدعاء بقصر الليل معناه العافية .

رَجِيعٌ قَفَاهُ يَقْمَرُ عَيْشِ
أى رجع خجولا لم ينجح فى مهمته .
رَجْلُهُ أَتَلَوَحَتْ
أى التوت .

رُحْنَا وَجِينَا بِالسَّلَامَةِ
يفنى بها السيدات كثيرا .

رَدَّ الْبَدْعِ
أى أنه مصدر لأشياء كثيرة عجيبة .
ومثله قولهم بَخَّ حَشِيشِ ، يقولونها للولد أو
البتة إذا كانت من نسل حشاشين ، يعمل
عملهم .

الرَّكِ
يقولون فى كلامهم « الرَّكِ عَلَى الدَّوَّاقِ »
أى إن ما أنادى عليه حلوا ، فإذا شككت
فى حلاوته كان الحكم بيننا الذوق . وأكثر

(حرف الزاى)

زىّ أم العروسة فاضية ومشغولة

تقال للرجل يشغل بأفنه الأشياء .
وقريب منه قولهم : زى اللى رقصت على
التلم ، لاشافوها أهل تحت ، ولا أهل فوق .

زىّ البدر ليلة ١٤ شعبان

يعتقدون أن أحسن الأتار قمر شعبان
فى ليلة أربعة عشر .

زىّ تنابله السلطان

التنابلة جمع تنبل ، وهو الكسلان
المفرط فى الكسل ، وتنابلة السلطان كسلاء
ليس لهم من عمل إلا الأكل والنوم من غير
عمل . ويحكون أن السلطان غضب على
قوم منهم فأمر برميهم فى البحر ، فركبهم
عربة إلى البحر ، فأشفق عليهم رجل وقدم
لهم أكلا يحتاج إلى تقشير وغسل ، فقالوا
حَنَفِيسَ وَنَقَّشَرَ ، وَدَى ع البحر .

زىّ الجوّار ، كل يوم عند ياسرجى

الجوار ، أى الإماء ، والياسرجى ،
تاجر الرقيق يقال للمرأة الحرّة تنزوج ثم
تطلق ، فهى كالجارية تنتقل فى أيدي بائى
الأرقاء .

زاد به الحدّ

أى طغى عليه الأمر .

زَغَرَّله

بمعنى (حدّق فيه) .

زقزقت عصافير بطنه

أى جاع .

زَكَّى عن جمالك

تعبير لطيف ، يقال للسيدة أو الأنسة
إذا كان عندها جمال فيجب أن تزكى عنه
بالوصال كما يزكى عن كل مال .

الزمان معاندنى

أى أن الحوادث تجرى على غير ما يأمّل .

الزَّمن معاكِسُنْ

أى أن الزمن لا يساعده على إتيان عمله ،
بل يعاكسه حتى لا يعمله .

زىّ التعبان يقرص ويلبد

معنى يلبد يحتفى .

هذا الموضع ، وما عداه يقولون اللى ، أى أنه
نافس منفتح .

زىّ المسطول

أى متعاطى المنزول .

زى مضغ الزلط

أى أنه صعب ثقيل كمضغ الزلط .

زىّ خلع الضرس

أى أنه صعب كما يخلع الضرس .

زىّ سبع البرومبة

وأحيانا يقولون ، سبع البرومبة ، الذى

تايم على جنبه ، ولا يقولون الذى إلا فى

(حرف السين)

نطخ . وربما لاحظوا الكلمات التي تنتهي
بحرف الحاء لاستثارة الحروف للنطخ .

سكتناه دخل بحماره

أى سكتنا عن شره ، فتوغل في شره .

سِكْتِرْبَرَّة

أى أخرج برة .

سكيران مسكرة يئى

ومثله دا سكران طينة ، أى غارق

في السكر .

سلم عليه سلام الماوردى على بياع الفسيخ

تقال للأرستقراطى التنظيف يسلم على
السوق القذر . فهو يسلم عليه بأطراف أصابعه
أو من تحت أطراف أسنانه .

سَمَّنَ عَلَى الْعَسَلِ

تقال للشخصين يمتزجان امتزاجاً تاماً .

سورق

فلان سُورِقَ : أغنى عليه :

ساعة لقلبك ، وساعة لربك

تقال للحث على تخصيص وقت للهو ،

ووقت للجدّ .

الساهى يا ما تحته دواهى

أى أن الساكن الرزين ، قد يخفى

سكونه شراً كثيراً .

سُتَعِنْتَ عَلَيْهِ بِصَبَاغِ اللَّوْنِ

أى بالله .

سُنَّهْ لِحْدَ مَا يَجِبُ التَّرْيَاقُ مِنَ الْعِرَاقِ

أى انتظر طويلاً .

سَحَبَ عَلَيْهِ لِسَانَهُ

أى وجّه إليه سبّه وهجاءه ، ويقولون

إنه تعبير مصرى قديم .

السَّحَّ النَّحَّ

يقولها الأطفال في اللعب بقروم

الحروف ، وخصوصاً في حروف العيد

الكبير ، يقولون : السحَّ النَّحَّ ، يا حروف

(حرف الشين)

شغله يُجَنِّن

أى إن عمله فاق الحد إلى درجة أنه يكاد يُجن من رآه أو سمعه ، فمثلاً يقولون داضر به على البيانو يُجنِّن .

شفاعة لا الله ، كرامة لا الله

تقال عند الاستعانة برجل والاستشفاع به

شكه مقلب

أى أوقعه . والمقلب ما يقرب الشخص على وجهه أو على ظهره . وهو أيضاً المكيدة التى تكاد للشخص ، ولو معنوياً . واشتهر فى مصر بعض الرجال بتدبير المكائد .

شقاتق ومقاتق

ينطقونها بالهمزة ، يقول الرجل لآخر ، أو المرأة لأخرى : إذا ورتنى ورتيتك شقاتق ومقاتق ، أى أشياء طريفة .

شمت الناس فى

أى جعلهم يفرحون فى .

شمع الفتلة

أى ذهب بحيلة . يروون أن ملكاً

شالوه شيلة ييلة

أى شالوه تماماً من يده ومن رجليه .

شددي جريرت دى

يقولها الحاروى فى لعبة معروفة . يشدها الخيط من ناحية فتذهب من الناحية الأخرى ، ويستعملونها كذلك كناية عن أن شيئاً حصل ، فذهب غيره .

شرا العبد ولا تربيته

كانت تقال أيام كان الرقيق منتشراً ، أى أن شراء كبيراً خيراً من تربته وهو صغير إلى أن يكبر ، وهكذا تقال على سبيل المجاز فى أشياء أخرى ، يقولها مثلاً الرجل يشتري عمارة بدل أن يبنيها لما فيها من التعب وهكذا .

شربت المر

أى لقيت العذاب . ومن أغنياتهم أنا شربت المر . وأحياناً يقولون : أنا أسقيه المر من كيغانه .

شرم برم حالى غلبان

كثيراً ما يقولها الأدبائية ، وربما كانت حالى غلبان تفسيراً لشرم برم .

الشيء دا بريمو

أى من أحسن صنف ، فيقولون طباخ
بريمو ، وسواق بريمو ، وأكلة بريمو .

الشيء دا طلع شيطاني

أى من غير وسائل .

شيك

أى لبس ثيابا أنيقة .

أخبر عن نصاب فناداه وقال له : انصب على
فقال له : اعطى عشرين قرشا لأشترى عدّة
النصب فأعطاها له ، فحضر ومعه فتلة طويلة
وقال للملك : امسك بهذا الطرف ، حتى
أشتمع الفتلة ، فأمسك الملك فتلة ، وصار
النصاب يشمع الفتلة حتى غاب ، فقالوا في
الشخص الذى يغيب بحيلة : شمع الفتلة .

(حرف الصاد)

صَبِیح نَدَامَة

أى ساء حاله . ومثله صَبِیح عَدَم .

صَحَّ تَعْمَل العَمَل دَه

أى لا تَعْمَله وليَكُن عَقْلَك صَاحِباً . فَلَآ
تَأْت بِهِ .

صَحْن كِنَافَة وَجَنِبَه آفَة

يَقُولُونَهَا لِلسَّيِّئِ الجَمِيلِ بِجَانِبِهِ شَيْءٌ رَدِيءٌ
كَشَجَرَةِ الوَرْدِ فِيهَا الشُّوكُ ، وَالبَنْتِ الجَمِيلَةِ
تَكُونُ قَاقِرَةً .

صَهَّيْنِ عَلَيْهِ

أى اسكُت عَنْهُ .

صِبَاحِك فَلَ

يَهْتَمُ المَصْرِيونَ كَثِيراً بِمَنْ يَرُونَهُ فِي
الصَّبَاحِ .

صِبَاعُهُ مَدُوحَس

أى : ضَرَبَ فِيهِ (المِدَّة) .

صَبَّحَ جِلْدَةً عَلَى عَضْمَةٍ

أى صَارَ نَحِيفاً جِداً .

صَبَّحَ مَنِيَّلاً

أى غَيْرَ مَنشَرَحِ النَفْسِ ، وَمِثْلُهُ صَبَّحَ
مَدخَن .

(حرف الضاد)

ضَرَبَ

الضرب معروف ، ومن قديم استعمال
الضرب في صياغة الدراهم والدنانير ، فيقولون
ضَرَبَ الدراهم وضرب الدنانير ، ولكن من
الاستعمالات المصرية ، ضرب الطوب ، أي
صنعه « وضرب تَحَدَّتْ » أي تكلم كثيراً ،
وضرَبُهُ تلغراف أو شدَّةُ تلغراف ، أي أرسل
إليه . وضرب على البيانو أو الكمنجا أو العود
بمعنى أنه حَرَكَ أوتارها . ومن الاستعمالات
المألوفة « ضرب الدنيا طبنجة » أي أنه لم
يكترث بشيء .

ومن استعمالها قولهم « يضرب الودع
أو الرمل »
وقولهم « يضرب في المليون » بمعنى أنه
يطلق أعيرة نارية بحق .

وقولهم « يضرب في حنة ميتة » وهذا
كقول العرب « يضرب في حديد بارد » .

ضَرَبَ كَفَّ عَلَى كَفِّ

إذا تعجب من شيء ، لأن العادة جرت
على أنه عند شدة التعجب يضرب كفّاً على كف .

ضربني وبكى ، وسبقني واشتكى

أي اعتدى عليّ وادعى أنه معتدى عليه .

ضارب الدنيا طبنجة

بمعنى غير مكترث بشيء ، إلا شهواته .
ومن أغاني سيد درويش :
عَ النسوان يا سلام سلّم
ما فيش كده أبدأ بهجة
إحنا الوارثين يا أفندم

ضاربين الدنيا طبنجة .
وهي أبيات مملوءة بالأصطلاحات ،
فالشرط الأول تعبير معناه : إذا قلنا في النسوان
فما أعجبهن وأعظمن . وقوله ما فيش كده
أبدأ بهجة ، تعبير يستعمل بمعنى ، وليس
مثلهن شيء في البهجة . وقوله إحنا الوارثين
يا أفندم ، دلالة على استهتار الوارثين ، لأنهم
حصلوا المال من غير تعب ، فهم يسرفون في
صرفه من غير حرص . وفهم هذا المعنى
أكثر الحكومات فضربوا ضرائب الأيلولة
لأنها تحدث قبل أن يمتلك . والطبنجة في
الشرط الأخير شيء يشبه المسدس . وهو تعبير
لطيف في الاستهتار ، كأن المستهتر بأعماله
قد صوب إلى الدنيا طلقة نارية .

ضحك في سرك

أي إن هذا العمل ، يستوجب الضحك
منك والسرور .

(حرف الطاء)

و « الكلمة دى لا طلعت ولا نزلت »
أى لم تزد شيئاً ولم تنقص شيئاً فليس لها قيمة .
وكذلك « طَلِعَ بوش » و « طلع
من المولد بلا مُحْص » أى لم يُسفر عمله عن
نتيجة . وكذلك « طالع القرانة » أى زارها .

طَلَعَتْ أَشْمُ الْهَوَا

أى أنزه .

طلعت المسألة فَيَسْكَو

أى لا قيمة لها .

طَهَّقْتُ وَبَقَيْتُ رُوحِي فِي مَنَاخِيرِي

أى تمللت .

طول عمرك ياردا وانت كدا

أصل الردا الرداء ، وهو الثوب ، يقال

للشيء يصدر عنه ما اعتيد منه .

طاب واستوى

أى نضج .

طبق في زوره

أى أمسك به إمساكاً شديداً .

طَلِعَ

لم في هذه الكلمة استعمالات كثيرة .

فيقولون ، طَلَعَ من باب الجلال ، أى خرج سالماً

و طَلِعَ فيها بمعنى اغتر بنفسه وتجبر ، و طَلِعَ

نقبه على فاشوش ، أى أنه بعد ما اجتهد

وتعب لم ينل شيئاً . و طَلَعَتْ عليه الجُنُونَةُ ،

وأحياناً يقولون طلعت عليه الغزاة ، بمعنى

أنه أصابته لُوثَةٌ من الخبل . و طَلِعَ يجرى ،

أى أخذ يجرى . وكذلك « طَلِعَ راجل »

أى اتضح أنه رجل .

و « البيض طَلِعَ كِتَا كَيْت »

(حرف العين)

عَضْمَةٌ خَشْنَةٌ

يسمون الرجل الذي لا يمكن اللعب
عليه ولا أخذ شيء منه عَضْمَةٌ خَشْنَةٌ ، كقول
العرب القدماء « إن لحمه مرّ » .

عَقْبَالٌ أَمَّالَةٌ

يقولونها عند ما يرون رجلاً أو امرأة في
سعادة مآ ، ويسمون السعادة أملاً ، وعقبال
أصلها العاقبة لى .

عَقْلُهُ مَنَوِيشِي

أى مخبئ ، وقريب منه قولهم ، عقله
تَرَ لَى .

عَلْشَانٌ

يستعملونها كثيراً بمعنى لأن . ومن
أغانيمم علشان بِحَبِّكَ تَدَّ لَع .

عَلْمَانَا الشَّحَاتَةُ سَبِقْنَاعَ الأبوابِ

تقال لمن علم الإنسان شيئاً ، فسبق معلمه
كمن تعلم من إنسان علماً ، وتصدر فيه حتى
على المعلم .

عَاوِجُ الطَّرْبُوشِ

عوج الطربوش ، كفاية عن التكبّر
والدلال . ومثله تبختر في المشى .

عَاوِزٌ لِلْجَمَلِ نَاقَةٌ

يحكون أن مديراً في ناحية كان له
جمل ، فكان يذهب الجمل إلى الغيطان
يأكل منها ما شاء ، حتى تضرر الناس ،
فاجتمعوا ليذهبوا إلى المدير يشكونه جملة ،
فذهب عشرون رجلاً ، وكلما خطوا خطوة
نقص رجل ، حتى إذا وصلوا إلى باب المدير
التفت رجل فلم يجد معه أحداً ، فشخط فيه
المدير ، ماذا تريد ، فقال عاوز للجمل ناقة :
أى أنه لما وجد الناس انفضوا من حوله لم
يستطع أن يشكو الجمل ، فانقلب منافقاً ،
فبدل أن يشكو الجمل طلب له ناقة .

عَايشٌ كِمَالَةٌ عَدَدٌ

أى لا فائدة كثيرة منه ، كل ما فيه أنه
يعدّ بواحد .

عِشْنَا وَشَفْنَا

أى طال عمرنا حتى رأينا المعجب .

على السكين

تقال في بيع البطيخ والشمام . أى أن البائع ضامن لحمار البطيخ وحلاوة الشام . وهو نداء غريب كان يجب أن نخلص منه من زمان بعيد ، وذلك بإعدام السوء وإبقاء الأصلح كما فعلت الأمم الأخرى ، فليس عندهم هذا النداء .

على سنجة عشرة

تستعمل في من يتزين أو تزينت على آخر طرز . فيقولون جاءت على سنجة عشرة . ولا أدري أصل معناها .

على عينك يا تاجر

تقال للشئ يعطى جهازاً من غير دس ولا تحبئة ، فهو يعطيه الشئ على عينه ، أى جهرة .

عليه العوض ومثله العوض

تقال عند ضياع شئ ، فهو يطلب العوض من الله . وأحياناً تقال في شئ جيد يباع أى أن ثمنه لا يفي به ، كالذى ينادى على خيار طايب ، فيقول العوض على الله .

عمر الشقى بَقِي

يزعمون أن الموت يسرع للأخيار ، أما الأشقياء فعمرم طويل . وربما كان السبب أن الرجل الحسن الأخلاق الطيب يكاد لا يشعر به الناس لحياته الهادئة ، أما الشقى فكل ساعة يشعره بوجوده بما ينغص عليك ، فعمره ولو قصر يملوء بالأحداث فيكون طويلاً .

العمل دا جليظه

أى أنه مُقَرَف وفي غير محله .

عَمَل على عِنْدِي

أى أتى بأمر ضدّى . يعاندى فيها . ويستخدمونها كثيراً فى الجناس ، فيقولون ، تعال عندى ، ولا تعملش على عندى ، والأولى بمعنى معى ، والثانية ضدّى .

عَمَلٌ معاه شُغْل البليباة

أى مكر عليه ، وضحك على ذقنه .

عَمَلها زَعَلَة

أى تصنع الغضب .

العنى يا بدر

تقال لمن يعثر مثلاً فى شئ ظاهر .

العين ما تعلاش على الحاجب

تقال في الرجل يتواضع ويتكلم بكلام
يدل على أنه أصغر من أمامه وأحقر ، فيقول
له العين ما تعلاش على الحاجب ، أى أن
الذى يكلمه حاجب ، وهو عين ، فهو أرفع .

العينة ينة

أى نموذج الشيء يدل على ما تحته .

عينه شيش يش

أى لا يرى إلا قليلا .

عينيه مبظظة

أى جاحظة .

عنده عكوسات

أى عليه جن بقعا كسه .

عيشنى النهارده وموتنى بكرة

أى أنقذنى اليوم وليكن غداً ما يكون .

عيطت من كل عين حقان

أى بكت بكاء كثيراً . حتى إن دموعها

تملأ حفنة اليد .

عينك ما شافت إلا النور

دعاء لمن يخاطب ، بأن عينه لا تقع إلا

على ما يسرها .

(حرف النين)

غصباً عنى

أى بالإكراه .

غنى على خراب عشه

أى أنه ما زال يغنى ، حتى خرب عشه

تقال للرجل صاحب الحظ ، ظل يغنى حتى

خرب بيته .

غاب القط العب يا فار

يقولونها عند غياب من يخاف منه . ثم

استهتار من يشرف عليه الذى غاب .

غرض الاهتم

أى أنها تناسب من لم يكن له أسنان

يقولونها للتحبيب فى الذرة والدلالة على أنها

ليفة وكذلك فى أمثالها ، ومثلها غرض المعجيز .

(حرف الفاء)

الْفِسْتَانِ دِهْ شِفْتَشِي

أى أنه رقيق يكاد يبين ما تحته .

فَشَّ غَلِيلِه

محرّفة عن شفا غليله .

فَصَّ لَمُونِه

يسمون كل جزء من الليمونة أو من

البرتقالة فصّ لمونة أو فصّ برتقال .

فَصَّ مَلْحٍ وَدَاب

يستعملونها فى الدلالة على أنه اختفى كما

يختفى فصّ ملح يذوب . أى اختفى فجأة !

فَضِلْتِ أَهْرِيَّ وَأَنْكُتِ لِمَا جَهْ

أى بقيت فى حالة قاتى إلى أن جاء .

فَضِيلٌ يَيْسْتَفُه لَمَّا قَالَ بَسْ

أى أفرط فى تقريره .

فَضِيلٌ يَحْتِيهِ لَمَّا كُلَّ مَحْهُ

يحتيه : أى يدحلب عليه ، ويحتيه من

الحاتى . وأصل الحاتى عائلة مصرية اشتهرت

فَالَ اللهُ وَلَا فَالِكَ

أى ما عند الله خير .

فَتَّحَ كَدَهْ فِي عَيْنِيَه

أى أن الغالب على من أتى عملاً إجرامياً

أن ينجل إذا نظر الإنسان فى عينه ، فيقول

له فتتح فى عيني ، ليعرف إن كان أتى بهذه

الجريمة أولاً .

فَتَكْرَنَا الْقَطْ ، جَا يَنْطَّ

الْفَرَّاحُ بَايْنُ عَلَى عَيْنِه

أى أن عينه تلمع لمعة الفرح .

فَرَشْتِ الْمَلَايَةِ

تقال للمرأة الفجرية إذا رَدَحَتْ . وقد

يقال للناس المهزئين إذا رَدَحَ بعضهم لبعض .

فَرِيغُ الْهَذَارِ مَا بَقِيَ إِلَّا الْجَدُّ

أى ذهبَ وقت الهزل ولم يبق إلا الجد .

الْفَرْقَةُ كَانَتْ عَلَى عَيْنِه

يقولون الشيء دا حصل ، وكان على

عيني ، أى تأملت له وكان غضباً عنى .

فضها سيرة

أى لا تذكر هذا الشيء ، ولا تستمر في
الحكاية عنه .

الفقر حشمة والعز بهدلة

أى أن الفقر يحشم صاحبه ، فلا يجعله
يخجل أو يتبرج . أما العز أو الغنى فيجعل
صاحبه يغالى في بهرجته وزينته .

فَقَعَتِ بالصوت

أى صَوَّتت .

في الوش مراية ، وفي القفا سلالية

أى أنه يتظاهر لك بالحب والموافقة ،
ويتكلم في غيابك بما تكرهه . والسلالية هي
الإبرة الكبيرة .

بصنع الكباب والكفتة ، فسموا كل صانع

لهذا الصنف بالحائى ثم اشتقوا منه حَتَّى ويحْتَى

فِضْلُ يزغر وينفخ

أى نظر إليه شذراً ، ونَفَخَ نفخ الغضب

فِضْلُ يصفح ويصلح

أصلها من استعمال المراكية ، والصفح

والتصليح مجازاة الريح في سير المركب ، فلا

يسير مستقيماً إذ يعاكسه الريح فيميل بالمركب

مائلة تبع الهواء . ثم يميل بها مرة أخرى

ليستطيع السير . ثم استعملت في الأمر المعقد

يحاور فيه ويداور حتى يحل .

(حرف القاف)

وأحياناً يقولون منخ فقط بمعنى أن فهمه
بطيء ، ودأ شيء يطير المنخ ، أى العقل ،
أى يجنّ

قَالَتْ يَا مَا الْحَلَاوَةُ حَلْوَةٌ ، قَالُوا دَقَّتِهَا ؟
قَالَتْ بِنْتُ عَمِّي شَافَتْ اللَّيِّ دَاقَتَهَا
تَقَالُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ عَنْ شَيْءٍ عَلَى السَّمَاعِ
مِنْ بَعِيدٍ .

قال يا داخل بين البصلة وقشرتها
قال ما ينوبك إلا ريحتها

قال يا ما الجمل كسر بطيخ

قال يا ما البطيخ كسر جمال

تقال عندما ينزل الشر بأحد ، وهو
يُنزَلُ الشر به . فكلاهما يعذر الآخر .

قالوا للرجال يا حرامى ، شر شر منجله

أى اتهموا الرجل بالسرقة ، وشو هو
سمعته ، فأصبح من أجل ذلك لصاً جريئاً ،
يسرق علانية ، فهو قد شر شر منجله علانية
ليسرق به .

القادر عايب

أى أن من لوازم القدرة الطغيان . فحق
أحس القادر بقدرته طغى : « إن الإنسان
ليطغى أن رآه استغنى » .

قُلُّهُ فِي وَشِّهِ وَلَا تَغَشَّهُ

أى صارحه ، ولا تخدعه .

قاعد للساقطة واللاقطة

أى أنه مترقب ترقباً دقيقاً ، لا يفوته
شيء في الملاحظة .

قَاعِدٌ مِطْرَ شَقٍّ

ومثله قاعد مبورز أى زعلان .

قَاعِدٌ يَبِيعُ وَيَقِيسُ

أى يتصرف فى دكانه كما يشاء .

قَاعِدٌ يَمَخِّخُ

تقال لمن يتأمل وبتفكر وبتخييل .

ويستعملون المنخ للدلالة على العقل ،
فيقولون منخه فاضى أى أبله ، ومنخه مليون ،
أى عقله كبير ، وما فيهش منخ أى مجنون ،

أن يجرى . ومسألة القضاء داخله في حسابهم كثيراً . ومن هذا الباب « مين عارف كان راح يجرى إيه ؟ » أى لعله كان سيجرى شيء أكبر من ذلك ، فأُطْفَ بذاك . ومن هذا الباب أيضاً « قدر ولاطف » .

القطّ ما يجبّش إلا خنّاقه

تقال للرجل أو المرأة يجب من يؤذيه .

قعد يحقن في نفسه

أى يمرّ كما بما يثير الغضب والحزن .

قعد يرطن وقعد يبرجم

أى يتكلم في غفمة مع غضب .

قعد يشخط وينرّ

أى استمر يشتم ويمرّك يده للتهديد .

قعد يودى ويجيب

هو كما تقول العرب يضرب أحساساً في أسداس .

قلبي على ولدى انقَطَر

وقلب ابني على حجر

يقال عند ما يبدو عطف من الوالدين وعقوق من الولد .

قال لى وقلت له

تستعمل في كلام المصريين كأنها حكاية صغيرة كقولهم : قال لى نام علشان أذبحك ، قلت له دا شيء يطيرّ النوم ، وقال للجارية اطبخى قالت له ياسيدى كلف وهكذا .

قاموس الحب

أكثر أغاني المصريين في الحب . وللحب قاموس تكثر فيه كلمات معينة . وهو الحب ، الهجر ، الوصال ، الضنا ، القلب ، العذول . طول الليل ، طيف الخيال ، اللقاء الخ .

قبّة بلا شيخ

القبّة عادة تدل على شيخ تحتها ، فإذا حصل شيء وذهب مدلوله ، قالوا فيه هذا التعبير .

القرعة تتبأهى بشعر بنت اختها

تقال لتي تفخر بما ليس لها .

قَصّاً أخفّ من قضا

يعنى أن ما أصابني اليوم وقضى به على أخف من قضاء أشد منه كان يحتمل

(حرف الكاف)

كثّر خير الأرض الّلى شيلاه
تقال للثقيل .

كعبلنى الحب
أى جعلنى أتعثر فى السّير .

الكعك دا دايب

تقال للقطير والكعك وأمثالها بمعنى
أنها ناعمة هشة كثيرة السمن .

كل إنسان أولى بحقه
أى أن كل إنسان أولى بماله ، ولو غاب
عنه .

كلام فى المضم
وأحياناً يقولون دا كلام فى المليان ،
أى أنه كلام حازم ، متجه إلى الغرض .

كل بعقله حلوة
أى أنه أنفق عقله فيما لا يفيد .

كلمات متقابلة

كويس ووحش .
جلو زى الشهد ، مُر زى العلقم .
طرى ، ناشف .

كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا
أى كأننا لم نعمل شيئاً ، لأن عملنا ضاع .

كانت وقعته زحل

يتشاهمون من زحل ، فيعبرون عن ذلك
بسوء الوقعة .

كان فى حال ، صَبَحْ فى حال

أكثر ما تقال فى الصيرورة إلى الشر ،
كفنّ أصبح فقيراً ، أو صحیح أصبح مريضاً

كبر الجرن ولا شماتة الأعداء

أى أن كبر الجرن الدال على كثرة
المحصول ، إذا لم يكن فى كثرة المحصول ، منع
من شماتة الأعداء .

كُتِبَ الكتاب

بمعنى عقد العقد . وفصح الكتاب بمعنى
رأى البخت .

كُتِرَتْ لهاليه

أى اشتعل قلبه ناراً .

كنت أفْتِكِرُ إنك وِفي

أَتَارِيكَ تَكَيدِنِي وَتَحْتِي

هو تعبير عامي مشهور ، بمعنى كنت
أظنك كذا فلقيتك كذا ، فيقولون مثلاً
كنت أظنك ملك ، أتاريك شيطان .

كوز

الكوز هو الإناء المعروف ، ويستخدم
كثيراً في ملئه بالماء والسوائل . وكثيراً
ما تكون له يد يمسك منها . ولكنه يستعمل
أيضاً للتعبير عن ثمرة عود الذرة ، ويكاد
يكون استعمالاً مصرياً بحتاً فيقولون كوز
ذرة . وهم يتركون هذه الكيزان حتى تجف ،
ثم يقشرونها ، ويفرطون الذرة منها ، ثم
يخزّنونها ، يأخذون منها شيئاً فشيئاً لطحنها
عند الأكل . ونظير ذلك أيضاً ما يقولون
« كوز الحلبة » ، يطلقونه على الحلبة إذا
وضعت في كوز أو نحوه وُبَلَّت بالماء ، حتى
نبتت ، ويسمون التين الشوكي بكيزان
العسل ، تشبيهاً له بكوز مليء بالعسل ،
للدلالة على حللته .

ملوم ، ومفروط .

فَارِغ ، ومليان .

نهاره أبيض واسود .

طازة وبابت .

صحيح ومكسّر .

عين سليمة وعمية ومدغششة .

عالى ووَاطِي .

دُغْرِي وَعُور .

الأرض ناشفة ومزّلقة .

مفرش ومدخس .

عريض وكيز .

تِيخِين وَاْرِفِيْع .

مرتاح وتعبان .

مَكْسِي وعريان .

كلمة ورد غطاها

أى كلمة قصيرة .

كله عند العرب صابون

أى أنهم يستخدمون كل ما يقوم مقام

الصابون ولا يفرقون . يقال لمن لا يفرق بين

الأشياء المتقاربة .

(حرف اللام)

لا له في الثور ولا في الطحين

أى ليس له من الأمر شيء .

لا لهم مال ولا يحزنون

أصلها الآية القرآنية لا خوف عليهم

ولا هم يحزنون ، ثم صاروا يستعملونها في النفي

فيقولون لا عنده مال ولا يحزنون ، أى ولا

أى شيء آخر ، ومثله : لا عندهم فرح ولا

يحزنون إلخ .

لا وراه ولا قدّامه

أى ليس له شيء .

لاوى بوزّه

أى غضبان .

لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب

أى ليس يعجبه شيء ، حتى العجب

نفسه لا يعجبه ، ولا الصيام في رجب مع

أنه محبوب .

لا ينفع طبله ولا طار

أى لا ينفع في شيء ، ولا يفيد في أمر

من أمور الحياة .

لا تعارنى ولا عايرك

الهمّ طايلى وطاينلك

يقال للثنين اشتركا في المأساة .

لا تكثر لهمك ما قدّر يكون

أصلها من قصيدة للشيخ على الليثي وفيها :

الله المدبّر والعالم شؤون

لا تكثر لهمك ما قدّر يكون

ويشعذ بها الشحاذون في الشوارع .

لا راح الزمان عليه ولا جة

تقال لمن بقى على شكله بعد مضيّ

السنين ، لم يؤثر فيه الزمان .

لا شافع ولا نافع

ومثله لا يشفع ولا ينفع ، أى لا خير

فيه .

لا قينى ولا تغدينى

أى أن تحسن لقائى خير من أن تحسن

غداى .

لا كده نافع ولا كده نافع

أى اتبعت معه كل السبل فلم تنجح .

الله يُلطف به

تقال لمن مرض وخصوصاً مرضاً عقلياً

اللّٰى اختشوا ما تَوَا

اختشى بمعنى استَحْيَا ، ولذلك يقال
للرجل إذا أتى بفعل منكر اختشى ، ومعنى
الجملة أن الناس الذين كانوا يستحيون ذهبوا
ولم يبق إلا من لم يستح . ومن هذا القبيل
اختشى على عرضك .

اللّٰى تجمعه التَّمَلَّةُ في سنة

ياخذه الجمل في خُفِّه

اللّٰى جاب لك يَحْلِيك

أى إن الله الذى أعطاك يبقى نعمته
عليك .

اللّٰى حبّك يا هَنَاهُ

أى ما أهنا من يحبك .

اللّٰى زمر ما يفظيش دقنه

أى أن الذى يأتي بالعمل لا يصح أن
يتستمر منه إذا صمم عليه .

اللّٰى ما يرضى بالخوخ يرضى بشرا به

تعبير يقولونه فى معنى : من لم يرض
بالكثير اضطر إلى أن يرضى بالقليل .

البس دا خايل عليه

أى أنه ملائم له ، ومناسب لشكله .

اللحمة متهبّة

أى ناضجة جداً . فإذا لم تكن ناضجة
فضجاً تاماً قالوا نُصَّ نُصَّ .

لسانُه يسبّح ، وقلبه يدبّح

أى أن لسانه حلو ، وقلبه مرّ ...

لستّه فيه الرّمق

أى لا يزال فيه بعض الحياة .

اللبب بالأسماء

يقولون لنفيسة نفوسة ، ولزئب زنوبة
ولعيشة عيوشة ، ولعزيزة زيزة ، ولحمد حمادة
ولعبد الفتاح توحة ، ولمصطفى مصمص ،
ولخديجة خدوجة ، ولهانم هنومة ، ولاستيته
ستوتة وهكذا .

لعبت عليه نفسه

يقولونها فى الدعاء على الشخص ومعناها
تحرّكت عليه نفسه للقاء . ومثله غمّت عليه
نفسه .

الله عليه

تقال عند استحسان شىء .

لَيَالِي زِي قُرُونِ الْخَرْبِ

أى ليالى سوداء . تقول المرأة أو الرجل
مررت على ليالى زى قرون الخرب ، أى
سوداء حزينة .

لَيْكِ أَلْفِ عَوْزَةٍ

وَادخَرْتِكِ لِيَوْمِ عَوْزَةٍ

العوزة ، الحاجة إليه .

لَيْلَتِهِ مَشِ فَايْتَةٍ

أى لا تنقضى بسلام ، بل يحدث فيها
من الشر ما يطيلها . لأن العادة جرت بقصر
الوقت السعيد كليل الوصال ، وطول الوقت
الشقي كليل الهجران .

اللى يُبَاتِ فِيهِ يَصْبِحُ فِيهِ

أى أنه مستمر على حالة واحدة .

اللى يُعْطِدُ وَيَأْهَ مَا يَشِيْشُ هَمٌّ

أى أنه فرح مرح ، يفرح من جالسه .

لِمَوْنَةٍ فِي بَلَدِ قَرْفَانَةٍ

أى أنه حارٍ لصفاتِ الطلبِ عليها

كثير .

لَوْنِهِ تَوْتِ عَنَّخِ آمُونِ

استعمال ظهر على أثر ظهور ذخائر

توت عنخ آمون وما فيها من ألوان كثيرة

زاهية ، وأصبغ متعددة .

(حرف الميم)

فإذا رأوا أسراً قبيحاً لم يكن ينتظر قالوا
ما شاء الله . ويقولونها أيضاً للمدح
والتشجيع ، فإذا روى لهم مثلاً عن رجل
يحفظ آلافاً من الشعر ، قالوا ما شاء الله .
ومثلها في ذلك : يا سلام . والفارق بين
الاستعمالات النعم وموضع القول .

ما فيش بينى وبينه عمار
أى ليس بينهما ألفة .

ما فيش فى وشه دم
أى لا حياء عنده .

ما فيش لزوم
أى لا داعى لهذا .

ما كانش عشمى
أى خاب أملى .

ما هى دى عوايدك
أى من معتاداتك ، وليس غريباً .

وقريب منها قولهم من وحيدك ، أى إحدى
العجائب التى تأتى بها .

مأبه الموت وما به زانقة القبر

هو تعبير غريب ، يقولونه للدلالة على
الرجل وقع فى مصيبة فما لبث أن وقع فى
مصيبة أخرى ، كقولهم « تكسرت النصال
على النصال » واللفظ نفسه لا يدل على هذا
المعنى ، ولكن يدل عليه الاستعمال . وهو
استعمال شائع فى لسانهم ، فيقولون : ما به
كذا وما به كذا ، للدلالة على أنه كانت
تكفيه المصيبة الأولى ، فجاءته المصيبة الثانية
زيادة عليه .

مات فطيس

أى مات بسبب لا يدعو إلى الموت .

مات فى جلده
أى خاف .

ماشى بالذراع
أى القوة .

ما شاء الله

كلمة يستعملها المصريون ثلاثة استعمالات :
يستعملونها مرة للاستعظام ، فإذا رأوا شيئاً
حسناً ، قالوا ما شاء الله . ومرة للاستهجان ،

المحسنات اللفظية

يعتمد المصريون كثيراً على المحسنات اللفظية من جناس وسجع وكناية ونحو ذلك ؛ حتى ليغيرون الكلمات أحياناً التماساً للسجع أو الجناس . فمثلاً يقولون : سيدي بندق ما صدق . وبندق لا معنى لها ، إلا أنها فرش للسجع ، ومن مثل إمعانهم في الجناس قولهم :

محبكم داب وانتم لم دريتوبه
والنار بترعى فواده وانتم لم دريتوبه
فاللفظتان واحدة ، والمعنى في اللفظة الأولى ما دريتم به ، وفي الفقرة الثانية ما درى ثوبه .

مدد يا أسيادي

تقال عند زيارة شيخ يطلب منه المدد والإعانة .

المرّ

يستعملونه هو والصبر كثيراً في كلامهم ، بمعنى تجرع الفصص ، فيقولون شربت المرّ ، وسقاه المرّ من كيعانه ، وشفّت المرّ ، وذقته حلو على مرّ ، وشربت كأس المر وهكذا .

ما يرذخ لسالم إلا مطاوع

يظهر أنهما كانا لسنين تهاجياً ، وأنهما كانا ندين في التهاجي . تقال لائنين لا يقدر على أحدهما في الشر إلا الآخر .

ما يستاهلش ملء وذنه نخاله

أى أنه رجل تافه لا يساوى شيئاً .

ما يُقَع إلا الشاطر

تقال عند ما يزل الماهر .

المجنون ما يعجبوش إلا عقله

ولو جبت له ألف عقل على عقله

أى أن المجنون متمسك برأيه . وهم

يعتقدون أن المجنون ، إنما يعرف كيفية

معاملته مجنون مثله . ويحكون في ذلك أن

مجنونا أخذ طفلاً وطلع به مثذنة ، وأراد

أن يحدف الطفل من المأذنة ، فخاف أهله ،

فنادوا بمجنون مثله . فقال له : إن لم تنزل

نشرت المثذنة ، فوقعت بالطفل ، فخاف

ونزل . ونجا الطفل .

زاد عليه الطلب ، وهو لا يستطيع إجابة
الطلبات كلها .

مِشِي

المشى معروف ، ولكن يقولون :
مِشِي على كفه ، ومشى على حلّ شعره ،
بمعنى أطلق لنفسه العنان . ويقولون مشت
بطنه إذا أصيب بالإسهال . ومن تعبيراتهم
« الحق يمشى » .

مشى لحال صبيبه

أى انصرف لوجهه .

ملاّ

تستعمل للتعظيم . يقال ملاّ راجل ،
وملا كتاب ، أى راجل عظيم ، وكتاب
عظيم ، إلا إذا قصد بذلك الاستهزاء .

من دَقْنَهُ وَاِفْتِيلَ لَهُ حَبْلٌ

كلمة تقال بمعنى أنك تعمل له حيلة من
صميم عمله . وأحيانا يقولون : من دقنه وافتل
له كملك .

مِنْ شَافِ بَلُوءَ غَيْرِهِ هَانَتْ عَلَيْهِ بَلُوتُهُ

أى من رأى مصائب غيره ، هانت

عليه مصيبيته .

المراكبى فى حساب والتوتى فى حساب
تقال لائنين أو أكثر كل يرمى حسابه
على أساس .

المسألة دى ريمحتها فاحت

أى كثر فيها الكلام السىء .

مِسْكُهُ بَهْدِلُهُ

أى أنه شهر به وهجاه .

مِشَى سَنَةً وَلَا اتَّخَطَّى قَنَا

أى إن احتاج الأمر إلى ممارسة ومداورة

فأفعل وإن طال الزمن ، وذلك خير من أن
تتغلب على العقبات فى سرعة مع تعرضك
للخطر . وقد يقع فيها من أراد تخطئها .

مِشْ عَارِفٌ إِنْ كَانَتْ الدِّينَا

بِتِهْوَى وَلَا بِتِدْوَى

أى لا يعرف كيف تصير الدنيا وما فيها ،

كأنه أبله ، لا يدرى .

مِشْ مِلَاحِقٌ

يقال فلان مش ملاحق على كده ، إذا

موت يا حمار على ما يجيئك العليق
أى انتظر طويلا ، حتى يحدث ماتأمل ،
ولن يحدث . ومثله حتى يجيء الترياق من
العراق .

المية تكذب العطاس

أى إن الرجل إذا ادعى أنه عطاس ،
وشك في ذلك ، فاللأه كاف في تجريبه .

من طقطق لسلام عليكم

طقطق حكاية صوت الباب عند
الدخول ، وسلام عليكم علامة الانتهاء من
الزيارة ... يضربونه في أن الرجل حكى
الحكاية كلها ولم يترك منها شيئا .

منفوخ ع الفاضى

أى متكبر على لا شيء .

حرف النون

انْفَتَحَ زَى الْبِرَابِنْدِ

أى تكلم كثيراً بطلاقة وتدقق .

تقاوة عيني

أى اخترته على عيني .

نَقَبُهُ عَلَى شُونَةِ

تقال فى الأصل للحرامى ظلّ ينقب .

وأخيراً انتهى نقبه إلى شونة حيث لا ذهب

ولا فضة ، إلا قحاً أو شعيراً تصعب مرقته

ثم استعيرت لكل رجل يأتى عملاً لغرض

ثم ينقلب عليه غرضه فلا يكسب شيئاً .

النيل نجاشى

تعبير اخترعه أحمد شوقى . ومعناه أسمر

نجاشى .

النار ولا العار

هو تعبير أيضاً من تعبيرات العوام ، أى

أنه يفضل النار على العار ، ومثل هذا

الاستعمال شراً العبد ولا تربيته ، فوَلَا هُنَا

بمعنى أحسن . ومثله أيضاً الشرط عند الحرت

ولا الخنافة فى الجرّن .

ناس يا كلو البلح ، وناس يترمو بالنوى

أى ناس سعداء وناس أشقياء .

نظره على قده

يستعملون على قدّ كثيراً بمعنى قليل ،

فيقولون نظره على قده إذا كان قصيراً ،

ومعيشته على قدّه ، إذا كان فقيراً وهكذا .

(حرف الهاء)

وأحياناً يقولونها عند قدوم شهر رمضان .

هَمَّ عَيَان ، وهمَّ ما معاهوش فلوس

تعبير يستعملونه كثيراً ، فيستعملون هم بمعنى من ناحية .

هوَّ أنا اشتكيت من شيء شوية

أى لم أشكُ من شيء قليل ، بل شكوت لما فاض بي الهم .

هوَّ داخل عامل زيطة وزنبليطة

أى دوشة .

هوَّ السما وانت القمر

أى أنك حلت في قلبه محل السماء يدور فيها القمر .

هوَّ عقلك دفتّر ؟

تقال للاستغراب بمن حسنت ذاكرته .

هوَّ قال كده وأنا اتبليت

أى بمجرد ما قال ذلك خجلت من

قوله .

هاتُه من شعر راسه

أى بالقوة .

هاتى يا سِدْرَة ، ودّى يا مدرة

أى أنه أسرف في حياته حتى أنفق

ما جمع .

هَهْنِي نَفْسِي

أى اشتقت .

هَفَّ طَلَعَ النَّهَار

كان الناس قديماً يعيشون ليلاً في ضوء

الشمع أو القنديل ، أو مصباح الجاز ، فإذا

بدأ النهار أطفأوا المصباح بقولهم « هف » وهى

حكاية صوت الإطفاء . فإذا قالوا هف

أطفأوا المصباح وذلك دليل على طلوع النهار .

وهم يقولونها للدلالة على تغيير الحال إلى أسوأ ،

فمثلاً إذا ذهب أيام عزّه ، وأصبح شقيماً

بانسكاً . أو ذهب أيام غناه ، وأصبح فقيراً ،

قالوا إذ ذاك « هَفَّ طَلَعَ النَّهَار » .

هَلَّ نورك

يقولونه للرجل أو المرأة ترحيباً به .

في حسابها ، فيستنكر عليه ويقال هي دي
حسبة برمة ولا أدري ما أصلها .

هَيْلَةٌ هُبَّ هَيْلَةٍ

كلمة يقولها المراكبية عند زحزحة
المركب . ومثلها هُبَّ لِيصًا .

هي دي أخلاق بني آدمين

بني آدمين جمع ابن آدم . أي أهذه

أخلاق ناس طيبة ؟؟

هي حسبة برمة

يقال للحسبة . . بحسبها الرجل فيطيل

(حرف الواو)

ورّاه نجوم الظهر

أى صب عليه الشدائد .

ورّينى عَرَض كَتافك

أى اذهب لحال سييلك .

وَزَّةٌ عَلَىّ

أى حرّضه علىّ .

وشّه يقطع الخميرة من البيت

أى أنّ وجهه وجه شؤم .

وعنّها وشّمع الفتلة

كلمة وعنّها يستعملونها كثيراً بمعنى إذا به ،

وشّمع الفتلة يكون بها عن الهروب .

وقِعَ في أرابيزه

يقال للشئ المعيب ، لم يقدر صاحبه

على أن يتصرف فيه ، أو تصرف فيه ،

ولكن عاد إليه لعيوب ظهرت فيه فيقولون :

وقع في أرابيزه .

وقع في شرّ أعماله

أى ما اكتسب من سوء عمله .

وأبوها

تستعمل كثيراً فتسأل رجلاً ، هل

تستطيع أن تفعل هذا الشئ فيقول لك

وأبوها ، أى أنه يستطيع أن يفعل أكثر منها .

الواحد ما يا خدش إلا نصيبه

دلالة على الإيمان بالقضاء ، ولكن من

الأسف أنها تستخدم أحياناً للتبرير الكسل .

الواحد يكلمه بعرض حال

أى إنه متكبر لا يتكلم إلا بصعوبة .

واخذ منى على خاطرُه

أى هو غضبان منى وعاتب علىّ .

وَدَنَكُ منين قال من هنا

ثم يشير إلى أذنه البعيدة لا القريبة ،

وكانت الإشارة إلى القريبة أولى . يقولونه لمن

حاول إتيان الشئ من بعيد وكان يمكنه أن

يأتى به من قريب .

وِدْنٌ من طين وودن من عجين

تقال للرجل أو المرأة لم يعلق على هذا

الحديث أهمية . بل أغضى عنه حتى كأن آذانه

من طين ومن عجين لا تسمع ولا تحسّ .

في إمكان المطلوب منه ولا في نيته أن يعطيه ،
فإذا قلت لرجل أقرضني عشرة جنيهات مثلا
وهو لا يريد أن يعطيك أو ليس معه قال هذه
الجملة .

وَيَاكَ وَيَاكَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ

أى يجاريك في قولك ، ويجارى الناس
ضدك معهم . وهو دليل على خلق فاسد .

وَلَهُ يَا رَاجِلَ أَوْ يَا خِيَّ وَلَهُ
أى حاسب ، لا تكثر .

والنبي اللى حطيت إيدى على شبابه
يقسم بها من حج وزار النبي ووضع يده
على ضريحه .

وَالنَّبِيُّ مَا كَانَ يَنْعَزَّ

تقال للاعتذار عن شيء طلب ، وليس

(حرف الياء)

يا داخل بين البصلة وتشرتها

ما ينوبك إلا ريحتها

أى لا تتدخل بين المتخاصمين فيلحقك
الأذى .

يا دار ما دخلك شر

تقال عند انتهاء المسألة من غير أن تثير
شراً .

يا دوب قعدنا وجه فلان

هذا تعبير عامى غريب ، يقال إذا حصل
الشيء تماماً فى وقت الشيء الآخر ، أو عقبه
بقليل ، يقولون ، يادوب ركبنا والقطر مشى ،
أى عقب الركوب مشى القطر ، يادوب دخل
البيت ووقع مات ، أى عقب دخوله مات .

يا رايح قول للجباى

ويا شاهد قول للغايب

أى ليخبر بعضكم بعضاً .

يا رُوحي على كده

كلمة تقال فى الغالب لمغازلة السيدات

يا بخت اللى نفع واستنفع

كلمة شائمة على لسان المصريين ، وهى
تدل على فساد شائع فى الخلق ، لأن معناها
ما أحسن بخت الذى ينفع وينتفع ، أى يأخذ
الرشوة ويقضى الحاجة . وهو خير عندهم من
الذى لا يأخذ رشوة ولا يقضى شيئاً . ومعنى
هذا أن الرشوة تحمل وتستحسن إذا اقترنت
بقضاء الحوائج .

يا بن الحلال فضك من الخصام

ابن الحلال تقال للمدح . وعكسه ابن
الحرام . وفضك من الخصام بمعنى أترك .
وهو كثير فى كلامهم . يقولون : فضك
من كده . وفضك من الكلام الفارغ ،
فهى مرادفة لكلمة بلاش . فبعضهم يقول :
بلاش كلام فارغ ، وبعضهم يقول فضك
من الكلام الفارغ .

يا خبر بفلوس بكره يبقى بلاش

بلاش أى بلا ثمن . أى إن هذا الشيء
اليوم بثمان لندرتة ، فقدأ يكون بلا ثمن
لكثرتة .

يا ليلة بيضة يا نهار سلطاني

تقال عند الفرح والسرور . والنهار
المشرق الجميل يسمى نهار سلطاني . والسكة
الواسعة الممتدة تسمى سكة سلطاني .

يَا مَا

يستعملونها بمعنى كثير ، فيقولون ياما
رأيت ، أي رأيت كثيراً ، وياما قلت ، أي
قلت كثيراً . وأحياناً يستعملون يا زائدة ،
فبدل أن يقولوا ما أكثر فلوسه ، يقولون :
ياما أكثر فلوسه .

ويقولون « ياما » باعتبارها صفة . فنثلا
يقال « فلوسه ياما » أي كثيرة ؛ وكذلك
« خيره ياما » .

يا ما ناسن كثير متعذبة

وَمِنْ الْعَلَا مِثْلَهَلْبَهْ

هو تعبير ظرفي ، أي أن قوماً كثيرين
في عذاب من العلاء ، كأنهم في لهلوبة نار .

يا مستكتر ، الدهر أكثر

أي لا تغتر بكثرة ما في يدك ، فالزمان
يستطيع أن يضيع الكثير .

ياريت اللي جرى ما كان

تقال عند الندم على ما حدث .

يا زرع البداري ، يا جنّي العَصَارِي

زرع البداري يقال للجسيم ، لأنهم
يعتقدون أن ما زرع مبكراً يسرع إليه النمو
وجنّي العصارى ، أي أنهم يحنونه في العصر ،
وهو خير أوقات الجنى .

يا سلام

تقال في مواضع كثيرة ، فنثلا يقال
يا سلام سلم عند الرعب والطلب من الله
السلامة ، فيقولون مثلاً من عينيه يا سلام ،
أي يارب سلم من تأثير عينيه . ويقول المريض
عند الوجع يا سلام . ويقول المتعجب عند
العجب يا سلام على كده مثلاً .

يا عدوى

نداء ينادى به على الولد التائه أو البنت
التائهة فهم يقولون يامن شاف ولد صفته
كذا ، ويلبس كذا ، واللى بلاقيه له الخلاوة
يا عدوى . والعدوى هذا شيخ ينسب إليه
أنه يحضر التائه .

يا ويل اللى ما يرضى عنه أبوه وأمه
أى ويل له .

يبوس إيدَه وشّ وِضَهْرُه
تقال إذا أنعم على الإنسان بنعمة ،
لأنهم اعتادوا أن يقبلوا أيديهم ظهراً وبطناً
علامة على شكر الإله وحده .

يتعلم الحلاقة فى رءوس اليتامى
تقال لمن يستحق أفراداً يتعلم فيهم
صنعة كعلم الجراحة يعلم طلبته الجراحة فى
رءوس المجرمين .

يخلق من الفسيخ شربات
أى يعمل من الشيء الردى شيئاً حلواً .

يادّ العدى
تستعمل كثيراً على السنة النساء ، تقول
يادّ العدى يا فلانة .

يُرَدُّ الروح
أى أنه جميل جداً ، حتى ليكاد يرد
الروح على من فارقته .

يزمزا
أى يفضب ويضجر .

يا مِيتْ ندامة

يستعملون مِيت بمعنى مائة ، فيقولون
يا مِيت ندامة ، بمعنى ما أكثر ما يستحق
الشيء من الندامة . ونحوه يامِيت حسرة ،
ويامِيت مرحبة .

يا نموت سوا يا نعيش سوا

يستعملون يا بمعنى إما ، أى إما أن نموت
سوا وإما أن نعيش معاً ، ومثله قولهم يا كده
يا كده ، وتقول الأم لولدها ، يا تيجى
يا اضربك .

يا نهار زى بعضه
أى أنه نهار لا يسر .

يا هل ترى

كثيراً ما تستعمل بمعنى الاستفهام
عن الشيء ، هل يحدث فى المستقبل أولاً
يحدث . تقول يا هل ترى نعود إلى بلادنا ،
أو نعيش طول العمر كده .

يا هنّاى لّمّا فرخ بيك
أى إذا فرحتُ به فما أهناى .

يفضل الإنسان يتعلم لحد ما يموت
أى يتعلم طول حياته .

يفهمها وهى طائفة

أى أنه سريع الفهم قوى الذكاء .

يقتل القتل ويمشى فى جنازته

أى يعمل العمل ، ثم يمارى ، حتى
لا يظن أنه هو الذى عمل .

يكلمك ومناخيره ل فوق
أى متكبراً .

يمه

أى ناحيته ، يستعملونها بمعنى ناحية
يقولون إن رحمت يمه ، قول له كذا .

يموت الزمار وإصباعه يلعب

ومثله قولهم ، اللي فيه ش ما يخلفش .

يهون عليك دا كله

أى هل يسهل عليك هذا . ؟

يوضع سره فى أضعف خلقه

مثل قوله تعالى : الله أعلم حيث يجعل
رسالته .

يصبر على الآسية

أى إذا أسى إليه صبر .

يصوم يصوم ويفطر على بصلة

يقال لمن يصبر على الشىء ثم لا ينال
شيئا يكافى صبره .

يضرب بلطة

يقولونها لمن يتمشى سبها لى لا لغرض .

يعملها الصغار ، ويقع فيها الكبار

أى أن الشىء يأتيه الصغير ، ويقع فيه
الكبير ، كقول العرب « معظم النار من
مستصغر الشرر .

يضيع المستكى ، ويحافظ على الورقة

أى يضيع الشىء الهام ، ويحتفظ بالتافه
كقولهم : « سرق الصندوق يا محمد ، لكن
مفتاحه معاينه » .

يعملوها ويخيلوا

أى يأتون بالعملة فتكون منسجمة منهم
ويخيلوا ، يقال إذا لبس أحد ثوباً وانسجم
معه خال عليه ، والمضارع يخيل .

فهرس الكتاب

٣٦	الاستخارة	٣٦	المقدمة
٣٦	الاسترسال	(١)	
٣٧	الاستغناء		(حرف الألف)
٣٨	الاستفهام	١	الإبرة
٣٨	الأسرة	٣	لمريق
٤١	أسلوب الكتابة	٣	أبلس
٤٢	اسم التفضيل	٤	ابن
٤٤	الأسماء والألقاب		ابن فن — ابن فتلة — ابن سبعة —
٤٥	الأسياد		ابن سوق — ابن غرام — ابن
٤٧	الأشاعر		ليلي — ابن هلة — ابن الزمن —
٤٧	الأشلاء		ابن درزي — ابن ساعته — ابن
٤٧	الأشياء المقدسة		كيف — ابن ناس — ابن أرملة —
٤٨	أصحاب العاهات		ابن بلد — ابن حظ — ابن رابية —
٤٨	اصطلح عنتر		ابن كباية — ابن نكتة
٥٠	أفندي	١٦	أبو
٥١	الأفيون		أبو على — أبو جبين — أبو طويلة —
٥١	الأقباط		أبو عين نائمة — أبو رجل مسلوخة
٥٢	أقدام وأعتاب ونواصي		أبو قردان — أبو حديد — أبو فروة
٥٣	الأكل		أبو دقيق — أبو زيد الهلالي —
٥٤	الألعاب		أبو نضارة .
٥٦	ألف ليلة وليلة	٢٣	أترك
٥٦	اللى	٢٥	أمر النبي
٥٧	الألوان	٢٥	الأحجية
٦١	الأمثال	٢٦	الأحزاب
٧٠	الأمراض	٢٨	الأدعية
٧١	أم على	٢٩	الأذن
٧٢	إن وإذا	٢٩	أربعماء أيوب
٧٤	انتقال الجبل	٢٩	الأرمن
٧٦	أوراد	٣٠	الأروام
		٣٠	الأزرق
		٣٠	الأزهر
		٣٣	الأزياء
		٣٥	استحضار الأرواح
	(حرف الباء)		
٧٩	الباذنجان		
٧٩	باشا		

ص	
٩٧	مُفِي
٩٨	البهاء زهير
١٠٣	بهرجة
١٠٤	بوظة
١٠٤	بنت يوسف بك
١٠٥	بير يوسف
١٠٥	البير
١٠٦	بيسارة
١٠٦	بيضة عرابي
١٠٦	بيض شم النسيم
١٠٦	البيوت

(حرف التاء)

١١٢	التناؤب
١١٢	التجارة
١١٢	تحفجي
١١٤	تخروان
١١٤	التراجم
١١٤	تربية الأطفال
١١٥	التربية
١١٥	ترتر
١١٦	ترمس
١١٦	التسالي
١١٦	تسخير الحان
١١٩	التسليم
١٢٠	تشبهات
١٢٠	التصغير
١٢٠	التصوف
١٢١	التعذيب
١٢٢	التعصب
١٢٣	التميرة
١٢٣	التغيرة
١٢٤	التفاؤل
١٢٤	التقريفة
١٢٤	تلاوة القرآن
١٢٦	التثليل
١٢٨	تفيل
١٢٨	تتميل الرجل

ص	
٨٠	اليخور
٨١	البدو
٨٢	بدوح
٨٢	البرابرة
٨٣	البرابي
٨٣	البراغيث
٨٤	برج
٨٥	برد العجوز
٨٥	برطمة
٨٥	البرقع
٨٧	برمكي
٨٧	بصاص
٨٧	البصبة
٨٨	بصل
٨٩	بضلة
٨٩	بط
٨٩	البطاطة
٩٠	بطن
٩٠	بطيخ
٩١	بمع
٩١	بغسدة
٩١	بغلة
٩٢	بق
٩٢	بقر من غير قرون
٩٣	بقيش
٩٣	بكرة
٩٤	البالا
٩٤	بلاش
٩٤	البلاس
٩٥	بلانة
٩٥	البلح
٩٥	البلغفة
٩٦	بلطجة
٩٦	بليلة
٩٦	بنات الهوى
٩٧	بندر
٩٧	بندي
٩٧	بنديرة

١٦١	حراى
١٦١	الحرب
١٦٦	حرز
١٦٦	الحروف
١٦٦	الحسد
١٦٨	حسن كيف
١٦٨	الحسوم
١٦٨	حشكلة
١٦٩	الحشيش
١٧١	حط
١٧١	الحظ
١٧٢	الحفا
١٧٣	الحفوف
١٧٣	حكم قراقوش
١٧٣	الحكومة المصرية
١٧٥	حلق بلا اودان
١٧٦	الحلم
١٧٦	الحماة
١٧٦	الحمار
١٧٩	الحمام
١٨٠	الحصاة والسكى بالنار
١٨١	حمل الأتقال
١٨١	الحمي
١٨٢	الحنا
١٨٣	الحواشين
١٨٤	الحوش

(حرف الخاء)

١٨٨	الخاطبة
١٨٨	خان الخليلي
١٨٨	الخثان
١٨٩	الخدم
١٩١	الخروج
١٩١	خرزة البقرة
١٩١	الخزام
١٩٢	الحص
١٩٢	الخشبة التي تطير
١٩٣	الخصاء

	(حرف الثاء)

	(حرف الجيم)
١٣٣	جابر
١٣٣	جحا
١٣٤	جدع
١٣٤	جدوار
١٣٤	الجديد
١٣٥	الجرابة
١٣٥	الجرب
١٣٥	الجرة
١٣٦	الجزار
١٣٦	الجرسة
١٣٧	الجدع
١٣٨	جلاب السير
١٣٨	الجلبية الزرقاء
١٣٩	الجلبة
١٣٩	الجلبلوتية
١٣٩	الجل والفرزاة
١٣٩	الجنازة
١٤١	الجناس اللفظي
١٤١	الجن
١٤٣	جنينة الأزبكية
١٤٥	جهاز العروس
١٤٥	الجلوقة

(حرف الحاء)

١٤٩	الحاتى
١٥٠	حادثنان
١٥٢	حادى بادی
١٥٣	حانوت
١٥٣	الحب
١٥٣	حبرة
١٥٤	الحج
١٥٤	حجاج الحضرى
١٥٥	حجر الكباس
١٥٥	حدوة

٢١٨	الزبرجد
٢١٨	الزجل
٢١٩	الزراعة
٢٢٠	زغردة
٢٢١	الزنا
٢٢٢	الزواج والطلاق

(حرف السين)

٢٢٧	السائس
٢٢٧	سبارس
٢٢٨	السبعة
٢٢٨	السبعة
٢٢٩	السبوع
٢٢٩	السبيل
٢٣٠	السجاد المجمعى
٢٣٠	السحب
٢٣٠	السخرة
٢٣١	السرطان
٢٣١	السرية
٢٣١	سعة الرزق
٢٣٢	السفر
٢٣٣	السفرجية
٢٣٤	سكران طينة
٢٣٤	السلطان سليم
٢٣٨	السن
٢٣٨	السهرات
٢٣٩	سوارس
٢٣٩	سور القرآن
٢٤٠	السوق
٢٤٠	سوق العصر
٢٤١	السيد أحمد الكنفانى
٢٤١	سيندى الأربعين

(حرف الشين)

٢٤٥	شال
٢٤٥	الشبك
٢٤٦	شجرة العفراء
٢٤٦	الشعاذون

١٩٣	المخضاب
١٩٣	المخضر
١٩٤	المخطوة
١٩٤	المخلخال
١٩٤	المخلوة
١٩٥	المخليج
١٩٥	خمسة وخمسة
١٩٦	المخواجة
١٩٦	خيال
١٩٦	خيال الظل

(حرف الدال)

١٩٩	الدرائش
١٩٩	الدريكة
١٩٩	دستور
٢٠٠	دغرى
٢٠٠	الدلالة
٢٠٠	دودة الأنف
٢٠٠	الدين

(حرف الذال)

٢٠٥	الذقن
٢٠٥	الذمة
٢٠٥	الذوات
٢٠٦	الذوق

(حرف الزاء)

٢٠٩	الزاية
٢٠٩	الربط
٢٠٩	الزتب
٢١٠	رضا والدين
٢١٠	الرقص
٢١٢	الرقيق
٢١٤	روضة المدارس

(حرف الزاى)

٢١٧	الزار
٢١٨	الزايرجة

٢٨٤	عديّة ياسين
٢٨٥	العزاء
٢٨٥	العشيّة
٢٨٦	عفريت الليل
٢٨٦	العقم
٢٨٦	العقيق
٢٨٦	العلاقة بين المسلمين والأقباط
٢٨٨	على كا كا
٢٨٨	على لوز — الشيخ على يوسف — العامة
٢٩٠	عمودا جامع عمرو
٢٩٠	عنزة السيدة نفيسة
٢٩١	العواطف
٢٩١	عوج بن عنق
٢٩٣	عهد
٢٩٣	العيش
٢٩٤	عين الصيرة

(حرف الغين)

٢٩٧	الغابة
٢٩٧	غاباني
٢٩٧	الغراب
٢٩٧	الغريال والمذخل
٢٩٩	الغريبة
٢٩٩	الغزال
٢٩٩	الغول
٣٠٠	الغيرة

(حرف الفاء)

٣٠٣	الفار
٣٠٤	فتح الكتاب
٣٠٤	الفتوة
٣٠٥	الفراصة
٣٠٥	الفرجية
٣٠٦	الفرح
٣٠٧	الفروة
٣٠٧	الفزورة
٣٠٧	الفسقية — الفسيخ
٣٠٨	الفتى

٢٤٧	الشربات
٢٤٨	الشركة في البهائم
٢٤٩	الشعر
٢٤٩	الشعر
٢٥٠	الشعور الوطني
٢٥٢	الشمع
٢٥٣	الشمهور القبطية
٢٥٤	الشيب والشباب

(حرف الصاد)

٢٥٩	الصالونات
٢٦٠	الصداع
٢٦٠	الصعايدة
٢٦٢	الصفاء
٢٦٢	الصناعة المصرية
٢٦٣	الصوان

(حرف الضاد)

٢٦٧	الضبة
٢٦٧	الضرائب
٢٦٨	ضرب الرمل
٢٦٩	ضرب الودع
٢٦٩	الضرة
٢٦٩	الضريح

(حرف الطاء)

٢٧٥	طاسة الحضة
٢٧٥	الطالع
٢٧٧	الطارحة
٢٧٧	الطاطوقة
٢٧٨	الطلسم
٢٧٨	الطيب

(حرف الظاء)

(حرف العين)

٢٨٣	عيده وألظ
٢٨٤	المعجيز

ص

(حرف اللام)

٣٤٦	اللاسة
٣٤٦	اللبان الذكر
٣٤٦	اللهجة العامية
٣٤٨	اللوازم
٣٤٨	اللوع
٣٤٩	الليالي المشهورة
٣٤٩	ليلة الحنة
٣٥٠	ليلة الدخلة
٣٥٠	الليمون الصغير

(حرف الميم)

٣٥٣	المارد
٣٥٣	المال الحرام
٣٥٣	المخزأني
٣٥٥	المترد
٣٥٥	التموقة
٣٥٥	المخامة
٣٥٧	المحتسب
٣٥٧	المحسوبة
٣٥٩	محمد على باشا
٣٦٠	المحمل
٣٦١	مخ الحمار
٣٦١	المخللاتي
٣٦١	المدارة
٣٦٢	المرأة
٣٦٦	المراباة
٣٦٦	المستوقد
٣٦٦	المسجراتي
٣٦٧	المش
٣٦٧	المشروبات
٣٦٩	المصارع
٣٦٩	المصايف والمشاتي
٣٧٥	المصحف
٣٧٥	المصرية — الشخصية المصرية
٣٧٣	المعددة
٣٧٤	المغسل
٣٧٤	المفارقات

ص

٣٠٩	الفكاهة
٣١٠	الفلاح
٣١٢	القول
٣١٣	في الشمس

(حرف القاف)

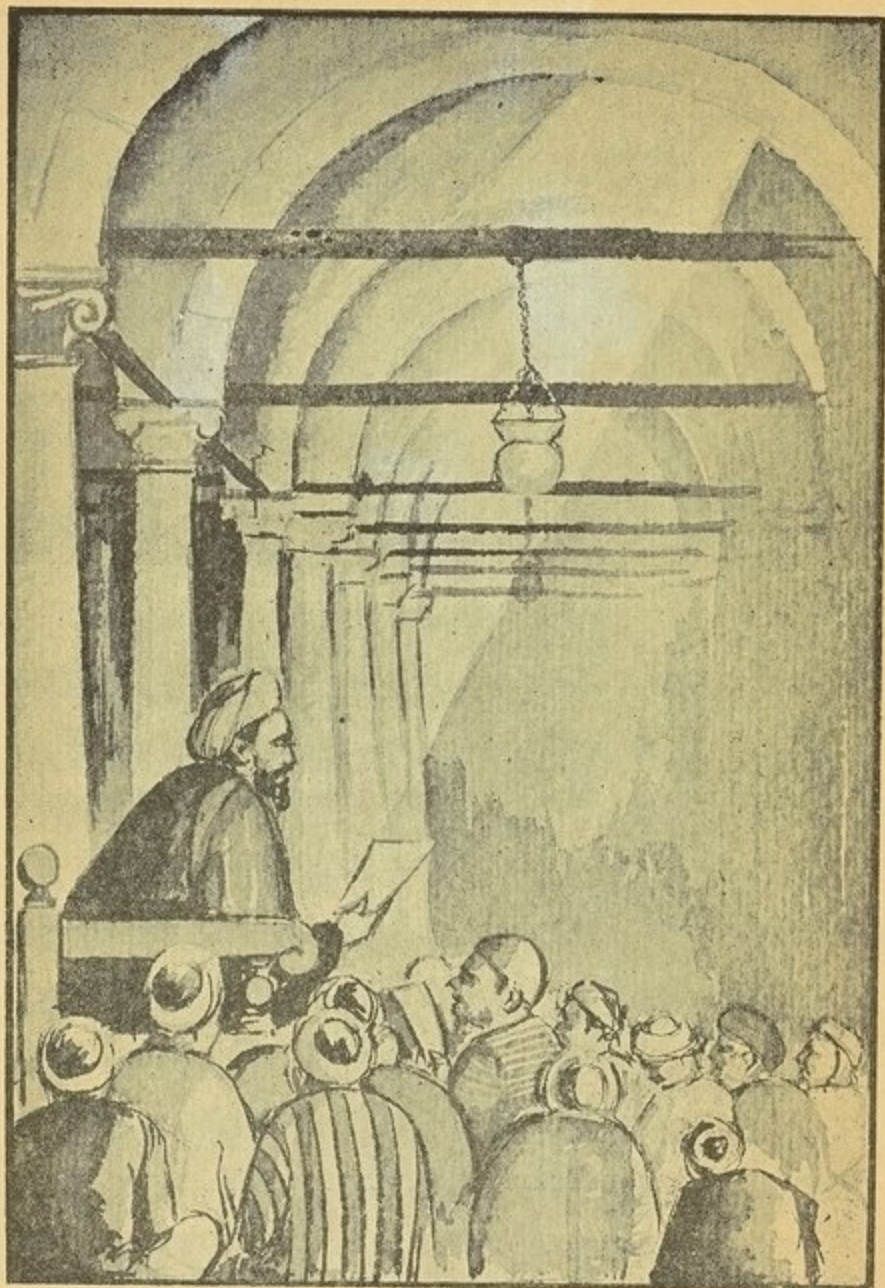
٣١٧	القافية
٣١٧	قبة بلاشيخ
٣١٧	القبلة
٣١٩	القرض
٣٢٠	قراءة المولد
٣٢٠	قراجوز
٣٢١	القرداني
٣٢٢	القرع
٣٢٢	القرافة
٣٢٣	القرعة
٣٢٣	القرفة
٣٢٤	القرينة
٣٢٤	القسم
٣٢٥	القسمه
٣٢٥	القصب
٣٢٧	النضاء والقدر
٣٢٧	نقم سليمان
٣٢٨	قنديل
٣٢٩	قياس الأثر

(حرف الكاف)

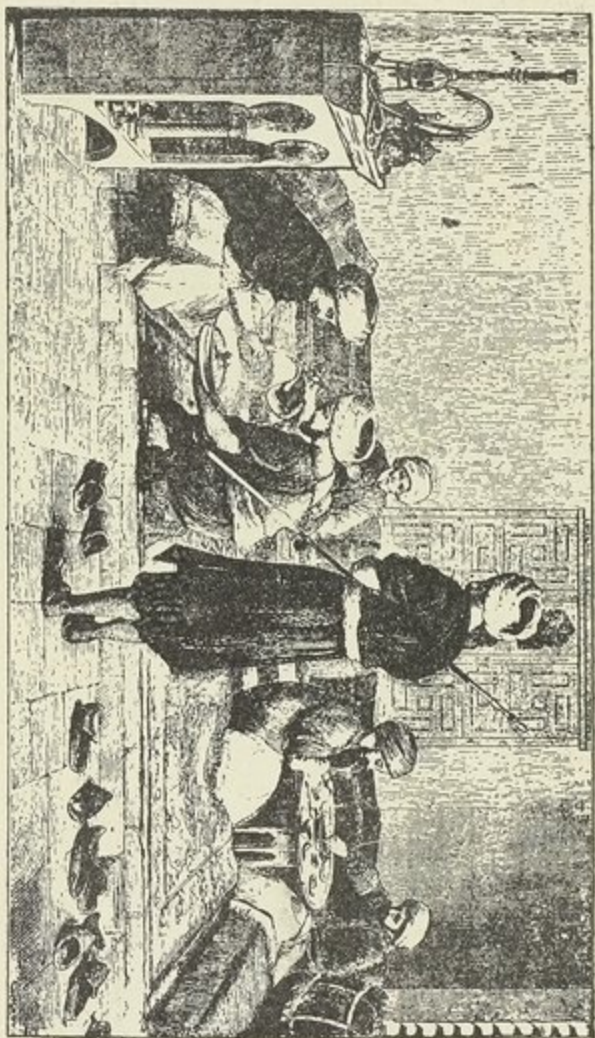
٣٣٣	الكارو
٣٣٤	الكبنة
٣٣٤	الكبة
٣٣٤	الكتاب
٣٣٥	الكتناكيت
٣٣٦	الكحل
٣٣٧	الكشك
٣٣٨	الكلمات الدخيلة
٣٣٩	كنافة
٣٣٩	الكنايات
٣٤٠	الكوليرا
٣٤٠	الكيمياء

فهرس التعابير

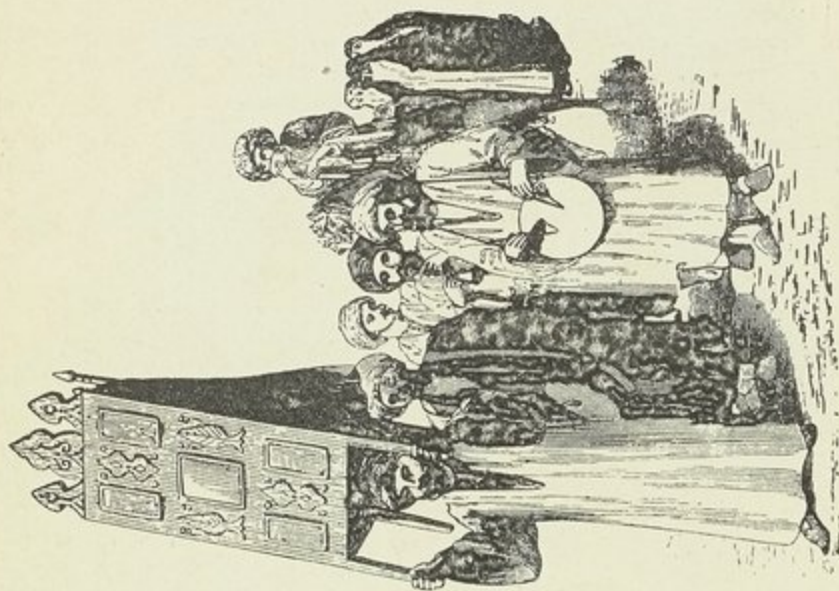
س	س
٤٥٣ حرف الضاد	٤٢٥ حرف الألف
٤٥٤ الطاء »	٤٣١ الباء »
٤٥٥ العين »	٤٣٤ التاء »
٤٥٨ الغين »	٤٣٥ الثاء »
٤٥٩ الفاء »	٤٣٦ الجيم »
٤٦١ القاف »	٤٣٨ الحاء »
٤٦٣ الكاف »	٤٤٠ الخاء »
٤٦٥ اللام »	٤٤١ الدال »
٤٦٨ الميم »	٤٤٥ الراء »
٤٧٢ النون »	٤٤٧ الزاى »
٤٧٣ الهاء »	٤٤٩ السين »
٤٧٥ الواو »	٤٥٠ الشين »
٤٧٧ الياء »	٤٥٢ الصاد »



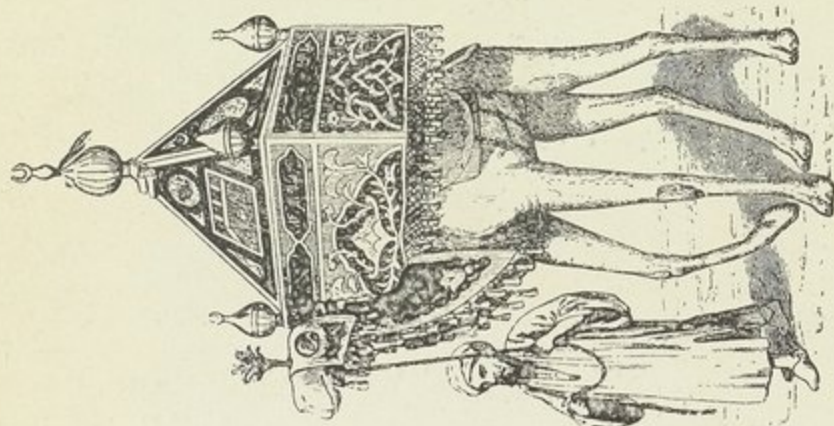
منظر من التدريس في الأزهر في العهد الماضي
(انظر ص ٣٠)



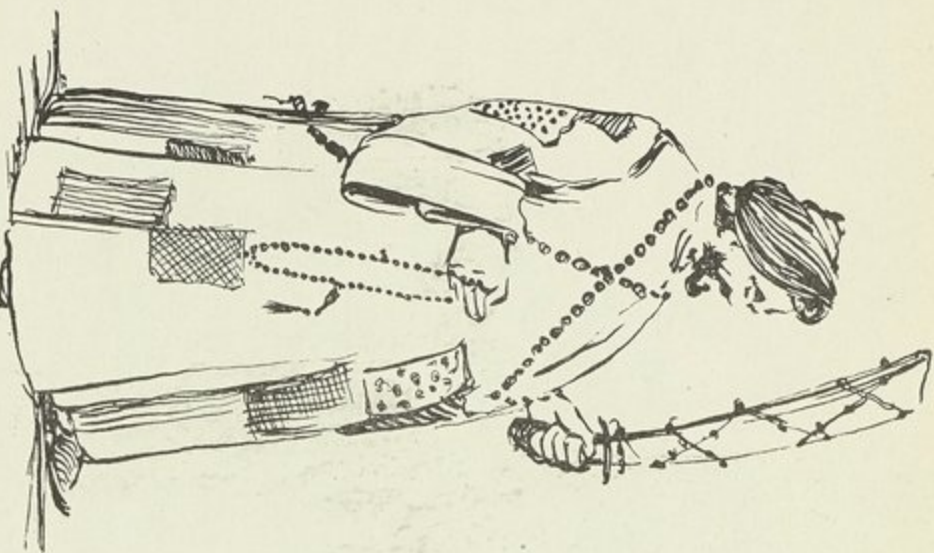
غرفة اكل



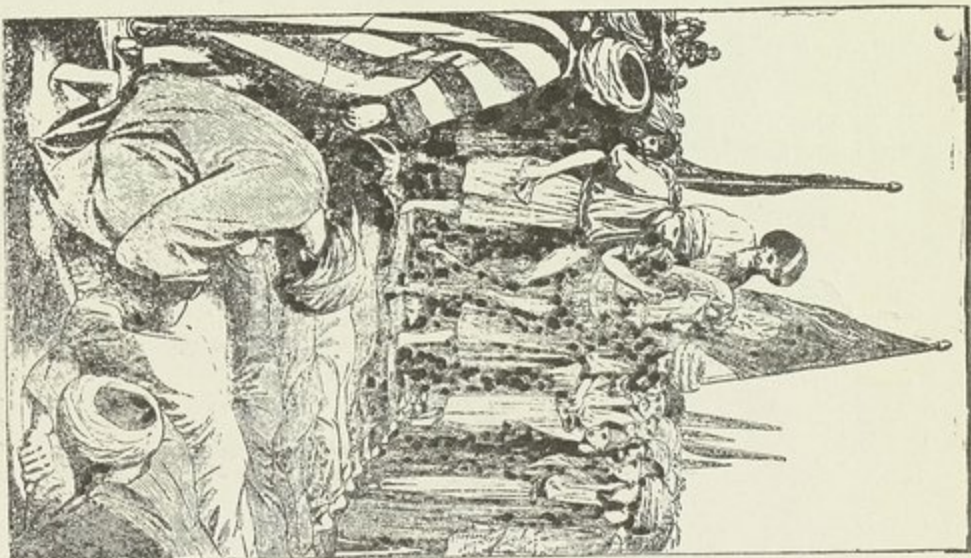
زفة



الحمل
(انظر ص ٣٦٠)



درویش
(انظر الدراویش ص ۱۹۹)



دوسه

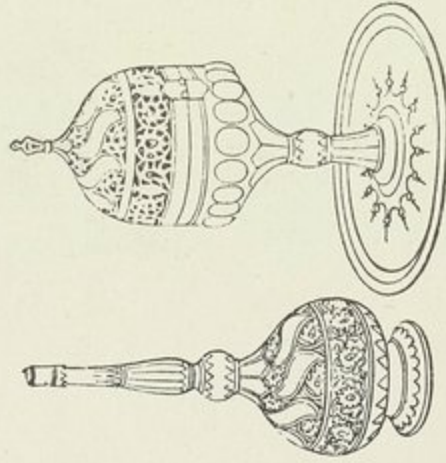
طربش طربوش ازلوا
 ازلوا احضروا اسی صد هب
 الامیر و جنوده احضرو
 الامیر و جنوده احضرو
 یا خدام هذه الاماء

وهذا الاكثف فككتفنا عندك
 غطاءك فبصرک اليوم
 حديد صحیح صحیح

حجاب
 (انظر الأجدية من ٢٥)



بيرق



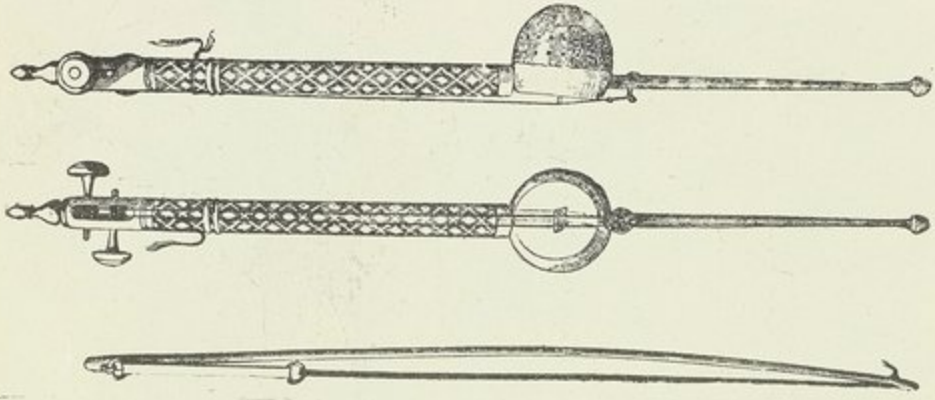
قلم ومبشرة
 (انظر قلم من ٣٢٧)



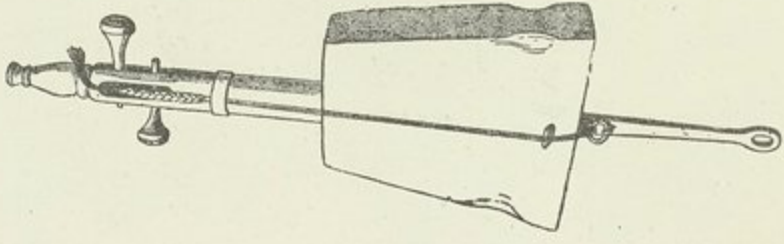
عباءة



لبس الطبقة العليا في العهد الماضي



کتابچه موسیقی
(انظر الموسیقی من ۳۸۴)



ربابة الشام



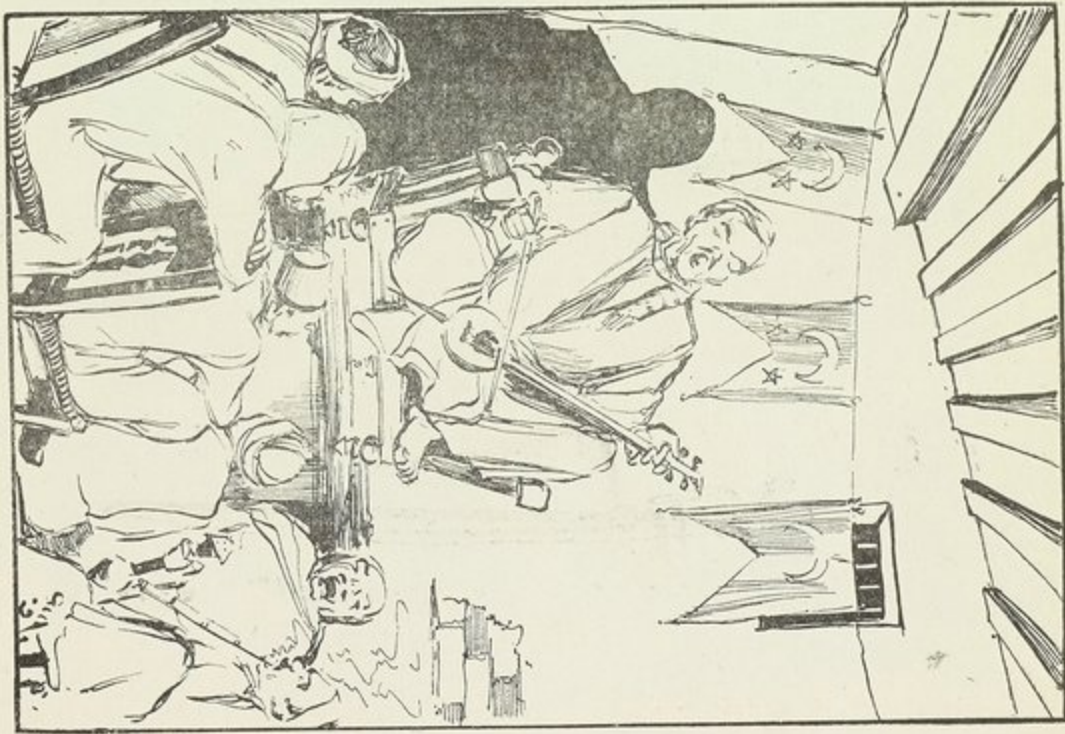


قانون

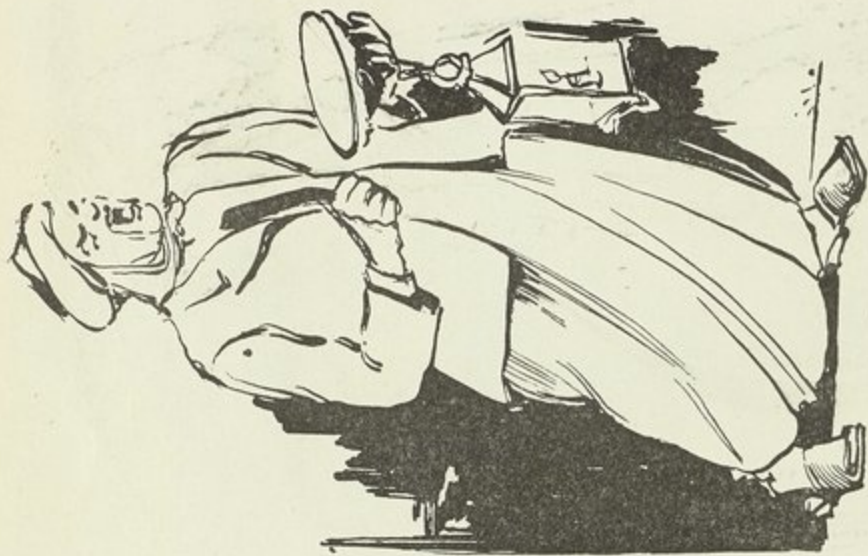


نای

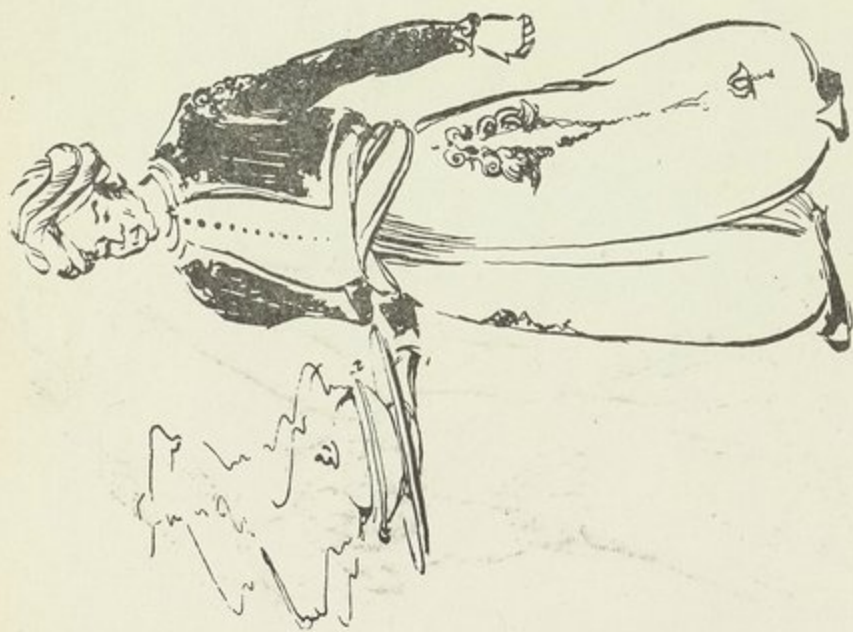
(انظر موسيق ص ۳۸۴)



الغناء



مسهرانی
(انظر من ۳۶۶)



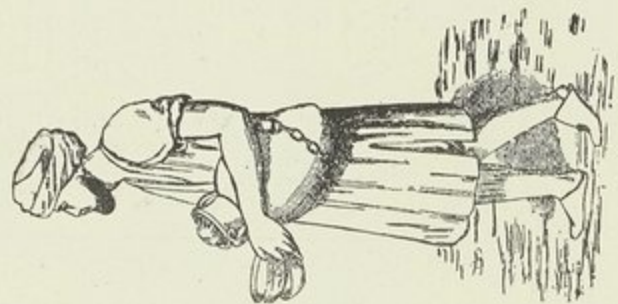
سنجری بدم آکلا
(انظر من ۲۳۳)



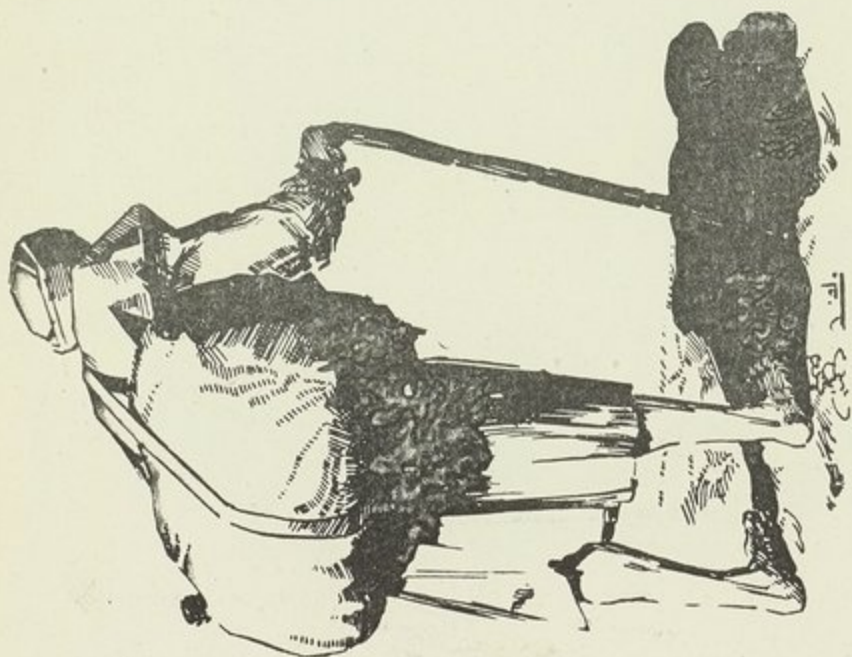
سپلاک



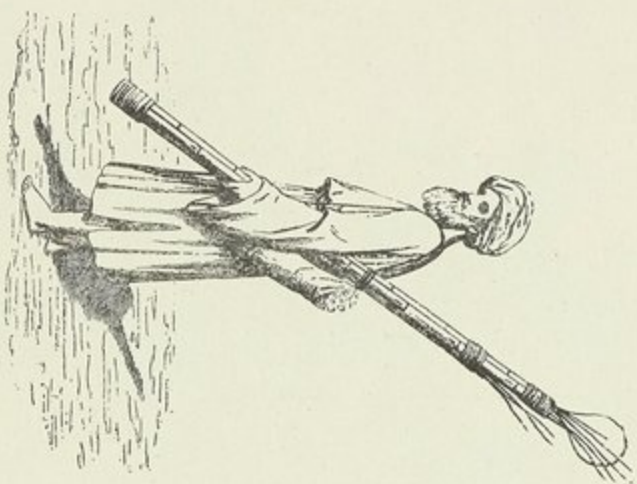
میخراک
(انظر ص ۳۰۳)



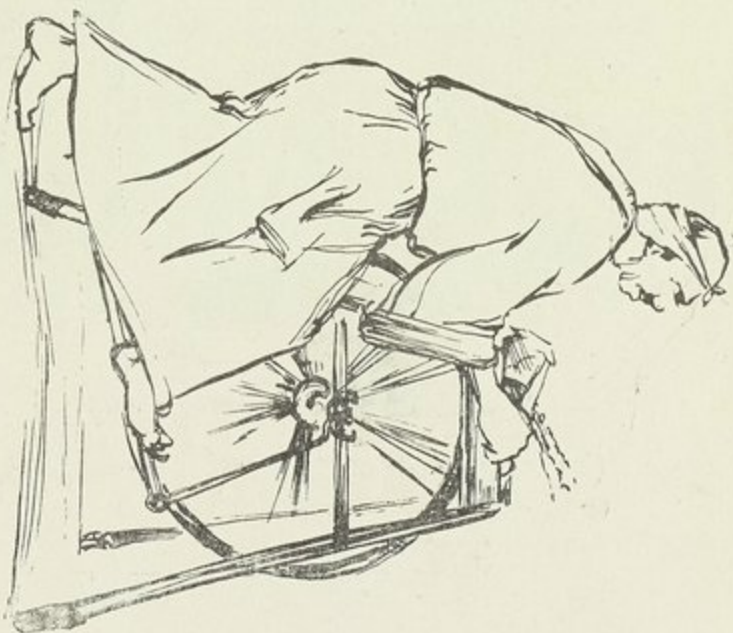
عريس



سقا
(انظر ص ۲۳۳)



مسلك



رجل بين السكين
(القرص ٢٩٦)



النور
(انظر ص ٢٩٩)



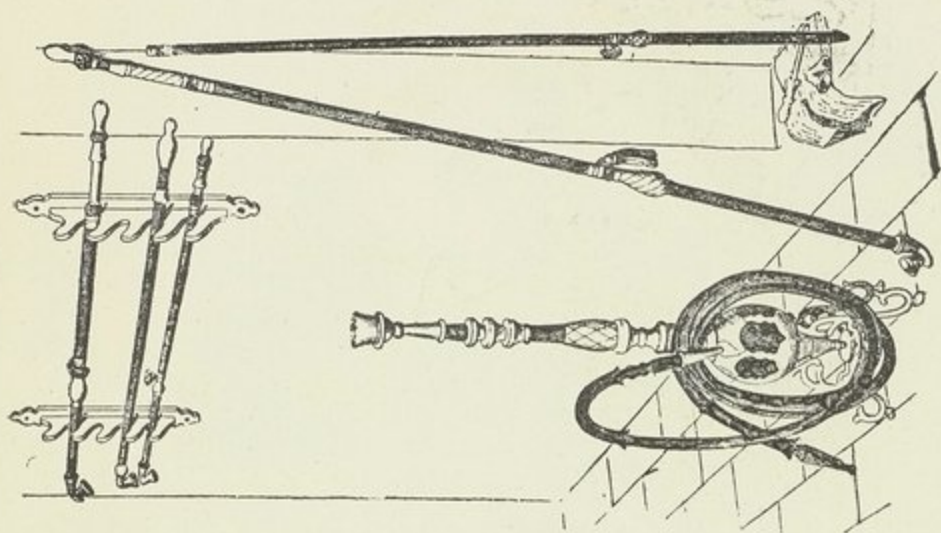
فراذق
(انظر ص ٣٢١)



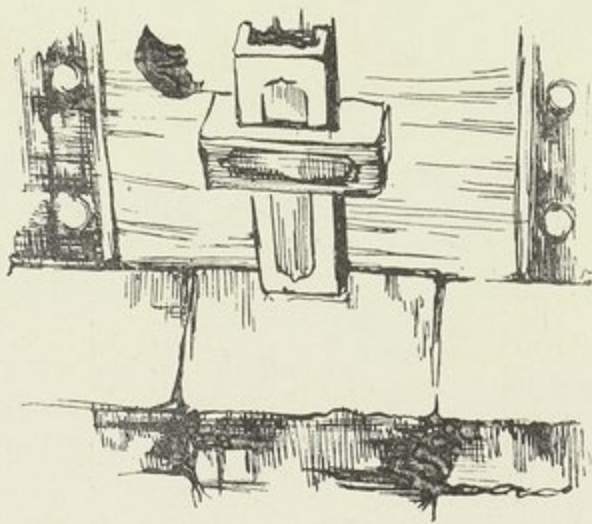
موزة شبك
(انظر ص ٢٤٥)



رجل يهرب جوزة



شيك وشبهه
(انظر من ٢٤٥)



شبهه
(انظر من ٢٦٧)

حمار پیڑ عریہ کارو



دجل بربک حاراً

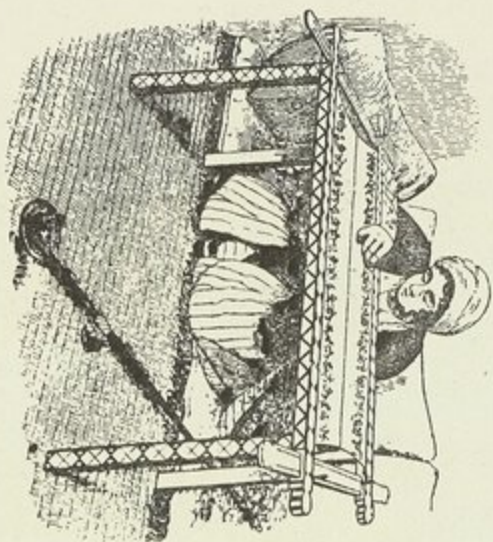




القادوس



الشادوف

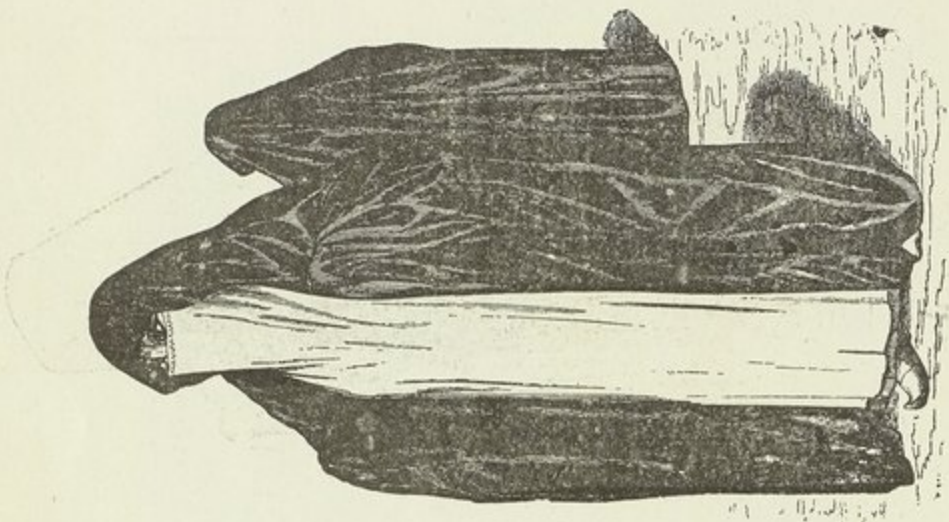


منسج

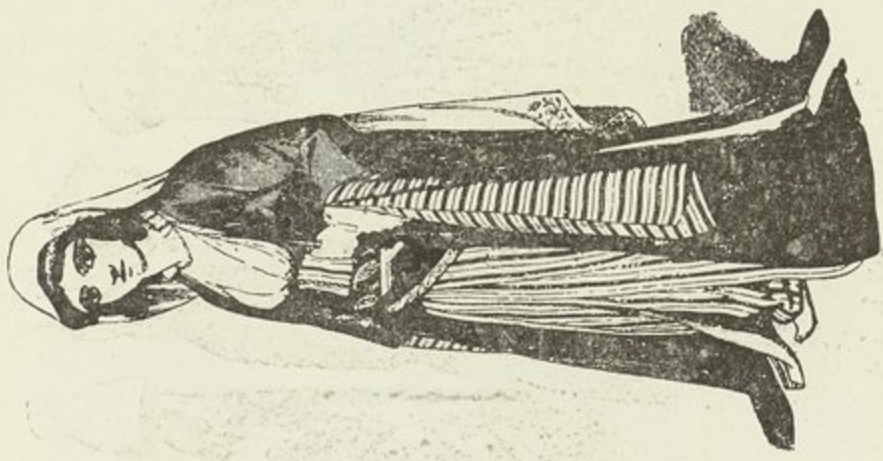


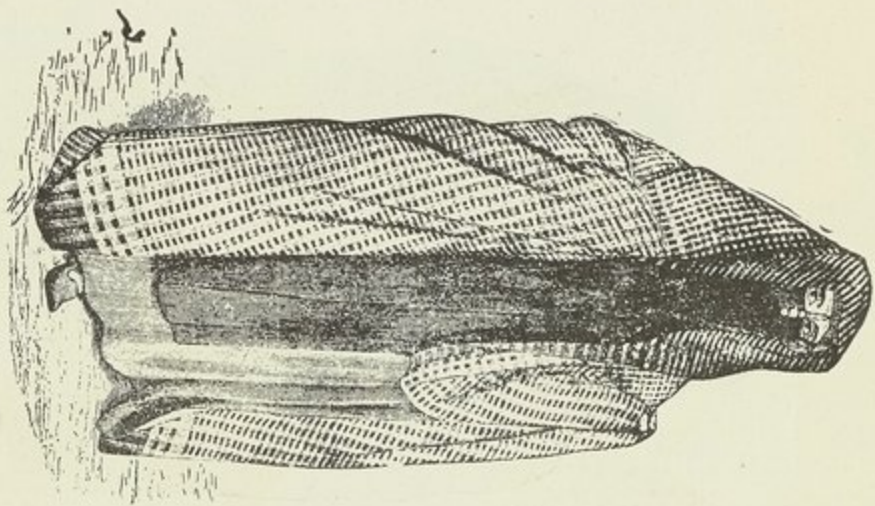
امراة تصرب الزبد
(انظر ص ٢٦٨)

امساءة تلبس الخروج

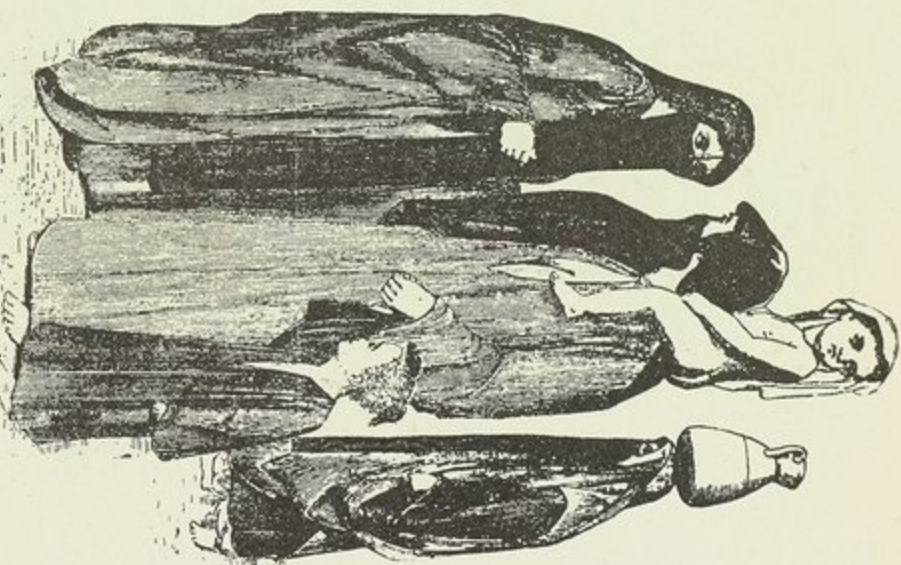


لبس امساءة في بيتها





اساتة تليس اللاده



اساتة واو لادما من الطبقة الدنيا



امرأة متحلية بالقرص والصفاء



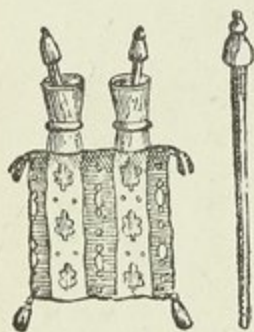
امرأة من أعلى الصعيد



قرط



برقع ملابس النساء
(انظر ص ٨٥)



مهاد



قرص يوضع على الرأس



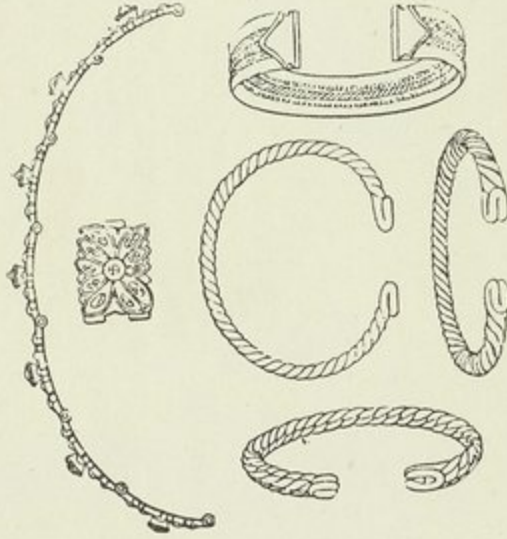
مراوح



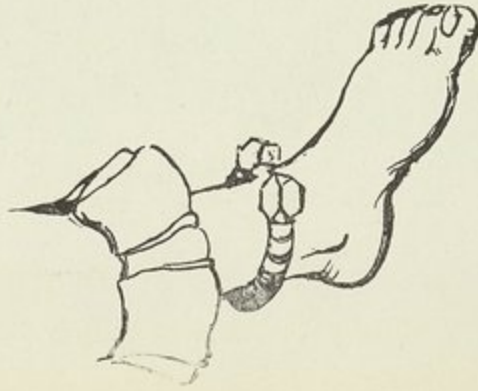
قرص ذهب (ملابس النساء)



كف عني (انظر ليله الحنا من ٢٤٩)



أساور ملابس النساء



خلخال

(انظر من ١٩٤)

